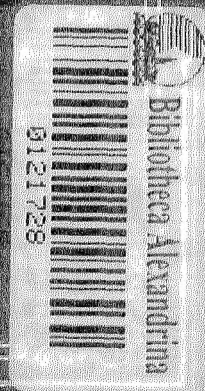


كتاب
صُورَةُ الْأَرْضِ

لابن حوقل
«أبي القاسم بن حوقل النصيبي»

منشورات دار مكتبة الحياة



كتاب صورة الأرض

كتاب
صورة الأرض

٩١٥/٥
٥٥٤
٥

لابن حوقل
«أبي القاسم بن حوقل النصيبي»

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم المكتبة
رقم	٣٨١٣٩

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان



مقدمة الناشر

« هذا كتاب المسالك والممالك ، والمفاوز والممالك ، وذكر
الاقاليم والبلدان ، على مر الدهور والازمان .. وطبائع أهلها
وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستفلاتها ،
وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على
سواحل البحار من المدن والامصار ، ومسافة ما بين البلدان
للسفارة والتجّار .. مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات
والاخبار ، والنوادر والآثار ... »

بهذه الكلمة الجامعة قدم ابو القاسم محمد بن علي الموصلي
الحوقلي البغدادي كتابه إلى العالم .

وابن حوقل هذا عاش في القرن العاشر ، وهو واحد من
اولئك التجار الرحالة المثقفين الذين اتخذوا التجارة وسيلة لفهم
خصائص الاقاليم ، وطبائع الشعوب ، وتدوين ما يتعرفون إليه
من ميزات الناس ونواذرهم وغرائبهم .

اطلع ابن حوقل على كتاب « المسالك والممالك » لأبي اسحاق الفارسي المعروف بالاصطخري ، فكتبه من جديد ، محتفظاً بعنوانه ، ونسبه إلى نفسه .

وقد افاد غير واحد ممن جاء بعده من الجغرافيين والمؤرخين من كتابه ، ولا سيما « ياقوت » في « معجم البلدان » .

طبع هذا الكتاب مرتين في ليدن : ففي الطبعة الأولى نشر باسم « المسالك والممالك ، والمفاوز والممالك » ثم حسنت هذه الطبعة ونشرت بعنوان « صورة الارض » .

...

إن « دار مكتبة الحياة » تعيد طبع هذا المؤلف النفيس في جزئين ، وتضعه بين أيدي اساتذة الجغرافيا والتاريخ ليصلوا ما انقطع من تاريخنا في هذا الحقل ، وليروا اي جهد بذله الأقدمون في سبيل التعرف الى حياة الشعوب والافادة من عاداتها واخلاقها ، والاطلاع على أرضها وميزاتها ...

دارمكتبة الحياة

كتاب صورة الأرض

لابن حوقل

«أبي القاسم بن حوقل التّصيّبي»

وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان
وعملّ القاصر منها والعمران ، من جميع بلاد الاسلام
بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها .

يوجد في بعض النسخ العنوان الآتي :

هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والممالك ، وذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور
والأزمان ، وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ،
وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ،
ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجارة ، مع ما ينضاف الى ذلك من الحكايات والأخبار ،
والنوادير والآثار ، تأليف أبي القاسم بن حوقل رحمه الله ، مختصر في صور بلاد الإسلام ،
واخبارها بالكمال والتّام ، جمع الإمام العالم أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادي ، رحمه الله تعالى
معول فيها جمعه على كتاب الإمام العالم أبي القاسم محمد بن خردادذه وقدامة بن جعفر الكاتب ،
تقدمهم الله برحمته ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . حسبنا الله ونعم الوكيل .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بنعمته ، المشكور على آلائه وقسمه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وأبرار عترته وسلم .

أما بعد فإنّ أحقّ من رقى الى المكارم فحلّ منها في الذروة ، وسما الى الرغائب فلذّ منها بالصفوة ، من قدمته خلائقه وفضّله سوابقه ، وأصبح ومناويه مخصومٌ وثانيه معدومٌ ، والمستسلم اليه آمنٌ والمتمسك بحبله ساكنٌ ، واللّاجئ اليه موفّقٌ والمُستشفي عليه مُصدّقٌ ؛ فهو للعلم وأهله حليفٌ وبالأدب والمُعْتَزّي اليه خصيصٌ شريفٌ ، قد رسخت فيها أعرافه ووشجت وانتسجت بهما همته وأخلاقه ، ذاك أبو السريّ الحُسن بن الفضل بن أبي السريّ الاصبهانيّ سليل السراة ، وشهاب الكُفّاة وَغِيثُ العُفّاة ، زمام الفضائل وقُطْبُ الحُصائل والأحقّ بقول القائل :

كَمْ عَارِفٍ بِي لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَمُخَبِّرٍ عَنِّي وَلَمْ يَرِنِي
يَأْتِيهِمْ خَبْرِي وَإِنْ رَزَحَتْ دَارِي وَبُوعِدَ عَنْهُمْ وَطَنِي

وإلى الله أرغب في إطالة مُدّته ورفع درجته وسموّ منزلته إنّه محيب قريب .

وقد عملتُ له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ، ومقدارها في الطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحلّ الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرّد بالأعمال المجموعة اليها . ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض لأنّ الصورة الهندية التي بالقواذيان ، وإن كانت صحيحة ، فكثيرة التخليط . وقد جعلتُ لكلّ قطعة أفردتها تصويراً وسكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم ، ثمّ ذكرتُ ما يحيط به من الأماكن والبقاع ، وما في أضعافها من المدن والأصقاع ، وما لها من القوانين والارتفاع ، وما فيها من الأنهار والبحار ، وما يحتاج الى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم من وجوه الأموال والجبايات والأعشار ، والخراجات والمسافات في الطُرقات ، وما فيه من المجالب والتجارات إذ ذلك علمٌ يتفرّد به الملوك الساسة ، وأهل المروآت ، والسادة من جميع الطبقات .

وكان ممّا حضّني على تأليفه وحضّني على تصنيفه ، وجذبني الى رسمه أنّي لم أزل في حال الصبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك ، متطلعاً الى كيفية البين بين الممالك في السير والحقائق ، وتباينهم في المذاهب والطرائق ، وكميّة وقوع ذلك في المهمم والرسوم ، والمعارف والعلوم ، والخصوص والعموم ، وترعرعتُ فقرأتُ الكتب الجليلة المعروفة والتوالييف الشريفة الموصوفة ، فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيتُ فيها رسماً متبعاً ، فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب ، واستنطقي فيه وجوهاً من القول والخطاب . وأعاني عليه تواصل السفر ، وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر ، لاستيفاء الرزق والأثر ، والشهوة لبلوغ الوطر ، بيجور السلطان وكلب الزمان ، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان ، واستئناس سلاطينه بالجور بعد العدل والطفيان ، وكثرة الجوائح والنوائب ، وتعاقب الكلف والمصائب ، واختلال النعم وقحط الديم .

فبدأتُ سفري هذا من مدينة السلام يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وفيه خرج أبو محمد الحسن بن

عبدالله بن حمدان ، منهزماً عنها الى ديار ربيعة من أيدي الأتراك وقد عملوا على القبض عليه ، بعد أن استتبّت له الأمور بها وانتسعت به الأحوال فيها وشرفت به الأعمال ، وتناهى في الصولة ولقّب بناصر الدولة . وأنا من حدائث السنّ وغرّته ، وفي عنفوان الشباب وسكرته ، قويّ البضاعة ظاهر الاستطاعة .

وقد ذكرتُ في آخر كتابي هذا كيف تعاورتني الأسفار ، واقتطعتني في البرّ دون ركوب البحار ، الى أن سلكتُ وجه الأرض بأجمعه في طولها وقطعتُ وتر الشمس على ظهرها ، ووصفتُ رجالات أهل البلدان وأعيان ملوكها من ذوي السلطان وأهل الامكان ، والمقدمين في كلّ ناحية وبلد بالاحسان ، الى ذكر النادرة بعد النادرة من محاسنهم والفضيلة بعد الفضيلة من مكارمهم .

ولم أستقصِ ذلك كراهية الاطالة المؤذية الى ملال قارئه ، ولأنّ الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحدٌ علمته بمنّ شاهدها . فأما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها ، وبعض ما أنا ذاكره فقد يوجد في الأخبار متفرّقاً ، ولا يتعدّر على من أراد تقصي شيء من ذلك من سافرة أهل كلّ بلدٍ ، وإن كانت المتعصبة للبلدان والقبائل جارية على خلاف ما توخّيته ، وشرعت فيه ورسمته من قصدها لحقائقها ، وإيرادها على ما هي عليه من طرائقها .





القسم الأول



صورة الأرض

١ - وقد حرّرتُ ذكر المسافات واستوفيتُ صور المدن وسائر ما وجب ذكره ، واتخذتُ لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط الذي لا يُسلّك ، صورةً تظاهي صورة القواذيان من جهةٍ وتخالفها في مواضع ، وأعربتُ عن مكان كلِّ إقليم بما ذكرته ، واتّصلتُ ببعضه ببعض ومقدار كلِّ ناحيةٍ في سعتها وصورتها ، من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث ، وسائر ما يكون عليه أشكال تلك الصورة والعملُ وموقع كلِّ مدينةٍ من مدينةٍ تجاورها وموضعها من شمالها وجنوبها ، وكونها بالمرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظر ببيان موقع كلِّ إقليم وموضعه ومكانه ، وما توخّيته من ترتيبه وأشكاله وقصته من أحواله وأخباره . وقد يقع له فيما كان يعتقد شكاً في طول الأرض وكبرها ، وحالها في تقارب عرضها وطولها وصغرها ، ولا يقارب هذا التأليف عنده كتاب الجيّهاني ولا يوافق رسم ابن خرداذبة وسبيل قارئه ، أرشده الله أن يُنعم النظر فيما شكّ منه ويتأمّله تأمّلاً من حمل عنه بتحرّي الصدق ، فيه كثيرٌ من غشائة الناقلين وكذب المسافرين الذين لا يعلمون ولا قصد لهم الحقّ فيما يبعثون . ولَيْسَ عَلَمُ أن الأسباب المُحرّضة على تأليفه المقتضية لعمله اللذّةُ بالاحابة في المقصد والحبّة للظفر بإبانة كلِّ بلد ، والذكر الجميل من أهل التحصيل في كلِّ مشهد .

٢ - وقد فصلتُ بلاد الاسلام إقليماً إقليماً وصفقناً صفقناً وكورةً كورةً لكلِّ عملٍ ، وبدأتُ بذكر ديار العرب فجعلتها إقليماً واحداً

لأنّ الكعبة فيها ومكّة أمّ القرى ، وهي واسطة هذه الأقاليم عندي .
وأُتبعْتُ ديار العرب بعد أن رسمتُ فيها جميع ما تشتمل عليه من الجبال
والرمال والطرق ، وما يجاورها من الأنهار المنصبّة الى بحر فارس ببحر فارس ،
لأنه يحْتَفُّ بأكثر ديارها وشكّلتُ عطفه عليها ، ولأنّ بحر فارس يعطف
من جزيرة مسقط مغرباً الى مكّة والى القلزم عن خمسين فرسخاً
من عُمان ، ويدعى ذلك الموضع رأس الجُمُجُمة . ثمّ ذكرتُ المغرب
ورسمته في وجهين وبدأتُ بشكل ما حاز منه أرض مصر الى المهدية
والقَيْرَوَان ، وما في براريها من المدن وإن قلتُ ، وأعقبْتُها بباقي
صورته من القيروان والمهدية الى أرض طنجة وازلي ، ورسمتُ على بحره
مدنه الساحلية وشكّلتُ طُرُقه الى جميع أنحائها وكيفيّتها مُغَرَّبَةً
ومُشَرَّقَةً في سائر جهاتها .

ثمّ ذكرتُ مصر في شكلين حسب ما جرى رسم المغرب به ، ولطول
العمل أعربتُ فيها عن حال مدنها ومواقعها على المياه الجارية في أرضها ،
وما كان برسمها في البعد عن المياه ، وخططتُ جبالها ومياهها بخلجانها
وشُعَبِها واتّصال بعضها ببعض ، وانفصالها الى البحر على حياها وما يصبّ
من ماء الفيّوم الى بحيرة أقشئ وتنهت . ثمّ صوّرتُ الشام وأجنادها
وجباله ومياهه من أنهاره وبحره وما على ساحله من المدن ، وبحيرة طبرية
وبحيرة زُغَر وِتيه بني إسرائيل وموقعه من ظاهر الشام . ثمّ بحر الروم
وكيفيّته في ذاته وشكله في نفسه وما عليه من الجانب الشرقي للروم من
المدن ، والأعمال المحاذية لبلد المغرب . وذكرتُ ما بقلوريه للروم من المدن
والانكبرذه والزنقة المعروفة ببليونس ، والخليج الخارج من بحر الروم
الى الجاز المحيط على القُسْطَنْطِينِيَّة ، ومياه بلد الروم وأكابر أنهاره
ومدنه . وكنتُ استوفيتُ صورة الأندلس في أشكال المغرب فلم أعد
شيئاً منها ، وقد رسمتُ في هذا البحر الجزائر المشهورة المسكونة ، وما
دعت الحاجة الى ذكره اذ كان مسكوناً مشهوراً .

ثمّ ذكرتُ الجزيرة المشهورة المعروفة بديار ربيعة ومُضَرَ وبَكْرٍ

الشبه

وكيفية دجلة والفُرات عليها ، واشتغالها على حدودها الى ذكر جبالها وسائر طرقها وأحوالها . وأعقبْتُها بصورة العراق ومياها وبطائعها وانصباب مياها الى البحر وما يُفرَّعُ ويُفرَّغُ اليها من أنهارها . وذكرتُ خوزستان على حدودها وأنهارها وما اقتضته صورتها وحالها . وقفيتها بصورة فارس على تصوير جميع أنهارها وبحيراتها ، ومواقع مدنها وصورة بحرها الى ما عليه من المدن الساحلية . وأتبعْتُها بصورة كرمات برّها وبحرها وسهلها وجبَلها وسائر طرقها وسبلها . ثمَّ صوّرتُ بلاد السند ومدنها وطرقها وسبلها وبحرها ، وما عليه من مدنها وأثبتُ فيها نهر مهران وكيفية مصبه عن الملتئان وما يصاقبه من بلاد الهند والإسلام .

ثمَّ تلوْتُها بصورة اذربيجان وشكَّلتُ ما فيها من الجبال والطرق والأنهار العذبة كالرس والكُر ، الى أن رسمتُ بُحيرة خلَاطٍ وُبُحيرة كَبُودان ، وكلتاها غير متصلتين بشيء من البحار وأثبتُ فيها جبل القبق . ثمَّ صوّرتُ الجبال وأعمالها ومواقع بلدانها على ما هي به وما اتخذ منها بدخول بعض مفازة خراسان وفارس على حدودها . وذكرتُ اليها صورة الجبل والديلم وطَبُستان وما يليها من بحر الحَزَر وبعض سبله إذ لم أحط علماً بكنسيتها . وأتبعْتُها بصورة بُحيرة طَبَرستان وجزيرتها ومصبَّ ما اليها من المياه وما يصاقبها من الجبال ، وكمية ما للإسلام منها وحدودَ ما لغيره من أقطارها ، وشكَّلتُ المفازة التي بين فارس وخراسان وجميع ما فيها من الطرق الى النواحي المجاورة لها والمضافة الى حدودها ، وما يليها من أعمال سجستان على ما يجاورها من بلاد الغُور وجبالها ومصبَّ مياها الى بُحيرة زَرَه . وصوّرتُ خراسان وما في ضمنها من طخيرستان وجبال الباميان وطُوس وقوهستان ، بجميع مياها الجارية وجبالها المشهورة ورمالها وطرقها المعروفة .

ثمَّ صوّرتُ نهر جيحون وما وراءه من أعمال بُخَارَا وسَمَرْقَنْد واشروسنه واسبيجاب والشاش وخوارزم ، الى جميع ما يشتمل عليه من المياه ويحيط به من الطرق والمسالك .

٣ - ما في بطن هذه الورقة صورة جميع الأرض .

ايضاح ما يوجد في صورة الأرض من الاسماء والنصوص :

قد كتب عند طرف الصورة الفوقاني الجنوب ، وتحت ذلك بمنة ويسرة صورة جميع الأرض ، ومع الطرف الأسفل الشمال . ثم مع الطرف الايمن المغرب ، ومع الطرف الايسر المشرق .

قد قسمت الأرض قسمين وهما : بر جنوبي وبر شمالي ، ورسم في البر الجنوبي نهر النيل ، وكتب على قسمه الجنوبي بلد النوبة دنقله وعلوه ، ثم على قسمه الشمالي الصميد الأعلى ثم نواحي مصر . وعلى ساحل هذا البر عن يمين فوهة النيل بلد المغرب ، وفوق ذلك في داخل البر أولا نواحي برقة واعمالها ، ثم متصاعداً الى اليمين نواحي سرت واجدابيه ، نواحي طرابلس واعمالها ، نواحي افريقية واعمالها ، ثم في زاوية البر على ساحل البحر المحيط بالأرض بلد طنجة واعمالها . وبعد ذلك تابعاً للساحل اودغست للمسلمين ، غانة للكفار ، كوغه للكفار ، سامه للكفار ، غريوا للكفار ، كزم للكفار ، ووراء هذه الاسماء الممالك التي على البحر المحيط ، ثم على الساحل براري الجنوب ثم في زاوية البر حيث يبتدىء بحر فارس اصل بحر فارس ، وعلى ساحل هذا البحر بلد الزنج ، مفازة بين الزنج والحبشة ، بلد الحبشة ، وبين ذلك والنيل مفازة البجه وبراريا ، وفي الجانب المقابل من النيل الواحات واعمالها . ويقرأ وراء ذلك في البر بلد ولد جالوت ، ثم نواحي سجلهاسه والسوس الأقصى واغاثات .

وانفصلت عن البر الشمالي قطعة في يمين الصورة بخليج يقرأ عنده خليج قسطنطينية ، ويقرأ في هذه القطعة بلد الروم مع أن أول كلمة بلد في القطعة الأخرى من البر ، وعلى ساحل القطعة الصغرى في وسط الخليج القسطنطينية ، يليها على الساحل نواحي مجدونية ، ثم كسميلي ، بلونس ، بدرنت ، جون البنادقين ، اذرنت ، قلورية ، نواحي الانكبرذه ، نواحي افرنجيه وجليقيه وفي الزاوية بلد الاندلس ، وفي الطرف التحتاني من البحر المحيط براري الشمال .

وكلمة الشمال هذه كتبت عن يسرة الخليج في القطعة الاخرى من البر الشمالي ، ويقرأ في هذه القطعة وراء كلمة الشمال نواحي ياجوج وماجوج ، ثم متصاعداً الى الفوق الصقالبة وهو قسم في القطعة الصغرى من البر ، ثم وراء ذلك في جهة الشرق البلغار والروس ، ثم على الخليج نواحي اطرازنده ، ومن فوق النهر المجانب للبلغار والروس بشجرت ، البرطاس ، الخزر ، البجناكية ، البلغار مرة ثانية ثم بلد السرير ، ومن فوق ذلك بلد ارمينية الداخلة والخارجة ، ويسرة اذربيجان والران . وعن يمين ارمينية نهر دجلة ثم الفرات وبينهما الجزيرة وبين الفرات والبحر يقرأ الشام . ثم عند مصب النهرين العراق ومن فوق ذلك ديار العرب .

ثم يقرأ عن يسار العراق على البحر خوزستان ثم فارس ، كرمان ، السند ووراء ذلك الجبال ، مفازة فارس ، سجستان ووراء ذلك الديلم ، طهرستان ، خوارزم ، الفزيع ، خراسان ، ومجاهاً لخراسان نهر جيحون ووراءه ما وراء النهر ويقرأ بعد ذلك من بلد الصين . ثم من فوق ذلك الهند وفيه نهر مهران ، ثم وراء ذلك الخرنجيه ، التبت ووراء ذلك على البحر المحيط خرنجيز ، التفرغز ، بلد الصين .

٤ - فهذه جميع الأرض عامرها وغامرها وهي مقسومة على الممالك ، وعماد ممالك الأرض أربع : فأعمرها وأكثرها خيراً وأحسنها استقامة في السياسة وتقويم العمارات ووفور الجبايات مملكة ايران شهر ، وقطبها إقليم بابل وهي مملكة فارس . وكان حد هذه المملكة في أيتام العجم معلوماً ، فلمّا جاء الاسلام أخذت من كل مملكة بنصيب فأخذت من مملكة الروم الشام ومصر والمغرب والاندلس ، وأخذت من مملكة الصين ما وراء النهر وانضمت إليها هذه الممالك العظيمة . ومملكة الروم يدخل فيها حدود الصقالبة ، ومن جاورهم من الروس والسير واللان والأرمن ومن دات بالنصرانية .

ومملكة الصين يدخل فيها سائر بلدان الأتراك وبعض التبت ومن دات بدين اهل الأوثان منهم . ومملكة الهند يدخل فيها السند وقشмир وطرف من التبت ومن دات بدينهم ، ولم اذكر بلدان السودان في المغرب والبجة والزنج ومن في أعراضهم من الأمم ، لأن انتظام الممالك بالديانات والآداب والحكم وتقويم العمارات بالسياسة المستقيمة . وهؤلاء مهملون في هذه الحصال ولا حظ لهم في شيء من ذلك فيستحقوا به إفراد بممالكهم بما ذكرت به سائر الممالك . غير أن بعض السودان المقاربين هذه الممالك المعروفة يرجعون الى ديانة ورياسة وحكم ، ويقاربون اهل هذه الممالك كالنوبة والحبشة فإنهم نصارى يرتسمون مذاهب الروم . وقد كانوا قبل الاسلام يتصلون بمملكة الروم على المجاورة ، لأن أرض النوبة مصابة أرض مصر والحبشة على بحر القلزم ؛ وبينهما وبين أرض مصر مفاوز معمورة فيها معادن الذهب ، ويتصلون بمصر والشام من طريق بحر القلزم ؛ فهذه الممالك المعروفة . ولما زادت مملكة الاسلام بما اجتمع اليها من طرائف هذه الممالك المذكورة شرفت وعظمت .

٥ - وقسمة الأرض على الجنوب والشمال ، فإذا أخذت من المشرق من الخليج الذي يأخذ من البحر المحيط بأرض الصين الى الخليج الذي يأخذ من هذا البحر المحيط من أرض المغرب ، بين أرض الأندلس وطنجة ، فقد قسمت الأرض قسمين . وخط هذه القسمة يأخذ من بحر الصين

حتى يقطع بلد الهند ، ووسط مملكة الاسلام حتى يمتد على ارض مصر الى المغرب . فما كان في حد الشمال من هذين القسمين فأهله بيض ، وكلما تباعدوا في الشمال ازدادوا بياضاً وهي أقاليم باردة . وما كان ممّا يلي الجنوب من هذين القسمين فأهله سود ، وكلما ازدادوا تباعداً في الجنوب ازدادوا سواداً ؛ وأعدل هذه الممالك في الخطّ المستقيم وما قاربه .

٦ - وسأذكر كل إقليم من ذلك بما يعرف قربه ومكانه من الاقليم الذي يضامه ويصاقبه إن شاء الله . فأما مملكة الاسلام فإن شرقها ارض الهند وبحر فارس ، وغربها مملكة السودان السكّات على البحر المحيط المتصلين ببراري اودغست وصحاريها تجاه اوليل ، وشمالها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللّان والران والسرير والحزر والروس والبلغار والصقالبة وطائفة من الترك ، ومن شمالها بعض مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الأتراك وجنوبها بحر فارس . وأما مملكة الروم فإن شرقها بلاد الاسلام ، وغربها وجنوبها البحر المحيط ، وشمالها حدود عمل الصين لأنني ضمت ما بين الاتراك وبلد الروم من الصقالبة ، وسائر الامم التي تلي الروم الى بلد الروم ، وأما مملكة الصين فإن شمالها وشرقها البحر المحيط ، وجنوبها مملكة الاسلام والهند ، وغربها ايضاً البحر المحيط لأنّ ياجوج وماجوج ومن اليهم الى البحر المحيط من هذه المملكة . وأما ارض الهند فإن شرقها بحر فارس وغربها وجنوبها بلاد خراسان وشمالها مملكة الصين ، فهذه حدود هذه الممالك التي ذكرتها .

٧ - وأما البحار فأشهرها اثنان وأعظمها بحر فارس ثم بحر الروم ، وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط ، وأفسحهما طولاً وعرضاً بحر فارس . والذي يقتوى بحر فارس من الارض فمن حد الصين الى القلزم ، فإذا قطعت من القلزم الى الصين على خطّ مستقيم كان مقداره نحو مائتي مرحلة . وكذلك اذا شئت أن تقطع من القلزم الى اقصى حجر بالمغرب على خطّ مستقيم ، ألفيته مائة وثمانين مرحلة . واذا قطعت من القلزم الى ارض العراق في البريّة على خطّ مستقيم وشققت ارض

السَّمَاءَ ، أَلْفَيْتَهُ نحو شهر ومن العراق الى نهر بلخ نحو شهرين ، ومن نهر بلخ الى آخر بلاد الاسلام في حدّ فرغانة نَيْفٌ وعشرون مرحلة . ومن هناك الى أن تقطع ارض الحَرِّ لُخِيَّةَ كُلَّهَا ، وتدخل في عمل النَغَزْ غَزْ نَيْفٌ وثلاثون مرحلة . ومن هذا المكان الى البحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين . وأما من اراد قطعَ هذه المسافة من القلزم الى الصين في البحر ، طالت المسافة عليه لكثرة المعاطف والتواء الطرق في هذه البحور .

وأما بحر الروم فإنه يأخذ من البحر المحيط في الخليج الذي بين المغرب والاندلس حتى ينتهي الى الثغور التي كانت تُعرَفُ بِالشَّامِيَّةِ ، ومقداره في المسافة نحو أربعة أشهر وهو أحسن استقامةً واستواءً من بحر فارس ، وذلك أَنَّكَ إِذَا اخذتَ من لم هذا الخليج أدَّتَكَ رِيحٌ واحدةٌ الى أَكْثَرِ هذا البحر . وبين القلزم الذي هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم على سَمْتِ الْفَرَمَا ثَلَاثَ مَرَاكِحَ . ويزعم بعض المفسرين في قول الله تعالى «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» لا يَبْغِيَانِ^(١) أَنَّهُ هَذَا الْمَوْضِعُ وَيُزَعَمُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ غَيْرُ ذَلِكَ . غيرَ أَنَّ بَحْرَ الرُّومِ يَجَاوِزُ الْفَرَمَا بَنِيْفٌ وَعَشْرِينَ مَرَحَلَةً ، وهو مَفْصَلٌ فِي مَسَافَاتِ الْمَغْرِبِ بِمَا يُغْنِي عَنْ إِعَادَتِهِ . ومن مصر الى أَقْصَى الْمَغْرِبِ نَحْوَ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ مَرَحَلَةً ، فَكَأَنَّ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْأَرْضِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى أَقْصَاهَا مِنَ الْمَشْرِقِ نَحْوَ أَرْبَعِ مِائَةٍ مَرَحَلَةٍ .

٨ - وَأَمَّا عَرْضُهَا مِنْ أَقْصَاهَا فِي حَدِّ الشَّمَالِ إِلَى أَقْصَاهَا فِي حَدِّ الْجَنُوبِ ، فَإِنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْخَلِيطِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أَرْضِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ ، ثُمَّ تَمُرُّ عَلَى ظَهْرِ أَرْضِ الصَّقَالِبَةِ فَتَقْطَعُ أَرْضَ الْبُلْغَارِ الدَّاخِلَةَ وَالصَّقَالِبَةَ ، وَتَمُضِي فِي بِلَادِ الرُّومِ إِلَى الشَّامِ وَأَرْضِ مِصْرَ وَالنُّوبَةِ ، ثُمَّ تَمْتَدُّ فِي بَرِّيَّةٍ بَيْنَ بِلَادِ السُّودَانَ وَبِلَادِ الزَّنْجِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ الْخَلِيطِ ؛ فَهَذَا خَطٌّ مَا بَيْنَ جَنُوبِي الْأَرْضِ وَشَمَالِيَّهَا . وَأَمَّا الَّذِي أَعْلَمَهُ مِنْ مَسَافَةِ هَذَا الْخَطِّ فَإِنَّ مِنْ يَاجُوجَ إِلَى بُلْغَارِ وَأَرْضِ الصَّقَالِبَةِ فَنَحْوُ

أربعين مرحلة ، ومن ارض الصقالبة في بلد الروم الى الشام نحو ستين مرحلة ، ومن ارض الشام الى ارض مصر نحو ثلاثين مرحلة ، ومنها الى اقصى النوبة ثمانين مرحلة حتى تنتهي الى البرية التي لا تسلك ، فذلك مائتا مرحلة وعشر مراحل كلها عامرة مسكونة . وأما ما بين ياجوج وماجوج والبحر المحيط في الشمال ، وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب فققر خراب ما بلغني أن فيه عمارة ولا حيواناً ولا نباتاً ، ولا يعلم مسافة هاتين البريتين الى شط البحر كم هي ، وذلك أن سلوكهما غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة . والحياة في الشمال ، وفرط الحر المانع من العمارة والحياة في الجنوب . وجميع ما بين المغرب والصين فمعمر كله ، والبحر المحيط مختلف بالارض كالطوق ، وماخذ بحر فارس وبحر الروم من البحر المحيط .

٩ - فأما بحر الخزر فليست له مادة من شيء من ذين البحرين بوجه ولا سبب ، وقد حكيت عن هذا البحر حكايات كثيرة عن كبار المؤلفين ، ولقد قرأت في غير نسخة جغرافياً أنه يستمد من بحر الروم عن بطليموس ، وأعوذ بالله ان يكون مثل بطليموس يذكر الحال او يصف شيئاً بخلاف ما هو به . وهذا البحر في قرار من الارض مادته الماء العذب ، والذي يفرع اليه ويفرغ فيه فنهر آتل ، وهو أكبر موادته ، وهو نهر الروس ونهر الكر والرس ومياه الجليل والديلم وطبرستان ونواحي القزمية ، وجميعها مياه عذبة وإنما تربتها فاسدة حمائية ، فالماء يأجن ويأسن فيها لذلك . وهو بحر لو أخذ السائر على ساحله من الخزر على ارض اذربيجان الى الديلم وطبرستان وجرجان والمفاضة على جبل سياه كويه ، لرجع الى مكانه الذي سار منه بغير أن يمنعه مانع من ماء مالح سوى الأنهار العذبة التي ذكرتها . فأما بحيرة خوارزم فكذلك ايضاً لا تتصل ببحر غيرها . وفي اراضي الزنج وبلدانهم خلجان ، وكذلك في أعراض بلد الروم خلجان وبحار لا تذكر لقصورها عن هذه البحار وكثرتها . وقد اخذ من البحر المحيط خليج يمر على ظهر بلد الصقالبة ، ويقطع ارض الروم على القسطنطينية حتى يفرع في بحر الروم .

١٠ - وأرض الروم حدّها من هذا البحر المحيط على بلد الجلالة وافرنجه ورومية واثناس الى القسطنطينيّة، ثمّ الى ارض الصقالبة . ويشبه أن يكون نحو مائة وسبعين مرحلة، وذلك أن من حدّ الثغور في الشمال الى ارض الصقالبة نحو شهرين ، وقد ثبت أن من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال مائتي مرحلة وعشر مراحل . والروم المحض من حدّ رومية الى حدّ الصقالبة وما ضمّته الى بلد الروم من الافرنجه والجلالة وغيرهم، فإنّ لسانهم مختلف غير أن الدين والمملكة واحد، كما أن لمملكة الاسلام ألسنة والبلد واحد .

١١ - ومملكة الصين على ما يزعم أبو إسحق الفارسي وأبو إسحق إبراهيم ابن البتكين ، حاجب صاحب خراسان أربعة أشهر في ثلاثة أشهر . فإذا أخذت من فم الخليج حتى تنتهي الى دار الاسلام بما وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر، وإذا أخذت من حدّ المشرق حتى تقطع الى حدّ المغرب في أرض التبت ، وتمتدّ في أرض التّغزّغزّ وخرخيز وعلى ظهر كياك الى البحر فهو نحو اربعة أشهر . ولمملكة الصين ألسنة مختلفة وجميع الأتراك من التّغزّغزّ وخرخيز وكياك والغزّية والخرخيزية فإلسنتهم واحدة، وبعضهم يفهم عن بعض . ولأرض الصين والتبت لسان مخالف لهذه الألسنة كالسنة صنهاجة اودغست وأهل سرت وأهل قسطنطينية وغيرهم من البربر ، فإنّ لهم ألسنة خاصيّة ، ولسان البربر يجمعهم ويفهم بعضهم عن بعض به . ومملكة الصين كلّها منسوبة الى صاحب الصين المقيم بمحمدان ، كما مملكة الروم منسوبة الى الملك المقيم بالقسطنطينيّة ، ومملكة الهند منسوبة الى الملك المقيم بقمّتوج كنسبة مملكة الاسلام الى الملك المقيم ببغداد .

١٢ - وفي ديار الأتراك ملوك متبّيزون بمالكهم . فأما الغزّية فإن حدود ديارهم ما بين الخزر وكياك، وأرض الخرخيزية وبلغار وحدود دار الاسلام ما بين جرجان الى باراب واسبيجاب . وديار الكياكية وهم من وراء الخرخيزية في ناحية الشمال فيما بين الغزّية وخرخيز وظهر الصقالبة . فاما ياجوج فهم في ناحية الشمال اذا قطعت ما بين الصقالبة

والكيناكية ، والله اعلم بمقاديرهم ، وبلادهم جبال شاهقة لا يتوقلها الدواب ولا يرتقيها الا الرجاله ، ولم ألق بهم أخبر من ابراهيم بن البتكين حاجب صاحب خراسان ، فأخبرني أن تجارتهم انما تصل اليهم على ظهور الرجال وأصلاب المعز ، وأن تجارتهم من نواحي خوارزم ربما أقاموا في صعود جبل ونزوله الاسبوع والعشرة الايام ، واما خرخيز فانهم ما بين التَغَزْغَز وكِيَاك والبحر المحيط وأرض الخُرْحِيَّة والغَزِيَّة ، واما التَغَزْغَز فقبيل عظيم لهم دار واسعة ما بين التبت وأرض الخُرْحِيَّة وخرخيز ومملكة الصين . والصين ما بين البحر المحيط والتغزغز والتبت والخليج الفارسي ، وأرض الصقالبة عريضة طويلة نحو شهرين في مثلها ، وبلغار مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة ، وكانت مشهورة لأنها كانت فرضة لهذه الممالك ، فاكتسحها الروس وأتوا على خَزَرَان وسمندر وأتل في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وساروا من فورهم الى بلد الروم والاندلس وافترقوا فرقتين . والروس قوم كهمج سكان بناحية بُلغار فيما بينهم وبين الصقالبة على نهر اتل . وقد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم فصاروا بين الخزر والروم يقال لهم البجناكية ، وليس موضعهم بدار لهم على قديم الايام ، وانما انتابوها فغلبوا عليها وهم شوكة الروسية وأحلافهم ، وهم الخارجون قديماً الى الاندلس ثم الى برذعة . والخزر اسم لجنس من الناس وكان بلدهم صغيراً ذا جانبين يسمى اتل أحد جانبيها باسم النهر ، والجانب الآخر خَزَرَان ، وهذا النهر يجري من بلد الروس . وليس لهذا المصر كثير رساتيق ولا سعة مملكة ، وهو بلد بين بحر الخزر والسرير والروس والغزية ، والتبت بين أرض الصين والهند وأرض الخُرْحِيَّة والتغزغز وبحر فارس ، وبعضهم في مملكة الهند وبعضهم في مملكة الصين ، ولهم ملك قائم بنفسه يقال أن أصله من التبابعة ، والله أعلم .

١٣ - وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ، ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال ، غير أن حداً له ينتهي الى البحر المحيط ، وحداً له ينتهي الى برية بينه وبين أرض المغرب ، وحداً له ينتهي الى برية بينه وبين

أرض مصر على ظهر الواحات ، وحداً له ينتهي الى البرية التي ذكرت
 أنها لا تنبت ولا عمارة فيها لشدة الحر . وطول أرضهم ألف فرسخ
 في نحوها عرضاً ، غير أنها الى البحر لا الى ظهر الواحات أطول من
 عرضها . وأرض النوبة فلها حد الى أرض مصر من نواحي الصعيد ،
 وحد الى هذه البرية التي بين أرض السودان ومصر ، وحد لها الى أرض
 البحر وبراري بينها وبين القلزم ، وحد لها الى هذه البرية التي لا تسلك
 وأرض البجة فديار صغيرة العرض طويلة تمر في الجنوب بين نهر النيل
 وبحر القلزم ، وهم فيما بين الحبشة والنوبة من حدود قوص الى البرية التي
 لا تسلك ، وعدد رجالهم وذكر حالهم وملوكهم واعتقاداتهم وما تقلبت
 بهم الحال عليه في الاسلام كثير طريف ، ولا أعرف لهم في سيرة من
 السيّر ذكراً ، وسأقي من أخبارهم بجمال يستحسنها من اعترضها عند الحاجة
 اليه . وأما الحبشة فانها على بحر القلزم ، وهو بحر فارس ، فينتهي حد
 لها الى بلاد الزنج وحد لها الى البرية التي بين النوبة وبحر القلزم ، وحد
 لها الى البجة والبرية التي لا تسلك ، وأرض الزنج اطول اراضي السودان
 ولا تتصل بمملكة غير الحبشة ، والحبشة ناحية ومملكة عريضة لهم في وقتنا
 هذا مملكة لها عليهم نحو ثلاثين سنة ، وأخبارها من ظرائف الأخبار -
 وهي تجاه اليمن وفارس وكرمان الى ان تحاذي بعض أرض الهند .
 وأرض الهند تجاه بلاد الزنج من جانب بحر فارس الشرقي ، وطولها من
 عمل مكران في أرض المنصورة والسندهند وهم البداه وسائر بلدان السند
 الى ان تنتهي الى قنوج ، ويجوزها الى أرض قنوج ، ويجوزها الى أرض
 التيب نحو أربعة أشهر ، وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحو
 ثلاثة أشهر .

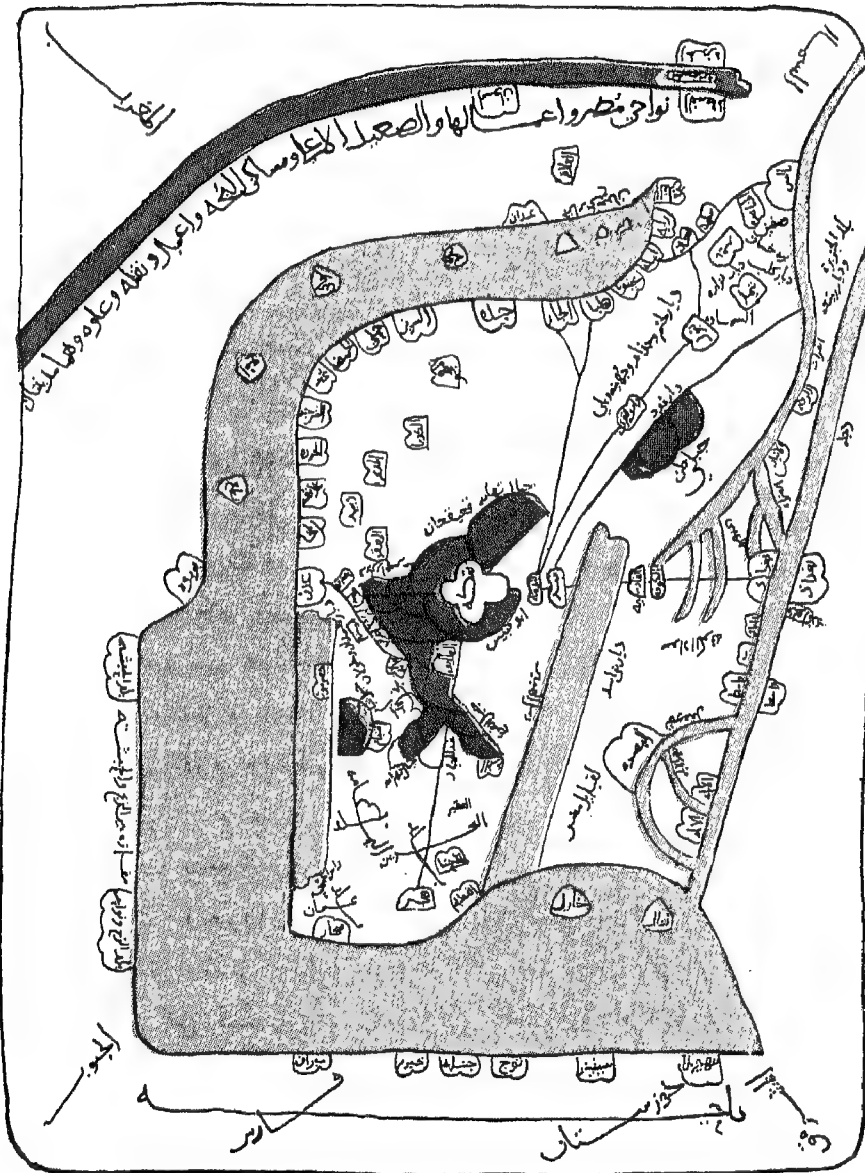
١٤ - ومملكة الاسلام في حيننا هذا ووقتنا فان طولها من حد فرغانه
 حتى يقطع خراسان والجبّال والعراق وديار العرب الى سواحل اليمن فهو
 نحو خمسة أشهر ، وعرضها من بلد الروم حتى يقطع الشام والجزيرة والعراق
 وفارس وكرمان الى أرض المنصورة على شط بحر فارس نحو أربعة أشهر
 وانما تركت في ذكر طول الاسلام حد المغرب الى الاندلس لأنه كمّ في

الثوب ، وليس في شرقي المغرب ولا في غربيه اسلام لأنك اذا جاوزت مصر في أرض المغرب كان جنوبي المغرب بلاد السودان ، وشماله بحر الروم ثم أرض الروم . ولو صلح أن يجعل طول الاسلام من فرغانه الى أرض المغرب والاندلس لكان مسيرة ثلاثمائة مرحلة لأن من فرغانه الى وادي بلخ نيفاً وعشرين مرحلة ، ومن وادي بلخ الى العراق نحو ستين مرحلة ، ومن العراق الى مصر نحو ثلاثين مرحلة ، وقد ثبت في مسافات المغرب أن من مصر الى أقاصي المغرب مائة وثمانين مرحلة ، ومن مصر الى ان تحاذي آخر أرض الاندلس بأعمال طنجة نصف هذه المسافة ، ولما قصدت تفصيل بلاد الاسلام اقليماً اقليماً ليعرف موضع كل اقليم من مكانه وما يجاوره من سائر الأقاليم ، ولم تنسج هذه الصورة التي جمعت سائر الاقاليم لما يستحقه كل اقليم في صورته من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث وما يكون عليه أشكاله ، جعلت لكل اقليم مكاناً يُعرب عن حاله وما يجاوره من سائر الأقاليم ثم افردت لكل اقليم منها صورة على حدة ، بينت فيها شكل ذلك الاقليم وما يقع في اضعافه من المدن وسائر ما يحتاج الى علمه بما آتني على ذكره في موضعه ان شاء الله .



ديار العرب

- ١ - فابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي ام القرى وبلد العرب واطنانهم التي لم يشركهم في سكنائها غيرهم .
- ٢ - والذي يحيط بها بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر ، فيمتد على البحرين حتى ينتهي الى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن ، حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة ، ثم يمتد على الجار ومدن حتى ينتهي الى ايلة ، ثم قد انتهى حينئذٍ حد ديار العرب من هذا البحر وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القانزم ، والقانزم مدينة على طرفه وسيفه ، فاذا استمر على قاران وجبيلان وصل الى القانزم وينقطع حينئذٍ ، وهو شرقي ديار العرب وجنوبها وشيء من غربها . ثم يمتد عليها عن ايلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التي تعرف ببهيمة زغر الى الشراة والبلقاء ، وهي من عمل فلسطين واذريعات وحوران والبنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك ، وهي من عمل دمشق وتدمر وسلمية ، وهما من عمل حصص ثم الى الحناصرة وبالس وهما من عمل قينسرين . وقد انتهى الحد الى الفرات ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي الى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيئ والأنبار الى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات الى البطائع . ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الحورنق ، وعلى سواد الكوفة الى حد واسط ، فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تستمد وتستمر على سواد البصرة وبتاها حتى ينتهي الى عبادان .



صورة ديار العرب

٣- وهذا الذي يحيط بديار العرب فما كان من عبّادان الى ايلة فانه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب ، وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغربي وما بقي من حد الغربي من ايلة الى بالس فمن الشام ، وما كان من بالس الى عبّادان فهو الحد الشمالي ومن بالس الى أن تجاوز الانبار فمن حد الجزيرة ، ومن الانبار الى عبّادان فمن حد العراق . ويتصل بأرض العرب بناحية ايلة برية تُعرف بتيه بني اسرائيل وهي برية وان كانت متصلة بديار العرب فلمست من ديارهم ، وانما كانت برية بين أرض العماليقة واليونانية وأرض القبط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى فلذلك لا تدخل في ديارهم .

٤- وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة حتى صارت لهم بها ديار ومراع ، ولم أرَ أحداً عزا الجزيرة الى ديار العرب لأن تزولهم بها وهي ديار لفارس والروم في أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة ، فنزلوا على خفارة فارس والروم حتى أن بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم ، مثل تغلب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسان وبهراء وتَنُوخ من اليمن بأرض الشام .

٥- وديار العرب هي الحجاز التي تشتمل على مكة والمدينة واليامة ومخالفها ، ونجد الحجاز متصل بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام ، واليمن المشتعلة على تهامة ونجد اليمن وعمان ومهرة وبلاد صنعاء وعدن وسائر خالف اليمن . فما كان من حد السرّين حتى ينتهي على ناحية يلمم ثم على ظهر الطائف ممتداً على نجد اليمن الى بحر فارس مشرقاً فمن اليمن ، ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب . وما كان من حد السرّين على بحر فارس الى قرب مدين راجعاً في المشرق على الحِجْر الى جبلي طيء ، ممتداً على ظهر اليامة الى بحر فارس فمن الحجاز . وما كان من اليامة الى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين الى البحر فمن نجد . وما كان من حد عبّادان الى الانبار مواجهاً لنجد والحجاز على ديار أسد وطيء وتميم وسائر قبائل مضر فمن بادية العراق . وما كان من حد الانبار الى بالس ، مواجهاً

لبادية الشام على ارض تيماء وبرية نخساف الى قرب وادي القرى والحجر فمن بادية الجزيرة . وما كان من بالس الى ايلة مواجهاً للحجاز على بحر فارس الى ناحية مدين معارضاً لارض تبوك حتى يتصل بديار طيء فمن بادية الشام . على أن من العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجد لقرنها منها ، وان مكة من تهامة اليمن لقرنها منها .

٦ - وما في بطن هذه الصفحة فهو صورة ديار العرب .

إيضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة ديار العرب :
قد كُتب في زاويتي الصفحة العليا بين المغرب والشمال ، ورُسم في هذا القسم نهر النيل وتحت ذلك الرسم النص الآتي : نواحي مصر واعمالها والصعيد الاعلى ومساكن البُحج واعمال دنقله وعلوه وهما مدينتان . وعلى النهر من المدن الفسطاط والجزيرة وبينهما الجزيرة ثم اسوان ، وبين النيل وبين ساحل البحر العلاقي .

ويقرأ على ساحل البحر في اسفل ايسره : بلد الزنج ونواحيه ، مغازة بين الزنج والحبيشة ، بلد الحبيشة ثم بربره ، ثم قرب منتهى الساحل الفوقاني عيذاب ثم جزائر بني حدان ، ثم عند منتهى البحر القلزم ؟ وفي البحر من الجزائر : سنجله ، سواكن ، باضع ، زيلع .

وعلى ساحل البحر من الجانب المقابل يلي القلزم من المدين رايه ، ايله ، عينونه ، طبا ، الجار ، جده ، السرين ، حلى ، الحمضه ، عثر ، الشرجه ، الحردة ، غلافقه ، الحما ، عدن ، ثم حضرموت ثم في الزاوية بلاد عمان وفيها رأس الجمجمه ومدينة صحار . ثم تلي ذلك على الساحل مدينة القطيف ، وفي هذا القسم من البحر جزيرتا خارك واول .

وفي وسط الصورة رسمت مدينة مكة تحيط بها كتلة جبال متلاصقة ، وفيها أيضاً من اسفل مكة الطائف . ويُقرأ عند هذه الجبال من الجانب الايسر : جبال تهامة ، قعقعمان ، ديار راحه ، وبين هذا الطرف من الجبال والبحر من المدين : المعقد ، زبيد ، المذبحره ، الكدرا ، المهجم . ويأخذ من عدن على البحر طريق الى الجبال وعليه من المدين : صنعا ، صعده ، نجران ، بيشه ، جرش ، تباله . ثم يقرأ عند جانب الجبل مكتوباً على شكل صليبي : نجد الحجاز . ثم رُسم بين الجبل وحضرموت جبل شبام وفيه مدينة شبام . ويقرأ بين جبل شبام وعدن : ديار هندان وخولان . وتتشعب الجبال الوسطية عن أسفلها الى طرفين كُتب بينهما : نجد الحجاز ، وعند الطرف الايسر جبال تهامة ، وعند الطرف الايمن جبل الفرع ومدينة الفرع . وبين هذه البقاع والبحر بلد اليمامة وبلد البحرين ، وفيها من المدين : العقير ، الاحسا ، هجر . ثم يأخذ عن يمين القطيف على البحر الى أعلى رمل الهبير ، ويُقرأ عند طرف الجبل الذي بين مكة ورمل الهبير : ابو قبيس .

وعن يمين مكة بينها ورمل الهبير ايضاً من المدين : المدينة وفيد ، والطريق المار على هاتين

المدينتين بعد اجتيازه زمل الهبير يمر على القادسيه والكوفه الى بغداد على نهر دجلة . ويأخذ من المدينة طريق الى وادي القرى ثم تبوك ثم معان ثم سلميه ثم الخناصره ثم بالس على نهر الفرات ، وبين تبوك والفرات يُقرأ : السماوه ، ديار فزاره ، ديار كلب ، بريه خساف ، صفين ، وأثناء ذلك من المدن : تيا وتدمر . وبين وادي القرى والفرات : ديار ثمود وجبلي طي ، وبينه والبحر ديار نخم وجدام وجهينه وبلى .

وبين الفرات ودجلة يُقرأ بلد الجزيرة وديار ربيعة . ثم على الفرات من المدن : الرقة ، الانبار . وعند الخليج الآخذ من الانبار الى دجلة الصراء ، ويجري من بغداد الى هذا الخليج نهر عيسى ، وعلى دجلة بين بغداد والبحر من المدن : كلواذي ، المدائن ، واسط ، الابله . ومن الابله يأخذ نهر الابله الى البصرة وينصب تجاهها في نهر معقل . ويقرأ بين البصرة وزمل الهبير : ديار بني اسد ، ثم في قرب الساحل لقتبائل مضر .

وفي أسفل الصورة على البحر من المدن : مهربان ، سينيز ، توج ، جنابه ، نجيرم ، سيراف ؛ ويُقرأ وراء ذلك في البر كلمة ناحية التي أضيف اليها اسماء خوزيستان وفارس المكتوبان عليها في شكل الصليب ، وفي زاويتي الصورة السفليين المشرق والجنوب .

٧ - وكانت هذه الديار عظيمة خطيرة الملوك ، ملكها الفراغة والتبابعة ومنهم من ملك أكثر أهل الأرض في سالف الزمان : كتبع الذي مدّن مدينتي صنعاء وسمرقند ، وكان يقيم بهذه حولاً وبهذه آخر . ومن أهلها فرعون ابراهيم وهو سنان بن علوان وفرعون موسى مصعب بن الوليد . وبعث فيها كثير من الانبياء وكان من اكرمهم نبيّننا صلى الله عليه وسلم . ولم يكُ فيما سلف الزمان ولا على مر الدهور والايام بمن علت كلمته واتسعت مملكته ، واستفحلت جبايته كتبع وذوي القرنين من ثبت الملك فيه وفي عقبه وُجبت اليه الأموال ، ونخرق في المروءة والافضال كمن ملكها من أهلها في الاسلام مع أكثر الأرض ، من حيث لم يرم أكثرهم عن مواطنهم ولا يرحوا عن أماكنهم ، يدعى لهم في اطرافها ويدر عليهم الاموال من أخلافها .

٨ - فأما امواها في وقتنا هذا الواصلة الى سلاطينها وملوكها وأربابها وأصحاب أطرافها فنجلتهم خلف أبي الجيش اسحق بن ابراهيم بن زياد بعد أهل البحرين ، والذي تحت يده من الشرجة الى عدن طولاً على ساحل البحر وارض تهامة اليمن ، ويكون مقدار ذلك اثنتي عشرة مرحلة

وعرضه من الجبال الى ساحل اليمن من عمل غلافة ، ويكون مقداره مسيرة أربع مراحل . وأكثر أمواله المقبوضة من العشور وهي ما ينيف على خمس مائة ألف دينار عثري ، ومن قبالات يزيد عن جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشتمل عليه وجوه الأموال مائتا ألف دينار عثري . وأكثر ملوك الجبال في وقتنا هذا يخطبون له على منابرهم . ويصل اليه من جبباية عدن عن المراكب العشرية بما لا يقص بمواقفة وضمان ويعمل بالأمانات ، فربما زادت المراكب ونقصت ، والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التقريب مائتا ألف دينار عثري ، وربما زادت الزيادة العظيمة وربما نقصت اليسير . ويوجد العنبر بسواحل عدن وما يليها ، وله على ذلك ضريبة تصل اليه ، وله على صاحب جزائر دهلك مواقف من هدايا ، ترد عليه فيها العبيد والعنبر وجلود النمر المرتفعة الى غير ذلك ، وله على ملكة الحبشة هدايا ومبار فلا تنقطع هداياها ومبارها . (قال كاتب هذه الأحرف : دخلت عدن سنة أربعين وخمس مائة ، وكان العميد بها بلال بن جرير والمشرع عليه خالي أحمد بن غياث من قبل سلطانها محمد بن سبا ، وكان ضمان عشر المراكب بحسب مائة ألف وأربعة عشر ألف دينار مرابطة ، وهذا أكثر مما ذكره مصنف الكتاب بأضعاف) ويتلوه في المكنة والمقدرة ابن طرف صاحب عثر ، ويشتمل ملكه على وجوه من الأموال وضروب من الجبايات ، ويكون الواصل اليه كنصف ما يصل الى ولد أبي الجيش بن زياد من المال . ويتلوه الجرامي صاحب حلي وهو دون ابن طرف في المكنة والسلطان والجباية ، وهؤلاء الثلاثة ملوك تهامة اليمن وابن طرف والجرامي جميعاً في طاعة ابن زياد وقتنا هذا ، ويخطبون على اسمه ، وقد خطب الجميع لصاحب المغرب في هذا الوقت . وكان من أجل ملوك تهامة اليمن المعروفين بملوك الجبال : أسعد بن أبي يعفر فإنه ملكها سنين كثيرة وملك صنعاء ، وخطب لآل زياد وضرب دراهمه باسمهم بغير هدية أو مبرة تصل منه اليهم ، وكانت أمواله دون أربع مائة ألف دينار تنصرف في مروءته والى أضيافه وقاصديه ، وكان من سلالة التبابعة . وكذلك فجميع ما يجتبيه ولادة اليمن منصرف الى أضيافهم وقاصديهم . وجميع من بالجبال من ملوكها فجبايته دون هذه العدة من

المال ومرافقهم بقدر كفايتهم لمؤنهم . واما الحسيني صاحب صعدة فله جباية كثيرة ومستغلات من المدايع ، وضرائب على القوافل كثيرة تظاهي ارتفاع ابن طرف ونفقاته في طرق المعروف من حيث امر الله تعالى ان تصرف الصدقات والاعشار والخراجات ، وربما زادت جبايته ونقصت . وصاحب السرّين فالواصل اليه كفاء ما يقوم به وبأهله ، وليست بحال تذكر . وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد مع التجار .

٩ - واما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج واول وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم ، والى وقتنا هذا هي لخلفيها ونسلها . ويكون نسل ابي سعيد ظهره بين مرة ورجل نحو الاربع مائة نسمة . وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف الى ما يصل اليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد لقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين ، ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار ، وما عدا ذلك من المال والامر والنهي والحل والعقد وما كان يصل اليهم من طريق مكة ومال عمان ، وما وصل اليهم من الرملة والشام فمتساو في آراء ولد أبي سعيد الباقيين ، ومفاوضة أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر ، وكان أكمل القوم واشدهم ثم تمكناً من نفسه . فإذا هموا بقسمة ما يصل اليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا ، فيعزل منه الخمس بسهم صاحب الزمان ، والثلاثة الأخماس لولد أبي سعيد على قوانين وضعوها بينهم ، وكان الخمس الباقي للسنابرة مسلماً الى أبي محمد ليفرقه في ولد ابيه ولولده ويكونون نحو عشرين رجلاً . وكان ولد أبي طاهر فيهم يُعظمون ويُكرمون ، وكان أجملهم سابور فلما قتله اعمامه تشتت كلمتهم وتغيرت احوالهم . وكان لهم من الثلاثة الأخماس مال معلوم دون الجرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم ، دون ما لهم من الضياع والنعمة المختصة بهم الى سنة ثمان وخمسين ،

فإنهم لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها . وكان من رسومهم ركوب مشائخهم واولادهم 'فرادى' فيجتمعون الى قبلة الاحساء بالمكان المعروف بالجرعاء ، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع ، وقد لبسوا البياض لا غير . وكانت من رسومهم ان تقع سُوراهم بالجرعاء فيسن يخرجونه لما فدحهم وأهمهم ، فإن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأسفهم منزلة عندهم . ولما أنفذوا قديماً أبا علي ابن أبي المنصور الى عُمان وتعدّر عليه فتحها ساروا بأجمعهم اليها فافتتحوها ولما أنفذوا أبا علي بن أبي المنصور الى الشام وعاد عنها طُظنت به خيانة فصار اليه من الغنائم ، فرُدَّ اليها كسرى بن أبي القسم وصخر بن أبي إسحق ، فكان منهم مع أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طُفج ما سيرد في مواضعه من اخبارهم ، وبالله القوة .

١٠ - ثم إن المطيع سلّ سخائمهم وسعى في تألّف قلوبهم وجمع كلمتهم في سنة ستين على ما بلغني سنة إحدى وستين من مشافهة أبي الحسين عليّ ابن احمد الجزريّ ، صاحب أبي الحسين علي بن محمد بن الغمر ، ورأيتُه بصقلية وكأنه ورد المغرب ليقرأ الاخبار بها ، وأخبرني بأشياء كالسرّ عنده ثم خمش وجه الحديث وقال : ومن بقي من العقديّة بالأحساء وغيرها هلكوا كلّهم . وكان في جملة رجال جِلَّة ذور حلوم وعقول دون من صحبهم من الجفاة الاغنام الأغفال الطعام ، كبنّي الغمر ، وأجلّتهم كان المقيم بالجعفرية من ظاهر البصرة ، وهو ابو الحسين علي بن محمد بن الغمر ، ويتلوه اخوه المقيم بالكوفة ابو طريف عديّ بن محمد بن الغمر ، وابو الحسن علي بن احمد بن بشر الحارثي المتولّي رجا لهم وأموالهم من سائتهم وكُرّاءهم ، وكان المقيم فيهم الحدود على من وجبت منهم وكان قد ناهز المائة سنة . وثور بن ثور الكلاي صاحب جيشهم مسنّ ايضاً كافٍ مع كبار سنّه ، وكان صاحب سراياهم الى كل مكان ، وكان اكبر منه حالةً وأتمّ درايةً ابو الحسن علي بن عثمان الكلاي ؛ كان يُزعم أنّ سنيه مائة وعشرون سنة ، وكان ممن لقي أبا زكريا الطلمي وشاهد دعوتهم

الأولى وناموسهم القديم فصيحُ اللسان ، حسنُ البيان ، جريءُ الجنان ، وترسل لهم الى غير مكان ، وناب منابة قاضيهم ابن عرفة في اسباب المراسلة الى بني سحداث وغيرهم ، فعقد عليه بيعتهم وأخذ عليهم العهود بموالاتهم . وقد انتشر حبلهم وقلَّ حوْلهم وقُلَّ حدّهم بما جروا اليه من قتل سابور بن سليمان وأمورهم كالواقفة فيما بينهم . وسمعتُ غير حالكٍ في سني نيّف وخمسين يحكي عن ابي طريف عديّ بن محمد بن الغمر والقاضي ابن عرفة عن تقارب ألفاظهم في القول . أن سادتهم يتوزعون من مال البصرة والكوفة وما يقبضونه من الحجّاج ، ويرد عليهم من مال عُمان والغنائم دون الخمس الخارج عنهم لصاحب الزمان ألف ألف دينار ، وربما زادت المائة والمائتي ألف دينار .

١١ - فأما ما ينتهي اليه علمي من أحوال مدنها وما يحتاج الى علمه من المشهور والمهمل من اخبارها ، فلا أعلم بأرض العرب نهراً ولا بحراً يحمل سفينة لأن البحيرة المينة التي تعرف بزغر وان كانت مصابةً للسادية فليست منها . وجمع الماء الذي بأرض اليمن في ديار سبأ انما كان موضع مسيل ماء ، فبُني على وجهه سدٌّ فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع ، حتى كفروا النعمة بعد أن كان الله تعالى جعل لهم عمارات قرى متصلة الى الشام ، فسلط على ذلك المكان آفة فصار لا يسلك الماء ، وهو قوله تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها » الى قوله : « ومزقناهم كل ممزق »^(١) فبطل ذلك الماء الى يومنا هذا ، فأما الجداول والعيون والسواقي فكثيرة .

١٢ - وأنا مبتدئ من ديار العرب بذكر مكة ، ومكة مدينة فيما بين شعاب الجبال ، وطولها من المعللة الى المسفلة نحو ميلين ، وهو من حد الجنوبي الى الشمالي ، ومن أسفل جباد الى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا . وابنيتهما من حجارة والمسجد في نحو وسطها ، والكعبة في وسط المسجد . وباب الكعبة مرتفع من الارض نحو قامة تجاه المشرق ، وهو

١ - (وجعلنا ... ممزق) سورة سبأ (٣٤) الآيتان ١٧ - ١٨ .

مصراعان . وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب ، ويجاذيه 'قبة' زمزم ومقام إبراهيم صلى الله عليه بقرب من زمزم بخطوات . وبين يدي الكعبة بما يلي المغرب حصار مبني مدور له بابان مع وكني البيت ، إلا أنه لم يدخل فيه ويعرف بالحجر والطواف يحيط به وبالبيت ، وأحد الركنين الذي يحاذي الحجر يُعرف بالعراقي ، والركن الآخر يُعرف بالشامي ، والركنان الآخران أحدهما عند الباب والحجر الأسود فيه مركب على نحو قامة انسان ، والركن الآخر يعرف بالياني . وسقاية الحاج المعروفة بسقاية العباس على ظهر زمزم ، وزمزم فيما بينها وبين البيت . ودار الندوة من المسجد الحرام في غربيته ، وكانت لعبد الله ابن جعدان التيمي ، وكان يملأها بالفالوذج وله منادٍ ينادي عليها في الموسم : هلموا الى الفالوذ . وهي أول دار أُسست بمكة ؛ وفيه وفيها يقول الشاعر :

له داعٍ بمكةٍ مُشمِعِلٌ وآخرُ فوقَ دارتهِ يُنادي

١٣ - ومن وقف على الصفا رأى الحجر الأسود والسعي بين الصفا والمروة . والمروة حَجَرٌ من حد 'قعيقعان' وهو الجبل الذي عن غربي الكعبة ، وأبو قيس أرفع وأعلى منه تجاهه من نحو المشرق . ويقال أن حجارة البيت من 'قعيقعان' . ومنى على طريق عرفات من مكة ، وهي أيضاً شعب طوله دون الميلين وعرضه دون رمية السهم ، وبينه وبين مكة ثلاثة أميال . وبمنى أبنية كثيرة كالقصور ، لأهل كل بلد من بلدان الاسلام ، ومسجد الحيف في أقل من وسطها بما يلي مكة ، وحجرة العقبة في آخر منى بما يلي مكة ، وليست العقبة التي تنسب اليها الجمرة من منى والجمرة الأولى والوسطى هما معاً فوق مسجد الحيف الى ما يلي مكة . والمزدلفة مبيت للحجاج وجمع صلاتي المغرب والعشاء الآخرة إذا صدر الحاج من عرفات بالمزدلفة ، وهو مكان بين بطن مُحَسَّر والمأزمين ، فأما بطن مُحَسَّر فهو وادي بين عرفات والمزدلفة . والمأزمان شعب بين جبلين يفضي آخره الى بطن عُرنَة ، وهو وادي بين المأزمين وبين عرفة ، وعرفة ما بين وادي عُرنَة الى حائط بني عامر الى ما أقبل على الصخرات التي

يكون بها موقف الإمام ، وإلى طريق حضن . وبجائط بني عامر نخيل ، وكذلك في غربي عرفة وعُرنة بقرب المسجد الذي يجمع فيه الامام بين صلاتي الظهر والعصر في يوم عرفة . ونخيل الحائط والعين تُنسب إلى عبد الله بن عامر بن كريز . وليس عرفات من الحرم ، وإنما حدّ الحرم من المأزمين ، فإذا جزتها إلى العلمين فمن الحِلِّ . وكذلك التعميم الذي يُعرف بمسجد عائشة ليس من الحرم ، والحرم دونه نحو عشرة أميال في مسيرة يوم ، وعلى الحرم كله منار مضروب متبيز به عن غيره .

١٤ - وليس بمكة ماء جارٍ إلا شيء أُجري إليها من عينٍ قد كان عمل فيها بعضُ الولاة ، فاستم في أيام المقتدر ويُتَمَح إلى مسيلٍ قد جعل له إلى باب بني شيبة في قناة قد عملت هناك . وكانت أكثر مياههم من السماء إلى مواجن وبركٍ كانت بها عامرة ، فخربت باستيلاء المتولين على أموال أرقافها واستئثارهم بها ، وليست لهم أبار يشرب منها ، وأطيبها زمزم ولا يمكن الادماء على شرب ماؤها . وليس بجميع مكة شجر مشر غير شجر البادية ، وإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة ، وأودية ذات خَضَر ومزارع ونخيل . ويقال أن بفخ نخيلات يسيرة متفرقة وهي من الحرم ولم أرها . وتبصر جبل مشرف يُرى من منى والمزدلفة ، وكانت الجاهلية لا تدفع من المزدلفة إلا بعد طلوع الشمس إذا أشرقت على تبصر . وبالمزدلفة المشعر الحرام ، وهو مصلّى الامام يصلي فيه المغرب والعشاء الآخرة والصبح ، والحديبية بعضها من الحِلِّ وبعضها من الحرم ، وهو مكات صدّ المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام من أبعد الحل إلى البيت ، وليس هو في طول الحرم ولا عرضه ، إلا أنها في زاوية للحرم ، فلذلك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم .

١٥ - فأما المدينة فهي أقل من نصف مكة ، وهي في حرّة سبيخة الأرض . ولها نخيل كثيرة ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار ، يسقون بها العبيد وعليها سور والمسجد في نحو وسطها . وقبر النبي ﷺ من المسجد في شرقيّه قريباً من القبلة قريباً من الجدار الشرقي في بيت مرتفع ، بين

سقفه وسقف المسجد فرجة ولا باب له ، وله زاويتان والمنبر الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ قد عُشى بمنبرٍ آخر ، والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر والمصلى الذي كان النبي ﷺ وعلى بركة عثرته يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل سورها . وبقيع العرقد خارج السور بباب البقيع في شرقي المدينة ، وقباء خارج المدينة على نحو ميلين الى ما يلي القبلة ، وهو مجمع بيوت الأنصار يشبه القرية ، وأحد جبل في شمالي المدينة وهو أقرب الجبال اليها على نحو فرسخين منها . وبقرها مزارع فيها ضياع لأهل المدينة ، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفرع والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبيها . وبها مسجد جامع غير أن أكثر هذه الضياع خراب وقتنا هذا . وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة قد خربت . والعقيق وادي من المدينة في قبلتها على أربعة أميال في طريق مكة وأعذب ماء في الناحية آبار العقيق ، وروى عن النبي ﷺ أن غبار المدينة أمان من الجذام ، ومن أقام بها وجد في ترابها وهوائها رائحة ليست في الأرائيح طيباً خلقة فيها وجوهية لا تتغير . وهي أنقى طيناً من الطيب بسابور ، وألد نسيماً من نهر الأبله ، ولا تتغير المعجونات والطيب بها ما أعاما .

١٦ - وأما اليمامة فواد ، والمدينة به تسمى الحضرة دون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي أكثر تخيلاً وئراً من المدينة ومن سائر الحجاز . وكانت قراراً لربيعه ومضر ، فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها الى جزيرة مصر ، فسكنوا بين النيل وبحر القلزم وقرت ربيعة ومضر هناك ، وصارت لهم ولتسيم كالدار التي لم يزالوا بها ، وابتنوا بها غير منبر : كالمحدثة التي بظاهر اسوان ، وكالعلاقي وهو المنهل يجتاز به الحجيج الى عذاب وهم أهل معدن الذهب وإقامتهم عليه في امورٍ سيأتي على ذكرها في أماكنها : وليس بالحجاز بعد مكة والمدينة أكبر من اليمامة ، ويليهما في الكبر وادي القرى وهي ذات نخيل أيضاً ، والبحرين في ناحية نجد وأكبر أعمالها ومدنها هجر وهي أكثر تموراً ، وليست من الحجاز ، وهي على شط بحر فارس ومقام القرامطة بها وهي دارهم . ولهما قرى

كثيرة وقبائل من مضر ذوو عُدةٍ وعدد اغتصبت لضعف السلطان من اربابها .

١٧ - والجارُ فرضة المدينة ، وهي على ثلاث مراحل منها على شط البحر ، وهي اصغر من جُدة ، وجُدة فرضة لأهل مكة على مرحلتين منها على شط البحر ، وكانت عامرة كثيرة التجارات والأموال ، ولم يكن بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها ، وكانت تجارتهم تقوم بالفرس ، فلما أقام بها ابن جعفر الحسني تشنت اربابها ورزحت أحوالها .

١٨ - والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى كثيرة الشجر والتمر ، وأكثر ثمارها الزيت وهي طيبة الهواء ، وفواكه مكة وبقولها منها . وهي على ظهر جبل غزوات ، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل ، وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل ، ولذلك اعتدل هواء الطائف . وبلغني أنه ربما جمّد الماء في ذروة هذا الجبل ، وليس بالحجاز مكان يجمّد فيه الماء سوى هذا الموضع .

١٩ - والحِجرُ قرية صغيرة قليلة السكان وهي من وادي القرى على يوم بين جبال ، وبها كانت ديار ثَمُود الذي قال الله تعالى : « وتحتون من الجبال ببوتاً فرهين^(١) » وذكر أبو إسحق الفارسي أن ببوتها منقورة كبيوتنا في أضعاف جبالها ، وتدعى تلك الجبال الأثالب وهي جبال في العيان متصلة ، حتى إذا توسطت كانت كل قطعة منها قائمة بذاتها ، يطوف بكل قطعة منها الطائف ، ودونها جبال رمال لا يكاد يرتقى الى ذراها إلا بمشقة شديدة ، وبها بئر ثَمُود التي قال الله تعالى في الناقة « لها شربٌ ولكم شربٌ يوم معلوم^(٢) » .

٢٠ - وتبوك بين الحِجر وبين أول الشام على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام ، وهي حصن وله عين ماء ونخيل وحائط ينسب الى

١ - (وتحتون الخ) سورة الأعراف (٧) الآية ٧٢ وسورة الشعراء (٢٦) الآية ١٤٩ .

٢ - (لها شرب الخ) سورة الشعراء (٢٦) الآية ١٥٥ .

النبي ﷺ ، ويقال أن أصحاب الأيكة الذين بعث الله اليهم شعبياً كانوا بها ، ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مدين . ومدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل ، ومدين أكبر من تبوك وبها البئر التي استسقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب ، وهي بئر مغطاة قد عمل عليها بيت ، وماء أهلها من عين تجري لهم ، ومدين اسم القبيلة التي كان منها شعيب ، وإنما سميت القرية بهم . ألا ترى أن الله تعالى يقول وإلى مدين أخاهم شعيباً (١) .

٢١ - والجحفة منزل عامر ، وبينها وبين البحر نحو ميلين وهي من الكبر ودوام العمارة نحو مدينة فيد ، وليس بين مكة والمدينة منزل يستقل بالعمارة والأهل سائر السنة كهي ولا بين المدينة والعراق مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد . وهي في ديار طيء ، وجبلا طيء منها على مسيرة يومين ، وبها نخيل وزروع قليلة لطية وبها ماء نافي ، ويسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها في بعض السنة ينتجعون المراعي . وخيبر حصن ذو نخيل كثيرة وزرع .

٢٢ - وينبع حصن به نخيل وماء وزرع ، وبها وقوف لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتولاه أولاده . وبقرى ينبع جبل رضوى وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ، ورأيته من ينبع كخضرة البقل . وزعم بعض أصحابنا أنه طاف في شعابه ، وفيها ماء كثير وأشجار وهو الجبل الذي تزعم طائفة الكيسانية أن محمد بن علي بن أبي طالب فيه حياً مقيماً . ومنه يحمل حجارة المسنن إلى سائر الآفاق . وفيها بينه وبين ديار جهينة وسائر البحر ديار للحسنين ، يسكنونها ببيوت الشعر نحو سبع مائة بيت بادية كالأعراب ، ينتجعون المراعي والمياه بزي كزي الأعراب ، لا تميز بينهم في خلق ولا خلق ، وتتصل ديارهم فيما يلي المشرق بوادي ودان وهو من الجحفة على مرحلة وبينهم وبين الأبواء التي على طريق الحاج في غربها ستة أميال . وبها رئيس الجعفرين من ولد

جعفر بن أبي طالب ، وله بالفرع والسايرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع ، وبينهم وبين ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام حروب ردماء ، حتى لقد استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم وصاروا حرباً لهم وألباً عليهم ، وقد ضعفوا بخلافهم . وتيماء حصن أعمار من تبوك وهي في شمال تبوك ولها نخيل ، وهي ممتار البادية وبينها وبين أول الشام ثلاثة أيام .

٢٣ - ولا أعلم فيما بين العراق والشام واليمن مكاناً إلا وهو في ديار طائفة من العرب ، ينتجعونه في مراعيهم ومياههم الا ان يكون بين اليمامة والبحرين وبين عمان . ومن وراء عبد القيس برية خالية عن الأبار والسكان والمراعي قفرة لا تسلك ولا تسكن . فأما ما بين القادسية الى الشقوق في الطول والعرض من قرب السماوة الى حد بادية البصرة ، فسكانها قبائل من بني أسد . فاذا جرت الشقوق فأنت في ديار طيء الى ان تجاوز معدن النقرة ، في الطول وفي العرض من وراء جبلي طيء محاذياً لوادي القرى ، الى ان تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين . ثم اذا جرت المعدن عن يسار المدينة فأنت في بني سليم ، واذا جرت عن يمين المدينة فأنت في جهينة . وفيما بين المدينة ومكة بكر بن وائل في قبائل من مضر من الحسينين والجعفرين . والغالب على نواحي مكة بما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ، وعن غربيها مدليج وغيرها من قبائل مضر . وأما بادية البصرة فهي اكثر هذه النواحي أحياء وقبائل ، واكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة ثم وراءهم عبد القيس وأما بادية الجزيرة فإن بها أحياء من ربيعة واليمن واكثرهم كلب اليمن ، وفي قبيلة منهم يعرفون ببني العليص ، خرج صاحب الشام الذي قل جيوش مصر ووقع بأهل الشام حتى قصده المكتفي الى الرقة فأخذ له بالدالية . وبادية السماوة من دومة الجندل الى عين التمر وبرية خساف من بادية الجزيرة . وبرية خساف فيما بين الرقة وبالس ، عن يسار الذهاب الى الشام . وصفين أرض من هذه البادية بقرب الفرات ما بين الرقة وبالس ، وهو الموضع الذي كان به حرب علي عليه السلام ومعوية .

ورأيت هذا الموضع فرأيت عجباً ، وذلك أننا كنا سائرين من تحته في
الفرات ، وهو ربوة عظيمة فعددتنا عليها ثمانية قبور أو تسعة ، ومن فوقها
ربوة أعلى منها فعددتنا عليها بضعة عشر قبراً ظاهرةً بينةً لمن يتأملها ،
ولم تختلف جماعة كنت فيهم في عدد قبور الموضعين ، ثم صعدنا المكان
الذي عددتنا فيه هذه القبور فلم نر فيه ولا لقبر واحد أثراً . واخبرني
من يعرف بمعرفة تلك الناحية انه رأى فيها بيت مال علي بن أبي طالب
صلوات الله عليه للفيء قائماً بنفسه ، واما بادية الشام فإنها ديار لفزارة
والحم وجذام وبلي وقبائل مختلفة من اليمن وربيع ومضر واكثرها يمن .
٢٤ - والرمل المعروف بالهبير هو الرمل الذي أصله بالشقوق الى
الأجفر عرضاً ، وطوله من وراء جبلي طيء الى ان يتصل مشرقاً بالبحر .
ويمضي من وراء جبلي طيء الى ان يرد الجفار من أرض مصر ، ثم يساير
النيل وجبل المقطم عن جانبي النيل الى بلد النوبة ، فيعبر من فوق الفيوم
النيل فيتصل بالمغرب الى أرض نفزاوه ، ويمضي مغرباً الى سبلماسة وارض
أودغست الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر . ومنه عرق يضرب من
القادسية الى البحرين ، ويعبر البحر فيمر على مشارق خوزستان وفارس الى
ان يرد الى سبستان ، ويعطف منه شيء على مفازة فارس وخرسان الى
الطبيين وقوهستان ، ويمر مشرقاً الى مرو آخذاً على جيحون في بركة
خوارزم الى خوارزم ، ثم يعبر جيحون وقد شقه جيحون وقطع فيه
الى قرية قراتكين ، ويأخذ في بلاد الخرجية وبعض التبت الى بلد الصين
والبحر المحيط في جهة المشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط
بالمشرق الى المحيط بالمغرب ، وذهب من نواحي اودغست وصحاريها على
البحر المحيط على بلاد غانه وكوغه ، وجميع بلاد السودان الى البرية التي
لا تسلك ، وقد فرش الجنوب من الارض أيضاً . وفيه جبال منه عظام
لا تتوغل ولا ترتقى وبعضه في ارض سهلة ينتقل من مكان الى مكان ،
وبعضه لا تعرف له حركة فهو لا يزول عن مكانه ومنه أصفر لين اللبس
وأحمر قانيء وأزرق سماوي وأسود حالك وأكحل مشبع كالنيل ، وأبيض
كالثلج ، وبعضه يحكي الغبار نعمةً وبعضه نخشن جريش اللبس أحرش ،

وقد عادت صفة الرمل من بعد أحوال مصر عند ذكر الجفار .
 ٢٥ - وأما تهامة فإنها قطعة من اليمن جبال مشتبكة ، أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها وشرقيها بناحية صعدة وجرش ونجران ، وشمالها حدود مكة وجنوبها من صنعاء نحو عشر مراحل ، وقد صورت بعض جبال تهامة في صورة ديار العرب .

٢٦ - وبلاد خولان تشتمل على قرى ومزارع ومياه معمرة بأهلها ، وهي مفتوحة وبها أصناف من قبائل اليمن . ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر ، وبها نخيل وتشتلان على أحياء من اليمن كثيرة ، وصعدة أكبر وأمر منها ، وبها يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ، ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير غزير وأكثره من صعدة ، وبها يجمع التجار والاموال ، والحسني المعروف بالرسي بها مقيم .

٢٧ - وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء . وهو بلد في خط الاستواء ، وهو من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الانسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً عمره ، ويتقارب بها ساعات الليل والنهار لان محور الشمس عليها معتدل ، والجذام بها ظاهر لقلة سطوة الشمس فيها وتأفه تحليلها عن جسمهم . وفيه كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدم وبها آثار بناء عظيم قد خرب فهو قل كبير يعرف بغمدان ، وكان قصراً لملوك اليمن ، وليس باليمن بناء أرفع منه على خرابه .

٢٨ - والمذبحرة جبل كان فيه الجعفري ، وبلغني ان أعلاه كان عشرين فرسخاً فيها مزارع ومياه ، وفيه ينبت الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران ، يباع متوان بدينار فيصبع به ، فهو منيع منيف لا يسلك ، وكأنه من أسفل جبل بالمغرب يعرف بجبل نفوسة في الحصانة وكثرة المياه والاشجار وطيب التربة وكثرة الثمار ، يسكنه الحوارج وهو دار هجرة لهم . ومات به عبد الله بن وهب الراسبي ، وعبد الله بن لباض ، ولا يسلك الا من طريق واحد . وكانت المذبحرة قديماً لأسعد ابن أبي يعفر ثم غلب عليها محمد بن الفضل الداعي لاهل المغرب .

٢٩ - وشبام جبل عظيم منيع أيضاً فيه قرى ومزارع وسكان كثير وفيه جامع ، وهو متميز من جبال اليمن ويرتفع منه العقيق والجزع والحجر المعروف بالجمست ، ويصيبها المطالبون بالناحية غشياً كسائر الحجارة ، فإذا عملت ظهر جواهرها بالنار والعمل ، وبلغني أنها تكون في صحارى فيها حصى ملون تلتقط من بينها .

٣٠ - وعدن مدينة صغيرة وشهرتها لأنها فرضة على البحر ، ينزلها السائرون في البحر ، وباليمن مدن أكبر منها ليست كشهرتها . وباليمن أيضاً من الخوارج طائفة بقرب همدان وخولان . وجمع بلدة وهي من أعمر بلاد تلك النواحي بخاليف ومزارع وأغزرها مياهاً .

٣١ - وحضرموت في شرقي عدن بقرب البحر ، ورمالها كثيرة غزيرة تعرف بالأحقاف ، وهي مدينة صغيرة ولها ناحية وأعمال عريضة ، وبها قبر هود النبي صلى الله عليه . وبقرها برهوت وهو البئر التي لا يعلم أن إنساناً نزلها ، وبلاد مهرة فقصبتها تسمى الشحر ، وهي بلاد فقيرة الستهم مستعجبة جداً ، لا يكاد يوقف على كلامهم ، وليس بها نخل ولا زرع وإنما أموالهم الابل والمعز والابل والدواب ، تعلق السمك الصغار المعروف بالورق ، وهم وسائر حيوانهم لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه ، وأكلهم السموك والالبان والتمور . ولهم نجب من الابل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب ، واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك ، وديارهم مفترشة به وبلادهم بوايد نائية . ويقال أنها من أعمال عمان وطول مهرة اربع مائة فرسخ .

(قال كاتب هذه الأحرف : إن المستولي على هذه البلاد لما دخلتها في سنة أربعين وخمس مائة ، والمتحكم فيها أحد بن منجويه ، وكان دار ملكه بمرباط ، وهي مدينة صغيرة على شاطئ البحر ، وعلى مسيرة يوم ونصف منها مدينة ظفار وهي أيضاً له) .

٣٢ - وعلان ناحية ذات أقاليم مستقلة باهلها فسحة ، كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وقصبتها صحار وهي على البحر ، وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة ، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالاً ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس

بجميع الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالاً من صجار، ولها مدن كثيرة ويقال ان حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخ . وكان الغالب عليها الشراة الى ان وقع بينهم وبين طائفة من بني سامة بن لؤي ، وهم في أكثر تلك النواحي فخرج منهم رجل يعرف بمحمد بن القاسم السامي الى المعتضد ، فاستنجده عليهم فبعث معه ابن ثور ففتح عمان للمعتضد واقام بها الخطبة له وانحازت الشراة الى فاحية لهم تعرف بنزوى الى يومنا هذا . بها إمامهم وبيت مالهم وجماعتهم على غدر فيهم شديد وغيلة ظاهرة بالجميع . وعمان بلاد حارة جرومية وبلغني ان بمكان منها بعيد من البحر ربما وقع ثلج رقيق ولم أر من شاهد ذلك إلا بالبلاغ .

٣٣ - وبأرض سبأ من اليمن طوائف حمير وكذلك بحضرموت . وديار همدان وأشعر وكندة وخولان فبلاد مفتوشة في أعراض اليمن ، وفي أضعافها نخاليف وزرع ، وبها بوادٍ وقرى تشتمل على بعض تهامة وبعض نجد . ونجد اليمن من شرقي تهامة وهي قليلة الجبال مستوية البقاع ، ونجد اليمن غير نجد الحجاز ، غير ان جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن . وبين البحرين وبين عمان برية منيعة السلوك . وباليمن قرود كثيرة ، وبلغني أنها تكثر حتى لا تطاق إلا بجمع عظيم ، فإذا اجتمعوا كان لهم كبير يعظّمونه ويتبعونه كاليعسوب للنحل . وبها دابة تُدعى العُدارُ بلغني انها تطلب الانسان فتقع عليه ، وإن اصابته منه تلك الدابة جرحاً تدوّد جوف الانسان فانشق . ويحكى عن الغيلان بها من الاعجوبة ما لا أستحسن حكايته ، لأن المنكير لما لا يعلمُ اعذرُ من المُقِرِّ بما يُجهلُ .

٣٤ - وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها من عبادات الى البحرين نحو إحدى عشرة مرحلة ، ومن البحرين الى عمان نحو شهر ، ومن عمان الى أوائل مهرة نحو مائة فرسخ . وسمعتُ أبا القاسم البصري يقول : من عمان الى عدن ستمائة فرسخ ، منها خمسون فرسخاً الى المسقط عامرة ، وخمسون لا ساكن فيها الى أول بلد مهرة وهي الشجر ، وطولها أربع مائة فرسخ والعرض في جميع ذلك من خمسة فراسخ الى ثلاثة

فراسخ ، وكلّتها رمل . ومن آخر الشجر الى عدث مائة فرسخ ، ومن عدن الى بُجْدَة الى ساحل الجُحْفَة نحو خمس مراحل ، ومن ساحل الجُحْفَة الى الجار ثلاث مراحل ، ومن الجار الى أَيْلَة عشرون مرحلة ، ومن أيلة الى بالس نحو عشرين مرحلة ، ومن بالس الى الكوفة نحو عشرين مرحلة ومن الكوفة الى البصرة اثنتا عشرة مرحلة ، ومن البصرة الى عبادان مرحلتان ، وهذا هو دائرها وما يحيط بها .

٣٥ - فأما المسافات في أضعافها فإن من الكوفة الى المدينة نحو عشرين مرحلة ، ومن المدينة الى مكة مسافة عشر مراحل في طريق الجادة ، ومن الكوفة الى مكة طريق اخصر من هذا الطريق بنحو ثلاث مراحل ، اذا انتهى الى معدن النقرة عدل عن المدينة حتى يخرج على معدن بني سليم ، ثم الى ذات عرق حتى ينتهي الى مكة . وأما طريق البصرة فإلى المدينة ثمان عشرة مرحلة ، ويلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة . وأما طريق البحرين الى المدينة فنحو خمس عشرة مرحلة ، وأما طريق الرقة الى المدينة فنحو عشرين مرحلة الى جبلي طيء ؛ وكذلك من دمشق الى المدينة ومثلها من فلسطين الى المدينة . ومن مصر الى المدينة على الساحل عشرون مرحلة ، ومجتبهم مع أهل الشام بأيلة وفي ضمن المصريين يحجّ المغاربة ، وربما تفرّدوا بأنفسهم إلا أنهم يتفقون في مُناخ واحد . وربما تقدّموا فيكون بينهم أن ينزل أحدهم ويرحل الآخرون او يتأخرون على هذا السبيل . وأيلة من ناحية الشام أوّل حدود البادية . ولأهل مصر وفلسطين اذا جازوا مدين طريقان : أحدهما الى المدينة على بدأ وسُغْب قرية بالبادية كان بنو مروان أقطعوها الزُهرِيّ وبها قبره حتى ينتهي الى المدينة على المروّة . وطريق يعضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجُحْفَة فيجتمع بها اهل العراق ودمشق وفلسطين واهل مصر . وطريق الرقة وقتنا هذا منقطع إلا لقوم من العرب يحجّون فيه أفذاذاً ويسلكونه عباديداً ؛ وسائر الطرق مسلوكة في وقتنا هذا غيره .

٣٦ - ومن عدن الى مكة نحو شهر ، ولهم طريقان : أحدهما على ساحل البحر وهو أبعد ، وهي جادة تهامة والسائر عليها يأخذ على صنعاء

وصعدة وجُرَش وبَيْشَة وتَبَالَة حتى ينتهي الى مكة ، وطريق آخر على البوادي غير طريق تهامة يقال له الصُدور في سفح جبل نحو عشرين مرحلة ، وهو اقرب غير انه على أحياء اليمن ومخالفها يسلكه الحواص منهم . وأما اهل حضرموت ومهرة فإنهم يقطعون عرض بلادهم حتى يتصلوا بالجادة بين عدن ومكة ، والمسافة منهم الى الاتصال بهذه الجادة اثنتان وعشرون مرحلة ، فيصير جميع طريقهم نيفاً وخمسين مرحلة . وطريق عُمان يصعب سلوكه في البرية لكثرة القفار وقلة السكان ، وإنما طريقهم في البحر الى جدة فإن سلكوا على السواحل من مهرة وحضرموت الى عدن او الى طريق عدن بعُد عليهم ولما يسلكونه . وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتنازع العرب وتنازعهم فيما بينهم . وأما ما بين البحرين وعبّادان فغير مسلك كان الى هذه الغاية وقد سُلك وهو قفر والطريق منها على البحر . ومن البصرة الى البحرين على الجادة إحدى عشرة مرحلة ، وعلى هذا الطريق أتى سليمان بن الحسن متزوّداً الماء من البحرين الى البصرة ولا ماء فيه ، وهو على الساحل نحو ثمانين عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياهم وهو طريق عامر غير أنه مخوّف .

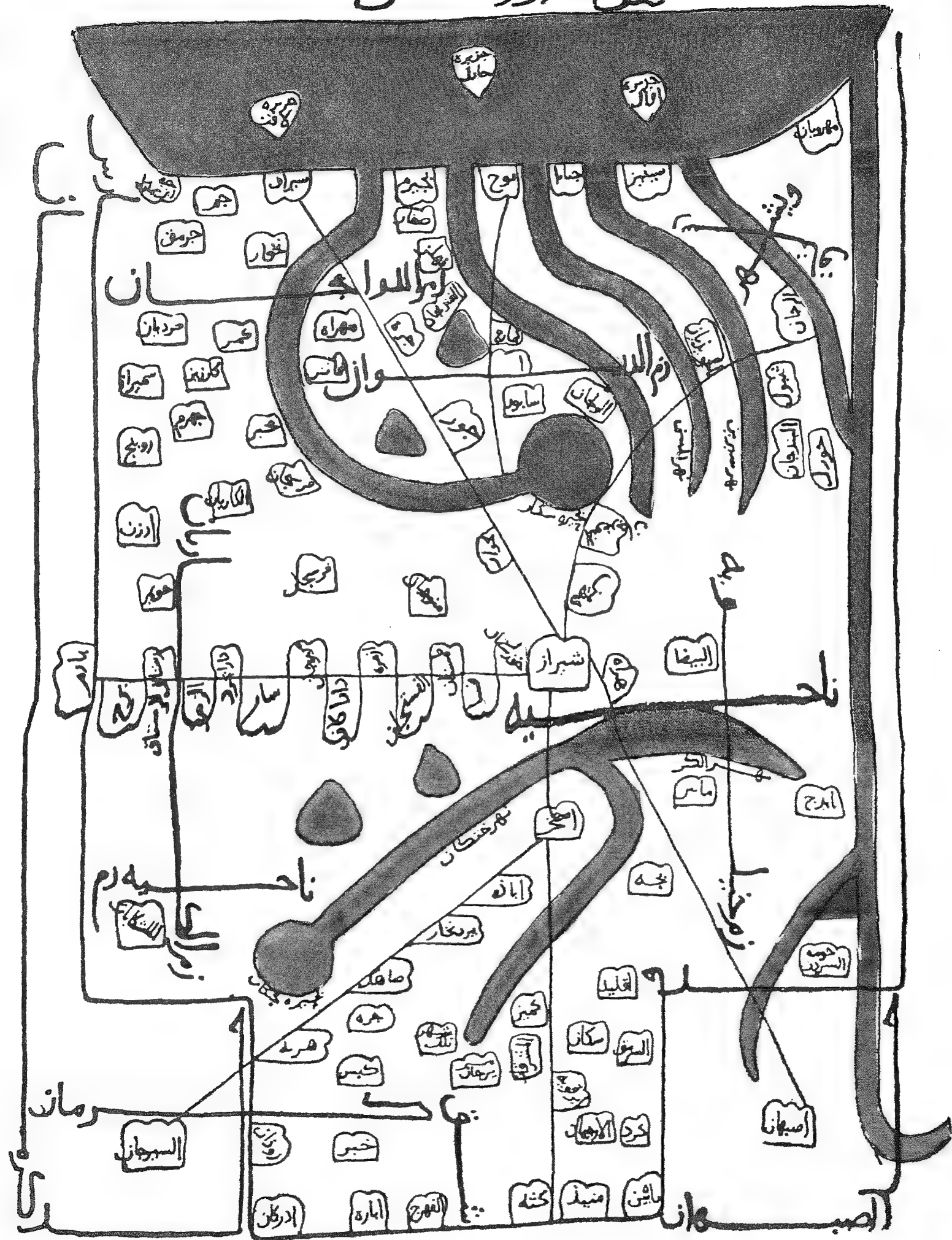
٣٧ - فهذه جوامع المسافات التي يُحتاج الى علمها . فأما ما بين ديار العرب لقبائلها من المسافات فقلتها تقع الحاجة اليه لغير اهل البادية والى معرفته .



بحر فارس

١ - والذي يجب ان يذكر بعد ديار العرب بحر فارس ، لأنه يشتمل على اكثر حدودها ، وتتصل ديار العرب به وبكثير من بلدان الاسلام وتعتبره ، ثم اذكر جوامع ما يشتمل عليه هذا البحر . وأبتدىء بالقزُوم وساحله مما يلي المشرق فإنه ينتهي الى ايلة ، ثم يطوف بحدود ديار العرب التي ذكرتها وأثبتها قبل هذا من هنا الى عبّادان ، ثم يقطع عرض الدجلة وينتهي على الساحل الى مهروبان ثم الى جنبابه ، ثم يمرّ على سيف فارس الى سيراف ثم يمتد الى سواحل هُرمُوز من وراء كرمان الى الديبُل ، وسواحل المُلتان وهو ساحل السند وقد انتهى حدُّ بلد الاسلام . ثم ينتهي الى سواحل الهند ماضياً الى سواحل التبت فيقطعها الى ارض الصين . واذا اخذت من ارض القزُوم من جانب البحر الغربي على ساحله سرت في مفاوز من حدود مصر حتى تنتهي الى جزائر تعرف ببني حدان ، وكان بها مراكب لمن أثر الحجّ تخطف بالحيجاج الى الجار وجُدّة ، ثم تمتد في مفاوز للبحّة كان بها معدن الزُمرّد وشيء من معادن الذهب الى مدينة على شط البحر يقال لها عيذاب ، وهي محاذية للجار ثم يتصل السيف الى سواكين ، وهي ثلاث جزائر يسكنها تجّار الفُرس وقوم من ربيعة ، ويُدعى فيها لصاحب المغرب ، وهي محاذية لجُدّة . وبين سواكين وعيذاب سُنبُلَة جزيرة بين رأس جبل كواي وجبل ابن جرشم وهي لطيفة ، وبها مغاص للؤلؤ ويُقصّد في كل حين بالزاد والرجال ، وبينها وبين جُدّة يوم واحد وليلة ، والمتسجّل منها يصل الى جزيرة باضِع وبينهما مجراوان . ثم يخطف المُستجِل عنها الى دهلِكَ

هله صُورَة فارس



اربعة مجارٍ . ومن دَهْلَك الى ذَيْلَع ستة مجارٍ ، وباضِع جزيرة ذات خَيْر ومَيَر وماشِيَة وهي محاذِيَة لِحَلِي وجزيرة دَهْلَك محاذِيَة لِعَثَر وجزيرة ذَيْلَع ، فكأنها بين غلافقة وعَدَن وجزيرة نَجْه وبربرة محاذِيَة لأعمالِ عَدَن ، ومن هذه الجزائر أكثر جلود الدباغ بعدن واليمن من البقري والمُتَسَعِر والأدَمِ الثَقِيل . ثم يمتد البحر على بحر الحَبَشَة ويتصل بظهر بلد النُوبَة حتى ينتهي الى بلدان الزَنْج ، وهي من أوسع تلك الممالك فيمضي السيف محاذياً لجميع بلدان الاسلام . وقد انتهت مسافة هذا البحر من شرقه وغربه ، وقد تعترض فيها جزائر وأقاليم تختلف لا يعلمها إلا من سافر في البحر الى أن يجاذي ارضَ الصين .

٢ - وهذه صورةُ بحر فارس :

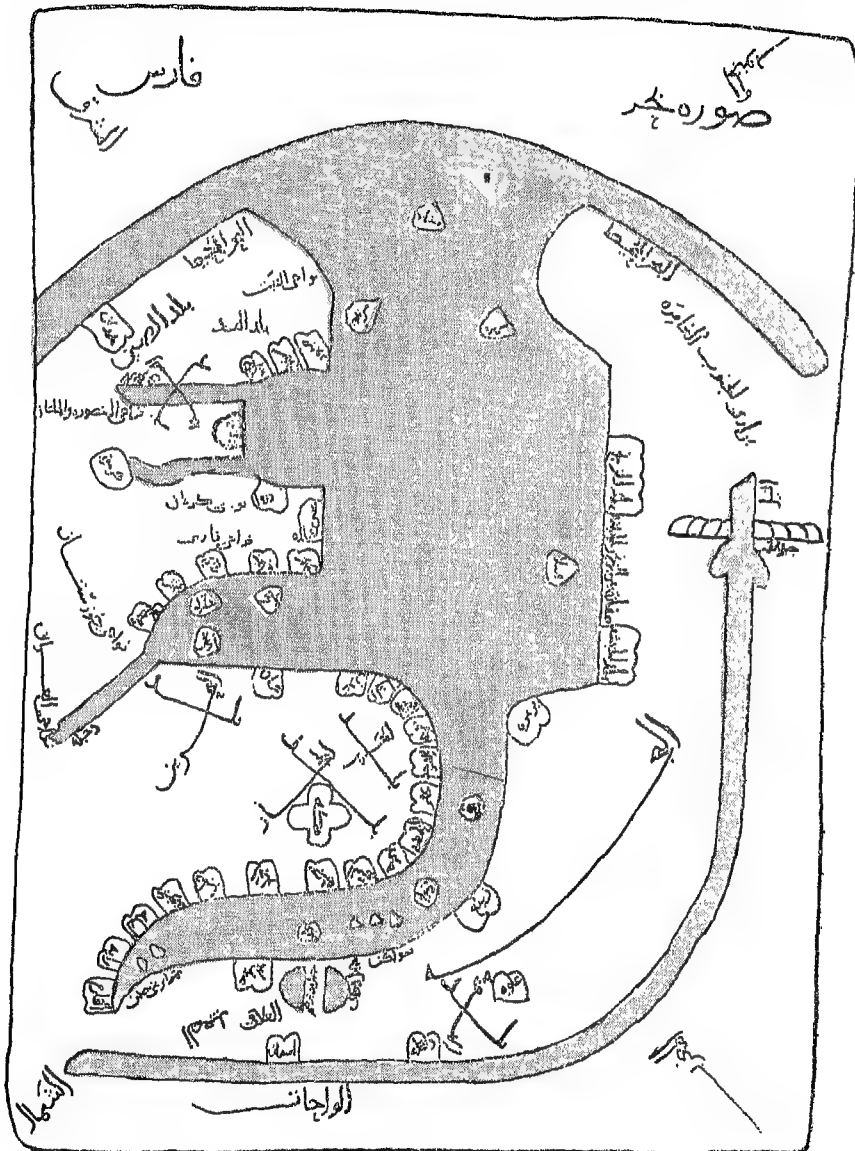
إيضاح ما يوجد في صورة بحر فارس من الاسماء والنصوص :

يقرأ في أعلى الصفحة صورة بحر فارس وفي الزاويتين العلياين الجنوب والمغرب .

وفي أعلى الصورة يعطف ساحل البحر يميناً ويساراً وكتب عند العطف الى اليمين في البر البحر المحيط ، وفي داخل البر براري الجنوب الغامرة ، ثم على الساحل الداخلي من الجانب الايمن مبتدئاً من الاسفل بلد الحبشة . مفازة بين الزنج والحبشة ، بلد الزنج ، وبعد ذلك الى الاسفل بربره ، ذيلع ، سواكن ، عيذاب ، جزائر بني حدان وعند منتهى البحر القلزم ، وبين سواكن وعيذاب في البر جبل دواي وجبل ابن جرشم . ويوازي هذا الساحل في داخل البر نهر النيل وعند مبتدئه جبل القمر وعلى ضفة النيل في أسفل الصورة دنفله واسوان . ويقرأ بين النيل والساحل البجة وبلد النوبة وفيه مدينة علوه ثم بين اسوان وعيذاب العلاقي . وعن يسار ذلك الصعيد ، وفي الجانب الآخر من النيل الواحات .

ويبتدئ من عند القلزم ساحل ديار العرب وعليه من المدن : رايه ، ايله ، عينونه ، طبا ، الجار ، جده ، السرين ، حلى ، الحمضه ، عثر ، الشرجه ، الخرده ، غلافقه ، الخا ، عدن ، عمان . وفي داخل هذه الديار مدينة مكة ، وبلد العرب وبلد الحجاز . وعن يسار عمان بلد البحرين ثم نهر دجله . وعند مبتدأ هذا النهر نواحي العراق .

ويلى ذلك الى الأعلى قطعة من البر يقرأ فيها نواحي خوزستان ثم نواحي فارس ثم نواحي كرمان . وعلى ساحل تلك القطعة من المدن : مهر وبان ، سينيز ، توج ، جناية ، سيراف ، حصن بن عمارة ، سوروا ثم هرموز عند منتهى خليج من البحر . والقطعة التي تليها يقرأ فيها نواحي المنصوره والمثلثان وبلد السند ، وفيه نهر مهران ، ثم بلد الهند ونواحي التبت وعن يسار ذلك بلد الصين . وعلى ساحل هذه القطعة الديبل ، كنبايه ، سندان ، صيمور وفي بلد الصين . على البحر خندان ، ويقرأ على ساحل البر عند عطفه الى الشمال : البحر المحيط .



صورة بحر فارس

وفي بحر فارس من الجزائر مبتدئاً من أعلى الصورة : سوبارة ، سرزّه ، سرنديب ثم قرب ساحله الأيمن ، قنبلا ، وفي الخليج بين ديار العرب وفارس لافت ، خارك ، اوال ، وفي الخليج بين ديار العرب وساحل البجة دهللك ، باضع ، سنجله .
وفي أسفل الصورة في الزاويتين يقرأ المغرب والشمال .

وقد صورت هذا البحر وذكرت حدوده وسأصف ما يحيط به وما في أضعافه مفصلاً ليقف عليه من قرأه .

٣ - فأما ما كانت عليه من القلزم الى ان يجاذي بطن اليمن فإنه يسمى بحر القلزم ومقدار نحو ثلاثين مرحلة طولا ، وعرضه أوسع ما يكون عبره ثلاث ليال ، ثم لا يزال يضيق حتى يروى في بعض جنباته الجانب الآخر حتى ينتهي الى القلزم ثم يدور على الجانب الآخر من بحر القلزم ، وهو وإن كان مجزأً ذا اودية ففيه جبال كثيرة قد علا الماء عليها وطرق السفن بها معروفة ، ولن يبتدى فيها إلا برُبان يتخلل بالسفينة في أضعاف تلك الجبال بالنهار فأما بالليل فلا يسلك والماء به على غاية الصفاء فترى تلك الجبال فيه . وفي هذا البحر ما بين القلزم وآيلة مكان يُعرف بتاران وهو أخبث ما في البحر من الأماكن ، وذلك أنه دوارة ماء كالدرّ دور في سفح جبل ، إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين ، فتنزل على شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كمّي هاتين الشعبتين المتقابلتين ، فتثير البحر وتبدل كل سفينة فيه تقع في تلك الدوارة باختلاف الريحين وتلتف ، فلا يسلم المركب بالواحدة إلا ما شاء الله . وإذا كان الجنوب أدنا مهبط فلا سبيل الى سلوكه ، ومقدار هذه الصورة الصعبة والمكان القبيح نحو ستة اميال . وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون على ما يذكره الرواة . وبقرب تاران موضع يُعرف بجبلان يهيج أيضاً وتتلاطم أمواجه باليسير من الريح ، وهو موضع مخوف أيضاً فلا يسلك بالصبا مغرباً وبالذبور مشرقاً . وإذا حاذى آيلة ففيه سمك كثير كبير مختلف الالوان والانواع .

٤ - فإذا قابل بطن اليمن يسمى بحر عدن الى ان يجاذي عدن ، ثم يسمى بحر الزنج الى ان يجاذي عمان عاطفاً على بحر فارس . وهو بحر

يعرض حتى يقال أن عبْرَه الى بلد الزنج سبعمائة فرسخ ، وهو بحر مظلم اسود لا يرى مما فيه شيء . وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يخرج ما يقع منه الى عدن . فإذا بُجِزَت عُمان الى ان تخرج من حدود الاسلام وتتجاوز الى قرب سرنديب فيسمى بحر فارس ، وهو عريض البطن جداً وفي عدوته بلدان الزنج . وفي هذا البحر هوارات كثيرة ومعاطف صعبة وأجوان مختلفة ، واشدها ما بين جنَّابه والبصرة فإنه مكان يسمى هور جنَّابه ، وهو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينة في هيجان البحر . وفيه مكان يعرف بالحُشبات من عبادان على نحو ستة اميال على جري ماء دجلة الى البحر ، وربما يرقُّ الماء حتى يخاف على السفن الكبار أن تسلكه خشية ان تجلس على الارض إلا في وقت المد وبهذا الموضع أربع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليهتدي به ، ويعلم به المدخل الى الدجلة ، وإذا ضلت السفينة فيه خيف انكسارها لركة الماء . وتُجَاه جنَّابه مكان يُعرف بخارك ، وبه موضع اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير ، إلا أن النادر اذا وقع من هذا المكان فاق في القيمة غيره . ويقال أن الدُرَّة اليتمية وقعت من هذا المعدن ، وبعُمان وبسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ ولا اعلم معدناً للؤلؤ إلا ببحر فارس . ولهذا البحر مدٌّ وجزرٌ في اليوم والليلة مرتان من حدِّ القلزم الى حد الصين حيث انتهى ، وليس لبحر المغرب من جانب المغرب ولا لبحر الروم من الجانب الشرقي مدٌّ ولا جزر إلا ما بالبحر المحيط في شمال الاندلس ، فإنه من ناحية جبل العيون الى لب الى اكشبه الى نواحي شلب وقصر بني ورديسن الى المعدن ، ونواحي لشبونه وشنترين وسنترة فإن فيه مدّاً وجزراً وزيادة تظهر ، ويرتفع الماء هناك فوق العشر الأذرع كارتفاعه بالبصرة ، ثم ينضب حتى يرجع الى قدره الأوّل . وفي هذا البطن الذي نسبته خصوصاً الى فارس جزائر منها : لافث وأوال وخارك وغيرها من الجزائر المسكونة التي ذكرتها وعددها ايضاً في غربي بحر القلزم ، فيها مياه عذبة وزروع وماشية وضرع . وهذه جملة من صفة هذا البحر في حدود الاسلام ،

وسأصف ما على سواحله صفةً جامعةً وأبتدىء بالقنزم منتهياً بالصفة لما على جنباته الى غايته ، ان شاء الله .

٥ - فأما القنزم فمدينة على شفير البحر ونحرة ومنتهى هذا البحر اليها ، وهي في عقم هذا البحر من آخر لسانه ، وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء ، وماؤهم يُحمل اليهم من آبار بعيدة ومياه منها على نأي ، وهي تامة العماره بها فُرْضة مصر والشام ، ومنها تحمل محولات الشام ومصر الى الحجاز واليمن وسواحل هذا البحر وبينها وبين مصر مرحلتان . ثم تنتهي الى شطّ البحر فلا تكون بها قرية ولا مدينة سوى مواضع بها ناس مقيمون على صيد من هذا البحر وشيء من النخيل ، يسير حتى تنتهي الى تاران وجيبلان وما حاذى جبل الطُور الى آيلة . واية هذه مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حُرِّمَت عليهم صيود السبب ، وجعل منهم القردة والخنزير على ما يذكر اهل الرواية . وبها في أيدي يهودها عهد لرسول الله ﷺ . ثم الى مدين والجار وجدة مواضع غير مأهولة بالناس . وما انتهى على هذا البحر في عطوف اليمن الى عُمان والبحرين الى عبّادان فقد وصفته في صفة ديار العرب .

٦ - وأما عبّادان فحصن صغير عامر على شطّ البحر وجمع ماء دجلة ، وهو رباط كان فيه المحاربون للصفرية والقطرية وغيرهم من متلصّصة البحر ، وبها على دوام الأيَّام مرابطون .

قال كاتب هذه الاحرف : اجتزتُ بعبّادان سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة ، وهي جزيرة في وسط الدجلة وماء الفرات عند مصبيها في البحر واختلاط ماء البحر بهما ، وفيها رباط يسكنه جماعة الصوفيّة والزهاد وليس بينهم المرأة البتة . وفي هذه الجزيرة مسجد من جانب الشرق وفيه ودائع وأمانات غير مسلحة الى احد من الناس ، وقد قرر الجماعة بتلك البقعة ان كل من اخذ من عبّادان شيئاً على سبيل الجناية والسرقة فان السفينة تفرق لا محالة بزعمهم ، حتى انهم قد رسخوا في قلوب الناس أن تراب عبّادان إن حمله احد بغير امر اولئك الجماعة ، فإن تلك السفينة التي فيها من ذلك التراب تفرق ، وليس كما زعموا . وبعبّادان بُر يزعم الشيعة أن الرجل اذا وقف عليها وأقسم على الماء بكل اسم خلق الله فان الماء لا يتحرك ، فاذا أقسم عليه بمليّ رضوان الله عليه فإن الماء يفرور ويصعد الى شفير البئر ، فضيت الى تلك البئر وأقسمت عليها بما زعموا فوالله ما تحرك ماؤها ولا تزعزع من موضعه ، ففكرت وقلت : هذه

الجزيرة في وسط الماء وهذا الماء في اليوم والليلة يمد ويجزر مرتين ، ومادة هذه البئر من ذلك الماء ولا يعد أن يتحرك الماء في البئر عند الزيادة ، وقد اتفق في تلك الساعة من لا يهتدي الى حقائق الاشياء . اما المد والجزر فانه من اعجب الاشياء ، وذلك انه يبتدىء بالمد عند طلوع القمر ولا يزال يتزايد الى ان يصير القمر في وسط السماء ، ثم يبتدىء بالجزر الى ان يحصل القمر في افق المغرب ثم يبتدىء بالمد الى ان يصير القمر في درجة الرابع وتد الارض ، ويبتدىء بالنقصان الى وقت طلوع القمر ، ويعود في الزيادة وتختلف اوقاته باختلاف طلوع القمر ومغيبه وتبارك الله احسن الخالقين ، نعود الى نسخة الاصل .

ثم يقطع عرض الدرجة فيصير على ساحل هذا البحر الى مهروبان من حدّ فارس ، ويعترض فيه أماكن تمنع من السلوك إلا في الماء ، وذلك أن مياه خوزستان تجتمع الى الدورق وحسن مهدي والباسيان فتصل بماء البحر . ومهروبان مدينة صغيرة عامرة وهي فرضة الرجان وما والاها من أداني فارس وبعض خوزستان ، ثم ينتهي البحر على الساحل الى سينز وهي مدينة أكبر من مهروبان ، ومنها يقع هذا السينيزي الذي يحمل الى الآفاق ثم ينتهي البحر الى جنبابه ، وهي مدينة أكبر من مهروبان أيضاً ، وهي فرضة لسائر فارس خصبة شديدة الحر ، وعلى نحر البحر بهذا السيف ما بين جنبابه ونجيرم قرى ومزارع ومساكن متفرقة شديدة الحر ، ثم ينتهي الى سيراف وهي الفرضة العظيمة لفارس ، وهي مدينة جليلة وأبنيتها ساج وتتصل أبنيتها الى جبل يُطل على البحر وليس بها ماء يحمّد ولا زرع ولا ضرع ، وهي من أغنى بلاد بفارس ، ثم يتجاوزها على الساحل في مواضع منقطعة تعترض بها جبال ومفاوز الى ان ينتهي الى حصن ابن عمارة ، وهو حصن منيع عليّ على نحر البحر ، وليس بجميع فارس حصن أمنيّ منه . ويقال ان صاحبه هو الذي قال الله تعالى فيه : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً^(١) وينتهي على ساحل هذا البحر الى هرموز ، وهي فرضة لكرمان مدينة غناء كثيرة النخل حارة جداً .

وتعرف بالتير وهي مساكن بين جبلين في شعب تمتد وصلتها سنة تسع وثلاثين وخمس مائة

١ - « وكان ... غصباً » سورة الكهف (١٨) الآية ٧٨ .

وكان عميدها إذ ذاك محمد بن المرزبان من أهل شيراز الملقب بصاحب السيف والقلم . ولعمري إنه كان مستحقاً لهذا اللقب إذ كانت له أرونية خازمية ومروءة حاتمية واهلها ذوو مروءة ظاهرة ورياسة كاملة، وكان بها عدة من التجار ذوي اليسار، من جملتهم رجل يعرف بحسن بن العباس، له مراكب تسافر الى أقصى بلاد الهند والصين ومبلغ مضاربيه . . . وكان له غلمان زنوج يضربون على باب مسجده خمس نوب ، فنقل ذلك الى ملك كرمان وهو محمد بن ارسلان شاه فقال لو ضرب خمسين نوبه لما اعترضت له ، رجل يتحصل في خزائني من مراكبه في كل سنة نحو من مائة ألف دينار ، وانافسه في الريح الهابة ؟ عدنا الى الصفة والشرح .

ثم يسير عليه آخذاً شطه الى الديبل ، وهي مدينة عامرة وبها مجمع التجارة ، وهي فرضة لبلد السند وبلد السند فهو المنصورة وأراضي الزط والمعروفون بالبدده متصلين بالملتان . ثم ينتهي الى ساحل بلدان الهند الى ان يتصل بساحل التبت والى ساحل الصين ثم لا يسلك بعد ذلك .

٧ - وإذا أخذت من القلزم غربي هذا البحر فإنه ينتهي الى برية قفرة لا شيء فيها إلا ما قدمت ذكره من الجزائر والبحة في اعراض تلك البرية ، وهم أصحاب اخبية شعير وألوانهم أشد سواداً من الحبشة في زي العرب ولا قرى لهم ولا مدن ولا زرع إلا ما يُنقل اليهم من مدن الحبشة ومصر والنوبة . وينتهي في حدّهم ما بين الحبشة وارض مصر وارض النوبة معدن الزمرد والذهب ، ويأخذ هذا المعدن من قرب اسوان على ارض مصر نحو عشر مراحل، حتى ينتهي على البحر الى حصن يُسمّى عذاب ، وبه مجمع لربيعه تجتمع اليه يُعرف بالعلاقي في رمال وأرض مستوية ، وفي بعضها جبال ما بينها وبين اسوان وأموال هذا المعدن تقع في مصر ، وهو معدن تير لا فضة فيه وهو بأيدي ربيعة وهم اهله خاصة .

٨ - وكانت البجة أمة تعبد الأصنام بهذه الناحية وما استحسنوه الى سنة إحدى وثلاثين ، فإن عبدالله بن ابي سرح لما فتح مدينة أسوان وكانت مدينة أزيلية قديمة ، وكان عبر إليها من الحجاز قهر جميع من كان بالصعيد ، وبها من فراغة البجة وغيرهم . وأسلم اكثر البجة لإسلام تكليف ، وضبطوا بعض شرائط الاسلام وظاهروا بالشهادتين ودانوا

ببعض الفرائض . وفيهم كرمٌ وسباحةٌ في إطعام الطعام ، فساحهم في الأخذ عليهم وهم باديةٌ أغنامٌ متوغّسون في الجبال والآجام في عددٍ لا يحُاط به ، فجرت أحكامهم على سُنن كانت لهم جاهليّة الى بعض احكامٍ يستعملونها إسلامية ؛ وسأتي بما رأيتُه منهم معاينةً ومشاهدةً ونقلته مفاوّهةً ومشافهةً .

٩ - حدثني أبو المنيع كثير بن أحمد الجعدي الاسواني أن اسوان افتتحها عبدالله بن أبي سرح سنة إحدى وثلاثين وافتتح هيف وهي المدينة التي تجاه اسوان عن غربي النيل وقد تدعى قرية الشقاف ؛ وافتتح ابلاق وهي مدينة في وسط ماء النيل على حِجر ثابتة في وسط الماء منيعة كالجزيرة ، وبينها وبين اسوان ستة أميال وبجذائها على النيل من جهة المشرق مسجد الرُدينيّ وقصر آليه ، وتحت المسجد بيعة للنوبة وهو آخر حد الاسلام واول حد النوبة . ولم يزل المسلمون مستظهرين على جميع من جاورهم هناك من النوبة والبيجة الى سنة أربع ومائتين ، فإن البيجة كانت تمتاز من قفطٍ ، وهي مدينةٌ تحاجز قوص وكان للبيجة رئيسٌ يدخل الى قفطٍ أيضاً رئيسٌ يُعرف بإبراهيم القفطي ، فخرج حاجّاً في جماعةٍ من أهله يريد عينونا والعبير اليها من ناحية جزائر بني حدان على طريق طلفه فتطرق بمُحا البجاوي وجماعته التي صحبتته على طريق الزبارة ، وكان بتلك الأرض في غاية الخُبرة فاجتمعت البيجة الى مُحّا رئيسهم ، فقالت لا بد من قتل هذا المسلم لمعرفة بديارنا ومقارنا ومظان مياها ، ولنا نأمنه فدافعهم عن ذلك فغلبوه على رأيه واتفقوا على إناسته فأتاهوه ، فمات عطشاً ومن كان معه . وكان له ولدٌ صغيرٌ فرق له بعض البيجة فسرّبه بالحيلة الى ناحية اتفوا من الصعيد ، فأوصله أهلها الى قفطٍ فأخبرهم بحال أبيه فأسروا ذلك ولم يُظهروه . واتي مُحّا على عادته ليمتار في ثلاثين رجلاً من وجوه قومه فأنزلوهم في بعض بيعةٍم وأنوا عليهم أجمعين . واتصل ذلك بالبيجة فساروا اليهم ، وقد جلا بعض أهل قفطٍ مغربين ففتحوها في احدى شهور سنة أربع ومائتين ، وسبوا منها سبع مائة نسمة ، وقتلوا منها خلقاً واسعاً . وكان بقفطٍ حسنيّ له محل فقصد البيجة فرد

عليه بعض السبي ، وانحدر اهل قفط الى مصر والسلطان ببعض شأنه مشغول ، فأقاموا يرفعون بمصر سبع سنين . وكان بحوف مصر رجل يُعرف بحكم النابغي من قيس عيلان ، ثم من بني نصر بن معاوية ذو يسار وخير وجهاد ، فقصده وشكوا اليه فقال : تَجِئُونِي بِكِتَابِ الْقَاضِي وَشِوْخِ الْبَلَدِ لِأَكْفِيَكُمْ . ففعلوا ذلك فسار معهم في سنة اثنتي عشرة ومائتين حتى ورد الى قفط في ألف رجل من قومه : خمس مائة فارس وخمس مائة راجل . وغزا البُجّة فأقام ببلدهم ثلاث سنين يحبس ديارهم ويسبيهم ، ومُنَاحُهُ بِالْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ يَوْمَنَا هَذَا بِمَاءِ حَكَمٍ ، وهو عن مرحلةٍ من عِيذابٍ وعلى اربع مراحل من العلاقي . واسترجع السبي عن آخره وقفل مُعَاوِدًا الى اسوان ، فنزلها ثم انحدر فأقام بطودٍ مدينةٍ كانت قريباً من قُوصٍ وملكها ، ومات بها بعد استجارة العَلَوِيِّ الْعُسْرِيِّ بِحَكَمِ النَّابِغِيِّ ، فَسَتَرَهُ وَطَالَبَهُ بِهِ السُّلْطَانُ فَحَلَفَ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ لَهُ مَكَانًا حَانِئًا ، فخرج عن يمينه عن كل ما حَنِثَ فِيهِ . ثم دارت الأيام وأتى هذا الْعَلَوِيُّ الى منزل حَكَمٍ فسلبه بطودٍ وقهره وشرّده عنه ، خلافاً لما عامله به من الإحسان اليه وأخبارها تطول . وعند فتح قفط^(١) . . . ما بُنِيَ سُورُ اسْوَانَ وقوص في سنة اثنتي عشرة ، وأعيدت الى ما كانت عليه قبل تخرّبها .

١٠ - ثم إن البُجّة افتتحت انبؤا مدينةً من الصعيد كان بينها وبين أسوانَ مرحلةً سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من المتوكّل ، وكان يلي أسوانَ وعينونا والحوّراء عبيد بن جهم مولى المأمون ، وكانت انبؤا مُضَافَةً اليه فركب من عينونا والحوّراء في جلاب ، فأرسل بأقاصي جزيرة مصرَ بمعسكره فأثخن في البُجّة قتلاً وسيباً ، واستودّ ما سباه البُجّة من انبؤا وعاد الى اسوانَ وعبر الى عينونا . وكان في بعض اصحابه من عابن التبر وآثارَ العمل فيه للروم بالجزيرة ، عند أول دخولهم مع عبيد

١ - في هذا المكان من نسخة الاصل جملة مفقودة يمكن ان تتم بهذا الشكل : « تخرّبت المدينة ، وبعد خروج البجة منها رجع اهلها وبنوا سور قفط مثل » .

ابن جهم مولى المأمون ، فنكسوا الى البلد من سنتهم . وصادف ذلك دخول محمد بن يوسف الحسني الأخيضر اليامة ، وانقشاع أهلها من جوره الى ارض مصر والمعدن في آلاف كثيرة ، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنهم وفورهم ، وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر وهم جميع اهل اليامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين . ووقع بين رجل منهم ورجل من البجة سحناء فسب البجاوي النبي ﷺ ، فكتب بذلك الى المتوكل فأنفذ رجلاً من ولدي ابي موسى الأشعري يعرف بمحمد القمي ، وكان في محبه مطالباً بدم لا ولي له ، فأجده بما طلبه من الرجال والسلاح وخيره حين اطلقه فيما يحتاج اليه ، فاختر ألف رجل منهم خمس مائة فارس وخزانة بعشرة آلاف دينار ، فقبضها بمصر وسار بها الى اسوان وأتى العلاقي فأخذ من ربيعة ومضر واليمن ثلاثة آلاف رجل ، من كل بطن ألف رجل . فلقي ملك البجة وكان اذ ذاك علي بابا وهو في مائتي ألف معهم ثمانون ألف نجيب . فلما التقى الجمعان وعان ذلك المسلمون هائم وعظم عليهم ، فقال لهم القمي : ما لنا من محيص فقاتلوا عن دمائكم وأحسابكم فإنكم حاصلون . وهم علي بابا بكبس المسلمين لوقته فحال بينه وبين ما اراد الليل ، فرمى القمي حرسك الحديد سوراً على عسكره ؟ وبقيّة هذا الحسك وهذه الخزانة بأسوان الى الآن ؛ وأنشأ القمي كتباً في طوامير كتان بالذهب وجعلها بخط جليل على الأسنة ، ونادى عند طلوع الشمس ، هذه كتب امير المؤمنين اليكم معاشر البجة ؛ وهم صافئون . فلما رأت البجة ذلك استطرفته وتحللت من المصاف وقصدته . وكان القمي قد حمل البنود على الفوالج والطبول ، فلما التفت البجة بالطوامير ضربت الطبول الزنجية ، فاضطربت صفوفهم فحمل عليهم القمي وقد التفت جماهم وشردت ، فهلك بتلك الغيرة عامتهم ووطئتهم الجمال ، فقتل وأسر وسبي وأخذ علي بابا أسيراً . وكان قد قعد على ربوة وحلف ألا يزول او تنقلع الربوة ، فلما اسره القمي عاد به وبما معه من الغنية الى اسوان ، فباع ذلك وكان مبلغه خمسين ألف أوقية تبرا . وأنفذ الى يركي ملك النوبة فاتاه طائعاً ، فانحدر بالجميع الى بغداد في سنة

ثمان هذه المؤرخة . فأدخلها الى السلطان فنودي عليها ، فبلغ ملك البجة سبعة دنانير وملك النوبة تسعة ، فأجرى لكل واحدٍ منهما في كل يوم مثلَ ثمنه وعاد الى اسوان بعد موافقتها على اداء الجزية . وأتى العلاقي وكان خلّف عليها أشهبَ ربيعة من بني عبيد بن ثعلبة الحنفي ، وهو جدّ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي يزيد بن بشر صاحب المحدثه ، وهي المدينة التي لربيعة محاذة لاسوان ؛ وأبو عبدالله هذا ابن عم ابي بكر إسحق بن بشر صاحب العلاقي ، وكان قد مسّ الناس بالجور فرُفع عليه الى القمي فقبض عليه ، فلم يجد لديه شيئاً وكانت مروّة أشهب تستغرق عائده ، فحبسه طويلاً ثم أطلقه . وقد أحفظ أشهب فعلُ القميّ به وكان في جملة رجاله ، فعمل على قتله . وقيل للقميّ ذلك فقال : لأن يلقى الله بدمي أحبّ اليّ من ان ألقاه بدمه ؛ فقتله أشهب في سنة خمس واربعين ومائتين . ١١ -

و زال منذ ذلك أمر السلطان بالعلاقي وهلك المتوكل ، وضبطت البجة أطرافها والإسلام في بعضها مريض ، وبلدهم بين النيل والبحر ويصل اليهم التجار بالصوف والقطن والحيوان من الرقيق والابل ، فيكون غاية ما يقطعونه من بلدهم ويمكنهم التصرف فيه نواحي قلعيب ، وهي مواضع ذوات مياه في أودية متصلة يجبل يعرف بملاحيب ، واكبر أوديته وادي بركة . وبين قلعيب وبركة غياض عادية ذوات أشجار ، وربما كان دائرة الشجرة من اربعين ذراعاً الى خمسين ذراعاً وستين ذراعاً ، وأفئنتها مراتع الأفيلة والزرافات والسبع والكركدن والنمر والفهد الى سائر الوحوش ، سائمة راقعة في غيلها ومياهها وغياضها . ويتصل بجدّ ملاحيب من شقّه الشرقي وادي يُعرف بصيغوات كثير الماء ايضاً والشجر والخمر والوحش . وبنواحي بركة بطون كديم وهي المعروفة بعجات من البجة ، ويتصل بها بما يلي سواحل البحر الجاسّة بطون كثيرة في السهل والجبل . وكان هذا الجبل آخذ بأوديته من نواحي البحر المالح الى دكن ، وهي أرض مزارع احواف يجري اليها ماء النيل ، ويُزرع عليها الذرة والدخن اهل النوبة ومن يحضر معهم من البجة . وفي شقّ بركة قبائل كثيرة تُعرف ببازين وباريه ، وهم أمم كثيرة قتالهم بالقسيّ والسهام المسومة والحِراب بغير

درق . ومن رسم باريه قلعُ ثناياها وبحرُ آذانها ويسكنون في جبال وأودية ، ويقتنون البقر والشاء ويزرعون . والذي بين وادي بركة وجبالها المدعوّ ملاحيبَ راجعاً الى الاسلام قلعيب وانبوريت وجبال كدوريت ، ومياه متّصلة وبلدان عامرة لبيواتيكه من قبائل البجة ، تزيد على الاحصاء ولا يُبلغُ عددها لتوغّلتهم في اعماق الصحارى . وبركة تقارب جزيرة باضع وبيدها يومٌ وتكون نحو ثلاث مراحل مملوءة ببطنون قعصة ، وهي أجلّ بطون البجة الداخلة وأكثرها مالاً وأعزّها . ومن دون هؤلاء المائتين المتصلون بدّهرًا وسيتراب وغركاوي ودُحنت الى الجبل المعروف بمسار ، وتحاذي سواكن بطون تُعرف بوقابات وحنديبا ، وهم خُفراء على الحدرية وخفارتهم لعبدك وهم تحت يده وعبدك خال ولد أبي بكرٍ إسحق بن بشرٍ صاحب العلاقي . وبعض هؤلاء القوم في خفارة كوك خال ابي القاسم حسين بن عليّ بن بشر ، وعبدك وكوك رئيسا الحدارب أجمع ، وفيهم رئيسان : رئيسٌ لأهل كلّ بيتٍ ذمام ، ورئيسٌ يسوسهم . فأما بطون الحدارب فمنهم العربيّكّه والسوتباروا والحوتمّه والعنكبيرا والنجيريوا والجنيتيكّه ، والواخيكّه ، والحرييب بطنٌ واحدٌ . ويتفخّد هؤلاء القوم كلّ بطنٍ الى نحو مائة فيخذ ، ولكل فيخذ رئيسٌ او رئيسان وجميعهم منتجعون لا حاضرة لهم . وتكون بلادهم التي تطر وتزرع وينتجعونها بمواسيهم طولاً نحو شهرين مسيرةً ، والعرض من البحر الى النيل . ومشايتهم على البحر المالح والسواحل ، ومصائفهم الاودية التي في وسط البلد ذوات مياهٍ مراعى تقوم بهم ، وخريفهم فيما قارب النيل مغربيين عن بلادهم بديار قليلة الشجر كثيرة نبات الارض والغدران . وطعامهم اللحم واللبن خاصّة ، وضُغفاؤهم يأكلون الوحش كالغزال والنعام والحمار ، وهم مسامون بالاسم ومياسيرهم ، لا يرون أكلَ الصيد ولا مخالطة آكله ولا استعمال آنية من استجاز ذلك واستحله ، ولا يجلبون فيها ولا يشربون . ولُغَتُهم لغةٌ تعمّ البجة وجميعها أعجميةٌ ، ول بعضهم لغةٌ يتفرّد بها .

١٢ - وتتصل بلادهم ببلاد النوبة والحبشة وهم نصارى ، وتقرب

ألوانهم من العرب بين السواد والبياض ، وهم مفترقون مجتمعون الى ان يحاذوا عدن ، وما كان من جلود النمر والجلود البقرية الملمعة ، وأكثر جلود اليمن التي تُدبغُ للنعال فيقع من ناحيتهم الى عدن وعدوة اليمن . والجميعُ اهلِ رِسمٍ وليست دارهم بدار حربٍ ، وعلى شط البحر بنواحيهم منهلٌ يقال له زبلعُ فُرْضةٍ للعبور الى الحجاز واليمن . ثم يتصل ذلك بمفاوز النوبة والنوبة نصارى ايضاً ، وبلادهم اوسعُ من الحبشة في نواحيه وعمارتهم اكثر مما بالحبشة ، ويخترق نيل مصرَ فيما بين مدنها ونواحيهم وقراهم عامرةٌ خصبةٌ كثيرة التمر والزرع والخضر .

١٣ - ومن أعمر بلادهم نواحي علوه ، وهي ناحية لها قرى متصلة وعمارات مشتبكة حتى أن السائر ليجتاز في المرحلة الواحدة بقرى عدة غير منقطعة الحدود ذوات مياه متصلة بسواق من النيل . وكان ملكهم وأنا بالناحية اسابيوس كرجوه بن جوتي ، وقد خلا له في ملكه سبع عشرة سنةً وتوفي فيجلس ابن أخته اسطابنوس بن يركي ، وهو مقيم فيهم الى وقتنا . هذا ومن سنة جميع السودان اذا هلك الملك ان يقعد ابن أخته ، دون كل قريبٍ وحيمٍ من ولد وأهل . وطول بلده من ناحية المقره الذي هو آخر مُلك دُنقله في طاعة العلوي الى بلد كُرسى آخذاً على النيل ، ومسافة ذلك بالطول شهرٌ واحدٌ وعرضه من النيل الى تفلين ، ويكون ذلك ثمانى مراحل مشرقة ، وفي خلال ذلك النهر المعروف بسنسائي ويقرع الى النيل ، وأصله من ناحية الحبشة . والنهر المعروف بالدجن يأتي من بلد الحبشة فينقطع في اعمال دجن ومزارعها ، ودجن هذه قرى متصلة ذوات مياهٍ ومشاجرٍ وزرعٍ وضرع . والى وسط هذا الوادي تفلين قرى ايضاً للبادية منهم ينتجعونها للمراعي حين المطر . ولهم ملك مسلمٌ يتكلم بالعربية من قبل صاحب علوه ، ويختص اهل تفلين بالابل والبقر ولا زرع لهم . فيهم مسلمون كثيرون من غير ناحية على دينهم يتجرون ويسافرون الى مكة وغيرها . ويجاور تفلين بازين أمهم مقببة في أخصاص كالقرى لهم الماشية من البقر والزرع ، ورياستهم بأيدي شيوخم وليس فيهم إلا راجلٌ ، وسلاحهم الحراب والمران ولا فارس

فيهم ، وليس لأحدٍ عليهم طاعةٌ ولا دين لهم ولا هم متصلون بشريعةٍ غير الاقرار بالله وحدَه والتسليم له ، وأسمُه جلٌ وعزٌ عندهم أنه . ومن تفلين الى وادي بركه ثلاثة أيام ، وقد تقدّم أن وادي بركه يجري من بلد الحبشة مجتازاً على بازين وآخذاً الى ناحية البُجة ، وينصبُ بين سواكن وباضع في البحر المالح . وفي اعالي بلد علوه نهرٌ يجري من المشرق يُعرف باوري ، وعليه مرنكه قبيلٌ من النوبة ، فينصبُ في النيل ومن أعلاه عن يمين نهرٍ اتمى ، وعليه من النوبة المعروفين بكُرسى أمةٍ كثيرةٌ . ويتصلون ببلد الحبشة على هذا النهر ، وهذه الأنهار كبارٌ غزارٌ تتصل بنهرٍ سوبه الى بلد المقرّه ، وهو بلد دُنقله ويتصل بأسوان . وذكر قومٌ أنهم يجتازون في اعالي هذا النهر أعني النيل من اعالي بلد كُرسى ببلد طبلُ ، وهو منتهى مُلك علوه على النيل فلا يخاطونهم ولا يتاجرونهم عِراةٌ حاسرين ، ولا يُعلم ما غذاؤهم ولا كيفية سيرتهم . وأهل كُرسى اصحاب زفالٍ ، وهو الجلد الذي يتّزرون به عرضاً ويستخرج طوله من تحت الأفخاذ ، فيُعزّز عند السُرّة فيما انعقد من الزفال . ومن غرب النيل نهرٌ يجري من ناحية المغرب كبير غزير الماء يُعرف بالنيل الابيض ، وعليه قومٌ من النوبة . وبين النيل الابيض وهمود النيل المتقدم ذكره ببلد علوه جزيرة لا يُعرف لها غايةٌ بها جميعُ الوحش ويسكنها النوبة والكُرسى ومن لا يُقدّر لامتناع جانبه ان يحاطَ بمعرفته . ومن غربي هذا النيل الابيض أمة يُعرفون بالجليلين في طاعة ملك دُنقله ، هو ملك المقرّه ومريس ومريسُ فهي من حدّ اسوان الى آخر بلد المقرّه . وبين علوه وبين الأمة المعروفة بالجليلين مفاضة ذات رمالٍ الى بلد امقل ، وهو ناحية كبيرة ذات قرى لا تحصى وأممٌ مختلفةٌ ولغاتٍ كثيرة متباينة لا يحاط بها ولا تُبلغُ غايتهم ، يُعرفون بالاحديين . وفيهم معادن الذهب الجيّد والتبر الخالص والحديد متصلين بالمغرب الى ما لا يُعرف منتهاه ، زُيهم زيّ المغاربة أربابُ جمالٍ وخيلٍ براذين غير تامّة الخلق لقصرها وقرب لبودها ، وسلاحُهم فيه درق كدُرق المغاربة بيضٌ وحرابٌ وسيوفهم ايضاً غير تامّة . وفيهم جُندٌ يلبسون السراويلات المفتحة

الطوال ، ونعالمهم كنعال المغاربة وهم على النصرانية وهم في طاعة ملك علوه . وبينهم وبين ملك علوه خمس مراحل ثلاث منها مفازة . وملوك النوبة اثنان : ملك المقرّة وهو ملك دُنقله ، وملك علوه وملك المقرّة تحت ملك علوه .

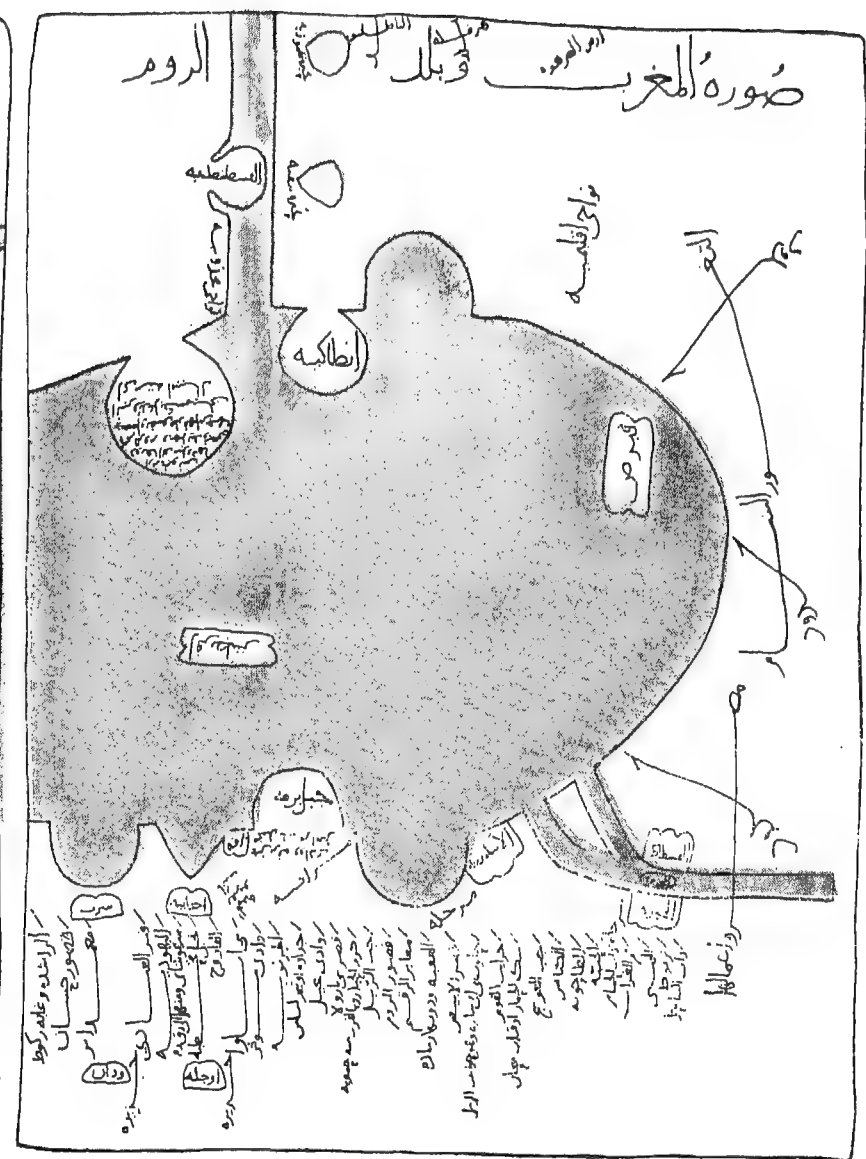
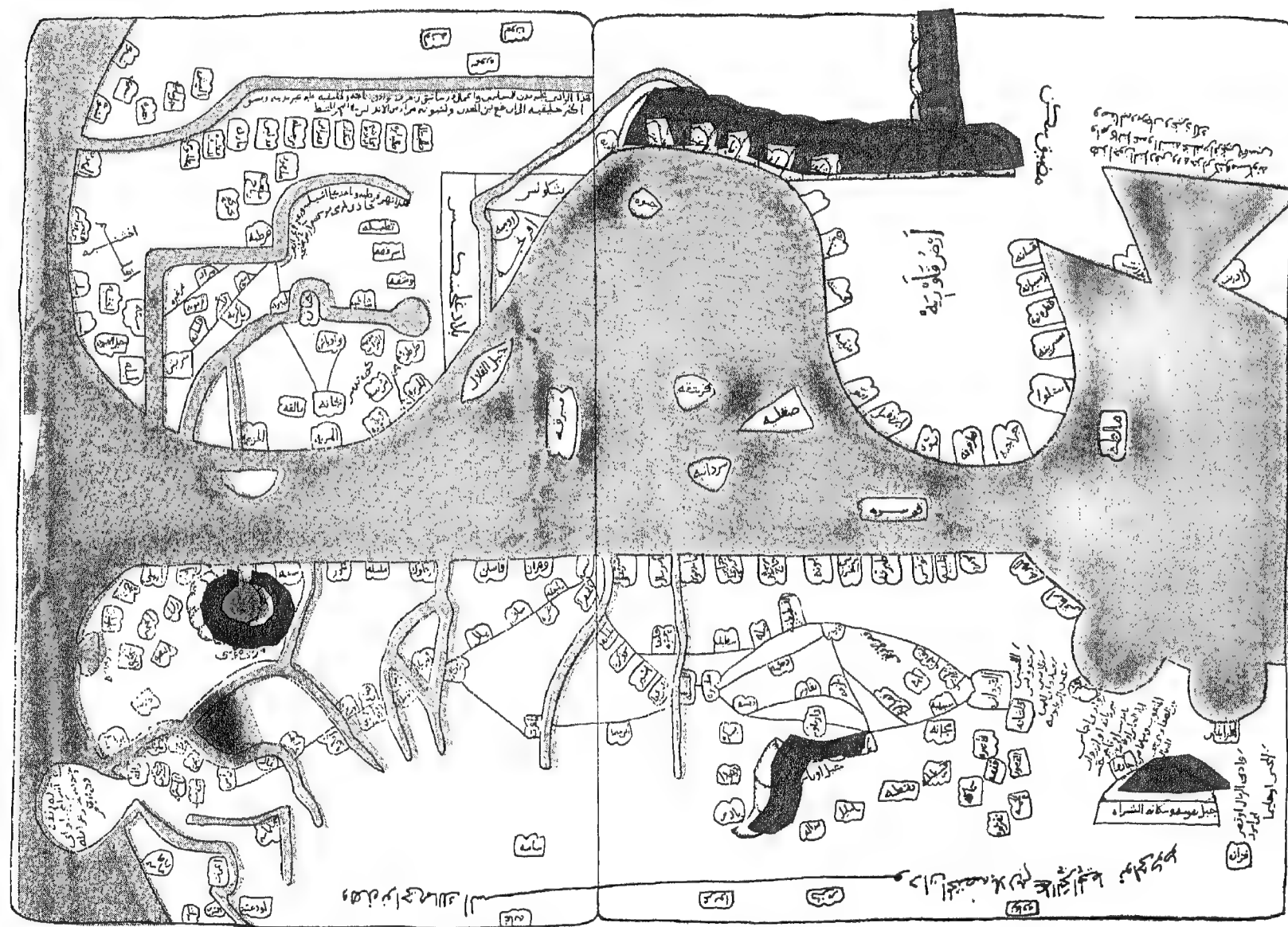
١٤ - وأما بلد الحبشة فملكتهم مرأة منذ سنون كثيرة ، وهي القائلة لملك الحبشة المعروف كان بالحضاني . وهي مقيمة الى يومنا هذا مستولية على بلدها وما جاورها من بلد الحضاني في دُبور بلد الحبشة ، وهو بلد عظيم لا غاية له ومفاوز وبراري يتعذر مسلكها .

١٥ - ثم ينتهي ذلك الى أرض الزنج مما يحاذي عدن ، وجميع بلد المقرّة في يد ملك دُنقله ، ويبد ملك علوه من معادن التبر الغزير الكثير ما ليس مثله في نواحي غيرهم من المواضع المشهورة باستخراجه ، وليس فيهم من يعرض له ولا يستخرجه خوفاً من أن يشتهر فيغلب الاسلام عليه . وهذه المعادن تمتد في بلد الزنج على البحر وفيما بعد منه الى أن تتجاوز حدود الاسلام ، وتحاذي بعض بلدان الهند . وقد ذكر قوم أن في أطراف الزنج صروداً فيها زنج بيض ، وقد قدّمت أن بلدهم قليل العمارة قشف تافه الزرع إلا ما اتّصل منه بمستقر الملك .



المغرب

- ١ - وأما المغرب فبعضه ممتدّ على بحر المغرب في غربيّه ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي وهما جميعاً عامران .
- ٢ - وأما الغربي فن مصر وبرقة الى افريقية وناحية تنس الى سبتة وطنجة ، فللعرب خاصة وازيلي وما في أضعاف هذا الاقليم ، وأما الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية الى القسطنطينية الى نواحي رومية وقلورية والانكبردة والافرنجة وجليقية ، ثم باقي ذلك الى آخره للعرب في يد أصحاب الاندلس .
- ٣ - وقد صوّرتُ مدنه وذكرت أعماله وارتفاعها وما فيها من التجارات والمجالب الى ما سوى ذلك مما لجزيرة الاندلس على البحر ، وكنت جمعتها وبلد الروم ثم رأيت تفريقها ووضع كل صورة منهما على حدة من صاحبها ، وسأقي بمحدودها بعده والذي يسائر أرض الاندلس ويحاذيه من بلد الاسلام صقليّة ، وصقليّة تجاه اقليلية من أرض افريقية ثم تمتدّ أرض الاندلس على البحر .
- ٤ - وقد بدأت بذكر حده المحيط به من قبّوله ، وحده من مصر الاسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات الى بوية تنتهي الى أرض النوبة ، آخذاً الى البحر المحيط وامتدّ الى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانه وأرض اودغست ، ثم يستمرّ عاطفاً الى الشمال ماراً على بلاد برغواطه وماسه الى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الاندلس ، وراجعاً حده من



أرض طنجة على البحر الى نواحي تنس ، والى تونس والمهدية من أرض افريقية مقبلاً على أرض طرابلس وبرقة الى الاسكندرية .

٥ - وازيلي يحاذي أرض الاندلس المذكورة المحاذية لبلد الروم وأرض صقلية . ثم تمتد أرض الاندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس وهكذا الى طبرقة الى جزائر بني مزغنان ، الى تنس الى وهران الى نكور الى سبتة ثم الى ازيلي .

٦ - ثم البحر المحيط الجنوب فيمرّ على ماسة ومغارب سجلماسة وظاهر السوس الاقصى ، ويمتد على ظواهر اودغشت وغانة وكوغة وقبول سامة وغربوا في بلد لا عدد لأهلها الى ان يصل الى البرية التي لا تُسلك الى الحين . ويكون بين دبرته وبلاد الزنج براري عظيمة ورمال كانت في سالف الزمان مسلوكة ، وفيها الطريق من مصر الى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم ، فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردة . وقصدهم أيضاً العدو فأهلكهم غير دفعة ، فانتهلوا عن ذلك الطريق وتركوه الى سجلماسة . وكانت القوافل تجتاز بالمغرب الى سجلماسة ، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديتون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق ، فهم وأولادهم وتجارانهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة الى أوباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة ، قلما يدانها التجار في بلاد الاسلام سعة حال ، ولقد رأيت صكاً كتب بدين علي محمد بن أبي سعدون باودغشت ، وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار .

٧ - وأما الاندلس فهي جزيرة تتصل بالبرّ الأصغر من جهة جليقيه وافرنجيه ، وهي في جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور من مغربها والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها ، وحدّها من نحو بلد جليقيه على كورة شنترين الى لشبونه الى اكشنيه ، والى نواحي جبل العيون وما لديه من النواحي الى جزيرة جبل طارق الى مالقه والى المريّة ، ثم الى بلاد مرسية وبلنسية الى نواحي طرطوشه ، ثم يتصل ببلاد الكفر مما يلي البحر بناحية افرنجيه ، ومما يلي المغرب ببلاد غلجشكش وهم جيل من

الانكبوذه ثم الى بلاد بشكونس ، ثم بلاد الجلالقة حتى ينتهي الى البحر .

٨ - وقد صورتها بذاتها ورسمت فيها مواقع مياهها وبحارها وأمكنة مدنها ومواقعها من شرقها وغربها وجنوبها وشمالها في جملة صورة المغرب . وابتدأت منها بصورة ما بين مصر الى القيروان والمهدية ، وما في أضعاف ذلك ، وأتبعها بباقي صورته من القيروان والمهدية الى طنجة مما يحتاج الى رسمه وذكره ومثاله ، والى الله الرغبة في التوفيق لما جانس الحق وواقف الصدق ، وهو حسبي ونعم المعين .

٩ - وهذه صورة المغرب .

ايضاح ما يوجد في القسم الاول من صورة المغرب من الاسماء والنصوص :
قد رسم البحر في وسط الصورة ويوجد على ساحله الأسفل من المدين مبتدئاً من اليسار : سرت ، اجدايبه ، برقه ، ثم جبل برقه ثم مدينة الاسكندرية . ويقرأ من وراء جبل برقة بين برقه ووادي مخيل ثلاث مراحل وأسفل ذلك مراقيه وعن يسار الاسكندرية مرحله ، ويقابل سرت في اسفل الصورة في البر جزيرة ودان وعن يمين ذلك مقابلاً لأجدايبه جزيرة اوجله . ويقرأ بين اجدايبه وبرقه في البر المحمدية ، لغربو ، تاكست ، وفي داخل البر الأسفل يوجد جدول يشتمل على عدة من الاسماء ، وهي من اليسار الى اليمين : الراشده وغابه ركوط ، قصور حسان ، مغداس ، قبر العبادي ، اليهودية ، منهوشاي ومنها الى زق زم ، نخيل قحطبه ، الفاروج ، بني ابلوا ، وادي مسوش ، الجرنوبه ، جراوه او تيم ليلين ، وادي مخيل ، قصر بني تازولا ، كرم الجبار وبالقرب منه : حمويه ، جب الزبل ، قصور الروم ، مغائر الرقيم ، المعقبه ودونها رماده ، قصر الابيض ، حانوت بني ابي ساره وهو حوانيت الرمل ، غرائب القوم ، سكه الحمار او قباب معان ، جب الموسج ، الكنائس ، الطاحونه ، الحنيه ، ذات الحمام ، فم الغراب ، الفقى ، ترنوط ، ذات الساحل .

ورسم عن يمين الاسكندرية فوهة نهر النيل وعليه دون تشعبه مدينة القسطنطينية ، وتقابلها في الجانب الآخر الجيزه وبينهما الجزيرة ، ويقرأ في أعلى النيل وقاطعاً له حدود مصر واعمالها ، وأعلى ذلك حدود الشام ، ثم حدود الثغور ، ثم عن يسار ذلك نواحي اقليميه ، وبلي ذلك عن يساره على البحر انطاليه ، ومن عند ذلك يأخذ خليج من البحر الى أعلى الصورة ويقرب هذا الخليج في البر عن يمينه بحيرة نيقية ثم بحيرة نقيموذيه ، وعن يمين هذه البحيرة عند طرف الصورة الأعلى يقرأ بلد الناطليق ، ثم بلد هرقله ثم أرض الصرهوه . وكُتِب موازياً للطرف الأعلى من الصورة كله صورة المغرب وبلد الروم ، وفي البحر من الجزائر قبرص واقريطش . وعلى وسط الخليج من الجانب الأيسر مدينة القسطنطينية ، ويقرأ أسفلها على الساحل نواحي

مجنونيه ، ثم اسفل ذلك في لسان البر المدور الخارج في البحر أرض بلبنوس دورها الف ميل ، وفيها امم للروم وبها نيف وسبعون حصناً ويضيق طرفها من جهة البر ويدعا بكسميلي اي ستة اميال .

. . .

إيضاح ما يوجد في القسم الثاني من صورة المغرب من الأسماء والنصوص :
قد رُسم على ساحل البحر من أسفله من المسدن مبتدئاً عن اليمين : اطرابلس ، قابس ، اسفاقس ، المهديه ، سوسه ، اقليبيه ، تونس ، طبرقه ، مرسى الخرز ، بونه ، مرسى الدجاج ، جزائر بني مزغنساي ، تامدقوس ، اشرشال ، برشك ، ومقابلا لاطرابلس في أسفل الصورة فزان ويقرأ بينها وادي الرمال او قصر ابن اسود وعن يمين ذلك المحتى او حليما . ورسم عن يسار ذلك جبل يقرأ عنده جبل نفوسه وسكانه الشراه ويتصل بالجبل مدينتا شروس وجادوا . ويقرأ بين جبل نفوسه ومدينة قابس مبتدئاً من اليسار : وادي اجاس ، بئر زناته او ازروار ، تامديت او تاجرجت ، آبار العباس او فاضلات ، المنقوب وبينهما صبره ، بئر الصفا وهي بئر الجمالين ، وعن يسار قابس مبتدئاً عن اليسار الحميتين ، حدوديس ، فلانس ، فندق ابن لقمن ، عين الزيتونه .

ثم يلي ذلك من الجانب الأيسر في وسط البر مدينة القيروان وفي الساحة التي أسفل القيروان من المدن : قلشانه ، مجانه ، قاصره ، القصور ، قفصه ، الحمه ، نفزاوه ، سماطه ، قسطيليه ، نفضه ، تامليل ، مداله . ورسم عن يسار هذه المدن جبل اوراس وعن يساره من المدن : بسكره ، توذا ، بادس . ويأخذ من القيروان طريق الى جبل اوراس . عليه مدينتا سيبه وباغاي ، وطريق آخر هو أقرب من الساحل يأخذ على الاريس ، تيفاش ، قصر الافريقي ، تيجس ، القسطنطينية ، ميله ، مقره . ثم الى المسيله وهي على نهر ينصب في البحر عند اشرسال ، وبين ميله وهذا النهر مدينة سطيف ، وبين تيفاش وباغساي مدينتا ابه وقصر الزيت . ويأخذ من باغاي طريق الى مقره عليه دار ملول وطبنة وطريق آخر الى طبنة عليه بلزمه ونقاوس ، وعلى الطريق الآخذ من تيجس الى مقره مدينة دكة ، ويأخذ من المسيله من جانب النهر المقابل طريق الى اليسار عليه ابن مامه وطريق آخر يميل الى الأعلى عليه تامزكيدا ، اشير ، سوق كران ، مليانه . وبين سوق كران والنهر مدينة حائط حمزه على الطريق الآخذ الى سطيف ، ويقرأ موازياً للطرف الأسفل من الصورة : وهذه نواحي السودان المختصة بلادهم على البحر المحيط ، وبين هذا النص والطرف : غريوا ، كزم ، زغاوه ، ثم بين جبل نفوسه والطرف نواحي كوكو . وفي البحر رُسم من الجزائر : مالطه ، قوسره ، صقليه ، سردانيه ، قرشقه ، وفي قسمه الأعلى جنوه .

وتخرج قطعة مدورة الشكل من البر الأعلى الى البحر يُقرأ في داخلها ارض قلوريه ، وعلى ساحلها من المدن مبتدئاً من اليمين : قسانه ، رسيانه ، قطرونيه ، سبرينه ، استلوا ، جراجيه ،

قسطرقوقه ، بوّه ، ابن ذقتل ، ريو ، منتيه ، كسشه ، مسنيان ثم مدينة لا اسم فيها وفوق هذه المدينة في الجبل شلورى ثم عن يسار ذلك في الجبال وعلى الساحل : ملف ، نابل ، غيطه ، بيش ، قره ، وعن يمين أرض قلوريه رسم خليج مثلث الشكل يدخل في البر ، وعلى طرفيه مدينتا بلدرنت واذرنت ، ويقرأ عند ساحل هذا الخليج في البر هذا جون البنادقين ، وفيه جزائر كثيرة مسكونة وأمم كالشاغرة وألسنة مختلفة من افرنجيين ومنتين وصقالية وبرجان وغير ذلك ، وعن يسار هذا النص بينه وبين الجبال مضيق سكن .

. . .

إيضاح ما يوجد من الأسماء والنصوص في القسم الثالث من صورة المغرب :

يوجد على ساحل البر الأسفل من المصدن ابتداء عن اليمين : تنس ، وهران ، واسلن ، ارچكوك ، مليله ، نكور ، سبتة ، طنجه وبينهما مرسى موسى ، ثم ازيلي ، ومن وراء ازيلي في البر زلول ، جرماته ، الحجر ، تاوارت ، البصره ، الاقلام ، وعن يسارها بحيرة ريغه ثم أسفل ذلك كرت . وعند رباط على البحر مصب نهر وعلى ذلك النهر تجاه رباط : سله ثم مليله ، حجنه ، دخله ، فاس وتجاهها فاس مرّة ثانية . ومن وراء هذه المدن في البر : بني سدا ، الحبش ، بني رجيك . وعن يسار سله تخرج قطعة من البر الى البحر فيقرأ فيها : هذه زنقة في البحر المحيط وهي حومة بلد برغواطه وديارهم . وأسفل هذه الزنقة مصب نهر وبين هذا النهر والساحل من المدن رباط ماسه وتامدلت ، وعلى النهر اغمات والسوس ، ومن وراء النهر مقابل السوس اودغست ، ثم فوق ذلك سجلماسة في عطف نهر آخر . ويأخذ من فاس طريق الى تنس على البحر وعليه من المدن : نمالتة ، كرانطه وهما على نهر فاس كرماطه ، مزاوروا ، تابريدا ، صاع ، جراوه ، تنمسان ، ترفانه ، افكان . وفي الجانب الآخر من نهرها افكان مرّة ثانية ثم : يلل ، شلف ، غزه ، تاجنا . وأسفل تنس على طرف الصورة الخضرا وهي على نهر يأتي من الاسفل وعند مبتدأ هذا النهر تاهرت ، وأسفل ذلك في البر سامة ثم أسفل ذلك عند طرف الصورة غانه ، وكُتب موازياً لهذا الطرف هذه نواحي ممالك السر وتمام هذا النص في القسم الثاني من صورة المغرب كما مضى في إيضاحه ، وفي البحر شكّلت جزيرتا مبرقه وجبل الفلال .

وأما البر الأعلى فيقرأ في قسمه الايمن عند البحر : بشكونس ، افرنجيه ، روميه ، بلاد غلجشكش . وعن يسار ذلك على ساحل البحر : الجزيرة ، بلنسيه ، قرطاجنه ، المريه ، الجزيرة . ومن وراء هذه المدن في البر : طرطوشه ، مرسيه ، كورة تدمير ، مدينة التراب ، بجانه ، مالقه ، وادياش ، وجيان في عطف نهر . ورسم وراء هذا النهر نهر آخر فيقرأ عنده : هذا نهر قرطبه ، ويأخذ على اشبيلية ويقع في بحر الغرب محاذى لمرسى موسى من أرض طنجه ومدينة قرطبه من جانب النهر المقابل في عطفه ، وبين هذين النهرين من المدن ابتداء عن اليمين : تطيله ، سرقصه ، وشقه ، وشاطبه ولبيره على النهر الاول ، ثم عن يسار ذلك : استجه ،

تأكرنه ، قلب ، قلسانه ، شريش ، قرمونه ، مراد ، غريه ، وبين آخر نهر قرطبه والبحر يقرأ : إقليم اخشنه وفيه من المدن على البحر لب ، شلب ، قصر بني ورداسن ووراء ذلك في البر لبلة ، جبل العيون ، اخشنه ثم اشبيلية على النهر . وفي اعلى الصورة نهر ثالث ينصب في البحر ويقرأ عنده : هذا الوادي عليه مدن للمسلمين وأعمال ورساتيق . ويعرف بوادي تاجو ولجليقيه عليه غير مدينة ويشق أكثر جليقيه الى ان يقع بين المعدن ولشبونه من ارض الاندلس في البحر المحيط . وعند مصب هذا النهر مدينة المعدن ، وبين هذا النهر ونهر قرطبه من المدن : طليطله ، طلب ايره ، مخاضه البلاط ، سكناسه ، قصر اش ، ترجله ، مدلين ، مارده ، قنطرة السيف ، بطليوس . ثم أسفل ذلك : بلقون ، قلعة رباح ، كركويه . وبين نهر تاجو وطرف الصورة على البحر لشبونه ويشتبه ووراء ذلك في البر : شترين ، بيزه ، جل مانيه ، البش . وفي القسم الايمن من الصورة يونه ، سموره ، ليون .

فهذه صورة المغرب ومكان كل عمل ومدينة منها وموقعها من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، حسب ما أدت الاستطاعة اليه ووقفت بالمشاهدة والخبر الصحيح بالمفاوذه عليه .

١٠ - فأما برقة فمدينة وسطية ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ، ولها كور عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة تكون مسيرتها يوماً وكسراً في مثله ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها ، وأرضها حمراء خلوقة التربة وثياب أهلها أبداً حمراء ، ويعرف أهلها بالفسطاط من بين أهل المغرب بحجرة ثيابهم وتغيروهم ، ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي برية بحرية جبلية ، ووجوه أموالها جمّة وهي أوّل منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان ، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مغربيين ومشرقيين وذلك أنها تتفرّد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من النواحي كهو ، والجلود المحلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة اليها من جزيرة اوجله ، ولها أسواق حادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب . وشرب أهلها من ماء المطر بمواجن يدّخر بها ، وأسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص في جميع الأغذية .

١١ - واليه مدينة اجدابيه على صحاح من حجر في مستواه ، بناؤها

بالطين والآجر وبعضها بالحجارة ، ولها جامع نظيف . وبطيف بها من احياء البربر خلق كثير ، ولها زرع بالبسخ وليس بها ولا ببرقة ماء جارٍ ، وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم ، وواليتها القاتم بما عليها من وجوه الأموال وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير مُخَصَّرهم وبساتينهم هو أميرها ، وصاحب صلاتها وله من وراء ما يقبضه للسلطان لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان . وهي أيضاً قريبة من البحر المغربي فتزد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة . وأكثر ما يخرج منها الاكسية المقاربة وشقة الصوف القريبة الأمر وشرب أهلها من ماء السماء .

١٢ - وجزيرة اوجله منها على ايام بين غربها وجنوبها ، وهي ناحية ذات نخيل عظيمة وغلات من التمر جسيمة . ويلها وقتنا هذا رجل من ناحية صاحب برقة ، ولم يكن ارتفاعها ومالها الداخل على خزانة السلطان في جملة مال برقة . فلما ضُمَّت الى برقة غزُر مالها وكثر وزادت الحال في ذلك . ومنها الى جزيرة ودان طريق قصد في الرمال وودان ناحية ومدينة في جنوب مدينة سُرت وكانت مضومة اليها وهي جزيرة لا تقصر في رخص التمر وكثرتها وجودتها عن اوجله ، وإن كانت اوجله أوسع قُسوباً وأفسح ناحية ، فتمر ودان الرطبة العذبة وأرطابهم أغزر وأكثر .

١٣ - وسُرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وطابية وبها قبائل من البربر ، ولهم مزارع في نفس البر تُقصد نواحيها اذا مُطِرت وتلتجع مراعيها . ولها من وجوه الأموال والغلات والصدقات في سائمة الإبل والغنم ما يزيد على حال اجدايه ومالها في وقتنا هذا ، وبها نخيل تُجتنى أرطابها وليس بها من القسب والتمر ما تُذكر حاله لأن نخيلهم بقدر كفايتهم . ولهم أعناب وفواكه وأسعارهم صالحة على مرّ الأوقات . والمتلّي صدقاتهم وجباياتهم وخراجاتهم وما يجب على القوافل المجتازة بهم صاحب صلاتهم . واليه جميع مجاري امر البلد والنظر فيه وفيما ورد اليه وصدر في استيفاء ضرائبه ولوازمه ، واعتبار السجلات والمنشairs بمواجب

ما على الامتعة وتصفحها خوف الحيلة الواقعة دون الأداء عنه بأفريقية ؛ ودخلها أوفر من دخل اجدابيه لما ذكرت . وهي عن غلوة سهم عن البحر في مستواة من رمل ، وترد المراكب ايضاً عليها بالمتاع وتصدر عنها بشيء منه كالشب السُرقي ، فإنه بها غزير كثير وبالصوف ايضاً ولحوم المعز أغذى فيها من الضأن وأنفع ، وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم المعز بغيرها لأنها غير ملائمة لأهلها وللسافرة المجتازين من أجل مراعيها . وشرب أهلها من ماء المطر المختزن في المواجل . وعدد البربر بها أوفر وأغزر وأكثر منه بما جاورها . وللببر حاضرة بنفس قصبة مُرت وبينهم خلاف على مرّ الأوقات وحروب ربما ثارت في بعض الاحايين قريبة ولا تدوم ، وعاملهم قائم بنفسه من تحت يد سلطانهم الأعظم .

١٤ - فأما اطرابلس فكانت قديماً من عمل افريقية . وسمعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت اطرابلس مضافة اليها معروف معلوم وكان من صبره وهي منزل من اطرابلس على يوم ، وبه ضريبة على القوافل وقتنا هذا ، ولم اعرفها قديماً ولا سمعت بها على الخارج من اطرابلس الى القيروان وعلى القادم من القيروان الى اطرابلس غير ما يقبضه المتوassi عمل اطرابلس من كل جملٍ ومحملٍ وحملٍ ، وذلك كالذي بلبده وهي ايضاً قرية بينها وبين اطرابلس الى جهة المشرق مرحلتان من الضريبة على الجمال والاحمال والمحمل والبغال والرقيق والغنم والخيول ، الى ما عدا ذلك من الاسباب الواردة وأخذ الصدقات والخراج واللوازم من ناحية قصري ابن كمو وابن مظكود والبربر المقيمين هنالك من هواره وغيرهم اليه . وهي مدينة بيضاء من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض . صالحة الأسواق ، وكانت لها في ربضها اسواق كبيرة فنقل السلطان بعضها الى داخل السور ، وهي ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع والبادية ، وارتفاعها دون ارتفاع برقة في وقتنا هذا . وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره : كالتوخ الفرسك والكمثرى اللذين لا يشبه لهما بكان ، وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق ، والكحل النفوسية

والسود والبيض الثمينة الى مراكز تخطّ ليلاً ونهاراً ، وتزد بالتجارة على مرّ الاوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم . وأهلها قومٌ مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والاحوال ، متميّزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور والقصد في المعاش ، الى مرواتٍ ظاهرة وعشرة حسنة ورحمة مستفاضة ونيّات جميلة ، الى مراةٍ لا يفتر وعقول مستوية وصحة نيّة ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان سديد ، ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ذائعة . ولهم في الخير مذهبٌ من طريق العصبية لا يدانيهم اهل بلد ، اذا وردت المراكب ميناهم عرضت لهم دائماً الريح البحرية فيشد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء ، فيبادر أهلُ البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين ، فيقيّد المركب ويؤسّس به في اسرع وقت بغير كلفة لأحد ولا غرامة حبةٍ ولا جزاء بمقال .

١٥ - وقابس مدينة منها على ستّ مراحل الى جهة القيروان وجادة الطريق ، ذات مياه جارية وأشجار متهدّلة وفواكه رخيصة ، وبها من البربر الكثير . ولهم من الزروع والضياع ما ليس مثله لمن جاورهم ، الى زيتون وزيت وغلّات . وعليها سور يحيط به خندق ولها أسواق في ربضها وجهاز من الصوف كثير ، ويُعمل بها الحرير الكثير الغزير ، وبها جلود تُدبغ بالقرظ وتعمّ اكثر المغرب فتأتي من طيب الرائحة ونعمة المس بمثل حال الاديم الجُرشي . وبها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود وسائمة كثيرة . ولها عامل بنفسه وهي خصبة في اكثر اوقاتها وأهلها قليلو الدماء غير محظوظين من الجمال والنظافة وفيهم سلامة . وفي باديتهم شرٌّ شمرٌ ودينٌ قذِرٌ وذلك انهم لا يخلون من الشراية والقول بالوعد والوعيد مع الغيلة لبني السبيل والاعتراض على اموالهم في الكثير والقليل ، والويل لمن نام بينهم والحرب على من جاورهم واستجار بهم مخالفين اكثر ايامهم لسلطانهم ، مواربين في الحقوق عليهم . ولم تزل هذه العادة بهم الى ان سار منهم الكثير الى قابس فأحرقوا ربضها وحاصروها واستباحوا اموال تجّارها وأهل الذمّة منها ، وأممكن الله تعالى منهم

فأهلك جميع من رصدها ثم سار عليهم زعيم صنهاجة فجعل عشرة منهم في كساء .

١٦ - ومدينة سُفَاقس مدينة بُجْلٌ غَالَتْهَا الزيتون والزيت ، وبها منه ما ليس بغيرها مثله ، وكان سعرُه عندهم فيما سلف من الزمان بحال غَيْرَته الفتن في وقتنا هذا ربما بلغ من ستين قفيزاً بدينار الى مائة قفيز بدينار، على حسب السنة ورَبْعِها . وزيتُ مصر في وقتنا هذا فمن ناحيتها يُجلب لقلته بالشَّام . وهي ناحية على نحر البحر ولها مرسى ميّت الماء وعليها سور من حجاره وأبواب حديد منيعة ، وفيها محارس مبنية للرباط بها وأسواقها عامرة وهي قليلة الكروم . وفاكهتها من قابس تسدّ حاجة أهلها وشربُ أهلها من مواجل بها ومواجنها صالحة الطعوم حافظة لما استودعت . ولهم من صيود السمك ما يكثر ويعظم ، تصاد بحظائر قد زُرِبَتْ وعُمِلت في الماء فتؤخذ بأيسر سعي . وبناؤها بالحجارة والجير وبينها وبين المهدية مرحلتان ، ولها عامل عليها للسلطان بذاته .

١٧ - والمهدية مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بالمغرب وسمّاها بهذا الاسم وهي في نحر البحر، وتحوّل اليها من رقادة القيروان في سنة ثمان وثلاثمائة وهي من القيروان في مرحلتين ، فرضة لما والاها من البلاد كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة ، ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيتُه من الارض شبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة ، وعلى مثلها مَحْمَلًا ، ومثل شكلها اتَّخِذاً ، كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحُتَّامات والحانات خصبة رفهة الفواكه والغلات، طيبة الداخل نزهة الخارج بهيئة المنظر، أدركتها سنة ست وثلاثين وملوكها كفاة وجيوشها ثمة وتجارها طرارة، وقد اختلّت أحوالها والثالث أعمالها وانتقل عنها رجالها ، بانتقال ملوكها عنها وبعدهم منها . وكان اول نحسٍ أَظْلَمَها أبو يزيد كخلد بن كيداد، وخروجه بالمغرب على أهلها واثالث المناحس عليها الى الآن وقد بقي بها بعض كرمق .

١٨ - وانتقل عنها رجالها بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبعده عنها وسكنه المنصورية من ظهر القيروان ، وذلك لما دهمه من أبي يزيد

مخلد بن كيداد وقصده المخالفة عليه ، وأطراد ما أطرد له عند خروجه بالمغرب في أحزاب الكفر والنفاق والاباضية والذكارية المراق ، فإنه صارت به الحال عند نجومه لما سبق به القدر وتقدّم به القضاء ، الى ان استولى على المغرب بإجمعه وحاصر المهدية وضيق على أهلها ومواليها عليهم السلام ، حتى أذن الله تعالى ببواره وهو في غاية الثقة بأنصاره والسرور باغتراره ، فخانه فجوره وأسلمه سروره وخرج اليه مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله ﷺ ، في فئة شعارها الايمان وعادتها من الله الظفر والاحسان ، وعدوّ الله في عدد لا يحصى وأمة أذن الله فيها بالفنى يمرّ مرّاً كرجع الطرف ابطؤوه في قبض انفسهم والنصر منتظم ، فزحزحهم عن مستقرّهم وصياصيعهم وبذل السيف في نواصيعهم ، وانهمز اللعين وقد عاب الموت وشارف القوت ، يطلب من الارض معاذاً وفيها من سوء ما اقترفه لوأذاً ، فمات اهل القيروان الغرور وأنزلوه كالمقهور ، وقد وصل اليهم في مرحلة واحدة فمثّوه الأباطيل وزخرفوا له الأقاريل ، فأقام ووصل المنصور أمير المؤمنين صلوات الله عليه فنزل عن غربي القيروان في منزل نزله بالسعادة ، وعلت فيه طير النصر والسلامة . فتميّن بنزوله وتبرّك بحلوله فأنجزه الله ما وعده وبلغه ما أمّله ، فهزم ابا يزيد عن مكانه وأمكن الله من حربه وأعوانه ، فمنّ على اهل القيروان بالعفو والغفران ، واتبّع ابا يزيد فكان بينهما ما بطول شرحه ويتفألم إنبأؤه الى أن اخذه ورجع الى العسكر المنصور والمكان المذكور ، فاخنت به احسن بلد في اسرع أمد ، وانتقل اليه واستوطنه وأقام به واستحسنه ، صلوات الله عليه يوم الثلاثاء لليلة بقيت من شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

١٩ - وأما سوسة فمدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة رفة خصبة على نحر البحر ، ولها سور حصين وماؤها معين ، وبها مواجن قليلة وأعمال صالحة نبيلة ، وفي أهلها دهقنة والغالب عليهم السلامة . وهي إحدى فُرُص البحر ولها أسواق حسنة وفنادق وحمامات طيبة ، وهي من القيروان على مرحلة وكانت لها ضياع جمّة ووجوه من الجباية غزيرة ، وغالّت واسعة ورباطات كثيرة . وبين الهدية وسوسة رباط يسكنه أمة من

الناس على مرّ الأيام والساعات ، يُعرف بالمنستير ويقصده اهل افريقية لوقت من السنة فيقيمون به أياماً معلومة ، ويحضر بفاخر الاطعمة ونفيس المآكل ويقيم جمعهم به مدّة ثم يتفرّقون الى اوطانهم وهو على نحر البحر . وبينه وبين المهدية ايضاً قصر رباط يُعرف بشقائض دونه عندهم في المنزلة وهو حصين منيع ، وبه ايضاً أمة مقيمة على صيد السمك ، وهما قصران عظيمان على حافة البحر للرباط والعبادة عليهما اوقاف كثيرة بأفريقية والصدقات تأتيها من كل أرض .

٢٠ - والجزيرة إقليم له مدينة تعرف بمنزل باشوا واسعة العمل خصبة ، أوسع من سوسه على سلطانها دخلاً وأكثر منها جباية وأهلاً . ولها كورة تضاف اليها وغير غلّة يعول التجار عليها . وبها في غير موضع وخم ظاهر الثقل في مياهها ولا يدخلها غريب إلاّ مرض ، وإذا دخلها السودان صلحوا به وصدحت نفوسهم وطابت بالخدمة قلوبهم وجميع الفواكه بها . ولباشوا هذه أسواق في كل شهر تحضر لايامٍ معروفة .

٢١ - واليها مدينة تونس وهي قديمة أزلية ذات مياه جارية قليلة والانتفاع بها كثير والعائدة الى أربابها صالحة ، وهي خصبة في ذاتها . متنسّع بغلاتها ويعمل بها غضار حسن الصباغ وخزف حسن كالعراقي المجلوب . وكان اسمها في قديم الزمان ترشيش ، فلما أحدث فيها المسلمون البنيان واستحدثوا البساتين والحيطان سميت تونس ، وهي مصابقة لقرطاجنة المشهور أمرها بالطيب وكثرة الفواكه وحسنها وجودة الثار وصحة الهواء واتساع الغلات ، ومن غلاتها القطن ويحمل الى القيروان فيظهر الانتفاع به ، وكذلك القنب والكرويا والعصفور والعسل والسمن والحبوب والزيت وكثير من الماشية مختصة بها .

٢٢ - وسطفورة إقليم أيضاً على البحر جليل له ثلاث مدائن فاقربهن الى تونس انبلونه ثمّ متيجة ثمّ بنزرت ، وبنزرت مدينة على البحر خصبة أصغر من سوسه في ذاتها ، وعامل المعونة ينزل من أعمالها في بنزرت ، فيها ثمار كثيرة . وأنهار سطفوره واسعة غزيرة والارتفاع بها والجدي على السلطان قليل ، والحيتان بها وبتونس ما يزيد على الكثرة ولا يدانيه ما

باطرابلس من الرخص والسعة . ولها وادٍ عجيب يخرج فيه في كل شهر نوع من السمك ، واذا اهلّ الهلال لا تجد من ذلك النوع واحدة ويظهر غيره . وأهل هذا الاقليم جلد وناسه ذوو بأس في البرّ والبحر ، صُبر على الشقاء والكدّ مع قلّة الحوَر والضجَر ، وإن كان بلدهم في هذا الوقت قد خلا وجلا .

٢٣ - وطَبْرَقه قرية وهي عُدوة لأهل الاندلس ، اليها ينتهون ومنها الى الاندلس يركبون . وهي قرية وبئة ، وبها عقارب قاتلة نحو عقارب عسكر مكرم في وحاء القتل وسرعته ، ومضاء الميته وقربها . ومن اراد طبرقه من تونس على الجادة اجتاز على مدينة باجه ، وهي مدينة قديمة أزيلت كثيرة القمح والشعير ، ولها من الغلات والزروع ما ليس بجميع المغرب كهو عندها كثرة وجوده ونقاء الى جوهره في نفس حبوبها . وهي صحيحة الهواء كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الدخل على السلطان ، وافرة الارباح على تجّارها والمزارعين بها . وطبرقه المذكورة مع صغر مقدارها وتفه منزلتها ، فإنما اشتهرت لكثرة ورود المراكب بالاندلسيين والتجّار عليها ونزولهم فيها وتعيشيهم كان في سالف الزمان بها . وهي تجاه اوائل الاندلس من المكان الذي هي به وتحاذي ايضاً بعض بلاد افرنجيه .

٢٤ - وعلى الساحل منها بهذا النحر على نحو مرحلة مرسى الحَرَز وفيه معدن المرجان . ومرسى الحُرز ايضاً قرية غير أنها نبيلة لمكان المرجان وحضور من يحضرها من التجّار ، ولا اعرف في شيء من البحار له نظيراً في الجودة ، ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الحُرز ومدينة تنس وبمدينة سبتة المحاذية من الاندلس لمدينة جبل طارق ، وهي المعروفة بالجزيرة الخضراء ، والذي بها من المرجان قليل الجوهر حقير المقدار في جنب ما يخرج من مرسى الحُرز . ولسلطان المغرب بها أمناء على ما يخرج منه ، وناظر يلي صلاتها ومعاونها وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن . وللتجّار بها اموال كثيرة من اقطار النواحي عند سمسرة وقوف لبيع المرجان وشراه . ويعمل بها في اكثر الأوقات في

إثارة المرجان الخمسون قارباً ، وما زاد على ذلك مما في القارب العشرون رجلاً الى ما زاد ونقص . والمرجان نبت ينبت كالشجر في الماء ثم يستحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين ، والعاملون فيها يُكثرون الأكل والشرب والخلاعة ، ولهم بها مكاسب وافرة وينتبدون نبيذ العسل فيشربونه من يومه ويُسكرهم الاسكار العظيم ، ويعمل من الصّداع ما لا يعملُه نبيذ الذرة وغيره من الاشربة . وهي ناحية قليلة الزرع يُجلب اليها ما يقوتها مما يجاورها من فاكهة وغيرها ، وفيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سمنّاً وربما منع جانبُه من أكل ما يصاد بها وسبباً وقت الغلات .

٢٥ - ومدينة بونه مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، ومقدارها في رقعتها كالاربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح متوسطة ، وفيها خصب ورخص موصوف وفواكه وبساتين قريبة ، وأكثر فواكهها من باديتها ، والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له . وبها مبادن حديد كثيرة ويُحمل منه الى الاقطار الغزير الكثير ، ويزرع بها الكتان ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة . ومن تجارتها الغنم والصوف والمماشية من الدوابّ وسائر الكُرَاع ، وبها من العسل والخير والمير ما تريد به على ما داتها من البلاد المجاورة لها ، وأكثر سوائمهم البقر ولهم اقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير ، وقل من بها تفوته الخيل السائمة للنتاج . وبينها وبين جزائر بني مزغناي مراسٍ فمنها جيغل مرسى ومنه الى بجايه (مرسى) ومنه الى مرسى بني جناد ومنه الى مرسى الدجاج ، وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره ، وليس لها مرسى مأمون وبها من رخص الاسعار ايضاً في الفواكه والمأكول والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يُغرق غيرهم ممن يجاورهم ، وبها من الاشجار والثمر والتين خاصة العظيم الجسم ما يُحمل منه الى البلاد النائية عنه .

٢٦ - وجزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف البحر ايضاً ،

وفيه اسواق كثيرة ، ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها . ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة ، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال ، ولهم من العسل ما يُجهّز عنهم والسمن والتين ما يُجهّز ويُجلب إلى القيروان وغيرها . ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدوّ لجؤوا إليها فكانوا في منعة وأمن ممن يحدرونه ويخافونه . وتامد فوس مرسى ومدينة خربت ، وفيها بقية قوم يسكنونها سكنى الصابيين إلى اوطانهم . واشرثال مدينة قديمة أزلية قد خربت ، وفيها مرسى وبها آثار قديمة وأصنام من حجارة ومبانٍ عظيمة . ومنها إلى برشك مدينة كان عليها سور فتهدّم ، ولها مياه جارية وأبار معين وبها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معتق كالقرع الصغار وهو طريف وأغاب . الغالب على أهلها البربر ، ولها بادية يشتررون العسل من الشجر والاجباح لكثرة النحل بالبلد ، وأكثر أموالهم الماشية ولهم من الزرع والخططة والشعير ما يزيد على حاجتهم .

٢٧ - وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدّة ، وبعضها على جبل قد أحاط به السور ، وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين على وادي كثير الماء وشربهم منه . وهي مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بناوحيها في الكبر وبها فواكه حسنة وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض ، وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الاندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها . وللسلطانها بها وجوه من الاموال كثيرة : كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة . ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة ، وبها من الفواكه والسفرجل المعتق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته .

٢٨ - ومنها إلى مدينة وهران مراسٍ لا مدن لها مشهورة كمرسى عطا وليس به احد يسكنه ، وقصر الفلوس وإن كانت مدينة محدثة فلها سور وهي لطيفة جداً ، وسورها من ترابٍ طابية وماؤها من عين ماء

جارية بها . وغلاتهم من القمح والشعير والمواشي عندهم كثيرة . ولمدينة
 وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ربح ، وما أظن له مثلاً
 في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى ، فقد كنفته الجبال وله مدخل
 آمن . وعليها سور ، وماؤها من خارجها جار عليها في وادٍ عليه بساتين
 وأجنّة كثيرة فيها من جميع الفواكه وفي حاضرتها دهقنة وحذق ، وفيهم
 حمية مع الغريب وهي فرضة الاندلس ، اليها ترد السلاح ومنها يحملون
 الغلال ، والغالب على باديتها البربر من يزادجه ، وهم في وقتنا هذا في
 ضمن يوسف بن زيري ابن مناد الصنهاجي خليفة صاحب المغرب .

٢٩ - ومن وهران الى واسلن مدينة خصبة لها سور عظيم حصين
 وماؤها فيها ، ولها بساتين كثيرة وكنت أعرفها قديماً لحمد بن يزل ولها
 مرسى وهي خصبة كثيرة الأهل واكثر أموالهم الماشية ولهم منها الكثير
 الغزير . ومنها الى ارجكوك مدينة أيضاً لطيفة لها مرسى وبادية وخصب
 وسعة في الماشية والأموال السائمة ، ومرساها في جزيرة لها فيها مياه
 ومواجن كثيرة للمراكب وأهلها والمحتاجين اليها في سقي سوائهم . وهي
 جزيرة معمورة بالناس . وارجكوك على وادٍ يُعرف بتافنا وبينها وبين
 البحر نحو ميلين ، وكانت مليلة مدينة ذات سور منيع وحال واسع ،
 وكان ماؤها يحيط بأكثر سورها من بئر فيها عين عظيمة ، وكانت أزليّة
 فاكنتسجها ابو المحسن جوهر الداخل مصر برجال المغاربة ، وقد تغلب عليها
 بنو بطويّة بطن من البربر ، وكان بها من الأجنّة ما يسدّ حاجتهم ومن
 الزروع الكثيرة والحبوب والغلات الجسيمة فزال اكثرها . ونكور مدينة
 مقتصدة في وقتنا هذا ، وكانت قديماً اعظم مما هي وآثارها بيّنة ، ولها
 مرسى تُرسى فيه المراكب في بطن جزيرة تُعرف بالمرمّة .

٣٠ - ومنها الى مدينة سبتة وهي لطيفة على نحر البحر ، وبها بساتين
 وأجنّة تقوم بأهلها ، وماؤها من داخلها يستخرج من أبار بها معين ، ومن
 خارجها ايضاً من الأبار شيء كثير عذب ، مرسى قريب الامر وقد تقدّم
 ان بها معدناً للرجان صالحاً يعمل فيه قووبريات لطاف . وهي وقتنا هذا
 لبني أميّة ولم يكن لهم في عدوة المغرب غيرها . ولها من ظاهرها بربر

يأخذ صدقاتهم ولوازمهم وخراجهم من كان بها والياً عليها ، وكذلك من كان برسى موسى في ضمنهم ، وكأني بها راجعة الى مولانا عليه السلام . ومنها الى طنجة مدينة ازليّة آثارها بيّنة وأبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر . سكنها أهلها قديماً سنين في صدر الاسلام ثم استحدثوا لهم مدينة عن مسيرة ميل منها على ظهر جبل ، والذي أوجب استحداثها خوف آل إدريس عليها عند استحوادهم على سبتة في وقتهم ، وأكثر أموال أهلها من الزرع حنطة وشعير وحبوب ، وماؤها مجلوب إليها في قنّ من مكان بعيد لا يُعلم أصله ولا يُعرف من أين يجيئه ، وإنما يظنون جهاته وهي خصبة صالحة الأسعار وليس عليها سور .

٣١ - وزُلّول مدينة لطيفة في شرق ازيلي لها اسواق قريبة وكان عليها معول حسن بن كنون الحسني الفاطمي وهو مستحدثها ، وشربهم كشرب اهل طنجة مجهول المبتدأ غير معلوم الأصل . وأزيليّ مدينة عليها سور متعلّقة على رأس جُرف خارج من البحر المحيط الى ارض المغرب . لطيفة وسورها من حجارة وبعضها على البحر المحيط ، وحظّهم من الزروع والحنطة والشعير وافر ، وماؤها من أبار فيها معين لذيد وفيها اسواق . واذا اخذ منها الآخذ يريد الجنوب على سيف البحر المحيط ، لقيه وادي سفدد وهو وادٍ كبير عظيم غزير الماء يحمل المراكب عذباً ، ومنه شرب اهل تشمس ، وهي مدينة لطيفة قديمة أزليّة اوليّة جاهلية ، وعليها سور من البناء الاول تركب وادي تشمس هذا المعروف بسفدد ، وبينها وبين البحر نحو ميل ، ويُمدّ سفدد شعبتان تقع فيه : إحداهما من بلد دنهاجه من جبلي البصرة ، والثانية من بلد كتامة وكلتاها ماء كثير ، وفيه يحمل اهل البصرة تجارتهم في المراكب ثم يخرجون الى البحر المحيط ويعودون الى البحر الغربي ، فيسيرون منه حيث شاؤوا . وبين مدينة تشمس هذه وبين مدينة البصرة دوت المرحلة على الظهر .

٣٢ - ثم تعطف على البحر المحيط يساراً وعليه من المدن قريبة منه وبعيدة : جرمانه وتاوارث والحجر على نحر البحر ودونها في البر مشرقاً

الأفلام ثم البصرة ثم كرت . والبصرة مدينة مقصدة عليها سور ليس بالمنيع ، ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين يسيرة من شرقها ، ولها غلات كثيرة من القطن المحمول الى افريقية وغيرها ، ومن غلاتهم القمح والشعير ، والقطاني وسهمهم من ذلك وافر . وهي خصبة كثيرة الخير حسنة الاسواق والعمارة طيبة الهواء صحيحة التربة ، وفيها قوم لهم خطر وميل الى السلامة والعلم ، ولهم محاسن في خلقهم قد عمّت نساءهم ورجالهم . والغالب عليهم حسن القدود والشطاط واعتدال الخلق وجمال الأطراف ، ويشملهم السّتر والسلامة والمعروف . وبين البصرة والمدينة المعروفة بالأفلام أقل من مرحلة ، وهي مدينة استحدثها يحيى بن إدريس ولها سور منعهم عند منابذتهم موسى بن أبي العافية . ولها مياه كثيرة وهي في وسط شعراء وجبال شاذة عالية ، والمدخل اليها من مكان واحد ، وفيها منبر ومسجد جامع لآل ادريس واليها لجؤوا عند محاصرة موسى لهم عند موافقتهم لبني أمية آنفاً ، وقد كان قبضها منذ قريب بنو أمية وقد عادت اليهم ، وهي خصبة حصينة ولنا قبضها آل أمية منهم بالجوع وتواصل الحصار .

٣٣ - وكُرت ايضاً مدينة لطيفة في سفح جبل منيع ايضاً بغير سور . ولها مياه كثيرة وأجنّة واسعة ومزارع عظيمة ، وغلاتهم من القمح والشعير والقطن كثيرة . وأهلها تجّار والغالب عليهم البربر ، وجميعهم وجميع اهل هذا الصقع المذكور . وهو إقليم طنجة ، لآل ادريس تصل اليهم جبايته ويحتبون خراجهم ومن المدن المضافة اليهم والداخله في قبضتهم بالمجاورة ماسيته وهي مدينة لها سور في قبلة مدينة البصرة ، وهي على وادي عذب يجري الى وادي سبه وهو وادي فاس . وهي مدينة عليها سور يمنعها ولها غلات كثيرة ورخص وخصب ولها بادية من البربر . ومن غلاتهم القطن والقمح والشعير ولهم مياه كثيرة وسقي يغزر عائدته عليهم . والحجر مدينة عظيمة محدثة على جبل عظيم شامخ لآل ادريس ، وهي حصن منيع فيه املاكهم وهي من اعظم مدنهم عندهم منزلة واكبرها خطراً ، وماؤها فيها ولها بساتين فيها وليس عليها طريق ولا اليها سبيل إلا من

جهة واحدة، يسلكه الراجل بعد الراجل، وهي خصبة رفة كثيرة الخير .
 ٣٤ - وبحيرة آرنيغ بحيرة أصلها من البحر المحيط صغيرة ترسى فيها
 المراكب الاندلسية التي تحمل غلات الناحية ، وفيها يركب أهل البصرة
 ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياته . ومنها عن مرحلة الى جهة
 الجنوب مصب وادي سبّه وهو وادي فاس ، ومن ورائه الى ناحية
 برغواطه على نحو يريد وادي سلكه واليه ينتهي سكنى المسلمين .

٣٥ - وبسلة رباط يرباط فيه المسلمون . وعليه المدينة الأزلية
 المعروفة بسلة القديمة وقد خربت . والناس يسكنون ويرابطون برباطات
 تحف بها ، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان
 يزيدون في وقت وينقصون لوقت ، ورباطهم على برغواطه من قبائل
 البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي سقّت عمارة بلد الاسلام
 اليها يغزون ويسبون . وذلك أن رجلاً كان يُعرف بصالح بن عبدالله
 دخل العراق ودرس شيئاً من النجوم وصلحت منزلته في علمها ، الى أن
 قوّم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد واصاب في اكثر أحكامه . وكان
 له خطأ حسن وفهم باطراف من العلم وعاد فنزل بينهم ، وكان بربري
 الأصل مغربي المولد مضطجعاً بلغة البربر ، يفهم غير لسان من ألسنتهم
 فدعاهم الى الايمان به وذكر أنه نبي ورسول مبعوث اليهم بلغتهم واحتج
 بقول الله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » وأن محمداً
 ﷺ نبي حق عربي اللسان مبعوث الى قومه والى العرب خاصة ، وأنه
 صادق فيما اتى به من القرآن والاحكام ، وإياه اراد الله عز وجل بقوله :
 « وصالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير » ووعدهم غير كسوف
 فوجدوه وأنذرهم غير شيء فادركوه واصابوه على حكايتهم ، فافسد
 عقولهم وبدل معارفهم وافترض عليهم طاعته في سنن ابتداعها واحوال
 فرضها واختراعها ، واوجب عليهم صوم شعبان وإفطار شهر رمضان ، وعمل
 لهم كلاماً زتله بلغتهم وشرع فيه محابته على نحلتهم فهم يتدارسونه ويعظمونه
 ويصلون به ، وهلك فخلفه وصي كان له اقامه يُكنى ابا العفير فزاد فيما
 رسمه أشياء ذكر أن له فيها الزيادة والنقصان والحل والعقد فيما قدمه

صالح لهم من الاحوال ، فدعاهم الى النُسك وترك الدنيا والاقبال على التقلل والزهد ، وتناهى هو وخاصته في ذلك الى ان حَفِظَ عليه صَبْرُهُ عن الغذاء خُمُساً من الدهر وسُبُعاً وتُسْعاً ، وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى اليه وأنّ الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه . وكان صالح يحلّ لهم الطيبات ويبيحهم اللذات ويسوسهم في المحظورات ، وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السور ويتأوّل آياته على موافقته لكتابتهم وقرآتهم . وكان اهل البصرة ومدينة فاس يغزونها في بعض الاوقات ويسالمونهم ويتاجرونهم ، ويجلبون اليهم التجارات على ما يرونه ولاتهم . وفي برغواطه امانة وبذل للطعام وتجنب للكسبائر من الحرام والمحظورات من الاثام ، وقد يصل اليهم اهل آغمات والسوس ايضاً بالتجارة ، وكذلك قوم من اهل سجلماسة وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة الى ما في غيره وفيهم جمال بارع وشدة وبأس وصبر على القلاء والمراس . وكنت أقيمت محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسة يدعو الى غزوهم في سنة اربعين وثلاثمائة ، وأظنه هلك ولم يبلغ منهم محابته لقلّة إجابة من كان يدعوهم الى غزوهم من البربر ، وخوفهم من اطراد حملة لمحمد بن الفتح الشاكر لله عليهم في ذلك .

٣٦ - وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حدّ برقة الى البحر المحيط ، مما انتهت اليه وأدركته بالعيان او اخذته عمّن نشأ فيه . وليس من حدّ برقة وأعماله الى نواحي افريقية فيما يواجهه البحر المغربي من البر غير عشر مراحل فما فوقها بلدٌ يُذكر ولا يُعرف إلا ما ذكرته ، والغالب على ما واجه هذا البحر من ارض مصر الى نواحي عمل افريقية البراري والمقاويز التي بين بلاد السودان وأرض المغرب . وفي أطرافها سُكَّان من البربر وفي قلب البر أيضاً مياه عليها قوم منهم . وأما ما حاذى ارض افريقية الى آخر أعمال طنجة عن مرحلة الى عشر مراحل ، فزائدٌ وناقصٌ فبلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياح والمياه ، والولاية والسلطين والملوك والحكام والفقهاء ، وكلّ ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد

خليفته . وما عداه وأوغل في براري سجلماسة واودغست ونواحي لمطه وتادمكة الى الجنوب ونواحي فزان . ففيه مياه عليها قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام ولا رأوا الحنطة ولا الشعير ولا شيئاً من الحبوب . والغالب عليهم الشقاء والاتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحم ، وسأذكر ذلك وأصفه بعد فراغي من ذكر المسافات على استقصاء ان شاء الله .

٣٧ - ذكر الطريق من افريقية الى تاهرت وفاس: فمن القيروان الى الجهنين قرية مرحلة ؛ ومنها الى سببيه مدينة أزليّة كثيرة المياه والأجنّة ، وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والحانات ، وشربهم من عين جارية كثيرة تسقي بساقيهم وأجنّتهم ، وهي على مرّ الأيام كثيرة الفواكه رخيصة الاسعار ، ويغلب على غلاتهم الكتّون والكرويا والبقول ويُزرع عندهم الكتّان ، ولهم ماشية كثيرة مرحلة ؛ ومنها الى مرماجنه قرية مرحلة وهي لهوارة وفيها اسواق حسنة ؛ ومنها الى مجانه مدينة ذات سور من طابيه مرحلة ، وهي كثيرة الزعفران والزروع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب ، ولهم وادٍ غزير الماء يزرعون عليه وأسواق صالحة ؛ ومن مجانه الى تيجس طريق قصد على مناهل وقرى خمس مراحل ، ويفارق طريق باغاي قبل ان يصل الى نهر ملاق ؛ ومنها الى مسكيانه قرية عليها سور قديمة كثيرة المياه والزروع ، ولها سوق وماؤها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص ، وسوقها تمتد كالسطح مرحلة ، وهي اكبر من مرماجنه وتُجمعان أبداً لعامل واحد ؛ ومنها الى مدينة باغاي وهي كبيرة عليها سور أزلي من حجارة ، ولها ربض عليه سور والأسواق فيه ، وكانت الأسواق قديماً في المدينة فنُقلت ، ولها ماء جاري من وادٍ يأتيهم من القبة ومنه شربهم مع ابارٍ لهم عذبة ، ولهم من البساتين الكثير مرحلة ، وهو بلد بربري البادية واكثر غلاتهم الحنطة والشعير ، وعاملها على صلاتها ومعاونها ووجوه أموالها عامل بنفسه لا من تحت يد احدٍ ، وجبل اورّاسٍ منها على اميال ، وفيه المياه الغزيرة والمراعي الكثيرة والعمارة الدائمة ، وكان أهله قوم سوءٍ وطوله نحو

اثني عشر يوماً وسكانه مستطيلين على من جاوهم من البربر وغيرهم ،
فهاكوا « واتي الله بنيانهم من القواعد » . ولباغاي طريق يأخذ الآخذ
على بلزمه الى نقاروس الى طُبْنَه ، ويتصل هذا الطريق بطريق مجانه الى
تديجس فيمر عليه الى بونه ومن أحبّ فيه من تديجس الى القسطنطينية الى
ميله الى سطيف الى المسيلة وصل اليها ، ومن اراد من سطيف الى حائط
حمزة الى اشير بلد زيرى كان أقصد له إن كان يريد المغرب .

٣٨ - ومن باغاي الى دوفانه قرية من جبل اوراس ، لها سكان من
اللاهان وكان البلد لهم ولبني عمهم من اللاهان مرحلة ؛ ومنها الى دار ملول
وكانت مدينة قديمة فرزحت احوالها وصارت منزلاً ينزله المجتازون ، وفيها
مرصد قديم على جميع ما يجتاز بها وماؤها من عين بها مرحلة ؛ ومنها الى
طبنه مدينة قديمة وكانت عظيمة كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة
والشعير ، ولها سور من طابية مرحلة ، واهلها قبيلتان عرب وبرقجانة ،
واكثر غلاتهم السقي ويزرعون الكتان وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة ،
وكانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعم ، فحدث
بينهم البغي والحسد الى ان اهلك الله بعضهم ببعض ، واتي على نعمهم
فصاروا بعد السعة والدعة الى الضيق والذلة والصغار والشتات والقلّة ،
مشردن في البلاد مطرّحين في كل جبل وواد وبقيتهم صالحه ؛ ومن طبنه
الى مقره منزل فيه ايضاً مرصد مرحلة ؛ ومن مقره الى المسيلة مرحلة
وهي مدينة محدثة ، استحدثها علي بن الاندلسي احد خدم آل عبّيد الله
وعبيدهم وعليها سور حصين من طوب ، ولها واد يقال له وادي سهر فيه
ماء عظيم منبسط على وجه الارض وليس بالعميق ، ولهم عليه كروم
واجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم ، ولهم من السفرجل المعنق ما
يحمل الى القيروان وأصله من تنس ، ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير ،
وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر ، وعليها من البربر بنو
يرزال وبنو زنداج وهوارة مزاة وعليهم صدقات وخراج غزير ؛ ومنها
جُوزا منهل ينزله الناس لا ساكن به وفيه ماء من عيون عذبة مرحلة ؛
ومن جُوزا الى هاز قرية كانت قديمة عظيمة فخربت ، وهي في وقنا هذا

مفازة فيها ماء عيون مسجونة مرحلة ، وهو بلد يغلب عليه الرمل ؛ ومنها الى جُرثيل قرية كبيرة كثيرة الزرع والمياه وشربهم من عيون بها مرحلة ، وسكّانها زناته ؛ ومنها الى ابن ماما مدينة صغيرة ذات منبر عليها سور طوب ، ولها خندق وماء في وادٍ عذب كثير الماء يُزرع عليه وعلى المطر ايضاً مرحلة ؛ ومنها الى تاهرت مرحلة ؛ وتاهرت مدينتان كبيرتان إحداها قديمة أزليّة والأخرى محدثة ، والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي وبها كثير من الناس ، وفيها جامع وفي المحدثّة ايضاً جامع ولكلّ إمامٍ وخطيبٍ ، والتجّار والتجارة بالمحدثّة أكثر ، ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم وأشجار وبساتين وحمّات وخانات ، وهي احد معادن الدوابّ والماشية والغنم والبغال والبواذن الفراهية ، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلّات .

٣٩ - ومن القيروان الى المسيلة طريق غير هذا الطريق على بلاد كتامة ، والأربس وهو من القيروان الى جلولا مدينة عليها سور ، وفيها عين ماء جارية وعليها بساتين كثيرة قد حُفّت بها ونخيل غزيرة مرحلة خفيفة ؛ ومنها الى اجر قرية ماؤها من الأبار ولهم زروع كثيرة من القمح والشعير مرحلة خفيفة ؛ ومنها الى طافجنه قرية لها فحوص واسع ، ولهم من الغلّات المتصلة بنواحي الاربس من الحنطة والشعير أمر عظيم مرحلة خفيفة ايضاً ؛ ومنها الى الاربس مدينة لها إقليم واسع وغلّات جُلّتها الزعفران ولها سور حصين من حجر ، وفيها من داخلها عينان جاريتان : إحداها تسمّى عين رباح ، والأخرى عين زياد ، وعين زياد اطيب وعليها معوّل في شربهم ، وماؤها صحيح وبها معدن الحديد . وهي ذات فواكه صالحة ؛ وأبه مدينة عن غربيّ الاربس ومنها على اثني عشر ميلاً وبها من الزعفران ما يضاهي ما بالأربس في الكثرة والجودة ، وأرضها واحدة مختلطة وعملها كعمل واحد . وفي وسطها عين ماء جارية منها شربهم وهي غزيرة ، وعليها سور من طابية خصبة كثيرة الفواكه والثمار ، وعليها جبل مطلّ ؛ ومن الاربس الى تامديت مدينة لها سور وشربهم من عيون بها وأكثر غلّاتهم القمح والشعير مرحلتان بينهما قرية تعرف بمرماجنة ؛ ومن

تأمديت الى تيفاش مرحلة ، وهي مدينة أيضاً اذلية اولية قديماً عليها سور قديم بالحجر والجير ، وبها عين ماء جارية ولهم من الأجنّة والبساتين ما يقوتهم وعليها شعراء كبيرة ؛ ومنها الى قصر الافريقيّ مدينة لا سور عليها والغالب على غلاتهم القمح والشعير ، وتحتها وادي يجري ينتفع به من كان في أعالي عملها ومنه شربهم مرحلة ، ومنها الى اركوا قرية لها أجنّة وعيون ومياه جارية كثيرة وقمح وشعير وغلات صالحة وجميع مياههم عذبة مرحلة ؛ ومنها الى تيجس مدينة لها سور وربض قد استدار من قبلتها الى مجريتها وسوق صالح وماء جاري من عين تعرف بتبودا ، وفي وسط المدينة ماء كثير من عين طيبة مرحلة ، ومن تيجس الى نردوان قرية لها حاضرة وبادية ، ولها بالبعد منها عيون وشربهم منها وهو بلد قمح وشعير مرحلة ؛ ومنها الى ميريّين قرية في فحص ماؤها من أبار ولها سوق ، والغالب عليها البربر وهي لكتامة ومزاةة مرحلة ؛ ومنها الى تامسنت قرية وسوق لكتامة ومزاةة ولها أجنّة وماء يجري وأبار معينة مرحلة ، ومنها الى دكة قرية لها سوق والغالب عليها ككتامة وشربها من أبار وغلاتهم من القمح والشعير وافرة مسيرة مرحلة ؛ ومنها الى أوسجيت مرحلة ، وهي قرية فيها بعض حوانيت لبربر ككتامة ولها مياه كثيرة يزرعون عليها ؛ ومنها الى المسيلة مرحلة خفيفة ؛ ومن المسيلة الى اشير مرحلتان ينزل المار بينهما في وادي المالح ، وهو وادي يجري بماء مالح ويحل منه الى اشير ، وأصقها فيما بعد .

٤٠ - ومن المسيلة الى افريقية طريق ثالث يأخذ من المسيلة الى مَقَرّه ، ومنها الى طبنه ومن طبنه الى بسكره مرحلتان ، ومن بسكره الى تهوذا مرحلة ؛ ومنها الى بادس مرحلة ، ومن بادس الى تأمديت مرحلة ، ومن تأمديت الى مداله مرحلتان ، ومن مداله الى نقطه مرحلة ، ومن نقطه الى قسطيليه بعض مرحلة ، ومنها الى قفصه ، وسيأتي ذكر هذا الطريق فيما بعد ان شاء الله .

٤١ - ذكر الطريق من فاس الى المسيلة : فمن فاس على سُبّه ، وهو نهر عظيم الماء كثيره واليه مصبّ وادي فاس وجميعاً يقعان في البحر بنواحي سَلّه ، وعليه قرى تتصل إحداها بالأخرى الى غلاته مرحلة ،

وهي أيضاً على وادٍ يقال له ايناون وللملته وادٍ غير ايناون يأتيها من القبلة ، ويُعرف بوادي نملته ، عليه كروم وبساتين كثيرة ؛ ومنها الى كرانطه وهي مدينة على وادي ايناون ، ولها وادٍ آخر يأتيها من القبلة عليه من الفواكه والكروم والسقي الكثير الغزير ؛ ومن كرانطه يأخذ الطريق على باب زناته وهو وادٍ وقرى متصلة ذوات أسقاء ، وبعض هذه القرى متصلة بمياه ايناون ويخرج ذلك الى قلعة كرماطه وهو سوق وحسن على ايناون ، وبها من الزرع والضرع والسائمة الكثير العظيم مرحلة ؛ ومن كرماطه على فجّ الجبل المعروف بتازا الى مزاوروا وهي مدينة لطيفة كثيرة القمح والشعير مرحلة ؛ ومنها على وادي مسون طريق الى تابريدا وهي مدينة لطيفة على وادي مـلـوـيـة مرحلة ؛ ووادي مـلـوـيـة يقع الى وادي صاع ويصبّان جميعاً الى البحر ما بين جرارة أبي العيش ومليله ؛ ومنها الى صاع مدينة لطيفة على وادٍ عظيم يدخل على جميع دورهم ، ويشقّ الصحراء اليهم مرحلة ؛ ومن صاع الى جرارة أبي العيش ، وبينها وبين البحر ستة اميال ، وكانت عامرة أهلة مرحلة ؛ ومنها الى ترفانه مدينة عليها سور ولها سوق وأنهار مطردة وفواكه واسعة عظيمة وكروم جسيمة مرحلة ؛ ومنها الى العلويين قرية على نهر يأتيها من القبلة ، ولها عليه فواكه عظيمة مرحلة ؛ ومنها الى تنمسان مرحلة لطيفة وهي مدينة ازليّة ، ولها انهار جارية وأرحية عليها وفواكه ولها سور من آجر حصين منيع وزرعها سقي وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة ؛ ومنها الى قرية تُعرف أيضاً بالعلويين وهي قرية عظيمة أهلة على نهر ولها أجنته وعيون ، ومنها الى تانالوت وهي قرية جبلية كثيرة ذات أجنته وأرحية على واديه وفواكه مرحلة ؛ ومنها الى عيون سي قرية كبيرة لها عيون وأنهار تطرّد مرحلة ؛ ومنها الى وادي الصفاصيف وهو الوادي النازل من افكان الى افكان مرحلة ، وافكان مدينة لها أرحية وحمّامات وقصور وفواكه وكانت ليعلى بن يحمّد ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض ، وواديه يشقّها بنصفين ؛ ومنها الى تاهرت بالعرض الى الشرق ثلاث مراحل ولافكان على واديه اعمال عريضة وأجنته ومزارع ؛ ومنها الى المعسكر قرية عظيمة لها أنهار

وأشجار وفواكه مرحلة؛ ومن المعسكر الى جبل توجان الى عين الصفايف قرية كبيرة لها عين وأنهار وأشجار ومنها سقي يلال مرحلة؛ ومنها الى يلال مدينة ذات أنهار وفواكه مرحلة؛ ومن يلال الى شلف مدينة ذات سور وحصن ونهر وشجر ومزارع مرحلة، ومنها الى غزة مدينة صالحة وفيها سوق وحمام ويضاقب أعمالها سوق إبراهيم، وهي مدينة أيضاً صغيرة فيها حمام وسوق وهي على نهر شلف؛ ومن سوق إبراهيم الى ناحية مدينة صغيرة فيها سوق، ولها فواكه وتين عظيم كثير يجيئ عنها مرحلة؛ ومنها الى تنس مرحلة؛ ومن تنس الى بني واريغن مرحلة لطيفة بين جبال عظام شواحق سوامق، وبنو واريغن قرية أزليّة لها كروم وسوان كثيرة وهي على نهر شلف؛ ومنها الى الحضراء مدينة على نهر ولها فواكه وسوان، وبها السفرجل المعتق الفراسي مرحلة، ولها ناحية خصبة وفيها سوق وجامع وحمام؛ ومنها الى مليانه مدينة أزليّة ولها أرحية على نهرها وسقي كثير من واديا، ولها حظ من نهر شلف مرحلة؛ ومنها الى سوق كران وهو حصن أزلي له مزارع وسوان، وهو على نهر شلف أيضاً مرحلة؛ ومن سوق كران الى ريفه وهي قرية، ولها سوق صالح ولها فواكه وأجثة وأنهار تطرد ومزارع مرحلة؛ ومنها الى رطل مازوغه قرية لطيفة حسنة فيها ماء عذب مرحلة؛ ومنها الى اشير مدينة بحصن يسكنها آل زيري ابن مناد ولها سور حصين وأسواق وعيون تطرد وأجثة ومزارع وإقليم حسن القدر مرحلة، ومن اشير الى تامزكيدا وبها عين ولها أنهار عذبة مرحلة؛ ومنها الى الوادي المالح مرحلة؛ ومنها الى المسيلة مرحلة؛ وقد أثبت بهذا الطريق مقلوباً لأنني سلكته من المغرب الى افريقية.

٤٢ - وفاس مدينة جليلة يشقها نهر وهي جانبان يليها اميراث مختلفان، وبين اهل الجانبين الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل، ونهرها كبير غزير الماء عليه أرحية كثيرة، وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة احدثها إدريس بن إدريس، في كل يوم من ايام الصيف يُرسَل في اسواقها من نهرها الماء فيغسلها فتبرد الحجارة ويجمع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والمرافق والحانات، فزائده على سائر ما

قرب منها وبعد في ارض الهبط موقعه ، وظاهره بكثرتة حدته وموضعه ومستفاضه بوفوره مكانه ومرفقه .

٤٣ - ومنها الى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة ، وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة الاهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد ، فيزرع بمائه حسب زروع مصر في الفلاحة وربما زرعوا سنة عن بذر وحصدوا ما راع من زوعه وتواترت السنون بالمياه ، فكلما اغدقت تلك الارض سنة في عقب أخرى حصوده الى سبع سنين ، بسنبُل لا يشبه سنبُل الحنطة ولا الشعير بحبب صلب المكسر لذيد المطعم وخلقه ما بين القمح والشعير ، ولها نخيل وبساتين حسنة وأجنّة ولهم رطب اخضر من السلق في غاية الحلاوة ، وأهلها قوم سراة مياسير يباينون اهل المغرب في المنظر والخبز ، مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال للمروءة وسماحة ورجاحة وأبنيتها كآبنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية .

٤٤ - وعن يسار طريق فاس الى سجلماسة إقليم اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة الى سجلماسة وغيرها ؛ ومن سجلماسة الى اغمات نحو ثمانى مراحل ومثلها الى فاس ؛ ومن ورائها الى ناحية البحر المحيط السوس الأقصى وليس بالمغرب كاه بلد أجمع ولا ناحية اوفر واغزر وأكثر خيراً منها ، قد جمعت فنون المأكّل كلها ذات الصرود والجروم ، فيها الإلترج والجوز واللوز والنخل وقصب السكر والسيسيم والقشيب وسائر البقول التي لا تكاد تجتمع بغيرها ، وأهل السوس فرقتان مختلفتان. مالكيّون أهل سنة ، ومؤسويّون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب عليّ بن ورسند ، والغالب على الجميع الجفاء والغلبة في العشرة وقلة رقة الطبع ، والمالكيّون من فظاظ الجشويّة وبينهم القتال المتصل والدماء الدائمة ، ولهم بالبلد مسجد جامع قصلي فيه الفرقتان فرادى عشر صلوات ، إذا صلت فرقة تلتها الاخرى بعشرة أذانات وعشر إقامات ، وبالمالكيّين من جباسة الاخلاق وبحسب ما نالوا من رفاة العيش نالوا من الجهل والطيش ، ومن السوس الى سجلماسة اثنتا عشرة مرحلة .

٤٥ - ومن سجلماسة الى اودغست شهران على سمت المغرب فتقع منحرفةً محاذةً عن السوس الاقصى ، كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين اقصر اضلاعه من السوس الى اودغست . واودغست مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكة ومدينة الجرزان في بلد الجوزجان من بلاد خراسان ، لأنها بين جبلين ذات شعاب ؛ ومن اودغست الى غانه بضعة عشر يوماً بالمفردة ، ومن غانه الى كئوغه نحو شهر ، ومن كئوغه الى سامه دور الشهر ، ومن سامه الى كئزم نحو شهر ايضاً ، ومن كئزم الى كئوكو شهر ، ومن كئوكو الى مرند شهر ، ومن مرند الى زويله شهران ، ومن زويله الى اجدابيه شهر ، ومن زويله الى فزان خمس عشرة مرحلة ، ومن فزان الى زغاوه شهران . وعلى سمت اودغست المتقدم ذكرها في نقطة المغرب او ليل وهو على نحر البحر وآخر العمارة واوليل معدن الملح ببلاد المغرب بينها وبين اودغست شهر ؛ ومن اوليل الى سجلماسة راجعاً الى الاسلام شهر وكسر ، ومن سجلماسة الى لمطه معدن الدرق اللطيفة عشرون يوماً . ومن اوليل الى لمطه معدن الدرق خمسة وعشرون ميلاً ودون لمطه من بلاد المغرب تامدلت وعلى جنوبها اودغست ؛ ومن سجلماسة الى القيروان على تقزاوه ونواحي قسطليله شهران .

٤٦ - واكثر بربر المغرب الذين من سجلماسة الى السوس وانتمت وفاس الى نواحي تاهرت ، والى تنس والمسيلة وبسكرة وطبنة وباغاي الى اكربال وازفون ونواحي بونه الى مدينة قسطنطينية الهواء وكتامة وميله وسطيف يضيفون المارة ويطعمون الطعام ، ويتخاقل قوم منهم بخاق ذميم من بذل انفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام ولا يجتشمون من ذلك ، وأكبرهم وأجلهم كأصغرهم في بذله نفسه لضيفه حتى يُلحَّ به . وقد جاهد على ذلك ابو عبدالله الداعي لبعضهم الى ان بلغ بهم كل مبلغ فما تركوه .

٤٧ - وأما القسطنطينية التي لكتامة فمدينة قريبة الأمر تداني ميله ونقاوس في حالها ؛ ومدينة نقاوس مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزلية ولها مياه كثيرة وأجنة عظيمة ، وبها جميع الفواكه كاللوز والجرز والكروم وزرعهم غزير كثير . ومدينة بلزمه حصن لطيف فيه

رجال جلد، وله ماء بارد وهو في وسط فحوص عليه سور تراب وزروعهم تسقى بمائهم ، وهو بلد يحدث للعرب وفيه بقاياهم الى الآن ، وهو من الرخص والسعة وكثرة الكراع والماشية والعز والمنة في غاية حسنة . وما ظاهر هذه الديار الى نواحي البادية على طريق سجلماسة من افريقية مدينة سماطه ، وهي من نفزاوه مدينة صالحة ، وتدانيها مدينة بشرى وهي ايضاً ذات سور، ومدينة نقطه ايضاً مصابة لهذه الحدود ولها سور ونخيل واسعة . وقسطنطيه مدينة ايضاً كبيرة عليها سور حصين ، ولها نخيل كثيرة والتربة والقسب بها كثير ، وهي مغوثة افريقية بتسورها ، وفيها الأترج الكثير الحسن الطيب الزكي وأكثر الفواكه بها على حال معتدلة في الطيبة، وماؤها غير طيب ولا مريء، يجري سواقيها في خلال أجنحتها ونخلها أكثر منه بغيرها مما يجاورها ، وسعر الطعام بها في سائر الأوقات غالٍ لانه يجلب اليها ولا يُزرع بها من الشعير ولا القمح إلا زرع تافه ، وهي من السعة والبيوع والاشربة في الاسواق وكثر الوارد والصادر عليها ملتصقين للمير والتجارة بما لا يدانيها فيه مدينة مما قاربها ، وجهاز الصوف في جميع جهاته من الشقة والكسي والحنبل الى سائر ما يُعمل منه يُحمل منها الى جميع الاقطار . ومدينة الحمة مدينة غير طيبة الماء ايضاً، ولها شيء من النخيل، وبينها وبين مدينة قفصه القصور الثلاثة . وقفصه مدينة ايضاً مستقلة ذات سور ونهر يجري اطيب من ماء قسطنطيه، ولها أجنة وكروم ونخيل ، وهي تصاقب من جهة اقليم قموده قاصيره ومدينة مذكود ومدينة نفايض ومدينة كمونس الصابون ، وهي مدينتان قريبة الاحوال وكانت قبل سنة ثلاثين في غاية الكمال فأتى عليها أبو يزيد مخلد بن كيداد الاباضي .

٤٨ - وأما جبل نفوسه فجبل عالٍ منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقل من ذلك ، وفيه منبران لمدينتين تسمى إحداهما شروس في وسط الجبل وفيها مياه جارية وكروم وأغراب طيبة وتين غزير، وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون ، وإذا نُخبز كان اطيب طعماً من خبز الحنطة ولشعيرهم لذّة . ليس خبز من أخباز الأرض، لأنه ينفرد بلذّة ليست في

خبر إلا ما كان من سميز أو حواري قد تأنق صانعه فيه . وبالجبل مدينة ثانية تُعرف بجادوا من ناحية نفزاوه وفيها منبر وجامع . والجبل بأجمعه دار هجرتهم على قديم الأيام لهم ، وبه معشر الاباضة والوهيئة ثَوّوا بعد عبدالله بن إباح وعبدالله بن وهب الراسبي ، لأنها قدماه وماتا به ولم يدخل اهل هذا الجبل في عهد الاسلام الى سلطان ولا سكنه غير الحوارج مذ أوّل الاسلام ، بل مذ عهد عليّ عليه السلام وقت انصرفهم عنه بمن سلم معهم من اهل نهر وان ، وقد أقام من خلفهم على منهاج سلفهم به وبما قارب من مدن الحوارج ، وهي نفزاوه ولا وجه وبادس وبسكرة ، يعتقدون آراءهم ويمشون على سنتهم ، والسلطان على أهل هذه المدن حكم وأمره فيهم نافذ وكذلك فيمن كان منهم .

٤٩ - وكورة تاهرت من افريقيا عند الجميع وكانت في القديم مفردة العمل والاسم في الدواوين . ومدينة سطيف كثيرة الخير تقارب ميلة والمسيلة وتصادق القسطنطينية ، وبربرها بالصورة التي ذكرتها من بذل الطعام والاولاد ، وكانت اصل ما استباحهم به ابو عبد الله الداعي على بذل اولادهم لأضيافهم . فاني سمعت ابا عليّ بن ابي سعيد يقول انه ليبلغ بهم فرط المحبة في إكرام الضيف أن يؤمر الصبي الجليل الأب والأصل ، الخطير في نفسه بمضاجعة ضيفه ليقضي منه نهيمته وينال منه الحرام وربما وقعت شهوة أحد الباطل في جليل من فرسانهم وشجعانهم فلا يمتنع عليه منه مطلب من الباطل ، ويرى ذلك كرمًا وفخرًا والاباء عنه عارًا ونقصًا ، وليس نرى بكتامة التي بسطيف ولا بغيرها شيئًا من هذا الامر ولا يجيزونه ولا يستحسنون ذكره . وكتامة التي بهذه الناحية متشيعون وبهم ظهر أبو عبد الله الداعي واخذ المغرب . وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه ، واهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت ، وكذلك كتامة في حالها من جهة خليفة اهل المغرب بالمغرب ، وهو بلكين يوسف بن زيوري وقد استباح الجميع . فاما اهل قسطنطينية وقفصة ونقطة والحامة وسماطة وبشرى وأهل جبل نفوسة فشرارة ، إما إباحية من أصحاب عبدالله بن إباح ، او وهيئة

من اصحاب عبد الله بن وهب ، وتجاوزهم من البربر زنادة ومزاة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من اصحاب واصل بن عطاء ، وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد الاباضي الحاراج على القنائم محمد بن عبيد الله عليه السلام من اهل سماطة ومن فراعنتهم ، قتل خليلاً صاحب ديوان المغرب وميسوراً الخادم صاحب جيش المغرب واتسق له من الظلم والعدوان ما جعل الله بغيه نكلاً عليه .

٥٠ - وكانت القيروان اعظم مدينة بالمغرب واكثرها تجراً واموالاً واحسنها منازل واسواقاً ، وكان فيها ديوان جميع المغرب واليهما تجي اموالها وبها دار سلطانها ، وبظاهرها المكان المدعو رقادة وهو مدينة كانت منازل لآل الاغلب .

٥١ - وسمعتُ أبا الحسن بن أبي عليّ الداعي المعروف كان بحمدان قرمط ، وهو صاحب بيت مال أهل المغرب يقول في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، دخل المغرب من جميع وجوه أمواله وسائر كوره ونواحيه واصقاعه عن خراج وعشر وصدقات ومراع وجوال ومراصد ، وما يؤخذ مما يرد من بلد الروم والاندلس فيُعشّر على سواحل البحر ، وما يلزم الحاراج من القيروان الى مصر ويلزم ما يرد منها من الورق والمقوم بقيمة العين والعين المجتبي من هذه الوجوه ، فيكون من سبع مائة ألف دينار الى ثمان مائة ألف دينار ؛ قال : ولو بُسّطت يده فيه لبلغ ضعفه وإن قصر عن ذلك فالقليل . وسمعت هذه الحكاية بعينها واللفظ بصيغته من زيادة الله أبي نصر بن عبد الله بن القديم في سنة ستين ، يذكرها عن نفسه وكان صاحب الحراج بافريقية وجميع المغرب ، وكأنهما تفاوضا القول وعلمنا وجوه ذلك ، وما يدخل فيه من ارتفاق اصحاب الاعمال واستثنائهم بما يزيد على القوانين في ايديهم ، وما أبعد ان يكون ذلك كذلك لما تبينته في ضمان برقة وحالها ، وكان جميع المغرب في أيام آل عبيد الله يُعمل بالأمانة من غير ضمان حتى تُقبّلت برقة ، وليس بجميع المغرب ضمان غيرها .

٥٢ - فأما ما يُجهّز من المغرب الى المشرق فالمولودات الحسان الروقة ،

كالتي استولدهنّ بنو العباس وغيرهم وأكبر رجالهم وولدن غير سلطان عظيم : كسلامة البوبريّة أم أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، وقرطيس ام ابي جعفر هرون الوائق بن المعتصم ، وقتول ام ابي منصور محمد القاهر بن المعتضد ، وغير من ذكرت من ملوك المشرق ، وأمراة ، والعلمان الروقة الروم والعنبر والحري والأكسية الصوف الرفيعة والدينّة الى جباب الصوف وما يُعمل منه ، والانطاع والحديد والرصاص والزبيق ، والحُدم الجلوبون من بلاد السودان والحُدم الجلوبون من ارض الصقالبة على الاندلس . ولهم الحيل النفيسة من البراذين والبغال الفُرّه والابل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوانات الرخيص . فأما أسعارهم على تنائي مدنها وديارهم فعلى غاية الرخص في الأطعمة والاغذية والاشربة واللُحُمان والأدهان ، ولهم من جيّد الفواكه والشمور والأرطاب وسائر الاغذية، وعندهم من الجمال الكثيرة في براريهم وسكّان صحاريهم التي لا تدانيها في الكثرة ابل العرب .

٥٣ - هذا الى طاعتهم لمن ملكهم فتقّهم ونفّارهم عنّ أهلهم وأغفلهم وليس في بلدانهم من الفواحش الظاهرة وتعاطي الامور المنكرة كالعيدان والطناير والمعازف والنوائح والقيان والمُحْتَشِن والفسق الشنيع ما بكثير من المواضع ، وقد يعرض في بعض نواحيهم من التهور الشديد والجنون العتيد وبذل السيف وبنار الطيش، ويوجد عندهم فيمن رقّ أدبه وحسن عمله من هذا وجوه فاسدة وحجج فيمن يقول به ويستحسنه داحضه . وفيهم خاصّة بغير هذه الصفة لم يزالوا تسوهمهم وتتوق نفوسهم الى ورود المشرق بسعة أخطارهم وفاشي مروآتهم ، فيزدادون ظرفاً وأدباً ومحتدأً وفروسيةً وعملاً في جميع وجوه الفضل وسبُل النبل . وكان ممن قديم مصر بهذه الحال قديماً محمد بن هواسا ، وكانت فيه آلة من آلات الحير ، وكان تائناً فاكتنفه السلطان بمصر واستخدمه لبسالته وشجاعته ورياسته ، فقدّم في كل حال من الجميل ، والحير وكان يتخرّق في نفقاته ويتسّع في صدقاته ويتناهى في معروفه وطلباته ، وكان اذا نصبت موائده فتحت ابوابه ورفعت ستوره وحجابُه ، وبلغ الداخل عليه جميع آماله بل

أناف على رجائه بإجماله وحسن فعاله . واليه توهيب بن سعيد وكان يتعاطى الزيادة على ابن هوشا وغيره من منتحلي المحاسن ومكتسبي المكارم . وبنو مُصعب وكانوا ثلاثة نفر من بعد هؤلاء بزمان ، وأدركتُ من شاهدهم في غاية الكمال من أمور الدنيا والآخرة واختلّت أحوالهم بتغير الزمان والسلطان وانتقال الولايات بمصر ، فلم يفارقوا عاداتهم ولم يُخِلُّوا برسمٍ لمن كان يرسمهم الى القيام بمن جاور أسبابهم واتصل بأقبايعهم ، وقبروا مستورين في آخر نعمهم . وأبو الحسن البازمي وكانت اميراً مع الماذرائيين مجبوراً على الامارة ، يذهب بنفسه عن احوال الوزارة الى التواضع بدم الدنيا وقلّة الحفل بالمقبل منها ، ولحق الاخشيذ فأحسن اليه وبالغ في إكرامه وزاد في أرزاقه وجرايته ؛ وكان يقول : ابو الحسن طريق المعروف والسيل الى صلاح الخاصة والعامة ، والقاضي حقه كلقاضي حق نفسه لأن اكتسابه المحامد به حال لا تجدها مع سواء ولا تراها مع غيره .

٥٤ - ويقارب القيروان سجلماسة في صحّة الهواء ومجاورة البيداء ، مع تجارة غير منقطعة منها الى بلد السودان وسائر البلدان وأرباح متوافرة ورفاق متقاطرة ، وسيادة في الأفعال وحسن كمال في الأخلاق والاعمال ، يخرجون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملاتهم وعاداتهم الى عملٍ بالظاهر كثير ، وتقذّم في أفعال الخير شهير وحنوّ بعض على بعض من جهة المروءة والفتوة ، وإن كانت بينهم الحنات والترات القديمة تواضعوها عند الحاجة واطرحوها رياسةً وسماحةً وكرم سجيّة تختصهم ، وأدب نفوسٍ وقف عليهم بكثرة أسفارهم وطول تغرّبهم عن ديارهم وتعزّبهم من أوطانهم . ودخلتها في سنة اربعين فلم ار بالمغرب اكثر مشائخ في حسن سمّتٍ وممازحةٍ للعلم وأهله الى سعة نفوس عالية وهم سامقة سامية . وسائر ارباب المدن دونهم في اليسار وسعة الحال وتتقارب بالعصية اوصافهم وتتشاكل أحوالهم . ولقد رأيتُ باودغست صكّاً فيه ذكرُ حقٍ لبعضهم على رجل من تجار اودغست ، وهو من اهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيتُ ولا سمعتُ بالمشرق لهذه الحكاية شبيهاً ولا نظيراً ، ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستطُرِفَت . ولم يزل المعتزّ

أيام ولايتها وهو أميرها يجتنبها من قوافل خارجة الى بلد السودان وعُشرٍ وخراجٍ وقوانين قديمةٍ ، على ما يباع بها ويُشترى من لابل وغنم وبقر الى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية وفاس والاندلس والسوس واغامت الى غير ذلك مما على دار الضرب والسكة زهاء أربع مائة ألف دينار ، تختص بها وبعملها . وقد ذكرتُ أن ارتفاع المغرب من اوله الى آخره من ثمان مائة ألف دينار الى ما زاد على ذلك ببسير ، وربما نقص الكثير ، وجباية سجلهاسته تختص بها وبعملها ، وتكون خمسة أيام في ثلاثة .

٥٥ - والبربر السكان بالمغرب فقبائل لا يُلمح عددهم ولا يُوقف على آخرهم ، لكثرة بطونهم وتشعب أفضاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري ، وجميعهم من ولد جالوت إلا اليسير منهم ، وفيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم ، والمال فيهم من الماشية كثير غزير ومن المتعزبين الموحلين في البراري صنهاجة اودغست . وسمعت أبا اسحاق ابراهيم بن عبدالله المعروف بقرغ شغلته وهو صاحب الدين والصك الذي قدمتُ ذكره باودغست يقول : سمعتُ تنبروتان بن اسفيلشر يقول وكان ملك صنهاجة اجمع أنه يلي امرهم مذ عشرين سنة ، وانه لا يزال في كل سنة يرد عليه قوم منهم زائرين له لم يعرفهم ولا سمع بهم ولا مقلتهم ، قال : ويكونون نحو ثلاثمائة الف بيت من بين نواالة وخصص ، وكان المملك في اهل هذا الرجل لهذا القبيل مذ لم يزالوا ، وحدثني ايضاً ابو اسحاق ابراهيم بن عبدالله أن قبيلة من قبائل البربر قصدت فاحية اودغست للايقاع بأل تنبروتان ، في جمع كثيف وعُدّة قويّة وعِدّة عظيمة قلتمس غرة وتمتبل فرصة عن طوائل حدثت مع بعض صنهاجة ، وبلغ ذلك تنبروتان ملكهم هذا وأعيد عليه ذكرهم وحالهم ومقصدهم في طريقهم دفعاتٍ ، فلم يُعبد جواباً فيه ودعا برعاة كانوا لأخته ، وكانت أيسر اهل قبيلتها وأكثرهم مالاً من حيث لا يعلم احدٌ ، وقال لهم : أنتم على مياه فلانة وفلانة وبنو فلان يردون ناحيتكم ليلة كذا وكذا ، فاذا كان في سُحرة تلك الليلة فاعتمدوا هيج الابل التي هناك بأجمعها على الشرف الفلاني ونفارها على

القوم ، واكتسبوا على ما أقوله عن انفسكم لتناولوا به مني خيراً ان شاء الله . وأتى القوم فنزلوا ونفّر الرعاة الإبل فصبّت على المكان والجيش الذي به ، فأنت على جميع من كان منهم مع إبلهم وسلاحهم دوساً لهم ووطناً عليهم حتى استفاض جميع من باودغست ومن بعد عنها من أعدائهم ، أنه لم يعرف لواحد منهم حلية بوجه من الوجوه ولا أثر لشيء مما كان معهم ، حتى جعلوه شذراً مذكراً ، وكان رعاتها هناك مائة ومع كل راع منهم مائة وخمسون جملاً ، وأصبحوا اليه يهثثونه وقد كفاهم الله شرهم .

٥٦ - وملك اودغست هذا يخالط ملك غانه ، وغانه أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدخرة من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدمين من ملوكهم وله ، ويهادي صاحب كوغه وليس كوغه بقريب من صاحب غانه في اليسار وحسن الحال ويهادونه ، وحاجتهم الى ملوك اودغست ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام ، فإنه لا قوام لهم إلا به وربما بلغ الحمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار .

٥٧ - وفيما بين اودغست وسجلماسه غير قبيلة من قبائل البربر متعزّيون لم يروا قط حاضرة ولا عرفوا غير البادية العازبة ، فمن ذلك شرطة ومسمطة وبنو مسوفاً قبيل عظيم من المقيمين بقلب البر على مياه غير طائفة ، لا يعرفون البر ولا الشعير ولا الدقيق ، وفيهم من لم يسمع بهما إلا بالمثل . وأقواتهم الألبان وفي بعض الاوقات اللحم ، وفيهم من الجلد والقوة ما ليس لغيرهم ، ولهم ملك يملكهم ويدبرهم تكبره صنهاجة وسائر أهل تلك الديار ، لأنهم يملكون تلك الطريق . وفيهم البسالة والجرأة والفروسيّة على الإبل والحفّة في الجري والشدة والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله والهداية فيه ، والدلالة على مياهه بالصفة والمذاكرة ، ولهم الحس الذي لا يدانيه في الدلالة إلا من قاربهم وسعى سعيهم . فإنه يحكى عن أهل فرغانه واشروسنه واسيجاب وخوارزم من الهداية والاستدلال في الظلام والليل البهيم بغير نجوم ، والنهار المنطبق بالقتام

والركام وسقوط الثلج ، بحيث يُنكر المرء من لديه على خطوات ولا يراه للضباب ، وهم في ذلك يجرون ويسرون وقد استوت فجاج الأرض وأوعارها وجبالها وأوديتها بما استولى عليها من الثلوج ، فصارت كالمستوية الأرجاء وهم يغازون فيقول قائلهم : أين نحن وعلى أي أشجار نسير وبأي وادٍ وعلى أي قُترٍ من الجبل الفلاني أنتم ؟ فلا يخرج مجيبه فيما يجيبه به عن نفس الحقيقة والموضع الذي سأل عنه . ولقد قال أحدهم لمن سأل : نحن على الشجرة الفلانية من بلد كذا وكذا وما رآه سائله بل أنت عن تلقائنا ؛ فوجد الأمر على قول الجيب . ورأيت من بعض هذا القبيل وقد أثيرت جمالاً أراد هذا الرجل بعضها وقد قعد على طريقها وهي نافرة شاردة ، وكانت بأجمعها فحولاً بُزلاً فقبض على كراعها وهو نافر وقد ساواها في العَدْو ، فنعه الحركة الى أن ضرب به الأرض ونحره فكانه نحر عنزاً أو قصد جدياً . ولهم خلق تامٌ وحول وجلد عام في نساءهم وفي رجالهم ، ولم يُر لأحدهم ولا لصنهاجة مذ كانت من وجوههم غير عيونهم ، وذلك أنهم يتلثسون وهم أطفالٌ وينشؤون على ذلك ، ويزعمون أن الفم سوءة تستحق الستر كالعورة لما يخرج منه إذ ما يخرج منه عندهم أنثى مما يخرج من العورة . ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جمَلٍ وحمل ، ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان وبذلك قوام بعض شؤونهم .

٥٨ - ومن بأداني سجلماسة والمغرب من البربر يأكلون البُرّ ويعرفونه والشعير ويزرعونه والتمور والطيبات . وفي أعراضهم أصحاب البرانس المقيموث بين السوس واغامت وفاس ، ولهم لوازم على المجتازين من فاس الى سجلماسة يلزمونهم على ما معهم من التجارة ويحفرونهم . وفي كثير منهم الشراية والتدين القوي بها والتسك بها . وفي بعضهم الاعتزال والعلم ومن بالسوس ونواحي كدعه شعبة ، وفي اخبارهم أن بعض شرايتهم ركب في فئة من قومه فلقى نفرأ من اصحاب اصل بن عطاء بنواحي زنانة ، فبدر اليهم وقال : من أنتم ؟ وكان المسؤول كسناً جديلاً فقال : مشركون نحب ان نسمع كلام الله ، وكان يجب عليهم

لوازم فيما معهم من المتاع . فقال السائل : أريحوا وانزلوا على هذا الماء «لتسمعوا وتبلغوا مأمنكم»^(١) كما امر الله تعالى . فأنزلوهم وأضافوهم وعلفوهم وأكرمهم وبلغوهم ولم يُلزمهم شيئاً وأجازوهم الى متوسط بلاد المغرب . وجميعهم يبيعون البلاد للمراعي والزرع والمياه لورود الابل والماشية . وفي كثير منهم ألوان حسنة ومحاسن فائقة في خلقهم وأبدان نقيّة ، حتى يأخذوا في جهة الجنوب فتستحيل ألوانهم وأبشارهم وفيهم اصحاب ماشية وخيل وبغال وتناج يقتنون الرّمك ويستنتجون البغال وغيرها ، ومنهم من لا يقدر لعوز الماء على غير الابل واليسير من المعز ولناي الماء عنه .

٥٩ - وبين المغرب والبلدان التي قدّمت ذكرها وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذّرة المراعي ، لا تسلك إلا في الشتاء وسالكها في حينه متصل السفر دائمُ الورود والصدّر .

٦٠ - ومن بالسواحل من البربر بنواحي الهبط وأرض طنجة وازيلي وفاس والسوس وتامدلت ، ففي خفص من العيش وطيبة المآكل وخاصة من بالهبط في ضمن عبدالله بن إدريس بن إدريس بن عبيد الله بن إدريس ابن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم اجمعين ، وفي غاية من الحصب ورخص الاسعار والليذ من الاغذية الحسنة وكانت حالهم فيما تقدّم أزيد من هذا الوقت صلاحاً ، وقد تغيّر بعض ما أدركته في سني نيّف وثلاثين من حالهم .

٦١ - وفي وقتنا هذا فقد قدّمت أحوالهم وصلحت امورهم وعمر طريقهم ، ولم يزل اهل هذا النسب منظوراً اليهم ، مرعية حقوقهم عند بني أمية على سالف الدهر ، وأدركت عبدالرحمن أبا المطرف بن محمد ابن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، يحافظ عليهم مرّة ويسوقهم بالعصا مرّة لما كان تظاهر به أبو العيش من قبح السيرة وخبث المعاملة لبني السبيل وكثرة الغيلة ؛ وذلك أن عبدالرحمن هذا وأهله يملكون الاندلس

١ - (لتسمعوا ... مأمنكم) قابل سورة التوبة (٩) الآيتين ٥ و ٦ .

ومحاذون هذه الناحية ، وبينهم أصل الخليج الخارج الى بلد الروم عن قرب مسافة ما بين العدوتين ، حتى أنهم ليرى بعضهم ماشية بعض وصور أشجارهم وزروعهم ، ويتبينون الأرض المفلوحة من أرض البور وعرض الماء في ذلك يكون اثني عشر ميلاً . وأما حكم اصحاب طنجة المذكورين عند المهدي والقائم ومن تقدم من ملوك المغرب فعلى سبيل الرعاية والصيانة ، كانوا يفدون ويوزرون ويكرمون ويبجلون ويحملون ويوصلون ويصرفون على ما يحبون .

٦٢ - وقد أعدت في غير موضع ما استكثرت من عدد احياء البربر وقبائلهم الذين تجمعهم أبوة جالوت ، وكأني ببعض المتصفحين لكتابي هذا يستثقل ذلك ولا ينزله منزلته . وقد أعدت بهذه الصفحة وما يتلوها ذكر ما وقع اليّ من اسماء قبائل صنهاجة وبطونها وأفخاذها وعصبتهم وهم : انكيفو وبني ماركسن وبني كاردमित وبني سيغيت وبني صالح وبني مسوفا ، وبني وارث وبني توتك وسرطه وسططه وترجه ومداسه ، وبني لموتونا ومغرسه ومومنه وفريته ولططه ومكوانه وانيسكارت ، فهذه قبائل صنهاجة الخللص ، وأما بني تانك ملك تادمك والقبائل المنسوبة اليهم فيقال أن اصلهم سودان ابيضت أبقارهم وألوانهم ، لقربهم الى الشمال وبعدهم عن أرض كوكو وهم لأمتهم من ولد حام ، وهندزه ومكيتة وكلماته وانكرياغن وكركه وايلغموتن ، وكطوطاوه وسكره وبلغلاغه واندين وهاكته وانزيرن وايزواغن ، وكيلتموني وكيلمكزن وكيلفروك وفداله وكلساندت وكيل دفر ، وبني بزار وايمكدون وايكوفان وانككلان وايسطافن وايفكرن . ويقول آخرون بل من صنهاجة انفسهم ، واحتجّ ملحق بني تانك ببنة حام بقول الكندي أن البيضان اذا تناسلوا في بلد السودان سبعة ابطن عادوا في سحنتهم وبسوادهم ، واذا توالد السودان في بلد البيضان سبعة ابطن عادوا في صورتهم وخلقتهم من البياض والنقاء ، وليس بمثل هذه الدعوى يتكلم على الأنساب ويقرّ منكر بني تانك بأن بني تانكيزت منهم . ومساطه آل يوسف بن زيوي بن مناد خليفة آل عبيد الله أصحاب المغرب على المغرب ، وبلكين يوسف بن زيوي بن مناد

٥٠ صاحب المغرب يومنا هذا ومملكته مذ يوم شخص أصلي تميم عنه ،
ومن قبائل صنهاجة الخارجة [.] ^(١) وبني عمر زيوي وقبيلته
يسو ويافرين ويايمكتن ويايتوتين ويايتروين وياوازين واسواله ، وبني كميله
وبني ورتاف ويايزقارت وتلكاته ، وسيد ملوك تادمكة في وقتنا هذا
فسهر بن الفاره ويناو بن سبنراك وهم الولاة وفيهم رياسة وعلم وفقه
وسياسة الى علم بالسيز واضطلاع بالأثر والحجر وهم بنو تاندك .

٦٣ - ومن قبائل البربر الخارجة عن صلب زناتة : بنو مغراوه وبنو
وتاجن وبنو يلوما وبنو يزلن وبنو يزموتنا وبنو زاوين وبنو امندرين
وزواوه ومكلايه ، وبنو ملنتيس وبنو واريقن ووزارته وبنو سنوس
وبنو يانكانس ، واي سراوسن وبنو بوكسن وبنو يوجين وبنو يوجلين
وبنو تيكرت ، ومريطاطه وبنو يغمريقن وبنو يلغل وبنو يلاسيكشن
يريد قوم الله ، وبنو نفوريت ومنجسه ودانه وزواوه ونفزه وبنو
واريفن وبنو يرنان ، وبنو امزيور وبنو وارونيفن وبنو صندرين وبنو
بطوي ، وبنو غرميست وكرتاياه وفنازه وبنو ورياغن وبنو
مطكوداسن ، وبنو مومناسن وبنو مستيزين وبنو غمرت وبنو يسوكين ،
وبنو طارق وبنو مومان وبنو احوب وبنو مستينين وبنو ورتيزان
وبنو غليان ، وبنو ومانثوا وبنو وريليتس وبنو وفا وبنو يليان ، وبنو
لوه ورجه وبنو ويسروكن وبنو تدرج وبنو وصين وبنو مصناث ،
وبنو بوليت وبنو سبلين وبنو سيكرين وبنو غفاوسن ، وصدينه وبنو
وكلاذن وبنو وطوف وبنو غرزوات وبنو سغماز ، وبنو يوزال وبنو
تزارت وبنو زوراغ وبنو شلكات وبنو يوراسن ويغمرة . وهؤلاء
عصبة زناتة من لواتة ومزاتة وهم بنو خطاب ملوك مزاتة وهم من مزاتة
أنفسهم . وبنو يكداين وبنو يزدرن وبنو عكاره ورماته ونجاسه . وسيد
بني خطاب اليوم أبو عبد الله مبارك بن عيسى بن خطاب بزويله مطاع

١ - [.] الظاهر أن يفقد هنا بعض الكلمات في الأصل ولا يستبعد أن كان
أول الفقرة المفقودة كلمتي (عن صلب) كما فيما بعد في مبتدأ ذكر قبائل زناتة ثم اسم الجد
الذي تنسب اليه القبائل التالية أسماؤها .

في أدانيه وأباعده ، ورهطه بنو مزليكش وفيهم المملكة وهم آل خطاب
 عليّة مزاته . وبلكاوه واسيله وفطناسه وسمتيسه وكلله وبنو دوف ،
 وبنو مندره وبنو دوسين وبونيسه الأشرار الأنكاد الأقدار ، وبنو
 اجرفزان وباجابه وبنو سدوين وبنو غيلين وبنو يرمزيان ، وبنو الحكم
 وزهاته وبنو عبد الملك وبنو يفوكسن ونسيده وورديغه ، ورزيغه
 وكرداسه ورهاوه وبنو ايكلان وورزيغه ، وبنو سفتلن وبنو يطوفه
 وبنو الاسوار وبنو عاصم وبنو يزتاسن ، وبنو مكسن وبنو ويان وبنو
 زعرور وبنو اسمعيل وبلاجه ، وعنزوره واكوده ومزوره وفرطيطة
 ومقرطه وبنو كملان ، ومن قبائل زناته ايضاً [....] ^(١) وبنو يفرن قبيل
 يعلي بن محمد وهم ولديه في غاية البلاء مع يوسف بن زيري وقتلنا
 هذا . وبنو واسين ومطاره وبنو واصل وبنو حمزة وبنو وابوط
 ومكناسه وبنو تيغرين ، ومسغونه وبنو ياكرين ، وملوك زنانة بنو
 ورزمار ، وكان منهم محمد بن الحخير بن محمد بن خزر وعطيّة ومقاتل
 ولقيمان وخزرون بن فلفل قاتل ابي عبدالله بن المعتز صاحب سجالماسه ،
 وكان ابو عبدالله بن المعتز قتل اخاه المنتصر وهم اثنا عشر رجلاً . فأما
 محمد بن الحخير فانه قتل نفسه بيده ، اذ بايته يوسف بن زيري خوفاً من
 ان يأسره وكان أجمل قومه ، وكان محمد ابو عبدالله بن خزر وعطيّة
 فارسى زنانة ومقاتل اخوهما بالسوس حي . وبنو ستانة وبنو دركموت
 وبنو مسكن وبنو لنت وكورايه وسندراته ؛ وبنو زنداج وبنو ورسفيان
 وورداجه وبنو دمر وبنو سنجاسن .

٦٤ - ولو قلتُ أني لم اصل الى علم كثير من قبائلهم لقلتُ حقاً ، اذ
 البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهر في شهر ، والعلماء
 بأنسابهم واخبارهم وآثارهم هلكوا ، وكنتُ قد اخذتُ عن بعضهم رسوماً
 أثبتتها ولم ارجع منها الى غير ما قدّمته من ذكر قبائلهم .

الأندلس

١ - فأما الاندلس فهي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه بحالٍ سآتي بأكثرها . ودخلتها في أوّل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، والقّيم بها أبوالمُطَرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان . وطولها شهر في عرض نيّف وعشرين يوماً . وفيها غامر واكثرها عامر مأهول ، ويغلب عليها المياه الجارية والشجر واليبر والأنهار العذبة ، والرخص والسعة في جميع الاحوال الى نيل النعيم والتلّك الفاشي في الخاصة والعامة ، فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنهم وصلاح بلادهم ، ويسار ملكهم بقلّة كُلفه ولوازمه وسقوط شغله بشيء يحذره وحال تخيفه ، اذ لا رِقة عليه لأحد من أهل جزيرته ولا خشية له من عدوّ ينصب لهلكته ، مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله . وبما أدلّ بالقليل منه على كثيره وغزيره أن سكّة دار ضربه على الدنانير والدراهم ضماؤها في كل سنة مائتا ألف دينار ، ويكون عن صرف سبعة عشر بدينار ثلاثة آلاف وأربع مائة الف درهم ؛ هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعاره وضمائنه ومراصده وجواليه ، وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة اليهم والصادرة عنهم والرسوم على بيوع الأسواق ، ومن اعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر احلام اهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم ، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية

والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد والابطال، وعلم مواليها عليهم السلام بحملها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها .

٢ - فأما مغرب هذه الجزيرة فمن مدخل خليج المغرب المذكور ومصبّ مائه على البحر المحيط من نواحي لبله وجبل العيون ، آخذاً على لب وشلب الى أن يتصل بشنتره والنهر الآخذ من سموره مدينة الجلالة الى موضع مصبه من البحر المحيط ، وشمالها فمن شنتره ذاهباً على نواحي سموره وليون ويونه من بلاد جليقيه ، الى اقاصي بلد جليقيه ، ومشرقها فمن مشارق جليقيه الى الخليج المغربي على نواحي سرقة وضواحي وشقه وطرطوشه وجميع بلاد الافرنجة من جهة البر ، وجنوبها الخليج المذكور من بجانه الى اتجاه جزيرة صقلية على بلاد بلنسية ومُرسيه والمريّة ومالقه والجزيرة الى ركن البحر المحيط .

٣ - وأوّل ارضها المعبورة على الخليج الرومي ، فمن أشبيلية ثم الجزيرة ويستمر على المريّة الى افرنجيه ، ويعود على ارض جليقيه الى شنترة الى اخشنه على البحر المحيط . وأما حد مُدُونه ومُرسيه وما صاقبها من ارض بلنسية الى طرطوشه وهي آخر المدن التي على البحر المتصل ببلد الافرنجة فهي تغور تتصل من جهة البر ببلاد غلبشكش ، وهي بلاد حرب للروم ، ثم تتصل ببلد بشكونس وهم ايضاً نصارى الجلالة . فينتهي من الاندلس حدّان حدّ الى دار الكفر وحد الى البحر المحيط . وجميع ما ذكرته من المدن على البحر فمدن كبار عامرة مشحونة بالمرافق التي يفتخر بها اهل النواحي في بلادهم ومنابرهم ، ولم تزل الاندلس في أيدي بني مروان الى هذه الغاية .

٤ - ومن مشاهير مدنها القديمة : جيان وطليطله ووادي الحجاره ، وجميع مدنها قديمة أزلية لم يُحدَث بها في الاسلام غير مدينة بُجانه ، وهي المريّة وهي على حدود رستاق لبيرة وشنترين ايضاً على ظهر البحر المحيط مُحَدّثة .

٥ - وبالاندلس غير طراز يرد الى مصر متاعه وربما حمل منه شيء الى اقاصي خراسان وغيرها . ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجوّاري

والغلمان الروقة من سبي افرنجيه وجليقيه والخدم الصقالبة ، وجميع من على وجه الارض من الصقالبة الحُصيان فمن جَلَبَ الاندلس ، لأنهم عند قريهم منها يُخَصَّون ويفعل ذلك بهم تُجار اليهود والصقالبة قبيل من ولد يافث ، وبلدهم مستطيل واسع ولغزاة خراسان من ناحية البُلغار بهم اتصال ، فهم اذا سُبوا الى هنالك تُتركوا فحولة على احوالهم مقرورين على صحّة أجسامهم ، وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشق بلدهم ويستمر مغرباً الى نواحي اطرايزنده ثم الى القسطنطينية ويقطع ناخيتهم بنصفين : فنصف بلدهم بالطول يسببه الخراسانيون ويصلون ، والنصف التامالي يسببه الاندلسيون من جهة جليقية وافرنجية وانكبردة وقلورية ، وبهذه الديار من سبيهم الكثير باق على حاله ، وسأذكر جميع ما بها من المجالب في جملة ما يرد من المغرب من التجازة والجهاز .

٦ - ومن معاظم كور الاندلس ربه ومدينتها ارجذونه ؛ ومنها كان عمر بن حفصوت الخارج على بني أمية وفحص البلوط متصل بديار ابن خفصون وربه كورة واسعة خصبة . واسفقه رستاق أيضاً حسن ومدينته غافق . وبالاندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تَدَنَّ ، وهم على دين النصرانية روم ، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم الى حصن فطال جهادهم لأنهم في غاية العتوّ والتمرد ، واذا خلعوا ربة الطاعة صعب ردهم إلا باستئصالهم ، وذلك شيء يصعب ويطول . ومارده وطليلته من أعظم مدن الاندلس وأشدّها منعة ، وتغور الجلالة مارده ونفزه ووادي الحجارة وطليلته تلي مدينتي الجلالة التي تعرف بسموره وليون ، وليون مسكن سلطانهم وعدّتهم بعد سموره ، واويط من كبار مدينتهم وهي بعيدة عن بلد الاسلام . وليس في أصناف الكفر الذين يلوث الاندلس أكثر عدداً من الافرنجة ، غير أن الذي يلي المسلمين منهم ضعيفة شوكتهم قليلة عدّتهم وعدّتهم ، وفيهم إذا ملكوا طاعة وحسن نصيحة ومحاسن كثيرة . واليه يوجب أهل الاندلس عن الجلالة بأولادهم ، والجلالة أحسن وأصدق محاسن وأقل طاعة وأشد بأساً وقوة وبسالة ،

وفيهم غدر وهم في عرض طريق الافرنجة .

٧ - وأعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه ، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال ، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ، ويزعم قوم من سافرتا الواصلين الى مدينة السلام أنها كأحد جانبي بغداد ، وذلك أن عبد الرحمن بن محمد صاحبها ابتنى في غربها مدينة وسماها بالزهراء في سفح جبل حجر أملس يعرف بجبل بطلش ، وخطّ فيها الأسواق وابتنى الحمامات والحانات والقصور والمتنزهات ، واجتلب اليها العامة بالرغبة وأمر مناديه بالنداء في جميع أقطار الاندلس : ألا من أراد أن يبتني داراً أو أن يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله من المعونة أربع مائة درهم ؛ فنسارع الناس الى العمارة وتكاثفت الأبنية وتزايدت فيها الرغبة ، وكادت الأبنية أن تتصل بين قرطبة والزهراء ، ونقل اليها بيت ماله ودويانه ومحبسه وخزائنه وذخائره . وقد نُقل جميع ذلك وأعيد الى قرطبة تطييراً منهم بها ، وتشاورماً بموت رجالهم فيها ونهب سائر ذخائهم .

٨ - وسمعتُ غير محصل ثقة ممن يستبطن جبايات البلد وحاصل عبد الرحمن بن محمد أن لديه بما اتجه له جمعه من الأموال الى سنة أربعين وثلاثمائة ما لم ينقص من عشرين ألف ألف دينار إلا اليسير القليل ، دون ما في خزائنه من المتاع والحلى المصوغ وآلة المراكب ، وما يتحمل به الملوك من القنية المصوغية . ولما توفي عبد الرحمن بن محمد سنة خمس وثلاثمائة صار الأمر الى ابنه أبي العاصي الحكم بن عبد الرحمن ، فصادر رجال أبيه وقبض نعم خدمه والوزراء الذين لم يزالوا في صحبته ، فكان الحاصل منهم عشرين ألف ألف دينار ، يتواطأ في علم ذلك أهل الخبرة بهم ويتساوون في معرفة وجوهه ، ولم يكن لهذا المال في وقته في بلد الاسلام شبه إلا ما كان في يد العصفري أبي تغلب بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فإنه كان بما يتعامله خاصتهم بالجزيرة والعراق ، ومقداره يزيد على ذلك حتى قيل أنه كان خمسين ألف ألف دينار ، وأدال الله منه فأخرجه عن يده ومحقه وبدّده ؛ وكذلك عادة الله تعالى في كل ما

كسب من حرام واجتمع بالبغي والظلم والآثام . وصورة ما بالاندلس من المال الذي قدمت ذكره صورة ما للشقيّ بن الشقي ، وقد استحوذ عليه أبو عامر بن أبي عامر صاحب السكة بالاندلس وقتنا هذا ، فهو يلد تفريقه وشقي به من جمعه وباء بلاءه من لم يحظ به .

٩ - وقرطبة وإن لم تكُ كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولا حقة به ، وهي مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ، وفيها لم يزل ملك سلطانهم قديماً ومساكنه وقصره من داخل سورها المحيط بها ، وأكثر أبواب قصره في داخل البلد من غير جهة ، ولها بابان يشرعان في نفس سور المدينة الى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة . والرصافة مساكن أعالي ربضها متصلة مبانيها بربضها الأسفل ، وأبنيتها مشتبكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه . فأما الجنوب منه فهو الى واديه وعليه الطريق المعروف بالرصيف والأسواق والبيوع والحانات والحمامات ومساكن العامة بربضها ، ومسجد جامعها جليل عظيم في نفس المدينة والجلس منه قريب . وقرطبة هذه بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها غير ملاصقة لها ، والمدينة قريبة الحال ودرتُ بسورها غير يوم في قدر ساعة ، وهي نفسها مستديرة حصينة السور وسورها من حجر . ولم تكن الزهراء بذات سور تام . وبها مسجد جامع حسن طيب في نفسه دون جامع البلد في المحل والقدر والكبر . ولقرطبة سبعة أبواب حديد ، وهي فخمة واسعة الحال بحسن الجدة وكثرة المال والتصرف في وجوه التنعم بجيد الثياب ، والكسب من لبس الكتان وجيد الخبز والقز والمتعة بفاره المركوب والمأكول والمشروب .

١٠ - وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن اسباب الفروسيّة وقوانينها ، وإن شجعت أنفسهم ومروا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة ، وما رأيتُ ولا رأي غيري بها إنساناً قطّ جرى على فرسٍ فارهٍ أو بردونٍ هجينٍ ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغني عن احد منهم تخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قوهم . وهم يفرسون على الأعراء من الخيل وما أطبقت قط جريدة

عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس
من يقبض رزقه ويحتم عليه ديوانه ، لأنه مكفي المؤونة بأهل الثغور من
أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ، ولا عدو
عليه سواهم وقلمما يكتوث بهم . وربما طرده في بعض الأحيان سراكب
الروس والتوك البجناكية ، وقوم في جملتهم من الصقالبة والبلاغار ، فينكوا
في اعماله وربما انصرفوا خاسرين خائبين .

١١ - وبالاندلس الزيتي والحديد والرصاص ، ومن الصوف قطع
كأحسن مما يكون من الأرمني المحفور الرفيع الثمن الى حُسن ما يُعمل
بها من الأنماط . ولهم من الصوف والاصباغ فيه وفيما يعانون صبغه بدائع
بجشائش تختص بالاندلس ، تصبغ بها اللبود المغربية المرتفعة الثمنه والحري
وما يؤثرونه من ألوان الخبز والقز ، ويحلب منها الديباج ، ولم يساهم
في اعمال لبودهم اهل بلد على وجه الارض ، وربما عمل لسلطانهم لبود
ثلاثينية يُقوم البلد منها بالحمين والستين ديناراً ، غير انه قد جعل
عروضها خمسة وستة اشبار فهي من محاسن الفُرش . ويُعمل عندهم من
الخبز السكب والسفيق ما يزيد ما استعمل منه للسلطان على ما بالعراق ،
ويكون منه المشمّع فيمنع المطر ان يصل الى لابس . وأما أسعارهم
فتضاهي النواحي الموضوفة بالرخص وكثرة الخير والسعة . وفواكههم مع
طيبة فيها وسطة فكلماباحة التي لا ثمن لها . ويُعمل في اقطار بلادهم من
الكتان الدني للكسوة ويحلب الى غير مكان ، حتى ربما وصل الى مصر
منها الكثير . فأما اريدتهم المعبولة ببجانه فتُحمل الى مصر ومكة واليمن
وغيرها ، ويستعمل عندهم للعامة وللسلطان من الكتان ثياب لا يُقصر عن
الديبقي ما كان منها صفيقاً ، ومن السلس الدقيق ما يستحسنه من لبس
الشرب وبضاهي رفيع الشطوي الجيد . وقل سوق بها يصير اليه اهله إلا
على الفاره من المركوب . ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا اهل الصنائع
والأرذال ، وتختص بالبغال الفُره وبها يتفخرون ويتكاثرون . ولهم منها
نتاج ليس كمثله في معادن البغال المذكورة وأصقاعها المشهورة من ارمينية
والران وباب الابواب وتفليس وشروان ، لأنها تَبْدُنُ . وتصنع وتُنَجب

وَيَجْلَبُ اليهم منها شيءٌ حسن الشيةِ عظيم الخلق كثير الثمن من جزيرة ميرة ، وهي جزيرة لعبد الرحمن بن محمد فيها المسلمون منقطعة ، قلي ناحية افرنجة واسعة الخير كثيرة الثمار رخيصة الماشية لكثرة المراعي ، غزيرة النتاج والمواشي معدومة الجوائح قليلة الآفة ، وليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم في سائقهم . ورأيت منها غير بغل بيع بخمس مائة دينار واليها يرغب ملوكهم براكبهم وإياها يستوطنون ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما يبلغ منها المائة والمائتي دينار فأكثر من أن يحصى ، وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة بحسن السير وسرعة المشي فقط ، بل جمعت مع ذلك عظم الخلق وحسن الشية الى اختلاف الألوان الصافية والشعور الدهنية المشرقة والصحة على مرّ الأيام ، مع الصبر على الكد والعسف .

١٢ - ذكر المسافات بها ، فمن قرطبه الى مراد مرحلة ، ومن مراد الى غرغيره مرحلة ، ومن غرغيره الى اشبيلية يومان وهي مدينة كثيرة الخير والفواكه والكروم والتين خاصة . وهي على وادي قرطبه ومن اشبيلية الى لبله يومان وهي مدينة قديمة أزلية كثيرة الخير صالحة القدر عليها سور ، ومنها الى جبل العيون يومان وهي أيضاً قديمة أزلية كثيرة الخير ، ومن جبل العيون الى لب ثلاثة أيام وهي مدينة قديمة ذات سور ، ومن لب الى اخشنبه مدينة مشهورة عظيمة غزيرة الخير كثرته أربعة أيام ، ومن اخشنبه الى مدينة شلب ستة أيام ، ومن شلب الى قصر بني ورداسن خمسة أيام وهي أيضاً مدينة حصينة ، ومنها الى المعدن وهو في النهر ثلاثة أيام وهي في نفسها صالحة القدر ، ومن في النهر الى لشبونه يوم ، ومن لشبونه الى شنتره يومان ، ومن شنتره الى شنترين يومان ، ومن شنترين الى بيزه أربعة أيام ، ومن بيزه الى جل مانيه يومان ، ومن جل مانيه الى البش يوم ، ومن البش الى بطليوس يعبر النهر يوم ، ومن بطليوس الى قنطرة السيف أربعة أيام ، ومن قنطرة السيف الى مارده يوم ، ومن مارده الى مدلين يومان ، ومن مدلين الى ترجيله يومان ، ومن ترجيله الى قصر اش يومان ، ومن قصر اش الى مكناسه يومان ، ومن مكناسه الى مخاضة البلاط يوم ، ومن المخاضة الى طلييره خمسة أيام ، ومن

طليطلة الى طليطلة ثلاثة أيام ، ومن قرطبة الى بطليوس على الجادة ست
مراحل ، ومن قرطبة الى بلنسية اثنتا عشرة مرحلة ، ومن قرطبة الى
المرية فرضة بجانة سبعة أيام ، ومن المربة الى مرسية خمسة أيام .

١٣ - وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلّات والتجارات
والكروم والعمارات والأسواق والبيوع والحمامات والحانات ، والمساجد
الحسنة يقام فيها جميع الصلوات وليس بجميع الاندلس مسجد خراب .
وفيه مدن يزيد بعضها على بعض في المحلّ والجباية والارتفاع والولاية
والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ، ويقال لأحدهم مخلف ، وليس بها
مدينة غير معبورة ذات رستاق فسيح الى كورة فيها ضياع عداد وأكرة
وسعة وماشية وسائمة وعدّة وعتاد وكراع ، وزروعهم فيما بنحوس حسنة
الربيع كثيرة الدخّل أو أسقاء على غاية الكمال وحسن الحال .

١٤ - ومن قرطبة الى كركويه المدينة وفيها منبر وأسواق وحمامات
وفنادق أربعة أيام ، والمنزل في كل ليلة بقرية آهلة ، ومن كركويه الى
قلعة رباح مدينة كبيرة ذات سور من حجارة وهي على وادي لها كبير
منه شرب أهلها ويزرعون عليه وبها أسواق وحمامات ومتاجر مرحلة ،
والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح الى ملقون مدينة على نهر
لها سور من تراب ، وهي دون قلعة رباح في الكبر ونهرها يعرف باسمها ،
ومن شرب أهلها مرحلة . ومنها الى ابنش قرية فيها فندق وعين منها
شربهم كثيرة الأهل مرحلة ، ومن ابنش الى طليطلة مرحلة وهي مدينة
كبيرة جليلة مشهورة أكبر من بجانه ذات سور منيع ، وهي على وادي
تاجو وعليه قنطرة عظيمة طولها خمسون باعاً ، ويصير واديها الى الوادي
المنصب الى شنتره :

ومن طليطلة الى مغام قرية كبيرة وبها معدن الطفل الاندلسي مرحلة ،
ومن مغام الى الغراء مدينة كبيرة ذات اسواق ومحالّ ويكون نحو
وادياش مرحلة . ومنها الى وادي الحجارة مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال
مسور بحجارة ذات اسواق وفنادق وحمامات وحاكم ومخلف ، وبها يسكن
ولاة الثغور كأحمد بن يعلي وغالب وعليها أكثر جهاد جليقيه . ومنها الى

شعراء القوارير وفيها منهل تنزله الرفاق مرحلة ، ومنها الى مدينة سالم
مرحلة ، ومنها غالب بن عبدالرحمن صاحب الجيش ولها سور عظيم ورستاق
وإقليم واسع وفاحية كثيرة الماشية ، رفقة في جميع اسبابها فائضة الخير
واسعته ، وهي اكثر الاندلس حرباً وغزواً؛ فهذه جملة من أخبار جزيرة
الاندلس .



صقلية

١ - ويلحق بها في حسن الحال بما هو بيد اهل الاسلام صقلية، وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة، طولها سبعة ايام في اربعة ايام . وهي في شرقي الاندلس في ليج البحر وتحاذيها من بلاد المغرب بلاد افريقية وباجة وطبرقة الى مرسى الحرز، وغربها في البحر جزيرة قرشقه^(١) ومن جنوب صقلية جزيرة قوسره^(٢)، وعلى ساحل البحر شرقها من البر الأعظم الذي عليه قسطنطينية مدينة ريو ثم نواحي قلورية، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون وأكثر أرضها مسكونة مزروعة، وليس لها مدينة مشهورة معروفة غير المدينة المعروفة ببارم، قصبة صقلية، وهي على نحر البحر وهي خمس حارات متجاورة غير متباينة ببعيد مسافة، وإن كانت حدودها ظاهرة بيّنة .

٢ - ومنها المدينة الكبرى المسماة ببارم وعليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع، يسكنها التجار وفيها مسجد الجامع الاكبر وكان بيعة للروم قبيل فتحها . وفيه هيكل عظيم ويقول بعض المنطقيين ان حكيم يونان يعني ارسطوطاليس في خشبة معلق في هذا الهيكل الذي قد اتخذه المسلمون مسجداً، وان النصارى كانت تعظم قبره وتستشفى به لما شاهدت يونان عليه من إكباره وإعظامه؛ قال : والسبب في تعليقه بين السماء والارض

١ - (قرشقه) - في معجم البلدان (قرشق) .

٢ - قوسره : - في معجم البلدان (قوصرة) .

ما كان الناس يلاقونه عند الاستسقاء والاستشفاء والأمور المهمة التي توجب الفزعة الى الله تعالى والتقرب اليه في حين الشدة وخوف الهلكة ، وعند وطىء بعضهم لبعض ، وقد رأيت خشبة يوشك أن يكون هذا القبر فيها .

٣ - وتجاهها مدينة تُعرف بالحالصة ذات سور من حجارة . وليس كسور بلرم يسكنها السلطان وأتباعه ، وفيها حمامان ولا أسواق فيها ولا فنادق ، وفيها مسجد جامع صغير مقتصد ، وبها جيش للسلطان ودار صناعة للبحر والديوان ، ولها أربعة أبواب من قبورها ودورها وغربها وشرقيها البحر وسور لا باب له . وحارة تعرف بحارة الصقالبة وهي أعمر من المدينتين اللتين ذكرتهما وأجل ، ومرسى البحر بها وبها عيون جارية بينها وبين صقلية ومياه كالحد بينهما . وحارة تعرف بحارة المسجد المعروف بابن سقلاب وهي كبيرة أيضاً ، وليس بها مياه جارية وشرب أهلها من الآبار وعلى طرفها الرادي المعروف بوادي عباس ، وهو عظيم كبير ومطاحنهم عليه كثيرة وبساتينهم وأجنتهم غير منتفعة به . والحارة الجديدة وهي كبيرة تقارب حارة المسجد ، وليس بينهما فرق ولا فاصلة ولا عليهما ولا على حارة الصقالبة سور . وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب والحارة الجديدة : كسوق الزياتين بأجمعهم والدقاقين والصيارفة والصيادنة والحدادين والصابغة ، وأسواق القمح والطرازين والسماكين والأبراريتين ، وطائفة من القصابين وباعة البقل وأصحاب الفاكهة والريحانين والجرارين والحجازين والجدالين ، وطائفة من العطارين والجزارين والأساكفة والدباغين والنجارين والغضائريين والحشابين خارج المدينة ، وببلرم طائفة من القصابين والجرارين والأساكفة وبها للقصابين دون المائتي حانوت لبيع اللحم ، والقليل منهم في المدينة برأس السماط ويجاورهم القطانون والحلاجون والحدادون وبها غير سوق صالح . ويدل على قدرهم وعددهم صفة مسجد جامعهم ببلم ، وذلك أني حضرت المجتمع فيه إذا غص بأهله بلغ سبعة آلاف رجل ونيّفاً لأنه لا يقوم فيه أكثر من ستة وثلاثين صفّاً للصلاة وكل صف منها لا يزيد على مائتي رجل .

٤ - وبصقلية من المساجد في مدينة بلرم والمدينة المعروفة بالخالصة والحرارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة ، أكثرها قائمة على عروشها بحيطانها وابوابها نيف وثلاثمائة مسجد ، يتواطأ أهل الحبرة منهم في علمها ويتساوون في معرفتها وعددها ، وبظاهرها بما حف بها ولاصقها وبين أجتتها وأبراجها ، ومحال كانت متصلة بالأقرب فالأقرب منها على الوادي المعروف بوادي عباس ، ومجاورة للمكان المعروف بالمعسكر في ضمن البلد متبددة في فحس عباس ، وبعضها في أثر بعض الى المنزل المعروف بالبيضاء ، قرية تشرف على المدينة ، وبينهما نحو نصف فرسخ وقد خربت ؛ هلك أربابها بما دار عليهم من الفتن ، يعرف ذلك جميعهم غير مختلفين في مقدارها ، وإنها تريد على مائتي مسجد . ولم أر لهذه العدة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار التي تستولي على ضعف مساحتها شيئاً ، ولا سمعت من يدعيه إلا ما يتذاكره أهل قرطبة من أن بها خمس مائة مسجد ، ولم أقف على حقيقة ذلك من قرطبة وذكرته في موضعه على شك مني فيه ، وأنا محققه بصقلية لأنني شاهدت أكثره ، ولقد كنت واقفاً ذات يوم بها في جوار دار أبي محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصي الفقيه الوثائقي ، فرأيت من مسجده في مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصري ، ومنها شيء تجاه شيء ، وبينهما عرض الطريق فقط ، وسألت عن ذلك فأخبرت أن القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم ، كان يجب كل واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه ، لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته ، وربما كانا اخوان منهم متلاصقة داراهما متصابقة الحيطان ، وقد عمل كل واحد منهما مسجداً لنفسه ليكون جلوسه فيه وحده . وفي جملة هذه العشرة المساجد التي ذكرتها مسجد يصلي فيه أبو محمد بن القفصي هذا ، وبينه وبين دار ولده له يتفقه دون الأربعين خطوة ، وقد ابنتى ابنه مسجداً الى جانب داره وهو أحد حدودها الأول جديداً مُغلَقَ الباب أبداً ، ويحضر اوقات الصلاة وهو جالس في دهلين داره المجاورة الملاصقة لمسجده ، فلا يصلي فيه . وكان رغبته كانت في ابتناؤه ان يقال مسجد الفقيه بن الفقيه ، وهو حدث له من نفسه محل عظيم وخطر جسيم ، وكأنه لعظم خطره عنده

أنه يُظن ابوابيه أو أنه بغير اب لبأوه وصلفه وحسن ركبته وزيه .
وفي هذه الاربعين خطوة التي ذكرت بين مسجده ومسجد ابيه مسجده
آخر مُعلّق له لإمام وفيه مكتب .

٥ - وبها رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق
والبطالين والفساق متمردين ، شيوخ وأحداث اغاث رثاث قد عملوا
السجادات منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات ، نَقَمَ مُنزلة وبلايا
شاملة وحتوف مصوبة منصوبة ، وأكثرهم يقودون ومنهم من لا يرى
ذلك لشدة الرياء والسُّمعة ، وأكثرهم بالزور تطوعاً يشهدون مع جهل لا
يفرق فيه بين فرض الوضوء وسُنَّته ، ويقصدهم من اعوزه المكان لبطالته
والموضع لعارته فيؤونه وربما يشاركوه بتافه من المأكول على أحوال يقبُح
ذكرها ، وليس هذا الكتاب بما يذكر فيه مثلها . واحسب تأسيسها كان
على غير التقوى حسب ما أسست عليه المساجد المتقدم ذكرها ، فهارت
وباد اهلها بما جتّوه من الفتن والعصيان وشق عصا السلطان ، والله اعلم .
٦ - وكنت ذكرت احوال الخالصة وابوابها وما فيها ، ولم اذكر

بلرم وهي المدينة القديمة ، وأشهر ابوابها باب البحر وسمي بذلك لقربه من
البحر ، وبليه باب احده ابو الحسين احمد بن الحسن بن ابي الحسين لشكوى
اهل هذه الناحية بُعِدَ مخرجهم ، فعمله على نشز مطل على نهر وعين تدعى
عين شفاء ، وبها يُعرف هذا الباب وقتنا هذا ولمن قرب منه مرفق بهذه
العين . ثم باب يُعرف بشتغاث وهو باب قديم واليه باب يُعرف بباب
رُوطه ، ورُوطه نهر كبير يهبط من هذا الباب اليه ، وأصله تحت هذا الباب
وفيه ماء صالح عليه ارحية كثيرة متقاطرة . ثم باب الرياض وهو ايضاً
مُحدث استحدثه ابو الحسين احمد بن الحسن ، وكان بجواره باب يُعرف
بابن قهرّب في موضع غير حصين ، وكانت المدينة قوتلت عليه قديماً فدخل
على اهلها منه معرفة وضرر جسيم ، فسدّه ابو الحسين وأزاله . وبجواره
باب الأنباء وهو اقدم ابوابها ، واليه باب السودان تجاه الحدادين ثم باب
الحديد ومنه المخرج الى حارة اليهود ، واليه باب استحدثه ابو الحسين ايضاً
ولم يُسمَّ باسمٍ ويُخرج منه الى حارة ابي جمين ، وجميعها تسعة أبواب .

وهذه المدينة مستطيلة ذات سوق قد اخذ من شرقها الى غربها يُعرف بالسباط مفروش بالحجارة ، عامر من اوله الى آخره بضروب التجارة ، ويُطيف بها عيون كثيرة منصبة من غربها الى شرقها ، ويكون مقدارها ما يدبر رَحَىّ وعلى ماؤها غير رَحَىّ تَطحن في غير مكان ، ويجاور مصب ماء هذه العيون من حيث بدؤ مسيلها الى حيث مصبها في البحر اراضٍ كثيرة ، تغلب عليها السباخ وآجام فيها قصبٌ فارسي ، وبجائر ومقاصد صالحة . وفي خلال اراضيها بقاعٌ قد غلب عليها البربير وهو البردي المعمول منه الطوامير ، ولا اعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الارض ، إلا ما بصقلية منه وأكثره يقتل حبلاً لمراسي المراكب ، وأقله يُعمل للسلطان منه طوامير القراطيس ولن يزيد على قلّة كفايته .

٧ - وشرب اهل المدينة وهم المجاورون لسورها من نحو باب الرياض الى نحو عين شفاء من مياه هذه العيون ، وباقي اهلها واهل الخالصة وجميع اهل الحارات شربهم من أبار دورهم خفيفاً كان او ثقيلاً من الماء ، وبلدٌ لهم على كثرة المياه العذبة الجارية عندهم ، وذلك لكثرة أكلمهم البصل . وشرب اهل المعسكر فمن العين المعروفة بالغربال وماؤها صالح . وبالمعسكر عين تُعرف بعين التسع دون الغربال في كثرة الماء ، وعين تُعرف بعين أبي سعيد دونها ، وعين تُعرف بعين ابي عليّ ، وكان من بعض ولائهم ، فهي مضافة اليه . وشرب الناحية المعروفة بالغربية ، فمن العين المعروفة بعين الحديد وهناك معدن للسلطان من الحديد يصرف ما يُستثار منه حاجته في مراكبه وقرسطياته ، وكان هذا المعدن لبني الأغلب يُجدي عليهم الكثير ، وهو بقرب قرية تُعرف ببلهرا ، وفيها عيون وانهار تتفجر منها وهي تمد وادي عبّاس وتقويه وهي كثيرة البساتين والكروم . ويحيط بالبلد عيون غير مشهورة وينتفع بياها كالفادوس في ناحية القبلة ، وبها الفؤارة الصغيرة والفؤارة الكبيرة على انف الجبل من البلد ، وهي اغزر عيونهم ماءً وتنصرف هذه المياه الى أجنتهم . ولقرية البيضاء عين حسنة تُعرف بالبيضاء وتتصاقب الغربال والغربية ، وشرب الناحية المعروفة ببرج البطال من العين المعروفة بعين ابي مالك ، واكثر مياه الدبور من اراضي

المدينة لأجنتهم فبالسواني . ولهم اجنة كثيرة الخير وبساتين اعذاء بنجوس لا تسقى كالشأم ، وأكثر مياه البلد والحات من الأبار ثقيلة غير مرثة ، وإنما صرفهم الى شربها رغبة عن شرب الماء الجاري العذب قلّة مروآتهم وكثرة أكلهم للبصل ، وفساد حواسهم بكثرة تغذيتهم بالني منه وما فيهم من لا يأكله كل يوم او يؤكل في داره صباح مساء من سائر طبقاتهم ، وهو الذي افسد تخيلهم وضرر ادمغتهم وحبّر حواسهم وغير عقولهم ونقص افهامهم وبلّد معارفهم ، وافسد سحنة وجوههم وأحال امزجتهم حتى رأوا الأشياء او اكثرها على خلاف ما هي به .

٨ - وما يؤيد قولي ويشهد ببرهانه ما حكاه يوسف بن ابراهيم الكاتب في كتاب أخبار الاطباء ، عند نزوله بدمشق على عيسى بن الحكم وهو المسيح المتطبّب ، قال ذاكرته بالبصل فلم يزل في ذمّه ووصف معائبه ، وكان عيسى وسلمويه بن بيان يسلكان طريق الرهبان ولا يحمدان شيئاً يزيد في الباءة ويقولان ان ذلك يُتلف الابدان ويُذهب الانفس ، فلم استحسّن الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباءة فقلت قد رأيت منه في سفري هذا منفعة ، فسأل عنها فقلت اني كنت اذوق الماء في بعض المناهل فأجده كريهاً ، فأكل البصل وأعاود شربه فأجد حاله قد نقصت ، وكان عيسى قليل الضحك فاستضحك من قولي ثم استرجع بجزع منه وقال : يعز علي ان يغلط مثلك هذا الغلط لأنك صرت الى أسبح نكتة في البصل ، فجعلتها منقبة يا هذا ، أليس متى حدث بالدماغ فساد فسدت الحواس حتى ينقص حس الشم وحس الذوق والسمع والبصر ؟ فقلت : أجل . فقال : إن خاصية البصل لإحداث فساد في الدماغ ، وإنما قلل حسك للملوحة الماء ولكراهيته ما أحدثه البصل في دماغك من الفساد . وهذه قضية عقلية ، فأما نتيجتها فليس بالبلد عاقل ولا فاضل ولا عالم بالحقيقة بفن من فنون العلم ، ولا ذو مروءة ولا متدين والغالب عليه الرّاعاع ، وأكثر اهله سُقاط اوضاع لا عقول لهم ولا دين كامل ، وأكثرهم برقعانه وموال يدعون ولاء قوم افتتحوها وقد هلكوا .

٩ - وحدثني غير إنسان منهم أت عثمان بن الحرّاز ولي قضاءهم ،

وكان ورعاً قد ركنَ الى قوم منهم في العدالة والشهادة، ووقف آخريين عن قبولهم فرفعت اليه امرأة اعتورتها مطالبة في دار لها باطلة، فسألها البيئنة وادّعت ملكَ اليد الى شهود وشهادات معها وأحضرتهم عنده، فاستزادها شهوداً وكان يسكن الى شهادة ابي ابراهيم اسحاق بن الماجلي المعلم، وكان له بأمرها علم وسأله اقامة الشهادة وهو ينكل عنها، الى أن ضمنت له رشوة رباعيات على إداها، فشهد لها بذلك واتفق أن عثمان بادر بامضاء تنفيذ الحكم بشهادة اسحاق وعمل على التسجيل لها بذلك، وطلب اسحاق ما ضمنت المرأة له فدفعته وأبت أن تعطيه ما ضمنت له ظناً بحقها، وثقة أن الشهادة قد قامت وأنها لا تحتاج الى اسحاق ولا غيره، وأحضر الحاكم اسحاق ليبدأ بشهادته على نفسه بانفاذ الحكم للمرأة بشهادته فقال: أعز الله الحاكم هذه الشهادة أنا راجع عنها لامور قد أشكلت علي منها، وكان الحاكم قد حفظ على اسحاق في الشهادة ما لا يجوز معه الرجوع، فاستراب قصته وكشف عنها بالفحص الشديد فظهرت له القصة على وجهها، فكان لا يقبل شهادته ولا شهادة غيره وخرج جماعتهم وأسقط شهادتهم. وصارت اكثر احكامه جارية على الصلح وشك فيهم فلم تثنه اليهم رغبة ولا رهبة الى ان هلك بينهم وحضرته المنية فقال: ليس بجميع البلد من يوصى اليه؛ ودفع ديوانه الى رجل كان بها من الغرباء يعرف بالفضائي من اهل القيروان، وكان يركبه وظهرت هذه القصة لاهل البلد فكانت احدى وسائل ابن الماجلي في إجلائهم واختيارهم له وتصويره حاكماً عليهم وخطيباً لهم، رغبة من بعضهم في مظاهرته على ما يرجوه من الخيانة. وكان اسحاق على قولهم خفيف الوزن شديد الجهل كثير الاعجاب بتخلفه، غير ركين ولا مهيب ولا في سميت القضاة، وحسبك بعلم برقجاني جعل قاضياً!

١٠ - وحدثنى رجل من المقيمين بها يُعرف بأبي الحارث فحل بن فلاح اللهيبي ثم الكتامي، ورأيتُه يُخبر كثيراً من اخبار البلد أنه كان ورجل سمّاه بين يدي اسحاق بن الماجلي بعد ان ولي الحكم بها يوماً وهو في محراب الجامع جالساً ويده قضية لهما في مَهر وهو مُقبل على قراءتها،

فكلما مرَّ له فصل داوم على تقريبه حُسن ما تأتي له من المعاني الجيدة والشروط البديعة واستيفاء اسباب البلاغة ، وهما سكوت وهو مع كل فصل يفعل ذلك الى ان قام من المحراب وكانت فيه متصدراً كالقضاة ، فجلس بين ايديهما ولم يزل يقرأه ويُعيد وصفه ويقول: ما اراكما تسمعان هذه الحكومة التي ما حكم بمنلها والله احد على وجه الارض ، وأعاد قراءتها ثم رجع الى مكانه من المحراب ؛ قال : وكانت ربما مدَّ يده الى الخصوم بالضرب . وأخبرني جماعة منهم أن رجلاً تقدّم اليه بخضم له فراجعته في مناظرته ، وكان بين يديه مقصّ كبير فأخذه واوماً به الى الرجل ليضربه في وجهه ، فأقبل الرجل على نعل اسحاق وكانت بين يديه فتناولها فقال : ولمّ مسست نعلي لتضربني بها ؟ فقال : لا ولكن خشية أن تقصد بالمقص وجهي لأتقي بها منك . وله اخبار كثيرة في انواع من الجنون والخباط ، كان من مجانين المعلمين وحماهم وكان من كبارهم وعليتهم .

١١ - والغالب على البلد المعلمون ، والمكاتب به في كل مكان وهم فيه على طبقات مختلفة ومنازل شتى متباينة من الصُراع والخباط على ما يفوق جنونَ مُعلمي كل بلد وحق كل ناحية ، حتى أنهم المتكلمون على السلطان في سيره واختباراته والاطلاق بالقبايح من ألسنتهم بمعائبه وإضافة محاسنه الى قبائحهم . وبالبلد منهم ما يقارب ثلاثائة مُعلم ولم ينقص من ذلك إلا القليل ، وليس كهذه العدة بمكان من الاماكن ولا في بلد من البلدان ، وإنما توافرت عدتهم مع قلّة منفعتهم لفرارهم من الغزو ورغبتهم عن الجهاد . وذلك أن بلادهم ثغر من ثغور الروم وناحية تحادّ العدو والجهاد فيهم لم يزل قائماً والنفيّر دائماً منذ فتحت صقلية ، وولاتهم لا يفترونه وإذا نفروا لم يفترّوا بالبلد احداً إلا من بذل الفدية عن نفسه او اقام العذر في تخلفه مع رابطة السلطان ، وكان قد سبق الرسم باعفاء المعلمين قديماً بينهم من النواائب وحملت عليهم المغارم ، ففزع الى التعليم ببلهم وحسنه لديهم جهلهم مع قلّة الانتفاع به والجدوى منه ؛ فإن فيهم الكثير تمرّ به السنة فلا يُصيب من جميع صبيانهم وهم كثير عشرة دنانير ، فأبيّ منزلة أقيعُ وصورة أخسُ وأوتعُ من وجل باع ما اوجب الله تعالى عليه من

الجهاد وشرفه والغزو وعزّه بأخس منزلة واوضح حرفة واسقط صنعة ؟ على أنها في اعيان البلاد مع تخريج اولاد السّراة وأهل الامكان عنصر الحذلان ومظان الحرمان ، وبالأجماع منهم ومن كل انسان أن المعلم احمق محكوم عليه بالنقص والجهل والخفة وقلة العقل . ومن اعظم الرزية وأشد البلية وأقطع النازلة أن جميع اهل صقلية ، لصغر احلامهم ونقص درايتهم وبعد أفهامهم ، يعتقدون ان هذه الطائفة اعيانهم ولبابهم وفقهاؤهم ومحصلوهم وأرباب فتاويهم وعدولهم ، وبهم عندهم يقوم الحلال والحرام وتعتقد الاحكام وتنفيذ الشهادات وهم الادباء الخطباء . ولقد رأيت ولداً كان لاسحاق بن الماجلي المعلم القاضي المتقدم ذكره يخطبهم نحو حولين ، يجزم الاسماء مع الصلة ويجرّ الافعال من اول خطبته الى آخرها . وخطبت اديباً كان من اهلها يسعى ويدعي الدراية بجميع الاحوال ، وقد نصب هذا الخطيب ما لم يسم فاعله او رفع منصوباً ، واظنه كان مفعولاً به فقلت : اما سمعت الخطيب وما كان منه ؟ وذكرته له وقد ذهب عني اللفظ فقال : كأنه والله يا سيدي كما تقول غير اننا نحن لا نأبه لمثل هذا .

١٢ - ومن كباثر المذكورين من المعلمين بها في السير والعدالة ، وهو بالضدّ للغباء والجهالة وأشدّهم تقدماً عندهم ابو عبد الله محمد بن عيسى بن مطر ، المعلم في مسجد الزهري بالسماط وقد سافر يشرق ودخل المشرق وكتب الحديث . وأبو الحسن علي بن بانة المعروف بابن ألف سوط وهو اليه في العدالة ، ويراة قوم منهم فوقه في العلم والفقه وظلف النفس ، وكلاهما غيبي عم ناقص رزي المنظر والخبر . وحدثني ابو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بالناشي القروي المتكلم وكنا معاً بصقلية قال : بينا انا واقفاً بالسماط بقرب مكتب ابن مطر احدث اخواناً لي إذ وقف بهم ابن مطر ، فسلموا عليه وسلم علي فرددت عليه وأخذ في صفتي وما أعتقده باقبح عبارة وأبشع لفظ وإشارة ، وقال في خلال قوله لي : يعزز علي بعدك عن الحق ! فقلت : لعن الله أبعدنا عن الحق ، وأقلنا علماً به ! فالتاث لونه وتغير فقال له القوم : قد انصفك لأنه إنما لعن الابعد من

الحق ولم يقصد إلا الاقل علماً بالله فقال : الست عراقي المذهب ؟ فقلت : لا ، وذلك أن أهل العراق يُدعون مرجئة وإنما وسموا بذلك لتركهم القطع على أهل الكبار بالخلود ، واخذت اصف المسئلة بيننا وبينهم فقال : ما أرى قولكم إلا قريباً من قولنا . فقلت : يا هذا إنما أصف لك رأي أهل العراق المذموم عندي وأنا ضدهم . فقال : وكيف ؟ فقلت : نحن نقطع على تخليد أهل الكبار في النار . فقال : ما ظننت يقول بهذا غير أهل العراق . وهو بجعله صباح مساء يكفرهم في كل مقعد ومشهد ويكفر المعتزلة ولا يعلم اعتقادها بين الفرقتين التي هي أشهر أهل المذاهب ، ويطلق اللعن عليهما وهو لا يفرق بين الوعيدي من المرجئة ، وهذه المنزلة اعلى منازل البله . ورحم الله ناقلاً فلقد ظلمته نُقِلَتهُ الاخبار بقطعهم عليه بالانفراد بالجهل . وكنت جالساً بصقلية يوم الجمعة لعشر خلون من رجب سنة اثنتين وستين على دكان المعروف بابن الانطاكي في سماط بلرم ، وكان يوماً مطيراً في الساعة السادسة وعلي القيام الى الجامع وابن الانطاكي معاً والجامع مناً على غلوة ، إذ أقبل ابن الف سوط من نحو الجامع ومنزله بالقرب منه فقلنا : الى ابن ؟ فقال : قد صلى الناس وأنا امضي اتقدم لاشهد جنازة الخطيب . وكان ابن الماجلي الخطيب الذي قدمت ذكر تخلفه توفي ليلة الجمعة هذه ومضى يريد باب البحر واطال ، ثم رجع وقد أُنسنا من الصلاة . فقلنا : الى ابن ؟ فقال : بلغني أنهم ما صلوا بعد فعدت لعلي الحق الصلاة . ومضى فبقينا حيارى في امره نتعاود قلة تحصيله وما يُدفع الناس اليه في شهادة مثله إذ أقبل فقلنا : هيه ! فقال : قد صلوا وأنا ماضٍ لأصلي في المصلّى ! وهذا الرجل عندهم أثبت القوم عدالة وأسفهم منزلة وهذه صورته .

١٣ - وأكثرت عنه وعن ابن مطر وجماعتهم واصفاً قلّة فطنتهم وكمال أفهامهم وحدّة جهلهم وسرعة طيشهم ، وموت يقظتهم وبراعة لؤمهم مع دوام غفلتهم وبشاعة تعاطيهم وكثرة معائبهم وسُخف اغذيتهم المؤكدة جهلهم ، وسوء تخليصهم في كتاب جعلته ابواباً عشرة ، بدأت منها بذكر ما يتفاخر به أهل الأمصار والقبائل والبلدان ، وما يلحقهم من

الفضائل وكيفية لحاقها بالكور والمدن والرياض المقتصرة ببعضها عن الفخر والطيب والحسن، ووسمته بكتاب صقلية ولم اترك لهم من فضيلة ووذيلة الى جميع ما نخصوا به وضمنوه واعطوه وما حرّموه ، الى غلظ طباعهم وسوء اخلاقهم وما انفردوا به من المطاعم المتننة والأعراض القدرة الدرية ، وغلبة كثرة الجفاء وطول المراء، وسميت جميع معلّمهم الى ما وصل الي من اخبارهم ومحلتهم في الرقاعة وخلعهم على مرّ الأيام للسلطان والطاعة ، وحال الفرقة التي ليست كفرقة من فرق الاسلام ولا نحلة من النحل ، ولا في بلد من البلدان ولا بدعة من البدع ولا مشاكلة لنحلة في دين من الأديان . وهم المشعيذون اكثر اهل حصونهم وباديتهم وضياعهم ، رأيهم التزويج الى النصارى على ان ما كان بينهم من وليد ذكر لحق بأبيه من المشعيذين وما كانت من انثى فنصرانية مع امها، لا يصلّون ولا يتطهرون ولا يزكّون ولا يحجّون . وفيهم من يصوم شهر رمضان ويغتسلون اذا صاموا من الجنابة ، وهذه منقبة لا يشركهم فيها احدٌ وفضيلة دون جميع الخلق ، احرزوا بها في الجهل قصب السبق . ولقد أعددت كتابي هذا بذكرهم فيه ولكن نفوس اهل النبل وقلوب اهل الفضل متطلّعة الى علم الكل ، ولذكراها في الخرائن منزلة ليست على ما هي به في الحقيقة .

١٤ - ومن أرث ما رأيت بها وأغثه خمسة معلمين في مكتب واحد يعلمون فيه الصبيان، شركاء متشاكسون على باب عين شفاء يرؤسهم شيخ يعرف بالمِلطاط : جيسّ ضبسّ اشقر ازرق من اقدم الناس على شهادة زور ، ولدان له ورجل يُعرف بابن الوداني ، وآخر يُدعى بأخي رجاء على مراتب في شركتهم . وخرجت من صقلية وقد مات ابن الوداني فلو شاهدتهم اكثر الناس حزناً واشدّهم إخبائاً وسمتاً عند وفاته ، وتقبحتهم له وحنينهم عليه وتساكرهم في بكائهم عند عزائهم، لقهقه وضحك او ابلس لجهلهم كالمزيتك .

١٥ - وأما حال يسارهم فانهم مع قلّة مؤنهم ونزور نفقاتهم وكثرة غلاتهم ليس فيهم رجل ملك بدرة عين ، ولا رآها قط إلا عند سلطان

ان كان بمن يدخل اليه ومحله محل من يؤذن له عليه . وبالأموال والجبايات واليسار يعتبر احوال اهل المدن والكور والأقاليم ، وكذلك النبل والفضل الى غير ذلك مع أن مال جزيرة صقلية وقتنا هذا وهو اجل اوقاتها واكثره واغزره بأجمعه من سائر وجوهه وقوانينه خمسها ومستغلاتها ، ومال اللطف والجواني المرسومة على الجمجم ومال البحر والهدية الواجبة في كل سنة على اهل قلوريه وقبالة الصيود ، وجميع المرافق وجهاتها وهذه جملة ارتفاعها^(١) ، فأما غلاتها وخصبها وما هي عليه في اسباب المآكل والمشارب فكمالمواضع المشار اليها في صدر الكتاب بالخصب والسعة قديماً وفيما مضى ، ودخلتها وقد استحال جميع امورها من الحُصْب الى الجذب ، وخلق اربابها من اهل باديتها فكأرباب الجزائر العُجم الغُثم الصُم البكم ، وسكانها الذين لم يصفهم الأسفار من وراء بهيمية غامرة لألبابهم وغفلة عن الحقوق والمواجب ظاهرة في معاملاتهم ، وقول من الحق بعيد وشتان للغريب والطارئ عليهم عظيم شديد ، لا يألون ولا يؤلفون آخذين لذلك عن حاضرتهم لأنهم ايضاً في بُغض التجار والغرباء المجهزين بمنزلة ليست لجيل من اجيال العالم الجفافة ، ولا في اهل الجبال الاجلاف الجُساء مع قوام مصالحهم بالجلابين وفقدهم وفاقتهم الى المسافرين ، لأنها جزيرة لم تختص بوجه من فضائل البلدان غير القمح والصوف والشعر والخمر وُصْبابة من القند ، الى شيء من ثياب الكتان . والحق فيها احق ان يُتبع فإنه لا نظير لها جودة ورُخصاً ، وبيع مستعملها مما يُقطع قطعين من الخمسين رباعياً الى ستين رباعياً ، فيزيد على ما يُشترى من امشاله بمصر بالخمسين والستين ديناراً كثيراً . وجميع ما تقع اليه الضرورات وتدفع الحاجة اليه من سائر الطلبات محبوب الى بلدهم ومحمول الى جزيرتهم . وقد جمعت مع فساد عقول اهلها وأديانهم فساد التربة والقمح والحبوب ، ولا يحول الحول عليها عندهم إلا وقد فسدت وربما ساست في الأنادر قبل دخول المطامير والأهراء ، وليس يشبه وسخهم في دورهم وسخ اقدار اليهود ولا ظلمة

١ - يوجد هنا في الاصل سطر خال لإدراج مبلغ الارتفاع .

منازلهم وسوادها سواد الأتاتين والافران، وأجلّهم منزلة يسرح الدجاج
على مقعده وتذرق الطيور على مصلاه ومخدته .
١٦ - وهذه 'جمل' من اوصاف المغرب وما استقل به مما يُضاف اليه
ويقع في جملة .



مصر

- ١ - فأما مصر فلها حدّ يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية، ويزعم قوم من بَرَقه في البريّة ، حتى ينتهي الى ظهر الواحات ويمتدّ الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة من حد اسوان على ارض البجّة في قبليّ أسوان ، حتى ينتهي الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سيناء ويعطف على تيه بني اسرائيل ماراً الى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورفع ، ويرجع على الساحل ماراً على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذي قدّمت ذكره من نواحي بَرَقه .
- ٢ - وما في بطن هذه الصفحة صورة مصر .

...

إيضاح ما يوجد في القسم الاول من صورة مصر من الأسماء والنصوص :

قد صور بحر القلزم موازياً لطرف الصورة الفوقاني وعلى هذا البحر من طرفه الايسر مدينة القلزم . ثم كتب تحت خط الساحل : هذه الديار للبحر ونزلت عليهم أحياء ربيعة ومضر ، وصاهر رؤساء ربيعة أكابر البحر وخالطوهم فهي مشحونة بقبائل الجميع ، وأعز القوم ربيعة . وعن يمين هذا النص : مدينة العلاقي ، ثم تحت الكتابة المذكورة وموازياً لسلسلة الجبل : هذا جبل المقطم ، ويمتد الى بلد الحبشة ويقطع بلد النوبة في عمارات دنقله وعلوه . ومن أسفل الجبل مع شطه بهذه الناحية رمل أحمر وأبيض غزير كثير يتصل برمل الجفار ويشقه النيل ، فيتصل من غربي النيل برمال نفزاوه ويمر بظاهر سجلماسه الى اودغست ، ثم تحت ذلك نواحي اهريت وشرونة وبياض وصول والبرنيل .

وصور نهر النيل في وسط الصفحة وكتب على كل واحد من جانبيه الصعيد ، تربط الكتايتان بكلمة بلد الصعيد . وذكر على جانب النيل الاعلى من المذن ابتداء من اليمين ؛ اسوان ، المحدث ، قوص ، اخميم ، انصنا ، اتفيح ، اسكر ، الحلي ، الخرس ، حلوان ، الفسطاط ، ثم شكلا

مدينتين لا اسم فيهما . وعلى جانب النيل المقابل : قرية ، اتفو ، اسنا ، ارمنت ، هو ، البلينا ، بوتييج ، اسيوط ، منساره ، الاشموين ، طحا ، القيس ، سمسطا ، دلاص ، اهناس ، اطواب ، الجيزة ، وبين الفسطاط والجيزة في النيل الجزيرة ، وعند الجيزة مثلثان مكتوب فيهما هذان الهرمان . وعلى شاطئ خليج النيل الذي يتشعب بين منساره والاشموين راجعاً الى النيل بين اهناس واطواب من المدن طوفه ، البهنسه ، اللاهون ، بوصير قوريدس . ويتشعب من هذا الخليج عند اللاهون شعبة على جانبيها الفيوم ، وكتب بين الفيوم والهرمين ، هذه بحيرة اقني وتنهمت ، وتمتد مسيرة يومين في وسط جبال رمل اصفر وبها من الطير في الشتاء ما ليس بمكان ما يدانيه ولا يقاربه ،

ثم من اسفل النيل في يمين الصورة : ناحية الواحات ، وتحت ذلك مساكن بني هلال . وكتب تحت السلسلة الجبلية الموازية لطرف الصورة التحتاني : هذا جبل الواحات يمتد من بحيرة اقني على النيل الى ان يصل الى جبل القمر ووجله عامر .

٤. ظ

ايضاح ما يوجد في القسم الثاني من صورة مصر من الاسماء والنصوص : يقرأ في طرف الصورة الفوقاني : هذه صورة مصر وينطبق ذلك أيضاً على القسم الاول من الصورة . وكتب في النصف الاعلى من الصورة : الخوف ، وفي النصف الاسفل : الريف .

ويتشعب النيل وسط طرف الصورة الايمن شعبتين وبينهما مدينة شطنوف ، وعلى الجانب الايمن من الذراع الآخذة الى الأعلى من المدن دجوه ، بنها العسل ، تفهته ، القنطرة . وكتب عند منتهىها : خليج سردوس يحف ، وتأخذ من هذه الذراع شعبتان الى اليمين تبدأ الاولى من عند تنوّه والاخرى من عند صهرجت ، وبين هاتين الشعبتين من المدن : زفتا جواد ، سند بسط ، تطايه . وعن يسار صهرجت على شعبتها اشيه وعند منتهى الشعبة الآخذة من اشيه الى اليسار كتب : خليج دقدوس ، وعن يسار تنوّه على شعبتها مدينة مخنان . وتأخذ تجاه مخنان شعبة عليها اولاً تطايه المتقدم ذكرها ثم دميس من جانبيها ثم في الجانب الاعلى ، تتا ، ابو صير ، سنود ، اوش . وفي الجانب الاسفل طلخا ، قعنجيمه ، ديمره . وأول اسم ديمره في الجانب الآخر من ذراع تنوّه ، وبين مخنان ودميره في الجانب الاعلى محلة شرقيون وفي الجانب المقابل : مليج ، زمزور . وعلى ظهر الشعبة المحيطة بهذين البلدين من الاسفل : طوخ ، محلة روح . وتأخذ تجاه ديمره شعبة الى اليسار فتجتمع مع شعبة اخرى تبدأ من عند دقهله على العمود ، وكتب بين الشعبتين : خليج دقهله ، وبجاء دقهله كُتب من اسفل العمود : نواحي الهرمونات وعن يسار ذلك من المدن ، شارم ساح ، شارم بازم ، بوره ، ثم تأخذ من العمود شعبتان إحداها الى الأسفل الى نقيزه . وكتب عند هذه الشعبة : خليج زعفران ، والاخرى كتب عندها : اشتوم دمياط . وبينها وبين العمود دمياط ثم على البحر شطا ، وعند شطا في البحر جزيرة تيتس .

وعن يمين الذراع الآخذة من شطونف الى الاسفل من المدين : ذات الساحل ، ابو يحنس ، ترنوط تقابلها ترنوط مرة ثانية ثم بستانه ، طنوب . ثم بعد عطف الذراع الى اليسار : شابور ، محلة نقيده ، دنشال ، قرطسا ، شبروا ابو مينا ، قرنفيل ، الكريون وهي من جانبي الذراع ثم قرية الصبر ، الاسكندرية وهي من الجانبين ، وفوق الاسكندرية على ساحل البحر : اجنا ، ودون شطونف عن يسار هذه الذراع الجريسيات . وبعد الجريسيات تأخذ شعبه الى اليسار وعلى جانبها الأعلى من المدين : شبرو الاول ، منوف ، تننا ، فيشة بني سليم ، الينداريه ، محلة المحروم ، صا ، دياي ، الصافية ، دمي جمول ، سنديون ، فوه ، دسيو ، نطويه الرمان . وعلى الطريق من شطونف الى صا من المدين : سبك العبيد ، منوف العليا ، محلة صرد ، صخا ، شبرلته ، ثم من اسفل الشعبة الآخذة من عند شبرو الاول طننتا ، قليب العمال ، ببيج ، وتليها شعبة الى الاسفل ثم محلة ببيج ، فرنوه ، محلة مسروق ، محلة ابي خراشه ، فيشه ، سندبيس ، سبادة ، بلهيب ، ديروط ، محلة الامير ، محلة بوله ، وكتب في الجزيرة بين شعبي صا ومحلة ببيج : سنهور .

لم اجد سبيلاً الى ايراد صورة مصر في صفحة واحدة فأثبتها في صفحتين والصورة الاولى صورة الصعيد من اسوان الى الفسطاط وشطونف عند انفصال النيل منها ، والثانية من انفصال النيل في خليجين احدهما يأخذ من شرقي شطونف الى قنيس وأعمال دمياط ، والآخر عن غربي شطونف آخذاً الى رشيد من ساحل الاسكندرية .

٣ -- مصر اسم للاقليم وقد ذكرت حدوده . وهو قديم جليل عظيم جسيم العائدة في سالف الزمان ، وإن قصر عن ذلك في آتفه فلو جوه منها انه كان قديماً قعندد الملك يسكنه عظام الفراعنة وكبار الجبابرة : كمصعب بن الوليد فرعون موسى ، الوليد بن مصعب فرعون يوسف ، ومن كان بين عصريهما من اكابر الفراعنة . ووجدت بخط ابي النمر الوراق في اخبار أبي الحسين الحصري قال : حدثني أبو خازم القاضي قال قال لي أبو الحسن بن المدير : لو عمرت مصر كلها لوقت باعمال الدنيا . وقال : تحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف فدان ، وإنما يعمر منها الفا الف فدان . قال : وقال له أنه كان يتقلد الدواوين بالعراق ؛ يريد ديوان المشرق والمغرب . قال : ولم أبيت قط ليلة من الليالي وعليّ عمل او بقية منه . وتقلدت مصر فكنت ربما بت وقد بقي عليّ شيء من

هذه صورة مضر

٥٥٥

هذه الديار الحقة وتزكن عليها اجبا اربعة مضر وصاهر وسائر
الاجبا الحقة وخالفهم في شجونه لبقايل الطبع واعتر القوم ربيعة

بعض الناجية رمل الجسر وايضا عزيير كثير متصل برمل الجفار وينفذ النيل
فيصل من عزيير النيل برمال نفاوه وعمر بطاهر يحيا لها سه الى اودعت
نواحي امريت وسنرونه ويباخر وصول والبرميل

الصعب

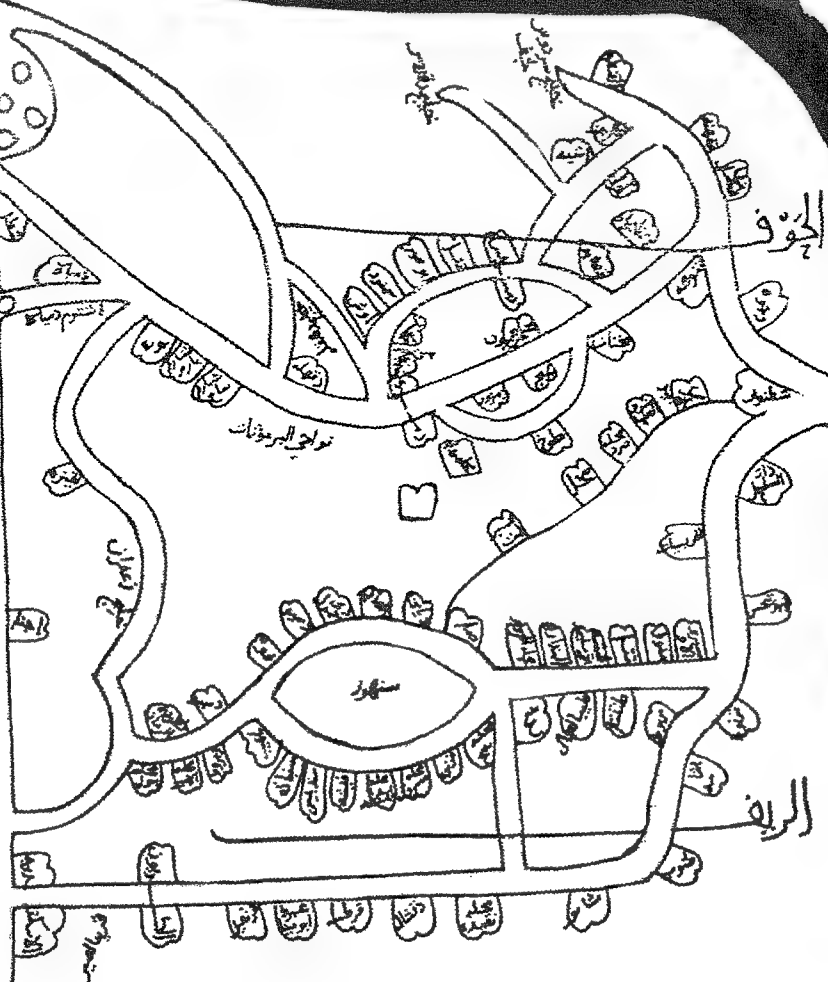
الصعب

النواحي

نواحي

هذا جبل الراجات عند من فيه افي على النيل الى ان يصل الجبل
القمر وجلة عاير

هنا جيرة افي وتلقب وتلقب
بوتيريت وسطيلا رمل الجسر
والطريق الى الشنار البريكل كما
يما اية وكافار به



العمل فأستتمه اذا أصبحت . قال : وقال له ابو خازم القاضي : جبا عمرو ابن العاص مصر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اثني عشر الف دينار، فصرفه عنها عثمان بعبدالله بن أبي سرح فجباها اربعة عشر الف دينار فقال عثمان لعمر : أبا عبدالله علمت أن اللقحة درت بعدك . فقال : نعم ولكنها أجاعت أولادها . وقال ابو خازم : إن هذا الذي جباها عمرو وعبدالله بن ابي سرح إنما كان من الجاجم خاصة دون الخراج وغيره . قال : فاستثبته في ذلك فقال : هذا الصحيح عندنا . وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير في ملكك مسلم ولا كافر ولا عيل ولا يعمل كهما . وقرأ بعض بني العباس على أحدهما : إني قد بنيتها فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمها فالهدم أيسر من البناء . فهم بذلك وأظنه المأمون او المعتصم فإذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ ، وكان خراجها على عهده بالانصاف في الجباية وتوخي الرفق بالرعية والمعدلة إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع أربعة آلاف ألف دينار ، ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار ، والمقبوض على الفدان دينارين بعين ايين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئاً .

٤ - ولمصر عادة وسنة لم تزل منذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها وجباية أموالها واجتلاب قوانينها ، وذلك انه لا يستم استيفاء الخراج من أهلها إلا عند تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها وتطبيقها ، ويقع إقامه في شهر توت . فإذا كان ذلك وربما كانت زيادة على ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها ، ثم لا يزال يتوجع في الزيادة والنقصان الى حين طلوع الفجر بالسماك ، وهو لثمان تخلو من شهر بابه ، فإذا انحسر الماء وقعت باكرة البذور بالاقراط والكتان والحبوب والقرط الرطبة . وببابه يتكامل ري الأرض عند ثمان تخلو منه ، وقد لا يستم الماء فيه فيعجز بعض الأرض عن ان يركبها الماء فيزرع الخراج عن الكمال . وبها توار يتبدأ في الحرث ويحصد الارز ويكون الزرع البذري في أكثر نواحيهم وضياعهم . وبكيهك يزرع فيه من أوله الى آخره الزروع المتأخرة ، ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السسم والمقائي والعطب . وبطوبه

يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود . وبأمشير يؤخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من السجلات . ويبرمها يطالب الناس فيه بالربع الثاني والثمن من الخراج ويوزع قصب السكر وما يشبهه . ويبرمودة تقع المساحة على أهل الاعمال ، ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج عن سجلاتهم ويحصد بذري الزرع . ويبشلس تقرر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من ابواب وجوه المال : كالصرف والجهذة وحق المراعي والقرط والكتان على رسوم كل ناحية ، ويستخرج فيه إتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس . وبؤنه يُستخرج فيه بتمام نصف الخراج بما بقي ولم يوزن بعد المساحة . وبابيب تُستتم فيه ثلاثة ارباع الخراج ، وهو اصل زيادة ماء النيل ويكون ضعيفاً ، وفيه يُوزع الارز بالفيوم ويحصد في هاتور وكيهك . ومسرى يُغلق فيه الخراج وفيه جمهور زيادة ماء النيل ، وفي ذين المُشهرين تتأخر البقايا على دق الكتان لانه يُسل في توت ويُدق في بابه ، واذا أُطلق ماء النيل شرب منه من بمشارق الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس ومغائضه ، وشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه من بناحية النقيدية وارسنيس ، وزرع عليه اهل الباطن واهل البحيرة في فجساج وأودية ، فيكون ذلك لماصلة قبيل من زناته وربجانة وبني بزال وقبائل البربر واستوفي منهم الخراج . وبين المكانين مسيرة شهر عمران في محلول ومعقود ، وليس كهذه الحال تجري احوال الخراجات بسائر اصقاع الارض ، لان النيل إنما يأتيهم اذا حصلت الشمس في الجوزاء والسرطان بإمطار بلد السودان في بلد الجنوب على مسافة شهر من ارض مصر ، واكثر ما يصل اهل مصر بعضهم الى بعض عند زيادة النيل في المراكب ، لان الماء يجلب بإحاطته اكثر مدنها وضياعها ويستولي عليها في جميع اراضيها ، فطرقات بعضهم الى بعض في الماء بالمراكب .

هـ - وللفسطاط طريق على الظهر في البر الى الاسكندرية من جانب الصحراء وقد ذكرته في صفة المغرب ومراحله على ذات الساحل الى ترنوط ،

ولها طريق آخر اذا نضب الماء يأخذ بين المدائن والضياح وينزل في كرائم المدن ، وذلك اذا اخذت من شطنوف الى سبك العبيد فهو منزل فيه منبر لطيف وبينهما اثنا عشر سقساً ، ومن سبك العبيد الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات واسواق وبها قوم ثنائة ، وفيهم يسار ووجوه من الناس منهم جابر المنوفي لا رضي الله عنه ! ولها إقليم عظيم وعمل يليه عامل جسيم وبينهما ستة عشر سقساً . ومن منوف الى محلة صرد منبر فيه حمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقساً . ومن محلة صرد الى صخا مدينة كبيرة ذات حمامات واسواق وعمل واسع وإقليم جليل ، له عامل بعسكر وجند وكثرة اصحاب وله غلات ، وبه الكتان الكثير وزيت الفجل الى قموح عظيمة ستة عشر سقساً . ومن صخا الى شبرلنه مدينة كبيرة بها جامع واسواق صالحة ستة عشر سقساً ومن شبرلنه الى مسير مدينة لها جامع واسواق كثيرة القمح وفنون الغلات ، وبها عامل عليها للماء وقسمته ستة عشر سقساً . ومن مسير الى سنهور مدينة ذات إقليم كبير ولها حمامات واسواق وعامل كبير في نفسه ، وكانت بها من النعم للكتّاب والدهاقين في ضروب الكتان والقمح وقصب السكر وغير ذلك ما بلغني انه قد تناقست وقتنا هذا حالها فيما ذكرته وأذكره من سائر مدنها ستة عشر سقساً . ومن سنهور الى البجوم إقليم مدينته باسمه عظيمة بها عامل عليها وعسكر وجامع وحمامات وفنادق واسواق واسعة ستة عشر سقساً . ومن البجوم الى نستراوه مدينة كانت حسنة ، وهي على بحيرة البشمور ويحيط بها المياه كثيرة الصيود من السموك ، وعليها قبالة كبيرة للسلطان ، وكان بها قوم مياسير ويوصل اليها بالمعديات اذا زاد الماء ، واذا نضب وصل اليها بالجسور عشرون سقساً . ومن نستراوه الى البولس مدينة كثيرة الصيد ايضاً من هذه البحيرة ، وبها حمامات وهي مدينة جميلة الأمر عشر سقسات . ومن البولس الى اجنا حصن على شط البحر المالح ، فيه منبر وخلق كثير واسواق ورجال وصيادون للصير به حمام عشر سقسات . ومن اجنا الى رشيد مدينة على النيل قريبة من مصب فوّهته الى البحر ، ويُعرف هذه الفوّهة وهي المدخل من البحر بالاشتوم ثلاثون

مقسماً ، وكانت بها اسواق صالحة وحمام ولها نخيل كثيرة وارتفاع واسع ، وضريبة على ما يُحْمَل من الاسكندرية وُيَحْمَل اليها من متاع البحر الى سائر اسباب التجارة . وهذا الطريق الآخذ من شطنوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل ، لغلبة الماء وكثرته على وجه الارض فربما اخذ بعض الطريق على الظهر وبعضه في المراكب والماء ، وربما سلك من جهة البر على ما قدّمْتُ ذكره ووصفه فيما ابتدأتُ به في صفة طريق المغرب من القسوط .

٦ - وقد ذكرت أن الماء الآخذ من شطنوف مغرباً عن الماء الآخذ الى دمياط وتنبس يشرع الى ضيعة تعرف بالجريسيات ، وهي مع شطنوف في بر واحد ذات منبر وبها سوق صالح وبينهما ستة سقسات . ومن الجريسيات الى ابي يحنس قرية ينفصل من دونها الماء في خليجين آخرين ايضاً عشر سقسات ، فيجري احدهما مغرباً الى الاسكندرية ويشرع على ترنوط ، وهي جانبان متحاذيان على الخليج وبها منبر في الجانب البحري منها وبيع كثيرة ، وقسيسون ورهبان واسواق عامرة وحمام ، ولها عامل بمسكر ذي عدّة وغلات واسعة وبينهما عشر سقسات ، ويشرع ايضاً هذا الماء على بستامه ضيعة عظيمة ذات منبر واسواق كثيرة وبادية ، تزيد على الفي رجل وغلّاتهم واسعة وبينهما اثنا عشر سقساً . ثم يمضي الماء منها الى شابور مدينة كثيرة العبيد والمقاتلة واسعة الغلات ، فيها حمام وعامل تحته خيل للحماية ستة عشر سقساً . ومنها الى محلة نقيده وهي ضيعة كبيرة عامرة بها منبر وعامل عليها ولها حمام وناحية كبيرة وغلات غزيرة وضياع برسمها ، وفي ضمنها جليّة ستة عشر سقساً . ومن محلة نقيده الى دنشال بلد عامر فيه جامع وحمام وكروم كثيرة ، وبرسمه ضياع جليّة وعمل مضاف اليها ستة عشر سقساً . ومن دنشال الى قرطنا وهو بلد كبير فيه حمام ومنبر وبرسمه ناحية وضياع وافرة غزيرة ، فوق ما تقدّم ذكره مما بالمدن المضافة اليها الكور والضياع ، وبقرطسا كروم وفواكه غزيرة عظيمة ويجلب منها ستة عشر سقساً . ومن قرطسا الى شبرو ابومينا ضيعة كبيرة بها جامع وخلق كثير وبادية ومزارع وغلات واسعة اثنا عشر سقساً .

ومن شبرو ابومينا الى قرنفل ضيعة بها جامع وعمارة آهلة غنّاء اثنا عشر سقساً، ولها وبرسها ضياع تُعرف بالجارية تدخل في صفقتها. ومن قرنفل الى برسيق ضيعة بها منبر وبيع واسواق ولها كورة كبيرة اثنا عشر سقساً. ومن برسيق الى الكريون مدينة كبيرة حسنة فيها جامع وحمام وفنادق وكروم تُجلب أعنانها الى الاماكن، وبرسها كورة ذات ضياع وهي جانبان على خليج الاسكندرية، ومنها تركب التجار في الصيف عند زيادة النيل الى مصر، ولها عامل عليها ومعه خيل ورجل ستة عشر سقساً. ومن الكريون الى قرية الصير منهل فيه صيادون للصير ثمانية سقسات. ومن قرية الصير الى الاسكندرية ثمانية سقسات، وهذه مسافات على خليج الاسكندرية.

٧ - واما الشعبة الخارجة تجاه ترنوط مشرقة فتشعر الى شبرو الاول، وهي ضيعة ذات ثلاث حارات كبار، كثيرة الاهل غزيرة السكان بها حمام وجامع وقاض وعامل، ولها كورة جليلة واسعة، ومن أبي نجس اليها ستة سقسات. ومن شبرو الاول الى منوف مدينة كبيرة عظيمة واسعة الغلات والخيرات والكتان، وبها وال عليها وبها حاكم وحمامات وجامع واسواق كثيرة حسنة وكور عدة برسها واسعة ستة عشر سقساً. ومن منوف الى طنتا ضيعة جليلة حسنة عظيمة الاهل، بها جامع وحمام ولها ضياع برسها وعامل ذو عدّة وعتاد، وفيها أسواق وجامع لطيف ولها موعد لسوق يقف بها في كل جمعة أربعة عشر سقساً. ومن طنتا الى فيشة بني سليم ضيعة، فيها حمام وسوق وجامع وكورة مضافة اليها اثنا عشر سقساً. ومن فيشة بني سليم الى البندارية ضيعة فيها جامع وأسواق وبرسها ضياع، ولها عامل وفيها حمام طيب عشرة سقسات. ومن البندارية الى محلة المحروم بها سلطان وشحنة لها وقاض وخيل ورجل وجامع وحمام وأسواق عشرة سقسات. ومن محلة المحروم الى قليب العمال وهي من الجانب الغربي عن الخليج مدينة فيها جامع وحمام، ولها كورة ذات ضياع وأسواق، وبها حاكم وبها سلطان عشرة سقسات. ومن قليب العمال الى ببيج مدينة كبيرة، فيها جامع وبيع كثيرة عامرة ودهاقين تُجسّى

جامعهم ، وبها جامع وحاكم وسلطان وبرسمها ضياع كثيرة غزيرة عشرة سقسات . وبين ببيج ومحلة ببيج الخليج الآخذ من بين شابور ومحلة نقيده ، وهما جانبان أيضاً وينفصل هذا الخليج ايضاً قطعتين ، فيشرع إحداهن الى فرنوه مغرّبة من ناحية ببيج ومحلة ببيج ، والأخرى مشرّقة الى صا ، وصا هذه مدينة فيها جامع وبيع كثيرة وحاكم وسلطان وأسواق وحمّام ، وبها العين المعروفة بعين موسى عليه السلام ويقال أنه سُجِنَ بها ستة سقسات . ومن صا الى ديتاي ضيعة كبيرة فيها جامع ، وبرسمها كورة ذات ضياع وعامل وحاكم وبيع ، واحوالها متقاربة في الزجاء عشرة سقسات . ومن ديتاي الى الصافية ضيعة كبيرة كثيرة قصب السكر وبها غير معصرة للسكر ، وبها جامع وبيع وحاكم وعامل وأسواق حسنة عشرة سقسات . ومن الصافية الى دمي جمول ضيعة كبيرة ايضاً كثيرة قصب السكر والمعاصر ، وعمل السكر بها والقند ولها منبر وسوق وحاكم ستة سقسات . ومن دمي جمول الى سنديون ضيعة آهلة واسعة الغلات ، وبها جامع وبيع وسوق وحاكم ثمانية سقسات او تزيد قليلاً . ومن سنديون الى بلهيب ستة سقسات . واما الشعبة الآخذة من ببيج ومحلة ببيج الى فرنوه ، فلان فرنوه منها على نحر الماء وفي غربيه ، وهي مدينة كثيرة البادية وهي الغالبة عليها ، وبها جامع وسلطان وحاكم وبيع عداد وأسواق لا بأس بها ، وبينهما اثنا عشر سقساً . ومن فرنوه الى محلة مسروق مدينة لها كورة عظيمة ، فيها الموز الحسن الكثير والفواكه الواسعة وتجلب فواكهها الى الفسقاط ، وبها حمّام وجامع وبيع وحاكم وصاحب معونة خمسة عشر سقساً . ومن محلة مسروق الى محلة أبي خراشة مدينة كثيرة الاسواق ، وبها جامع وحمّام وحاكم وصاحب معونة في عسكر صالح ، ولها كورة ذات غلات كثيرة ستة سقسات . ومن محلة أبي خراشة الى فيشة ضيعة فيها منبر ولها بادية لا بأس بها اثنا عشر سقساً . ومنها الى سنديس ضيعة فسيحة كثيرة الدهاقين والبيع والحنازير صالحة الارتفاع خمسة عشر سقساً . ومن سنديس الى سنبادة ضيعة تشاكل سنديس خمسة عشر سقساً . ومنها الى بلهيب نحو عشرة سقسات . ويجتمع بلهيب الخليجان

المتشعبان من ببيج : أحدهما آخذاً على فرنوه ، والآخر على صا 'قدام بلهيب ، وهي مدينة كبيرة بها جامع ، وهي على ساحل الاسكندرية في الربع ، وبها حاكم وصاحب معونة وجامع واسواق ولا حمام بها ، وجميع ما على شطبي النيل من بلهيب الى رشيد ضياع لا منابر فيها ويطول ذكرها .

٨ - ولمصر وأعمالها غير كتاب مؤلف مستوفى بصفات ضياعها وجباياتها وخواصها ، وقد تغيرت مذ وقت دخل المغاربة ارضها ورزحت من جميع اسبابها ، وبقيت منها رسوم وبقايا دمن خالية تشهد بما سلف فيها من الامور الرفيعة العالية ؛ فلذلك حررت اوصافها ولم استقص حالها .
٩ - واما الشعبة الآخذة من شطنوف مشرفة الى ديماط وتيس فقد ذكرت بين اشكال مدنها مسافات ، ويستغنى بذلك عن إعادة لفظ فيه وتكرير قول منه ، ولو امكن مثل ذلك في جميع هذه الخلجان لكان أجمل واحسن ولما تعذر ، ولم يمكن فيه إعادة ذكره بالكليّة اقتصرت على المشهور المعروف حسب ما توخيت من ذكر سواد كل بلد وريف كل ناحية ، ووصفها جملة غير مفصلة بعد تصوير مدنها وبقاعها وطرقها 'موصلة' ومفصلة ، اذ كان ذلك القصد والبغية . ولما كان العلم بكليته بإزاء قوى ابناء البشر بكليتهم فلن يبلغ الانسان الواحد منه بجزئية إلا قدر ما اقتضته سعادته .

١٠ - فأما ما يحيط بجميع مصر من الحد المشتمل عليها فقد تقدم ذكره في غير مكان ، ومن القلزم الى ان تعطف على التيه بساحل البحر ست مراحل ، ومن حد التيه الى ان تتصل ببحر الروم نحو ثمان مراحل ، ويمتد الحد على البحر الى اول الحد الذي ذكرته نحو اثني عشرة مرحلة .
١١ - ومن الرملة الى مدينة الفسطاط إحدى عشرة مرحلة ، فمن ذلك ان تخرج من الرملة الى ابني مدينة نصف مرحلة ، ومنها الى يزود مدينة ايضاً قصيدة تمام مرحلة ، ومن يزود الى غزة مدينة حسنة كثيرة الخير ولها ربض مرحلة ، ومنها الى رفح مدينة صالحة وجامع حسن مرحلة . ومن رفح الى العريش مدينة ذات جامعين مفترقة المباني والغالب عليها

الرمل ، وهي قريبة من الساحل ولها فواكه وثمار حسنة مرحلة . وذكر
عبد الله بن عبد الحكم الفقيه ، صاحب الكتب المؤلفة ، أن الجفار بأجمعه
كان أيام مُصعب بن الوليد فرعون موسى في غاية العبارة بالمياه والقري
والسكان ، وأن قول الله تعالى : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون »^(١) عن هذه المواضع ، وأن العبارة كانت متصلة منه
الى اليمن ؛ قال : ولذلك سميت العريش عريشاً . ومن العريش الى
الورادة منزل قريب الحال مرحلة ، ومن الورادة الى البقارة قرية مرحلة .
ومن البقارة الى الفرما مدينة صالحة على نحر بحر الروم ، كثيرة النخيل
والرطب والسّمك غير طيبة الماء ، يردها التجار في البر والبحر ليلاً ونهاراً
من القسطاط والشام لأنها على الطريق مرحلة ، وسابقتها غير منقطعين ، ومن
الفرما الى جرجير مرحلة وهي مدينة ومن جرجير الى فاقوس مدينة صالحة
ايضاً مرحلة ، وربما لم يكن السائر الى جرجير السيرو من فاقوس فسار من
الفرما الى الهامة الى بلبس ، وبلبس مدينة ايضاً مرحلة . ومنها الى
القسطاط مرحلة .

١٢ - وطول ارض مصر من اسوان الى بحر الروم نحو عشرين
مرحلة ؛ فمن ذلك أن من اسوان الى اتفوا اربعة أبرد ونصف ، ومن
اتفوا الى اسنى بريدان ومن اسنى الى ارمنت بريدان ، ومن ارمنت الى
قوص بريد ونصف ، ومن قوص الى البلينا اربعة أبرد ونصف ، ومن
البلينا الى اخميم بريد ونصف ، ومن اخميم الى قار بريدان ، ومن قار الى
اسيوط بريد ، ومن اسيوط الى منسارة بريدان ، ومن منسارة الى
الاشمونين بريدان ، وهي تجاه انصى ؛ ومن الاشمونين الى طحا بريدان في
الحاجر ، ومن طحا الى مصر عشرة أبرد . ثم تركب في السفينة الى اي
موضع وبلدة تريد فإن طرقاتهم في الماء بالمراكب .

١٣ - وعلى النيل مضيقان بين جبلين قد قطع كل واحد منهما ليستمر
الماء في طريقه : احدهما بين اسنى وارمنت لصيق القرية المدعوة قرية القس

١ - « ودمرنا . . . يعرشون » ، سورة الأعراف (٧) الآية ١٣٣ .

وقد خربت ، والمضيق الثاني يُعرف بالحلس على ثلاثة أبرد من اسوان الى اسفل منها وبينه وبين اتفوا بريد ونصف . وبالنيل موضعان يُعرفان بالجنادل : احدهما فوق اسوان بثلاثة اميال في حد الاسلام ، وهو جبل قُطِعَ ايضاً لطريق الماء وتُرك ما قُطِع منه على غاية الوعورة ، فالماء يتسرب فيه بين احجار عظام لا تقدر المراكب ان تسير فيه لوعورته ، واذا جاءتته حملت في البر متاعها الى ان تلحق بمسيل الماء المستقيم ومقداره رميتا سهم ، وبينه وبين آخر حد الاسلام ثلاثة اميال وكأنه ترك ردة لمن قصد بلد العدو او ردة لمن اراد مصر من ناحية العدو ، والجنادل الثاني بالقرب من دقله ويُسمع صوت الماء وجريه فيها ليلاً ونهاراً على اميال كثيرة .

١٤ - ومن صفات مدنها وبقائها أن مدينتها العظمى تسمى الفسطاط ، وهي على شمال النيل لانه يجري في نحوها بين المشرق والجنوب ، وهي مدينة حسنة ينقسم اليها النيل قسمين ، فيُعدى من الفسطاط الى عدوة أولى ، فيها ابنية حسنة ومساكن جليلة تُعرف بالجزيرة ويُعبّر اليها بجسر فيه نحو ثلاثين سفينة ، ويعبر من هذه الجزيرة على جسر آخر الى القسم الثاني كالجسر الاول الى ابنية جليلة ومساكن على الشط الثالث تُعرف بالجزيرة . والفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ، ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والحُصْب والطيبة واللذة ، ذات رحاب في محالها واسواق عظام ومتاجر فخام ، وممالك جسام الى ظاهر انيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مرّ الأيام خضرة . وبالفسطاط قبائل وخِطط للعرب تنسب اليها محالهم كالكوفة والبصرة ، إلا أنها اقل من ذلك في وقتنا هذا وقد باد اكثرها بظاهر المعافر وهي سبخة الارض غير نقيّة التربة . والدار تكون بها طبقات سبعاً وستاً وخمس طبقات ، وربما سكن في الدار المائتان من الناس . وبالفسطاط دار تُعرف بدار عبدالعزيز بن مروان ، وكان يسكنها ويصب فيها لمن فيها في كل يوم عهدنا هذا اربع مائة راوية ماء ، وفيها خمسة مساجد وحمّامان وغير فرن لحبز عجيين اهلها . ومعظم بنيانهم بالطوب واكثر سفل دورهم غير مسكون . وبها مسجدان لصلاة الجمعة : بني احدهما

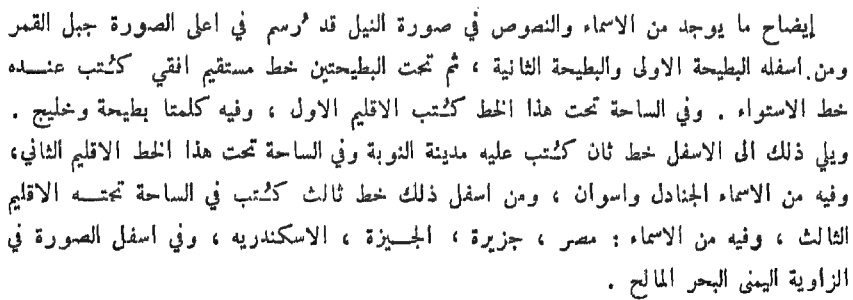
عمرو بن العاص في وسط الأسواق، والآخِر بأعلى الموقف بناء ابوالعباس احمد بن طولون . وكان خارج مصر ابنية بناها احمد بن طولون مساحتها ميل في مثله ، يسكنها جنده تعرف بالقطائع كبناء بني الاغلب خارج القيروان لرقادة ، وقد خربا جميعاً في وقتنا هذا ورقادة اشد تاسكاً وصلاًحاً . وقد استحدثت المغاربة بظاهر مصر مدينة سمّتها القاهرة استحدثها جوهراً صاحب اهل المغرب عند دخوله الى مصر لجيشه وشمله وحاشيته ، وقد ضمت من المحال والأسواق وحوت من اسباب القنينة والارتفاق بالمحطات والفنادق الى قصور مشيدة ونعم عديدة ، وقد أحرق بها سور منيع وبيع يزيد على ثلاثة أضعاف ما بنى بها ، وهي خالية كأنها تركت محالاً للسائمة عند حصول خوف . وبها ديوان مصر ومسجد جامع حسن نظيف غزير القوام والمؤذنين ، وقد ابتنت بعض نساء أهل المغرب جامعاً آخر بالقرافة موضع بظاهر مصر ، كان مساكن لقبائل اليمن ومن اختط بها هناك قديماً عند فتحها ، وهو من الجوامع الفسيحة الفضاء الرائعة البناء أنيق السقوف بهي المنظر . وبالجزيرة والحيزة أيضاً جامعان آخران دون جامع القرافة في نبلة وحسنه .

١٥ - وبمصر نخيل كثيرة وبساتين وأجنّة صالحة وتمتد زروعهم بماء النيل من حدّ اسوان الى حدّ الاسكندرية والباطن ، ويقم الماء في أرضهم بالريف والحواف منذ امتداد الحر الى الحريف ، وينضب على ما قدمت ذكره فيزرع ولا يحتاج الى سقي ولا مطر من بعد ذلك . وأرض مصر لا تمطر ولا تتلج . وليس بأرض مصر مدينة يجري فيها الماء من غير حاجة الى زيادة النيل إلا الفيوم . والفيوم اسم الاقليم ، وبالفيوم مدينة وسطة ذات جانبين تعرف بالفيوم . ويقال أن يوسف النبي عليه السلام اتخذ لهم مجرى وزنه ليدوم لهم دخول الماء فيه ، وقومه بالحجارة المنضدة وسمّاه اللاهون .

١٦ - وماء النيل فلا يعلم أحد مبتدأه ، وذلك أنه يخرج من مفاوز وراء أرض الزنج لا تسلك حتى ينتهي الى حد الزنج ، ويقطع في مفاوز النوبة وعماراتهم فيجري لهم في عمارات متصلة الى أن يقع في أرض مصر.

قال كاتب هذه الاحرف : زعم مؤلف الكتاب أن النيل لا يعلم احد مبتدأه وأنه يخرج من مفاوز وراء بلاد الزنج ، وقد رأيت في رسالة جغرافية أن مبدأ النيل بطيحتان مدورتان يصب الى كل واحدة خمسة أنهار من جبل القمر ، ويخرج من هاتين البطيحتين من كل واحدة اربعة أنهار الى بطيحة مدورة في الاقليم الاول ، قطرها جزآن ومركزها عند طول نج والعرض من الاقليم الاول ب لا ثم يخرج من هذه البطيحة نهر هو نيل مصر ، ويصب اليه نهر يجري من عين يخرج من خط الاستواء عند طول نطلا ويأتي الى قرب من بلد النوبة ، فينقسم قسمين يصب احدهما الى النيل عند طول نج لا والعرض عند يولا في الاقليم الاول ، والثاني مصبه في الاقليم الثاني عند طول نج لا وعرض يح لا ثم يمتد ولا يزال ينعطف انعطافات كثيرة ليس هذا موضع شرحها ، حتى يأتي الى اسوان ثم يمر الى مصر مماساً لها عند طول ندلا والعرض كطلا ثم يتفرق من مصر في سبعة خلجان الى البحر : الاول الى الاسكندرية عند طول نآم والآخر عند طول نج لا والثالث عند طول نج ل والرابع عند طول نج م والخامس عند نج نه والسادس عند طول ندك والسابع عند طول ندل كما نصوره في الصفحة الاخرى من هذه الورقة ، والله الموفق .

وهو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة والفرات إذا اجتمعا ، وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضاً من سائر أنهار الاسلام ، وهو متصل بالبوية التي لا تُسلك لجنتها . وذكره بطليموس في كتاب جغرافياً فلم يعزُ أصله الى مكان . ويكون فيه التماسيح والسقنقور وممكة تعرف بالرعادة لا يستطيع أحد أن يقبض عليها ، وهي حيّة حتى ترتعش يده وتسقط منها فاذا ماتت فهي كسائر السمك . والتمساح دابة من دواب الماء مستطيل الذنب والرأس ، ورأسه نحو نصف طول ذنبه ، وله أنياب لا تقبض بها على دابة ما كانت من سبُع او جمَل إلا مده في الماء ، وله على كل شيء سلطان إلا الجاموس فانه لا قوام له بالكبير منها ، ويخرج من الماء فيمشي في البرّ ويقم فيه خارج الماء اليوم والليلة ونحو ذلك ، وليس سلطانه في البر كسلطانه في الماء ، وقد يتضرّى بعضها في البر على الناس فيكون من جاوره معه في أذية حتى يُحتال في قتله . وله جلد لا يعمل فيه شيء من السلاح إلا تحت إبطيه وبطنه فخذيه . والسقنقور صنف يتوالّد منه ومن السمك فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ، ولا التماسح لان ذنبه اجرد أملس غير مضرّس ، وذنب التماسح مسيّف مضرّس ويتعالج بشحم السقنقور للجباع ، ولا يكون بمكان إلا في النيل



من حد اسوان او بنهر مهران من ارض الهند والسند وكذلك التماسح .
 وكانت مدينة اسوان ثغراً على النوبة قديماً إلا أنهم اليوم مهادنون .
 ١٧ - وبصعيد مصر من جنوب النيل معدن الزبرجد في برية منقطعة
 عن العماره ، ويكون من حد جزائر بني حدان الى نواحي عيذاب وهي
 ناحية للبحر وقوم من العرب من ربيعة ، وليس بجميع الارض معدن
 للزمرّد غيره . وفي شمال النيل جبل يمتد عليه الى الفسطاط يعرف بالمقطّم
 فيه وفي نواحيه حجر الجاهن وشيء من البلّار وتحاذيه ناحية الزمرّد ، ويمتد
 هذا الجبل الى اقاصي بلد السودان وفيه بنواحي مصر قبر محمد بن ادريس
 الشافعي الفقيه رحمه الله في جملة المقابر التي في سفحه لأهل مصر . ويقال
 انه دُفن بها من الانبياء : يوسف ويعقوب والاسباط وموسى وهرون
 وبها وُلِدَ عيسى عليه وعليهم السلام بكورة اهناس ، ولم تزل نخلة مريم
 تُعرف باهناس الى آخر أيام بني أميّة .

١٨ - ومن مشاهير مدنها وعجيب آثارها الاسكندرية ، وهي مدينة
 على نحر بحر الروم رسوماً بيّنة وآثار اهلها ظاهرة ، تنطق عن ملك وقدره
 وتُعرف عن تمكن في البلاد وسمو ونصرة وتفصح عن عظمة وعبرة كبيرة
 الحجارة جليلة العماره ، وبها من العمد العظام وأنواع الاحجار الرخام الذي
 لا تقل القطعة منه إلا بألوف ناس ، قد عُليّت بين السماء والارض على
 فوق المائة ذراع مما يكون الحجر منها فوق رؤوس أساطين دائر الأسطوان ،
 منها ما بين الخمس عشرة ذراعاً الى عشرين ذراعاً ، والحجر فوقه عشر
 أذرع في عشر أذرع في سمك عشر أذرع بغرائب الألوان وبدائع الأصباغ .

فلو سئلت عن اهلها لرأيتها مخبّرة من حالهم بالعظام

ولها طرقات مفروشة بأنواع الرخام والحجر الملون ، وفي بيعها عمد
 لصفاء صقاله وحسن ألوانه يبين كالزمرّد الأخضر وكالجزع الأصفر منه
 والأحمر ، وجُلّ أبنيتها بالعمد المسمر ومنه شيء على قضبان نحاس قد
 دُبر بأنواع أخلاط لثلا يغيره الزمان ، وتحت الاسطوانة منه الثلاثة
 سرطانات نحاس وأربعة ، والاسطوانة في الهواء عليها ضروب الصور

المعروفة والمجهولة ، وفيها المنارة المشهورة المبنية بالحجارة المركبة المضنية بالرصا ص . وليس بجميع الارض لمنارتها نظير يدانيها أو يقاربها في أشكالها ومبانيها وعجائبها ، ومعانيها تشتمل على آية بيّنة ويُستدل بها على مملكة كانت قاهرة لملك عظيم ذي حال جسيم وسلطان عقيم . وهي المنارة المشهورة في جمهور الارض أخبارها التي جميع العامة والخاصة من أهل الدراية مجمعون على أنّ مؤسسها اخترعها لرصد الفلك ، وأدرك ما أدركه من علم الهيئة بها وفيها ؛ وجميع ما أخبر به من حال الفلك ، فإنما حصل له ولمن خلفه بانكشاف فضاءها وسعة سمائها وقلة أنجرة صحرائها ، لأن لكل أرض سراباً على مقدارها وليس لها سراب ، وسمكها كان يزيد على ثلاثائة ذراعٍ فوقعت منه قبة عظيمة كانت رأس المنارة لطول العهد ، لا كما يدّعي المحاليئون في حماقاتٍ ورقاعاتٍ مصنّفةٍ انها بُنيت لمرآة كانت فيها ، يرى سائر ما يدخل الى بحر الروم من درمُون حَمَال الى شلندى مستعدٍ للقتال . ويزعم قوم ان بانيتها وباني الهرمين مَلِك واحد ويروي آخرون غير ذلك .

١٩ - ومن حدّ الفسطاط في غربيّ النيل أبنية عظام يكثر عددها مفترشة في سائر الصعيد يُدعى الاهرام ، وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط ، وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحدٍ منها أربع مائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنىً بججارة الكذّان التي سمك الحجر وطوله وعرضه من العشر الأذرع الى الثمان ، حسب ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه وأوجبه الهندسة عندهم ، لانها كلما ارتفعا في البناء ضاقا حتى يصير أعلاهما من كل واحد مثل مَبْرَك جملٍ ، وقد ملئت حيطانها بالكتابة اليونانية . وفي داخل كل واحد منها طريق كان يسير فيه الناس رجالة الى أعلاه ، وفي ذين الهرمين مختوق في باطن الارض واضح من أحدهما الى الآخر ، وقد ذكر قوم انها قبران وليس كذلك وإنما حدا صاحبهما ان عملهما انه قضى بالطوفان وهلاك جميع ما على وجه الارض إلا ما حصّن في مثلها فخرن ذخائره وأمواله فيها وأتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان فيها الى بصر بن نوح ، وقد خزن فيها بعض الملوك المتأخرين أهراءه .

٢٠ - ومن جليل مدنها وفاخر خواصها ما خُصِّت به تَنيس ودمياط وهما جزيرتان بين الماء المالح والعذب أكثر السنة في وجه النيل لا زرع فيها ولا ضرع بهما ، وفيها يُتخذ ويُعمل رفيع الكتان وثياب الشرب والدبقيّ ، والمصبغات من الحُلل التنيسية التي ليس في جميع الارض ما يدانيها في القيمة والحسن والنعمة والتوف والركة والدقة ، وربما بلغت الحُلَّة من ثيابها مائتين دنانير اذا كان فيها ذهب ، وقد يبلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار وزائداً وناقصاً . وجميع ما يُعمل بها من الكتان فربما بلغ مثقال غزلٍ من غزوها دنانير ، وان كانت شطا ودبقوا ودميره وتونه وما قاربهم بتلك الجزائر يُعمل بها الرفيع من هذه الاجناس ، فليس ذلك بمقارب للتنيسيّ والدمياطي والشطوي بما كان الحمل على عهدنا يبلغ من عشرين الف دينار الى ثلاثين الف دينار لجهاز العراق ، فانقطع بالمغاربة وخصّ بقطعه اللعين ابو الفرج بن كاسّ وزير العزيز ، فإنه استأصل ذلك بالنوائب والكُلف والمغارم والسُخَر الدائمة للصنّاع ، حتى لجعل جزيةً على جميع الداخلين والخارجين الى تنيس . وبصر غير طراز رفيع وسأقي على ذكره .

٢١ - وأما النيل فأكثر جربه الى الشمال وكذلك جري نهر الاردن ، وعرض العمارة عليه بجنبيه من حد اسوان ما بين نصف مرحلة الى يوم الى ان ينتهي الى القسطاط ، فتعرض العمارة على وجه الارض فيصير عرضها من حد الاسكندرية الى الحُوف الذي يتصل بعمارة القلزم نحو ثمانية أيام واكثر ، ولم يكن في ارض مصر سبباً ما جاور النيل قفار غير معمورة بل كانت أهلة قبل فتح الاسلام فلم يبق بها ديار ولا مخبر .

٢٢ - وأما الواحاتُ فإنها بلاد كانت معمورة بالمياه والأشجار والقرى والروم قبل فتحها ، وكان يُسلك من ظهرها الى بلاد السودان بالمغرب على الطريق الذي كان يؤخذ ويُسلك قديماً من مصر الى غانه فانقطع ، ولا يخلو هذا الطريق من جزائر النخيل وآثار الناس ، وبها الى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم وجمال قد توحّشت فهي تتوارى . وللواحات من صعيد مصر اليها في حد النوبة نحو ثلاثة أيام في مفازة حد ، ولم تزل سافرتهم وسافرة

أهل مصر على غير طريق تتصرف الى المغرب وبلد السودان في براري ، ولم ينقطع ذلك الى حين ايام دولة ابي العباس احمد بن طولون . وكان لهم طريق الى فزان والى برقة فانقطع بما دار على الرفاق في غير سنة بسافية الريح للرمل على الرفاق حتى هلكت غير رفقة ، فأمر ابو العباس بقطع الطريق ومنع ان يخرج عليه احد .

٢٣ - وبلد الواحات ناحيتان ويقال لهما الداخلة والخارجة ، وبين الداخلة والخارجة ثلاث مراحل وأجلها الناحية الداخلة ، وهي واسطة البلد وقرار آل عبدون ملوكها وأصحابها ، وفيها مساكنهم واموالهم وعُدَّتْهم وذخائرهم . وهما حارتان بينهما نصف بريد وبكل حارة منهما قصر الى جانبه مساكن لحاشية من ينزله وخاصته واصحابه وضيافته وفيها حرمهم . وتُعرف إحدى الحارتين بالقلمون والآخرى بالقصر . والناحية الخارجة تُعرف ببيريس وببيخيط وهما خمسة اصقاع ، ويشتمل كل صقع منها على منابر تتقارب في المنزلة والحال . ولم تزل منذ اول ما فتحها المسلمون في ايدي آل عبدون ، ومرجعهم الى حي من لواتة قبيل من البربر ملوك هذه الناحية ، يرجعون الى مروثة فاشية ومظاهرة بالحرية ورغبة في القاصدين ومحبة للمتبعين على جميع ضروب القصد ، مكرمين للتجار نازلين على احكامهم في الارباح . وكان من احرصهم على هذه الوثيرة يتقبل المحاسن ويحب حسن الاحدوثة والشكر ، ويرغب في جميل الذكر ابو الحسن مكبّر بن عبد الصمد بن عبدون ، رحمه الله ، بكبر نفسه وسعة قلبه وكثرة طوله وفاشي مروثته يزيد على من سلف له من اهله في جميع المقاصد الكريمة ، ويركب منها الطرقات الصعبة الجسبية . ولما مضى قام مكانه وعمر موضعه عبدون بن محمد بن عبدون في ضمن عبد له يُعرف بمصبح بن ميمون مغربي الاصل مولّد بالواحات ، وهو رجل كندب وشيخ شهيم . ونواحيهم كثيرة المياه والاشجار والغياض والعيون الجارية العذبة متصرفة في نخيلهم وزروعهم وأجنتهم ، واكثر غلاتهم بعد القمح والشعير الارز ولديهم من العنّاب الكثير والفتوة الواسعة الغزيرة ما يُعَدُّق به الى كثير من النواحي ، وهي كالناحية المعتزلة في مركز دائرة من النيل ومن اي نحو قصدت الواحات

من انحاءها كان الوصول اليها من ثلاث مراحل الى اربع مراحل . والناحية الخارجية منها المعروفة ببخيط ويبريس اقرب الى النيل ، ومن قصدها من ناحية النوبة ويبرين واعمالهم اجتاز بعين النخلة بقاء عدل لا ساكن عنده ولا يجد الماء الى يبريس . ومن اجتاز بها من ارض مصر وقصدها من اسنى وارمنت تزود ماء النيل الى يبريس . ومن قصدها من البلينا واخميم واسيوط والاشمون من اسفل الصعيد كان وصوة الى ببخيط وتزود ماء النيل . ومن قصدها من اسوان واعلى الصعيد اجتاز بدنقل بقاء عدل في أحساء تحفر باليد ، وعليه نخيل كثيرة بغير ساكن وتزود الماء الى يبريس ، ومسيرة كل طريق بما ذكرته اليها ثلاث مراحل ، واكثر هذه الطرق في عقاب وأودية ، وجميع من قصدها من هذه الارباع نواحي يقطع الوادي المعروف بدواي وأحساء بني فضالة ؛ ومن قصد الواح الداخلة وهي دار مملكة آل عبدون من ناحية القيس والبهنسة ، كان وصوله الى بهنسة الواح إذ بها ناحية تعرف بالبهنسة ايضاً ، وبينها وبين الفرغرون مرحلة والفرغرون قرية ذات قصور . وبين بهنسة مصر والقيس و بهنسة الواح اربع مراحل ، وهي في جملة الواح الداخلة وتُصيب الماء في هذا الطريق بموضع يُعرف بقاء النخلة وفيه نخلة . والغالب على اهل الفرغرون القبط النصارى . وبالفرغرون والبهنسة قصران لآل عبدون يليهما مساكن كمساكن القلمون ، ولا حرم فيهما ولا ذخيرة بل هي عدة لنزول اهلها بها عند نزولهم ، ويليها مساكن الأكرّة . وبالبهنسة وبخيط ويبريس قرى ظاهرة وباطنة وأهم عليهم لوازم للسلطان وجزية ، ولا يمد آل عبدون وخدمهم ايديهم في شيء من الجباية سوى الحراج والجزية من النصارى ، وليس بجميع الواحات يهودي واحد فما فوقه . وبالواحات من بني هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة وهي مصيفهم وقت الغلة وميرتهم منها ، وليس بجميع الواحات حمام ولا فندق يسكنه الطاريء والقادم اليها . واذا قدم التجار والزوار على آل عبدون أنزلهم ابن كانوا من قرارهم ، ولزمتهم الأنوال ودرت عليهم الضيافات الى حين رحيلهم ، وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالابل والبقر ، وقلتها يُطرون ومياه عيونهم حارة فهي تقوم لهم مقام الحمامات .

وقد يُقصد الواحات من ناحية المغرب ومن جزيرة فيها نخيل وسكّات من البوبر تُعرف بسنترية ، فيكون اول وصولهم منها الى ناحية بهنستها . ويجميع الواحات بِبَع قديمة ازيلّة معمورة لان البلد كان نصراني الاصل قديماً ، وكان غزير الدخل كثير المال فشاب وشميط بجور السلطان . وقد استحدث المسلمون بهذه النواحي الخمس نحو خمسة عشر منبراً ، ولكل قرية من قرى هذه الخمس نواحي مساجد معمورة بالصلوات الخمس . وجميع من بها من القبط في ولاء آل عبدون عتاقة وغلّات البلد فوق حاجتهم ، وبه من القموح والتمور الجليلة الكبار الحب والعُثّاب والقطاني الى جميع الفاكهة والبقول ما يزيد على حاجتهم وينيف على فاقتهم وإرادتهم ، وبين آل عبدون والنوبة هدنة بعد حروب جرت وغارات دامت واتصلت وهذه جملة من خبرها وأوصافها .

٢٤ - واما البحيرة التي هي بارض مصر وفي شمال الفَرَمّا وتتصل ببحر الروم تعرف ببحيرة تنيس ، فهي بحيرة اذا امتد النيل في الصيف عذب ماؤها وإذا جزر في الشتاء الى اوان الحر غلب ماء البحر عليها فمِلْحَ ماؤها ، وغاص فيها ماء النيل . وفيها مدن كالجُزائر فيها يطيف ماء البحيرة بها ولا طريق اليها إلا في السفن . من أجلّ جزائرها تنيس ودمايط ودميره ودبقوا وشطا وتونه . وهي قليلة العمق يسار في اكثرها بالمرادى وتلتقي السفينتان تحك إحداها الاخرى ، هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة بملاة شرعها بالريح متساوية في سرعة السير . وهذه البحيرة سمكة تعرف بالدلفين في خِلقة الرّزق الكبير ، وتكثر في مياه بحر الروم في منحدر الماء العذب من البحر . وذكر قوم في مؤلفات حماقات رقاعاتهم أن لها خاصية مشهورة ، وذلك أنها لا تزال تدفع الغريق عند غرقه وهو يجود بنفسه وتَعْنُهُ بارهاقه ودفعه مرة وشيله ورفع تارة الى الساحل او الماء الرقيق ، والناس يكذبون لما كانت ذوات الاربع لا تنطق . وذكر هذا المؤلف في بعض كتبه وغيره انّ بالاسكندرية سمكة تُعرف بالعروس حسنة المنظر نقِشَة لذيدة الطعم ، إذا اكله الانسان رأى في منامه كأنه يؤتى إن لم يتناول عليها الشراب أو يكثر من أكل العسل ، بل يرى ان

كثيراً من السودان يفعلون به ، ورأيتها وأكلتها أنا وجماعة من ذوي التحصيل فشهدوا بكذب هذه الحكاية .

٢٥ - ومن حدّ هذه البحيرة الى حدّ فلسطين والشام أرض رمال كلها متصلة حسنة اللون تسمى الجفار ، بها نخيل ومنازل ومياه مفيضة الرمل غير منفصلة ، ويتصل هذا الرمل برمل نفزاوه من ارض المغرب ورمل سجالهاسه ، يأخذ الى ارض أودغست وذلك أنه يأخذ من الجفار مغرباً عنها مع جبل المقطم ، ويمتد على ساحل النيل من شرقه وغربه وحيتانه : والنيل يشقّه بنواحٍ كثيرة فمنها : باهرت وشرونة وبياض وصول والبرنيل واقفيح واسكُر والحي الى نواحي بُوصير قوريدس ، واهناس ودلاص وسمسطا والقيس وطحا والاشمونين ، فيأخذ على ارض الفيوم وبحيرة اقنى وتتهمت والبحيرة في وسطه وتحت جبال منه ، فيضي على بلد الشنوف ويستبطن طريق الباطن ويأخذ على غربي عقبة برقة ماراً على الطريق الأعلى ، وخلف طريق الجاذّة ويقع شيء منه الى ساحل بحر برقة وينقطع ، ولا ينقطع ما على الطريق الأعلى منه حتى يرد قبلة اجدابيه ، وسُرت فيكون في وسطه ، ويأخذ عن الطريق مغرباً الى صحارى جبل نفوسه ونفزاوه ، ويرتفع الى لمطه ورمال سجالهاسه ويتصل برمل اودغست المتصل بالبحر المحيط . ويتصل رمل الجفار من ناحية القبلة في نفس البرّ الى آيلة ورمال القازم ، ويفترش بالساحل وطريق جاذّة مصر ويضي الى مدينة يثرب ممتداً على ما جاور ارض لحم وجُذام وجُهمينة وبليّ ، وما دنا من ارض تبوك ويمتاز بوادي القرى ماراً بديار نمودة مشرقاً الى جبلي طيء ، ويتصل برمل الهبير ورمال الهبير متصل برمل البحرين ورمال بادية البصرة وُعَمان الى ارض الشّحر ومَهَرَة ، وجميع ارض الشحر ومهرة رمل من البحر الى الجبل ويعبر البحر فيكون تجاه الشحر ومهرة من بلاد الزنج رمل كهية رمل الشحر ، ويحاذي رأس الجُهمينة من نواحي حصن ابن عمارة وارض هرموز ، فيمر شمالاً الى اقاصي خراسان على اعمال الطبسين وهرارة ورمال مرو وسرخس ، ويشرق بعضه الى اعمال السند والديبل وسوبارة وسندان وصيمور ماراً في براري الهند الى التبت

وبلاد الصين ، فيشرع في البحر المحيط . وجميع الرمل الذي على وجه الارض متصل متناسب لا اعرف فيه بلداً رملهُ ذو فصل إلا القليل . وكذلك جبال الارض كلها متناسبة متصلة إلا القليل اليسير منها . ويتصل حد الجفار ببحر الروم ، وحد بالتيه وحد بأرض فلسطين من الشام وحد ببحيرة تنيس ، وما اتصل به من حَوف مصر الى حدود القازم . وبالجفار حَيَّاتٍ شَبْرِيَّة تلب من الرمل الى المحامل والركاب على الدواب فرما لسبتهم وآذنتهم .

٢٦ - وأما تيه بني اسرائيل فيقال : إن طوله نحو اربعين فرسخاً وعرضه قريباً منه . وهو ارض فيها رمال وبعضه جلد وبه عيون ونخيل مفترشة قليلة ، ويتصل حد له بالجفار وحد له بجبل طور سيناء وما اتصل به ، وحد له بأراضي بيت المقدس وما اتصل بها من فلسطين ، وحد له ينتهي الى ظهر حَوف مصر الى حد القازم .

٢٧ - ومدينة الاشمونين وإن كانت صغيرة فهي عامرة ذات نخيل وزروع ، ويرتفع منها من الكتات وثياب منه يجئ كثير الى مصر وغيرها . وتجاهاها من شمال النيل مدينة بُوصير ، وبها قُتل مروان بن محمد الجعدي ويقال أن سحرة فرعون الذين حشرهم يوم موسى من بُوصير .

٢٨ - ومدينة اسوان كثيرة النخيل غزيرة الغلات من التمور قليلة الزروع وهي اكبر مدن الصعيد ، والبُلينا وأخميم مدينتان متقاربتان في العمارة ، صغيرتان عامرتان بالنخل والزرع وذو النون المصري من اهل اخميم ، وكان بغاية النُسك والورع ، ولها جهاز من الكتان المعمول سُقَّة ومناديل الى الحجاز ومصر . وبها برّاً من اعظم البرابي وأطرفها ، وهو مخزن ل ذخائر القوم الذين قضوا من اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرانين ، واختلفوا في ما نبته فقال بعضهم : يكون فاراً فتحرق جميع ما على وجه الارض ، وقال آخرون : بل يكون ماء . وعملوا هذه البرابي قبل الطوفان ، ومنها بمصر وفي ارضها وصعيدها خاصة ما لم ار على وجه الارض شيء من ابنتها شبه رصانة في الاحجار وإحكام في التركيب ، وهندسة في الاركان وعلواً في السك ، الى تصاوير تريد على العجب من انواع لم يُر قط لها شبه في نفس احجارها قد بُتت في صخرها وعمدها .

٢٩- وبالفَيُوم مدن كبار جليلة وطرز مشهورة وكور عظام للسلطان والعامّة . وفيها من الامتعة للجلب ما يُستغنى بشهرته عن اعادته كالبهنسة المعبول بها الستور والاستبوقات ، والشُرْع والحِصَام والأحْلّة والستائر والبُسْط والمضارب والفساطيط العظام بالصوف والكتان بأصباغ لا تستحيل ، والوان تثبت فيها من صورة البقة الى الفيل . ولم يزل لاصحاب الطرز من خدم السلطان بها الخلفاء والأمناء ، وللتجار من اقطار الارض في استعمال اغراضهم بها من الستور الطوال الثينة التي طول الستر من ثلاثين ذراعاً الى ما زاد ونقص ، مما قيمة الزوج منها ثلاثمائة دينار وناقص وزائد . وطحا مدينة ايضاً فيها غير طراز ، ومنها ابوجعفر الطحاوي الفقيه العراقي ، صاحب كتاب اختلاف فقهاء الامصار . والفيوم نفسها مدينة ذات جانبيين على وادي اللاهون ، طيّبة في نفسها كثيرة الفواكه والخيرات غير صحيحة الهواء ، ولا موافقة للطاريء عليها ولا للغريب النازل بها . واكثر غلاتها الأرز وإن كانت لا تعدم من اصناف الغلات شيئاً ، وبظاهرها آثار حسنة والناحية مسماة باسمها . والفيوم ناحية كانت في قديم الايام وسالف الزمان عليها سور يشتمل على جميع اعمالها ، ويحيط بسائر مدنها وبقاعها ورأيت اكثره من جانب البريّة بيّنة أبراجه ، وقد غلب على اكثرها الرمل فطم منها ومنه ، وسقطت الحاجة اليه بالاسلام ودخول دولته على اهله . وهذا السور يُعرف بجائط العجوز وليس هو مختصاً بعمل الفيوم دون اعمال النيل الى آخر عمل النوبة ، بل يحيط بالنيل من نواحي مصر على جنوبي النيل جميعاً الى اعمال النوبة .

٣٠- والفَرَمَا مدينة على شط بحيرة تَنْتِيس وهي مدينة خصبة وقد مرّ شيء من ذكرها ، وبها قبر جالينوس اليوناني . ومن الفرما الى تَنْتِيس في البحيرة دون الثلاثة فراسخ وهي مدينة كثيرة الرطب جيّدته صالحة الفاكة كثيرةها . وبتَنْتِيس تلّان عظيمان مبنيان بالأموات منضدين بعضهم على بعض ، ويسمّى هذان التلّان بُوتُوم ويُشبه ان يكون ذلك من قبل أيام موسى عليه السلام وبعثه ، لان اهل مصر في ايام موسى كانت في شريعتهم الدفن ثم صارت للنصارى ودينهم ايضاً الدفن ثم صارت

للاسلام . وعليهم اكفان من خشن الخيش وعظامهم وجماجهم فيها صلابة الى يومنا هذا .

٣١ - وبالفسطاط قرية تُعرف بعين شمس عن شمال الفُسطاط ومنف في جنوبي الفسطاط واحدة تجاه الاخرى ويقال كانا مسكنين لفرعون . وبها آثار عجيبة يتنزه فيها . وعلى رأس جبل المقطم في قُلتِه مكات يُعرف بتنور فرعون يسع خمس مائة كُتر حنطة ، وهذا من نوع الخرافة . ويقال أن فرعون كان اذا خرج من احد المتنزهين أصدد في المكان الآخر من يعادله ، ليعاين شخصه بالوهم ولا تُفقد هيئته . وفي نيل مصر مواضع لا يضر فيها التمساح : كعدوة بُوصير والفسطاط . ولعين شمس الى ناحية الفسطاط نبت يُزرع كالقضبان يُسمّى البلسم ، يُتخذ منه دهن البَلَسَان لا يُعرف بمكان من الارض إلا هناك ، ويؤكل لحاء هذه القضبان فيكون له طعام صالح وفيه حرارة وحروفه لذيدة . وشبّروا ضيعة في وقتنا هذا جليلة ، في محل مدينة يُعمل فيها شراب العسل عند زيادة النيل ، فلا يخالط العسل والماء ثالث من خلط ، وهذا الشراب مشهور في جميع الارض لذّته ومحل نشوته وخمر رائحته . والى جانبها قرية تعرف بدمنهوور ويُعمل بها بعض ما يُعمل بشبّروا وجميع مالها للسلطان . وفاقوس وجرجير مدينتان من ارض الحوف ، والحوف ما كان من النيل اسفل الفسطاط ، وما كان من النيل جنوبيّه يُعرف بالريف . ومُعظم رساتيق مصر وقراها في الحوف والريف .

٣٢ - وأهلها نصارى قبط ، ولهم البيع الكثيرة الغزيرة الواسعة وقد خرب منها الكثير العظيم ، وفيهم قلّة شر إلا مع عُثمّالهم والمتقبّلين لنواحيهم . وكان فيهم اهل يسار وذخائر واموال واسعة وصدقات ومعروف ، وأدركت من اليسار فيهم والمعروف منهم على المسلمين ما يطول شرحه ، ولم يك بشيء من البلدان ما يقاربه او يدانيه . ومن اولاد القبط غيلان ابو مروان رئيس الغيلانية ، فرقة من الشيعة ، وآسية بنت مُزاحم ومارية ام ابراهيم ابن نبيّتنا عليه السلام وهاجر ام اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام . وربما ولدت المرأة القبطية الولدين والثلاثة

والاربعة في بطن واحد مجمل واحد، وليس ذلك بمكان ولا في شيء من البلدان ولا ذلك بالخصوص، بل ربما جرى في السنة دفعات، وذلك أن ماءهم على قولهم أنيث يريدون ماء النيل وفيه خاصية لذلك على قولهم. وبما يقارب ذلك وليس بالمنتشر العلم ولا في جميع الاقطار ان غنم تركستان تلد الشاة في السنة ستة وسبعة رؤوس من الحسلات والمعز كما تلد الكلبة، واكثر اهل تركستان وبلاد خوارزم يذبحون ما زاد على الاثنين من اولاد الغنم وينتفعون بجلودها، وذلك أن جلودها حمر قانئة الصبغ يباع الجلد منها من ربع دينار الى دينارين واكثر وأقل حسب صبغته، ويكون فيها ايضاً جلود سود فيبلغ الجلد لنقائه وحلو كته وحسنه الدنانير الكثيرة، وربما كان فيما ابيض من جلودها ما يعمل منه اغشية للسروج في غاية البياض، وله ايضاً ثمن صالح ومنها مقاربة يباع عشرة جلود بدرهم. وسألت عن علة ذلك ابا اسحاق ابراهيم بن البتكين الحاجب فقال: إن اغنهم ترعى نهراً وتنفس ليلاً فقواها زيادة وما ترعاه صحيح ملائم لها، وهذا كما يذكره الخراسانيون أن هواءهم يغذو حيوانهم ويزيد في صحتهم ويُنقي ابشارهم، ويدفع عنهم الأمراض والألعال صحة مياههم وهذا ما لا يحتاجون معه الى دليل غير المشاهدة، فإنها تُعرب عن صدقهم ويشهد لهم العيان بذلك.

٣٣- ومعادن الذهب في حدود البجة ومستحق المكان من الإقليم الثاني من قسمة الفلك، وكذلك التبر في جميع الارض فهو بالإقليم الاول والثاني إلا ما بالجوزجان منه، فإنه شيء تأفه يسير ولا اعرف العلة فيه. ويقال أن ارض عيذاب من البجة وهي من مدن الحبشة وارض المعدن مبسوطة لا جبل فيها، وهي رمال ورضراض ومجمع تجارات اهل المعدن بالعلاقي، وليس للبجة قرى ولا خصب. وهم بادية يقتنون النجب وليس في النجب اسير من نجبهم، ورققتهم ونجبهم وسائر ما بأرضهم يقع الى مصر في جملة التجار المصريين او ما قدم به بعضهم.

٣٤- وبصر بغال وحير لا يُعرف في شيء من بلدان الاسلام والكفر أسير منها ولا أحسن ولا اثن، غير انها مخططة الخلق غير علة

الأبدان ولا رطوبة الجسوم، وقد تجلب الى بعض الاماكن فتتغير وتمتلى ابدانها وهي الغاية في سرعة السير وحسن المشي والوطأة . ولهم من وراء اسوان حمير صغار في مقدار الكباش الكبار مملعة الجلود يشبه تلميعها جلود البقر، وقد يكون منها الاصفر المدنر والاشهب المدنر فتكون في غاية الحسن، واذا أخرجت من مواضعها وبلادها لم تعش . ولهم حمير تعرف بالسفلاقيّة وكانت فرش الصعيد وأرض مصر والبجة فقلّت، زعموا ان أحد أبويها وحشي والآخر أهليّ فهي أسير حميرهم .

٣٥ - فأما ارتفاع مصر وقتنا هذا وما صارت اليه جباياتها ودخلها فسأقي به ، وقد ذكرتُ ذلك فيما سلف ووقتنا هذا كأزرع الأوقات جباية ، فإنه على غاية الصون من دخول المطامع عليه وحذف ما كان يوافق به الجباة والمقاطعون، وقد جُبيّت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة على يد أبي الحسن جوهر صاحب أهل المغرب ، وهي السنة الثانية من دخوله اليها ثلاثة آلاف ألف دينار وفوق أربع مائة ألف دينار . وذلك انهم كانوا فيما سلف من الزمان يؤدّون عن الفدان ثلاثة دنانير ونصفاً وزائداً عن ذلك القليل الى نقص يسير ، فقبض منهم في هذه السنة المذكورة عن الفدان سبعة دنانير ولذلك ما انعقد هذا المال بهذا الوفور . وأما أخرجة مصر فقبالة تقع على كل فدان مقاطعة ، ويُعطى الأكرّة على ذلك مناشير ووثائق لكل ناحية على المساحة والفدان بشيء معلوم ، ويؤدّون ذلك نحو ما على ما قدّمتُ ذكره من الثمن أوّلاً ثم لمقام الربع ثانياً ثم مطالبة بالثمن الثالث ، واستيفاء من بعد تمام النصف من مال الخراج في شهر برمودة ومطالباتهم بالنجوم ليرتفقوا في المعاملة بجميل السيرة ، ولا يلحقهم عنف ولا ينافهم مضايقة ولا رهق من الأذية عن سائر ما يزرعون وليس هذه سنن إسلاميّة بل هي أوضاع توخّتها الفراغة ليؤدّي الأكرّة من الأرز في الحنطة والشعير ، ومن الحنطة والشعير في القصب والكتان .

الشام

١ - وأما الشام فإنَّ غربيَّها بحر الروم ، وشرقيَّها البادية من أيلة الى الفرات ثم من الفرات الى حدِّ الروم ، وشماليتها بلاد الروم وجنوبيَّها مصر وقيساريَّة بني إسرائيل ، وآخر حدودها بما يلي مصر رفع وبما يلي الروم الثغور المعروفة . كانت قديماً بشغور الجزيرة وهي : ملطية والحَدَث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصيصة وأذانه وطرسوس [هذا في زمانه ، وأما في زماننا هذا فإنَّ شماليَّها الى طرف بحر طرازون والخزر بيد المسلمين قد افتتح الكثير منها في تأريخ ثمانين وخمس مائة والحمد لله رب العالمين] . والذي يلي المشرقيَّ والمغربيَّ فالنواحي التي قدِّمتُ ذكرها في تصوير الشام وفي اعادتها تطويل .

٢ - وهذه الصورة التي في باطن هذه الصفحة صورة الشام .

إيضاح ما يوجد في صورة الشام من الأسماء والنصوص :

قد كتب في النصف الأيمن من الصورة موازياً لساحل بحر الروم الساحل وعليه من المصدن ابتداء من الأعلى : الفرما ، مياس ، تيدا ، عسقلان ، الماحوز ، يافا ، قيساريه ، عكا ، اسكندريه ، صور ، عذنون ، صرفندة ، صيدا ، الجيه ، الناعمة ، بيروت ، جونيه ، الماحوز ، جبيل ، بترون ، انفه ، القلمون ، اطرابلس ، انطربوس ، مراقيه ، بلباس ، جبلة ، اللاذقيه ، فاسره ، السويدية ، الصخره ، الاسكندرونه ، بيباس . وفي اسفل الصورة ينصبُّ في البحر ثلاثة انهار عليها من المدن : كفريبا ، المصيصة ، عين زربة ، اذنه ، طرسوس . وُسمت في البحر ثلاث مدن وهي : الكنيسة ، ارسوف ، نسدين . وكتب في البحر عن يسار : قيساريه وعكا وبينهما حيفه والقصور المضافة الى حيفه . وتوازي الساحل سلسلة جبلية وكتب في أعلى الساحة التي بينها وبين البحر : نواحي مصر ومغرب الشام وبلد فلسطين . وفي هذا القسم مدينتا :

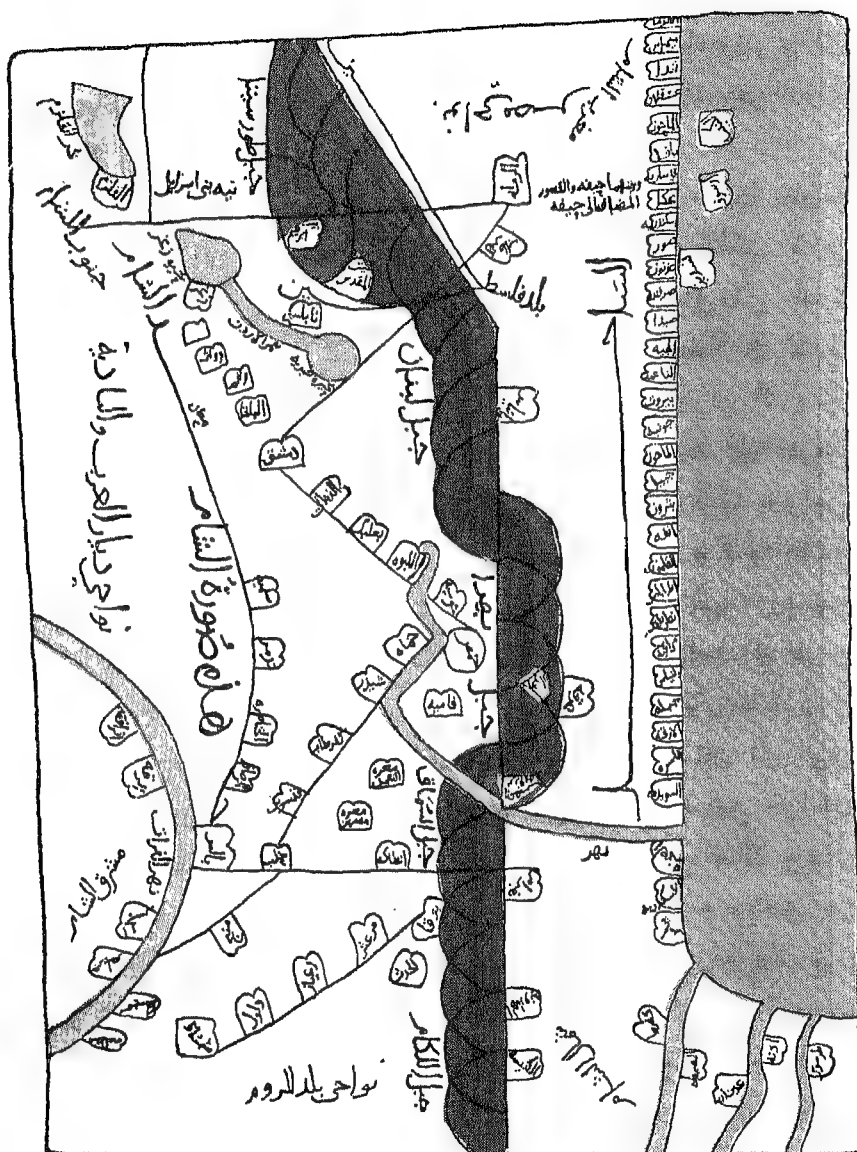
الرملة وكفرسابا . ثم يليها الى الأسفل اتصالا للجبل : بانياس ، اقدار ، عرقه ، حصن برزويه ، بغراس ، الهارونيه ، الكنيسه . وبين حصن برزويه والصخرة نهر وكتب في اسفل هذا القسم شمال الشام .

وكتب في الجانب الأيسر من الجبل عند اعلاه جبل طور سينا ، وعن يسار ذلك تيه بني اسرائيل ، وعن يسار ذلك مدينة القلزم وبحر القلزم . ومن اسفل ذلك جنوب الشام . وكتب من طرفي هذا القسم الأعلى من الجبل آخر مخطوط فلسطين ، وفيه مدينتا بيت ابراهيم وبيت المقدس ومن اسفلها نابلس . ثم بحيرة طبريه ونهر الاردن الذي يفضى الى بحيرة زغر وعليها مدينة زغر . وكتب عند الجبل فيما يسامت بانياس جبل لبنان . وتقابله في البر مدينة دمشق وبين دمشق وزغر من المدن : البلقا ، رقم ، روات .

وكتب عند القسم الأوسط من الجبل جبل هرا . وهنا مدينة حمص وبين حمص ودمشق طريق عليه من المدن : جوسيه ، اللبوه ، بعلبك ، الزبداني . ومن اسفل حمص مدينة قاميه ، ثم كتب عند القسم الثاني من الجبل جبل السماق ، وقرب ذلك مدينة انطاكية ويأخذ منها طريق الى حلب ثم الى بلس على نهر الفرات . وعلى الطريق من حلب الى حمص من المدن : قنسرين ، كفرطاب ، شيزر ، حماه . وبين شيزر وانطاكية مدينتا معرة النعمان ومعرة مصرين ، وكتب على خط مستطيل من بلس الى القلزم حد الشام وعليه من المدن : الرصافه ، الخناصره ، تدمر ، سلميه ، معان . وتحت الخط هذه صورة الشام وذلك عنوان الصورة وعن يسار ذلك نواحي ديار العرب والبادية .

وعلى نهر الفرات من جانبه الايسر : الرافقه ، الرقه ، الجسر ، جربلص . وكتب وراء ذلك مشرق الشام . وبين حلب وجربلص مدينة متبيج ثم على الضفة الفرات من هذا الجانب : سميساط ، ملطيه ، وعن يمينها شمشاط . ويأخذ من شمشاط طريق الى الجبل وعليه : دلوك ، رعيان ، مرعش ، بوقا وأسفل بوقا مدينة الحدث . واسم الجبل في هذا القسم جبل اللكام ثم كتب في اسفل الصورة نواحي بلد الروم .

٣ - قد جمعت الثغور الى الشام وبعض الثغور كانت تُعرف بثغور الشام ، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام . وذلك ان كلما كان وراء الفرات فمن الشام وإنما سمي من ملطيه الى مرعش ثغور الجزيرة لأن أهل الجزيرة بها كانوا يرابطون ويغزون ، لا انها من الجزيرة وأعمالها . وكور الشام فهي جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والعواصم والثغور . وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بينهما ، وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ومتصل بجميع جبال بلاد الروم . ويقال انه ينتهي الى حد مائي



صورة الشام

فرسخ ويظهر في الاسلام ما ظهر منه بين مرعش والمارونية وعين زربة ، فيسمى اللكام الى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء وتنوخ الى حمص ، ثم يسمى جبل لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل بالمقطم من أخرى .

٤ - وهو جبل على وجه الأرض أوّله بالمشرق من بلد الصين خارجاً من البحر المحيط على وخان من نواحي نخذان ، فيقطع بلاد التبت لا في وسطها بل على مغاربهـا ومشارك بلاد الخرجية الى ان يأتي من حدود الاسلام فرغانه فتمر منه قطعة الى الجنوب من فرغانه وقطعة الى الشمال ويمر صدر هذا الجبل على فرغانه الى جبال البتم ، وعلى جنوب اشروسنه فتكون جبال البتم منه وشرب سمرقند ومياها منها ، ثم يأخذ الى سمرقند من جنوبها ايضاً فيمر الى نسف على شمال السغد الى كش ونسف ونواحي زم فيقطعه نهر جيحون ، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ليستمر الماء في وسطه ويمتاز على البلاد التي هـندس مضيئه اليها ، ويستمر الجبل الى الجوزجان ويأخذ على الطالقان الى أعمال مرو الروذ الى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ومنه الى نيسابور ، ويكون نيسابور في سفحه على غربه وهو شرقها ويتصل به جبال جرجان وطبرستان الى الري من شماله ، وهو آخذ من نيسابور الى الري عن يمين القاصد من خراسان الري ، فيكون الري في سفحه ومن غربيه ، ويتصل من هناك بجبال الجبل والديلم وبجبال اذربيجان والقبقي واللان وبلد الروم ، ويتصل من جنوبه بجبال اصبهان وشيراز الى أن يصل الى بحر فارس ، ولا يزال يساير الطالب من الري العراق عن يمينه الى حلوان على همذان وقرميسين وحلوان أول حدود العراق ، وينعطف هذا الجبل عن فرسخ من حلوان عن طريق العراق عادلاً عن سمت المغرب الى الشمال ، فيمضي على سهرورد وشهرزور الى أن يأتي الى دجلة بنواحي تكريت ، فيكون منه جبل بارما الذي عن شرقي دجلة وجبل الشقوق الذي عن غربيها ، ويصعد من ناحية بارما فيكون منه جبلا زينا وزامر اللذان في شرقي حديثة الموصل ، ويمر على حياله يساير دجلة فمرة يقرب وتارة يبعد الى الجبل المعروف من

فیشابور بجبل ثنين الى جبل الجودي ، ماراً الى آمد وينشعب منه جبال الداسن وجبال ارمينية الخارجة المتصلة بجبال ارمينية الداخلة التي اتصلت بجبال اذربيجان وطبرستان، وهي جبال تتصل بجبل القبق من باب الابواب في شمال بحيرة الخزر الى بلاد ياجوج وماجوج . ولا يزال هذا الجبل يستمر من اعمال آمد [وميافارقين] ونواحي دجلة الى الفرات ، فيكون سمسطا فيه ويتصل بمجدود مرعش التي ما ابتدأت ذكره منها الى ان وصلتته الى بيت المقدس من جبل لبنان . ثم يمر على يسار الازهاب من الرملة الى الفسطاط الى المقطم، ولا يزال الى آخر الصعيد الاعلى ويتصل بجبال النوبة من جنوبي النيل الى قلعيب من جانب النيل الشرقي ، والى جبل القمر من جانب النيل الغربي ويقطع النيل شعبتين منه بنواحي الفيوم ، وليست بمضيقي كالمضيقيين اللذين ذكرتهما للنيل بأعلى الصعيد تجاه بحيرة اقنى وتنهت ، فيمضي الشعبة الغربية بين الباطن وظاهر الشنوف الى جبل برقة ، وتكون عقبة برقة التي في مغرب رمادة منه ، ولا يزال ماضياً في وسط البر يراه من اخذ الطريق العالية الى قبة برقة ، ويمتد على حاجز اعمال اجدايه وسُرت على صدر جبل نفوسه ، فيصير عند بلوغه الى نفاذه جبال رمال سامقة شاهقة لا تتوكل ولا تُصعد إلا بشدة ، ويضرب عرق منه من جبل برقة في باطن البر الى فزان وعلى زويله راجعاً الى القبة . ثم لا يزال هذا الجبل يظهر في مواضع مستحجراً وفي مواضع جبال رمل ودهس الى سجلاسه ، ويغوص في تلك البراري على ما ذكر سالكوها الى اودغست والبحر المحيط ، وأظنه كقولهم ولم أشاهده بكلّيته وشاهدت البعض منه كما يوجه ما تواطأت عليه الأخبار من ثقات اهل الناحية ورؤساء الأدلاء بها وفيها ، وسائر ما وصلته من أخباره وقصصه من انبائه وآثاره فبالمشاهدة مني لذلك والمعاينة لأشكالها .

هـ - وأما جند فلسطين وهو أول أجناد الشام مما يلي المغرب ، فإنه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفع الى حد اللجون وعرضه من يافا الى ريجا مسيرة يومين . ونواحي زغر وديار قوم لوط والشرارة والجبال فمضمومة الى هذا الجند ، وهي منها في العمل الى ايلة . وديار قوم لوط

والبجيرة الميَّنة وزغر الى بيسان وطبويَّة يسمَّى الغور لانها بين جبلين ،
وسائر مياه بلاد الشام يقع اليها وبعضها من الاردن وبعضها من فلسطين .
ونفس فلسطين هو ما ذكرته ومياه فلسطين من الأمطار والطل ، وأشجارها
وزرعها أعداء بحوس لا سقيَ فيها إلا نابلس فيها مياه جارية . وفلسطين
ازكى بلدان الشام ربوعاً ومدينتها العظمى الرملة ، وبيت المقدس تليها
في الكبر ، وهي مدينة مرتفعة على جبال يُصعد اليها من كل مكان يقصدها
القاصد من فلسطين . وبيت المقدس مسجدٌ ليس في الاسلام مسجد اكبر
منه ، وله بناء في قبلته مُسقَّف في زاوية من غربي المسجد ، ويمتد هذا
التسقيف على نصف عرض المسجد والباقي من المسجد خالٍ لا بناء فيه إلا
موضع الصخرة ، فان هناك حجراً مرتفعاً كالذكة عظيم كبير غير مستوي ،
وعلى الصخرة قبة عالية مستديرة الرأس قد غُشيت بالرصاص الغليظ السمك ،
وارتفاع هذه الصخرة من الارض التي تعرف بصخرة موسى تحت هذه
القبة الى صدر القام وطولها وعرضها متقارب ، وعليها حصار حائط ملوّح
ويكون نصف قامة ، ومساحة الحجر بضع عشرة ذراعاً في مثلها ؛ ويُنزل
الى باطن هذه الصخرة براق من باب يُشبه السرداب الى بيت يكون
طوله نحو خمس اذرع في عشر ، لا بالمرتفع ولا بالمستدير ولا بالمربع
وسمكه فوق القامة . وليس بيت المقدس ماء جارٍ سوى عيون لا ينتفع
الزروع بها ، وعليها شجيرات وهي من اخصب بلاد فلسطين على مر
الأوقات . وفي سورها موضع يُعرف بحراب داؤود النبي عليه السلام ،
وهو بنية مرتفعة ارتفاعها نحو خمسين ذراعاً من حجارة ، وعرضها نحو
ثلاثين ذراعاً بالحُزُر ، وبأعلاه بناء كالحُجرة وهو الحراب الذي ذكره الله
تعالى بقوله : « وهل اتاك نبأ الحُصم اذ تسوَّروا الحراب^(١) » واذا وصلت
الى بيت المقدس من الرملة فهو اول ما يلقاك وتراه من بيت المقدس
وبمسجدها لعامة الأنبياء آثار ومحاريب معروفة . وليت المقدس بناحية
الجنوب منه على ستة اميال قرية تعرف ببيت لحم ، وبها مولد عيسى عليه

السلام ، ويقال أن في بيعة منها بعض النخلة التي اكلت منها مريم ، وهي مرفوعة عندهم يصونونها . ومن بيت لحم على سمتة ايضاً في الجنوب مدينة صغيرة كالأقريّة تعرف بمسجد ابراهيم عليه السلام ، وبمسجدها المجتمع فيه للجمعة قبر ابراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام صفّاً ، وكل قبر من قبورهم تحاه قبر امرأة صاحبه ، وهذه المدينة والناحية في وهدة بين جبال كثيفة الاشجار . وأشجار هذه الجبال واكثر جبال فلسطين زيتون وتين وحميز الى سائر الفواكه ، والفواكه أقلها ويرى اهل مصر أنها مضافة اليهم . وفابلس مدينة السامرية ، ويزعم اهل بيت المقدس ان ليس بمكان من الارض سامري إلا منها اصله ، وبالرملة منهم نحو خمس مائة مجزي . وآخر مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة يقال لها غزّة ، وبها قبر ابي نضلة هاشم بن عبد مناف سيّد قریش أجمع ، وبها مولد محمد بن ادريس الشافعي ابي عبد الله الفقيه النبيل رحمه الله وقبره بالفسطاط . ومنها ايسر عمر بن الخطّاب في الجاهلية لأنها كانت مستطرقاً لأهل الحجاز وكان عمر بها مُبرطساً . وبفلسطين نحو عشرين منبراً على صغر موقعها ولا أحيط بأجمعها ، وهي من اخصب البلاد واليها اشار الله تعالى اسمه بقوله في البركة : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» (١) .

٦ - والذي ادركت عليه عقود فلسطين والاردن ، ايام ابي المسك كافور رحمه الله ، والمتّلي لها من قبله في سني سبع وثمان وتسع وثلاثين الى سني ثمان وتسع وأربعين حيناً محلولة وحيناً معقودة ابو منصور احمد ابن العباس بن احمد وابو عبدالله بن مقاتل وابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق ، وقد عُقدت على خزرون حيناً بخمس مائة الف دينار . وكذلك جند دمشق فعُقدت على خزرون وعلى ابي الحسن علي بن محمد بن جاني وعلى ابن مالك ، فكانت تكون في يد كل واحد منهم سنين بخمسمائة الف دينار . وكان كافور له في تغطسه منزلة لا يزيد عليها ، وهو أن اذا

عقد على بعض عماله او ألقا عليه شيئاً من اعماله طالبه قبل وجوب المال عليه بشيء منه على طريق القرض منه ، وكانوا يحسن نظره لهم اغنياء أملياء ويحتسب بذلك لهم بما تحت أيديهم ويجب عليهم . ولم يُعقد بمصر في وقته على أحدٍ من أوليائه عقدٌ تدبير إلا وربح فيه مثله من حيث يعلمه ويتقررّه ويقول : اذا لم يُختصّ الأولياء بالنعم صارت الى الأعداء عند الأخذ بالكظم فهم صناعي واولادي .

٧ - والجبال والشراة فناحيّتان متيزّتان ، اما الشراة فمدينتها اذرح والجبال مدينتها روات ، وهما بلدان في غاية الحُصْب والسعة وعامة سكانها العرب متغلبون عليها .

٨ - وأما الاردن فمدينتها الكبرى طبرية وهي على بحيرة عذبة الماء ، طولها اثنا عشر فرسخاً في عرض فرسخين او ثلاثة وبها عيون جارية حارة ومستنبطها على نحو فرسخين من المدينة ، فاذا انتهى الماء الى المدينة على ما دخله من الفتور بطول السير اذا طُرحت فيه الجلود تمعّطت لشدة حرّه ، ولا يمكن استعماله إلا بمزاج ويعم هذا الماء حماماتهم وحياضهم . والغورُ مع اول هذه البحيرة ثم يمتد على بيسان حتى ينتهي الى زغر ويرد البحيرة الميتة والغور ما بين جبلين غائرٌ في الارض جداً ، وبه فاكهة وأبّ ونخيل وعيون وانهار ، ولا يسقط به الثلوج وبعض الغور من حد الاردن الى ان يجاوز بيسان ، فاذا جاوزه كان من حد فلسطين وهذا البطن اذا امتد فيه السائر اذّاه الى أبلّه . وكان الغور من بين البلاد الحُسنه وتبدّد نخيله وطيبه ناحيةً من نواحي العراق الحُسنه الجليلة . ومدينة صور من احصن الحصون التي على شط البحر عامرة خصبة ، ويقال إنه اقدم بلد بالساحل وإنّ عامة حكام اليونانية منها . وبالاردن كان مسكن يعقوب النبي عليه السلام وجبّ يوسف على اثني عشر ميلاً من طبرية بما يلي دمشق ، وجميع مياه طبرية فمن بحيرتها .

٩ - وأما جند دمشق فقصبها دمشق وهي اجلّ مدينة بالشام في ارض مستوية ، قد دُحيت بين جبال تحتف بها الى مياه كثيرة وأشجار وزروع قد احاطت بها متصلة ، وتُعرف تلك البقعة بالغوطة عرضها مرحلة

في مرحلتين ، وليس بالشّام مكان انزه منها ونخرج ماؤها من تحت بيعة تُعرف بالفيجة ، مع ما يأتي اليه من عين بردى من جبل سنير ، وهو اول ما يخرج مقدار ارتفاع ذراع في عرض باع ثم يجري في شعب تنفجر فيه العيون ، فيأخذ منه نهر عظيم اجراه يزيد بن معاوية يغوص الرجل فيه عمقاً ثم ينبسط منه نهر المزة ونهر القناة ، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له النيرب ، ويقال أنه المكان الذي عناه الله تعالى بقوله : « وآتيناهما الى ربوة ذات قرار ومعين »^(١) ثم ينقل من هذا الماء عمود النهر المسمى بردا ، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لا يعبره الراكب عُزْرَ ماء وكثرة ، فيفضي الى قرى الغوطة ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحمّاماتهم . وبها مسجد ليس في الاسلام احسن منه ولا اقين بقعة ، فأما الجدار والقبّة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن ابنية الصابئين ، وكانت مصلّاهم ثم صار في ايدي اليونانيين وكانوا يعظّمون فيه دينهم ، ثم صار لليهود وملوك من عبدة الاصنام والاولثان ، وقتل في ذلك الزمان يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فنصب رأسه على باب هذا المسجد المسمى باب جيرون ، ثم تغلّبت عليه النصارى فصارت في ايديهم بيعة لهم يعظّمون فيها دينهم ، حتى جاء الاسلام فصار المكان للمسلمين واتخذوه مسجداً . وعلى باب جيرون نُصِبَ رأس الحسين بن علي بالموضع الذي نصب فيه رأس يحيى بن زكرياء عليهم اجمعين السلام . فلما كان في ايام الوليد بن عبد الملك عمره فجعل ارضه رخاماً مفروشاً ، وجعل وجه جدرانها رخاماً مجزّعاً وأساطينه رخاماً موثى ومعاهد رؤوس أساطينه ذهباً ، ومحرابه مذهب الجملّة مرصّعاً بالجواهر . ودور السقف كله ذهب مُكْتَبٌ كما يطوّق ترابيع جدار المسجد . ويقال : إنه انفق فيه وحده خراج الشّام سنين . وسطحه رصاص فاذا ارادوا غسله بتقوا الماء اليه ، فدار على رقعة المسجد بأجمعه حتى اذا فُجّر منه انبسط عنه وعن جميع الأركان بالسوية . وكان خراج الشّام على عهد بني مروان

١ - (وآتيناهما ... ومعين) سورة المؤمنين (٥٢) الآية ٢٣ .

الف الف دينار وفوق ثمان مائة الف دينار . ومن حد دمشق بعلبك وهي مدينة على جبل ، وعمامة ابنتها من حجارة وبها قصور من حجارة قد بنيت على أساطين شاهقة ، وليس بأرض الشام ابنة حجارة أعجب ولا أكبر منها . وهي مدينة كثيرة الخبز والغلات والفواكه الجيدة ، بيّنة الحُصْب والرُخَص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم ، وهي فُرُضتها وساحلها وبها يربط أهل دمشق وسائر جندها ، وينفرون اليهم عند استنفارهم ، وليسوا كأهل دمشق في جساء الاخلاق وغِلَظ الطباع ، وفيهم من اذا دُعي الى الخير اجاب واصفى ، واذا ايقظه الداعي أناب . ولنفس دمشق خاصية بطالها المحيل بطاعتها الى الخلاف ، وسمعت عبد الله بن محمد القلم يقول : في برج الأسد فساد باعوجاج في درج منه مع شرفه ونخله . ولما كان به من بلد او أُوجِبَ له من تربيعة ومقابلة لتلك الدرج سببٌ بنحسٍ وحكم ، فصفت طاعته واستقامت . وذكر أشياء في حكم سمرقند وأردبيل ومكة ودمشق وصقلية وقال : لا تصلح لسلطينها ولا تستقيم لملوكها إلا بالسيف ، واكثر أهل هذه المدن فالقدر أثبت في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم . وبيروت هذه كان مقام الأوزاعي وبها من النخيل وقصب السكر والغلات المتوافرة وتجارات البحر عليها دائرة واردة وصادرة ، وهي مع حصنها حصينة منيعة السور جيّدة الأهل مع منعة فيهم من عدوهم وصالح في عامة أمورهم .

١٠ - وأما جند حمص فإن مدينتها حمص وهي في مستواة خصبة أيضاً ، وكانت أيام عمارتها صحيحة الهواء من اصح بلدان الاسلام تربة . وكان في اهلها خبال ويسار فدخلها الروم غير دفعة فأحالوها ، وليس بها عقارب ولا حيّات ، واذا أُدخلت الحية والعقرب اليها ماتت . ولها مياه وأشجار ، وكانت كثيرة الزرع والضرع وكانت اكثر زروع رساتيقها بخوساً اعذاء . وبها بيعة بعضها مسجد الجامع وشطرها للنصارى ، فيه هيكلم ومذبحهم وبيعتهم من أعظم بيع الشام . ودخلها الروم وقتنا هذا فأتوا على سوادها وأخربوها . وجميع طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة مبلطة ، وقد زاد اختلاها بعد دخول الروم اليها

وانصرف سلطانها عنها ثم ان قوماً استوطنوا بمن سلم من الروم ، وقد أتت البادية على ظاهرها ورساتيقها وما أظن الروم تركت بها رمقاً لما بعدُ . وانطرطوس حصن على البحر تُغر لأهل حمص فيه مصحف عثمان ابن عفان ، وعليه سور من حجارة يمنع اهلها من بادية ، وقصدها من الروم استباحة وقد نجوا غير مرة من الروم لقلّة اكرائهم بما في البلد ورزوح حال اهلها ، ولم يقف نقفور عليه لهذا من سبب . وشيزر وحماة مدينتان صغيرتان تزهتان كثيرتا المياه والشجر والزرع والفواكه والخضر ، حصينتان في ذاتهما لذاتهما .

١١ - وجند قنّسرين فمدينتها حلب وكانت عامرة غاصّة بأهلها كثيرة الخيرات على مدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشّامات ، وافقتهما الروم - وكان الروم قد افتتحها في تاريخ ثلاثمائة ونيّف وسبعين - مع سورٍ عليها حصين من حجارة لم يُغن عنهم من العدو شيئاً ، بسوء تدبير سيف الدولة وما كان به العلة فأخرب جامعها وسبي ذراري اهلها واحرقها . ولها قلعة غير طائلة وقد عمرت وقتنا هذا ولجا اليها في وقت فتح حلب قوم فنجوا . وهلك بحلب وقت فتحها من المتاع والجهاز للغرباء وأهل البلد ، وسُبي منها وقتل من اهل سوادها ما في إعادته على وجهه لإرماض لمن سمعه ووهن على الاسلام وأهلها . وكان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق كثيرة ومحال وعيراص فسيحة ومشائخ وأهل جلّة . وهي الآن في زماننا ، وهو تاريخ نيّف وسبعين وخمسمائة للهجرة ، احسن مما كانت قديماً واكثر عمارة ، مأهولة بالمشائخ والرؤساء وأما قلعتها فهي حصينة منيعة في غاية الإحكام لا يقدر عليها . وهي الآن بحسنة اميرها ودناءة نفسه بملوكة من جهتين : إحداهن أنها في قبضة الروم مجزية يؤدّي كل انسان عن داره ودكّانه جزية ، والثانية ان اميرها اذا وردها متاع من خسيس ونفيس اشتراه من جالبه وباعه هو لأهلها على أقبح صورة وأخسّ جهة ، وما يُستثار بها من خَل وصابون فهو يعمل به ويبيعه ، وليس بها مبيع ولا مُشترى إلا وله فيه مدخل قبيح . وشرب أهلها من نهرٍ بها يُعرف بأبي الحسن فويق وفيه قليل طقس ، ولم تزل أسعارها في الأغذية قديماً وجميع المأكّل والمشارب واسعة رخيصة ، وعليهم

الآن للروم في كل سنة قانون يؤدّونه وضريبة تستخرج من كل دار وضعية معلومة . وكان الهدنة التي هم فيها مع الروم محاولة معقودة لان الأمر في حلها وعقدها الى الروم ، وإن كانت احوالها كالمتماسكة والامور التي تجري معهم كالراخية فليست في جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه وفيه في قديم اوقاتها وسالف أيامها . وقنّسرين مدينة تنسب الكورة اليها ، وهي من اضيق تلك النواحي بناءً وان كانت نزهة الظاهر مغوثة في موضعها بما بها من الرخص والسعة في الخيرات والمياه ، فاكنتسحتها الروم فكأنها لم تكن إلا بقايا دمن فديتها من دمن ومعرة النعمان مدينة هي وما حولها من القرى اعزاء ، ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين ، وكذلك جميع جند قنّسرين اعزاء وشربهم من ماء السماء . وهي مدينة كثيرة الخير والسعة في التين والفسق وما شاكل ذلك من الكروم والأزبة . وبينها وبين جبل المدينة التي كانت على ساحل بحر الروم [....^(١)] وكان رؤسائها بني وزيو فافتتحها نقفور وسبى منها خمسة وثلاثين الف امرأة وصبي ورجل بالغ بقاء العدو ويمنع عن نفسه . وحصن برزويه وهو حصن حصين وحجر منيع ، وقف عليه الروم غير وقت فاستحسنوه ولم يتعرضوه ، ثم هادنوا اهله خوفاً بما علق ببلاد المسلمين من الخذلان وهلاك السلطان وقلّة الايمان ، وان بقيت الحالة على ما نحن به فالامر سهل والخوف المتوقع اعظم وأجل ، وكانّ الناس وقتنا هذا في شغل بأحزانهم عن ذكر سلطانهم وهلاك أديانهم ، وخراب اوطانهم وفساد شأنهم عن برزويه وحصنه ، وقد ملكه الروم وقتنا هذا وكاننا بآمد وقد قيل أسلمه اهله . وكانت جزيرة قبوس تحاذي جبلة في وسط البحر الرومي وبينهما مجرى يوم وليلة ، وكانت للروم والمسلمين فاستخلصها الروم واستصفوها بأمر أكثر ضررها من المسلمين جرى وعن قفريطهم حدث . والخصاصة وهي حصن يحاذي قنّسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وسييفها

١ — يفقد هنا بعض الكلمات ، ولعلها اسماء بعض المدن التي بين معرة النعمان وجبلة ، وهي : فامية ، وعرق ، واقذار .

كان يسكنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكانت صالحة في قدرها مغوثة للمجتازين عليها في وقتنا ، لأن الطريق انقطع في غير وقت من بطن الشام على التجار باعتراض السلطان عليهم وبما سرح الروم بالشام في غير وقت ، فلبجؤوا الى طريق البادية لبوار السلطان واستيلاء الأعراب على الولاة وخفروا وساروا بالأدلاء ، وعن قريب يكف التجار فقرهم وتقطع سبلتهم وطرقهم له

١٢ - والعواصم اسم الناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها انطاكية ، وكانت بعد دمشق أنزه بلاد الشام وعليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها ويجبل مشرف عليها ، فيه لهم مزارع ومراع وأشجار وأرحية وما يستقل به أهلها من مرافقها ، ويقال أن دور السور للمراكب يوم . ولهم مياه تجري في اسواقهم ودورهم وسككهم ومسجد جامعهم ، وكان لها ضياع وقرى ونواح خصبة حسنة ، فاستولى عليها العدو وملكها وقد كانت اختلت قبيل افتتاحها في ايدي المسلمين . وهي الآن أشد اختلالاً ورزوحاً وفتحها الروم في اول سنة تسع وخمسين ، فما اضطرب فيها من قطع شجرة للروم ولا توصل في نصرتها برأي صحيح ولا مشاوم ، ويجوارها من السلاطين والبوادي والقروم والملوك من قد أشغله يومه عن غده ، وحرامه وحطامه عما اوجب الله تعالى والسياسة والرياسة عليه ، فهو يلاحظ ما في ايدي تجار بلده ويشتمل عليه ملك وعينه ليوقع الحيلة على اخذه والشبكة على صيده والفخ على ما نصب له ، ثم لا يُمنع به فيسلب عما قريب ما احتقب من الحطام وجمع من الآثام . فاستولى على اكثر نواحيها المسلمون منذ ملكها ، وذلك في السنة الثامنة والتسعين وأربعمائة للهجرة .

١٣ - ومدينة بالس مدينة على شط الفرات من غربيه صغيرة ، وهي اول مدن الشام من العراق ، وكان الطريق اليها عامراً ومنها الى مصر وغيرها سابل ، وكانت فرضة لأهل الشام على الفرات فعفت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة . وهي مدينة عليها سور أزلي ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات ، واكثر غلاتها القمح والشعير ويعمل بها من الصابون الكثير الغزير . ومن مشهور أخبارها أن المعروف بسيف الدولة

عليّ بن حمدان عند انصرافه عن لقائه صاحب مصر ، وقد هلك جميع جنده ، أنفذ اليها المعروف بأبي حصين القاضي فقبض من تجار كانوا بها معتقلين عن السفر ، ولم يطلق لهم النفاذ مع خوف نالهم فأخرجهم عن أحمال بزّ وأطواف زيت الى ما عدا ذلك من متاجر الشام في دفعتين بينهما شهر قلائل وأيام يسيرة الف الف دينار . وبالقرب من بالس مدينة منبج وهي مدينة خصبة حصينة وكثيرة الأسواق الأزلية عظيمة الآثار الرومية ، ولها من ناطف الزبيب المعمول بالجوز والفسق والسيسم ما لم أر له شبيهاً إلا ما يبخاروا منه ، فإنه يزيد عليه في الحلاوة ، ويجعل البخاريون فيه الطيب على العموم فهو لذيد . ومنبج من الكررم الأعداء على وجه الارض في سائر ضياعها ما يزيد على الكثرة ويحمل أربنتهم الى حلب وغيرها ، وهي مدينة برية وارض ثرية حمراء خلوية ، الغالب على مزارعها البخوس وعليها سور أزي . وبقرها مدينة سنجة وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة ، ليس في الاسلام قنطرة أعجب ولا اعظم منها ويضرب بها المثل فيقال : من عجائب الدنيا كنيسة الرها وقنطرة سنجة . ومدينة سميساط على نفس الفرات وتقارب المدينة المسماة جسر منبج ، وهما مدينتان صغيرتان حصينتان لهما سقي كبير من مياه بهما وزروعهم بخوس وماؤهما من الفرات .

١٤ - وكانت مدينة ملطيه مدينة كبيرة من أجل النغور وأشهرها ، وأكثرها سلاحاً وأجلدها رجالاً دون جبل اللكام الى ما يلي الجزيرة ، وتحتف بها ايضاً جبال كثيرة بها مباح الجوز واللوز والكروم والرمّان وسائر الثمار الشتوية والصيفية . وهي مباحة لا مالك لها وهي من أقوى بلاد الروم في هذا الوقت . يسكنها الارمن وفتحت في سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فكانت اول مصيبة دخلت على الاسلام من جهة النغور ، ثم انتالت المصائب على الناس في نغورهم وأنفسهم وأموالهم وأسعارهم وأبشارهم وسلطينهم فنُسيت . وكانت المدينة المعروفة بحصن منصور صغيرة حصينة فيها منبر ولها رستاق وقرى برسمها أعداء ، فاستأثر القضاء بهلاكها على أيدي بني حمدان والروم . وكانت الحدث ومرعش مدينتين صغيرتين

افتتحهما الروم قبل هذا الحين وأعادهما سيف الدولة عليّ بن عبد الله . وعاد الروم فانتزعوهما ثانياً من المسلمين وعاد المسلمون فتحوها وكان فتحها مسعود ابن قليج ارسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم سنة خمس وأربعين وخمسة وهي بيد المسلمين الآن . وكان لهما زروع وأشجار وفواكه وكانتا ثغرين يربط فيهما المسلمون ويجاهدون فيغنمون ، فساءت النيات وفتحت الاعمال وارتفعت البوكلات ، ولجّ الملوك في الاستئثار بالاموال والعامّة في المعاصي على الاضرار، فهلك العباد وتلاشت البلاد وانقطع الجهاد وبذلك نطق وحيه تعالى اذ يقول : « وإذا اردنا أن نمهلك قريةً امرنا مُتَرَفِئُهَا^(١) » (الآية) وكانت الهارونية من غربي جبل اللكام وفي بعض شعابه حصناً صغيراً، بناه هارون الرشيد وأدركته في غاية العمارة وأهله في جهادهم في نهاية الجلكد والشاطرة ، يغزون فيغنمون ويتلصّصون على بلد الروم فيسلمون وقد ملكه الروم . وكانت الاسكندرونة ايضاً حصناً على ساحل بحر الروم ذا نخيل وزروع كثيرة وغلّة وخصب ، فدخله العدو وملكه فهو له ، وكذلك التينات حصن كان على شط البحر فيه مقطع لحشب الصوبر الذي كان يُنقل الى الشام ومصر والنغور منه ما لا يُحصى ، وكان فيه رجال قتال أجلاء لهم علم بمضارّ بلد الروم ومعرفة بمخائضهم ومهالكهم . وكانت الكنيسة ايضاً حصناً فيه منبر ثغر في معزل من ساحل البحر ، يقارب حصن المنقّب الذي كان ستمحدثه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعمره ، وكان فيه منبره ومُصْحَفُهُ بَخْطِهِ . وسكانه قوم سُراة من ولد عبد شمس اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب ، وكان لهم ما يقوتهم من المباح فهلكا جميعاً . وكانت عين زربة بلداً يشبه مدن الغور به النخيل والحُصْب والسعة في الثمار والزروع ، وهي المدينة التي كان وصيف الخادم همّ بالدخول منها الى بلد الروم فأدركه المعتضد بها ، وكانت حسنة الداخل والخارج نزهة من داخل سورها جليلة في جميع امورها .

١٥ - وكانت المصيّصة مدينتين : إحداهما تسمّى المصيّصة والأخرى

١ - (واذا . . الآية) سورة الإسراء (١٧) الآية ١٧ .

كقربيا على جانبي جيحان ، وبينهما قنطرة حجارة وكانتا حصينتين على نشز من الارض وشرف ، ينظر منها الجالس في مسجد جامعها الى نحو البحر أربعة فراسخ كالبقعة كانت بين يديه خضرة نضرة ، جليلة الاهل نفيسة القدر كثيرة الاسواق حسنة الاحوال . وجيحان نهر يخرج من بلد الروم حتى ينتهي الى المصيصة ثم الى رستاق يُعرف بالملوان ، فيقع في بحر الروم ، وكانت عليه من القرى والضياع الكثيرة الماشية والكراع ما لم يبق منهم نافع ناره . وكانت اذنه ايضاً مدينة كأحد جانبي المصيصة على نهر سيحان في غربي النهر ، وسيحان دون جيحان في الكبر عليه قنطرة عجيبة البناء طويلة جداً ، ويخرج هذا النهر من بلد الروم ايضاً . وكانت جليلة الأهل حسنة المحل في كل أصل وفصل وعلى سمت طريق طرسوس . فأما مدينة طرسوس فكانت المدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة استحدثها المأمون بن الرشيد ومدنها وجعل عليها سورين من حجارة ، وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعُدّة والعنادر والكراع والسلاح والعمارة والحصب والغلات والاموال ، والسعة في جميع الاحوال على حالٍ لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر ولا مسلم ، الى عزّ تام ونصر عام على جميع من وليها من رجال الاسلام ، فما غزا في برّ او بحر إلا وصحبه من الظفر والنصر والغنائم بالقسر والقهر ما ينطق الأخبار بتصديقه والآثار بتحقيقه . وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام كالحاجز بين العاملين . ورأيتُ غير عاقل بميّز وسيّد نحيف مُبرّز ، يشار اليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم والفطنة والسياسة والرياسة ، يذكر أنه كانت بها مائة الف فارس وبعملها وذلك عن قريب عهدٍ من الأيام التي أدركتها وشاهدتها ، وكان السبب في ذلك أن ليس مدينة عظيمة من حد سبستان وكرمان وفارس وخوزستان والري واصبهان وجميع الجبال ، وطبرستان والجزيرة واذريجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا وبها لأهلها دارٌ ورباط ، ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها وتود عليها الجرايات والصلات وتدرّ عليهم الأنزال والخلان العظيمة الجسيمة ، الى ما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه

وينفذونه متطوعين ويتحاضون عليه متبرعين، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليها أوقاف من ضياع ذوات أكره وزراعٍ وغلات، أو مسقف من فنادق ودورٍ وحمامات وخانات، هذا إلى مشاطرة من الوصايا بالعين الكثير والورق والكراع الغزير، فهلكت وهلكوا وذهبت وذهبوا وكأنهم لم يقطنوها وعفوا وكأنهم لم يسكنوها، حتى صاروا كما قال جلّ ذكره: «هل تحبس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً»^(١) وكانت اولاس حصناً على ساحل البحر فيه قوم متعبدون حصيناً، وكانت فيهم خشونة في ذات الله وكان في آخر ما على بحر الروم من العمارة، فكانت بما بدأ به العدو. وبغراس حصن كان فيه منبر على طريق النغور، وكانت فيه دار ضيافة لزييدة ولم يكن المسلمين بالشام دار ضيافة غيرها.

١٦ - وأما البحيرة الميتة فهي من الغور في صدر الشام بقرب زغر، وإنما تسمى الميتة لانه لا شيء فيها من الحيوان إلا شيء تنقذ به يُعرف بالحرية، وأهل زغر بناحية يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع الذكر، وكما يلقح أهل المغرب تنهم بذكرهم. وزغر مدينة حارة جرومية متصلة بالبادية صالحة الخيرات، وبها من عمل النيل والتجارة به وفيه ما لا يقصر عما بكابل من صنّاعه وعمّاله، غير أنه يقصر عن صباغ نيل كابل، وبزغر بسر يقال له الانقلا، وليس بالعراق ولا بمكان من الأرض أعذب منه ولا أحسن من منظره، لونه كالزعفران فلم يغادر منه شيئاً ويكون في أربعة منه رطل. وديار قوم لوط وهي الأرض المعروفة بالملعونة، وليس بها زرع ولا ضرع ولا حشيش ولا نبات، وهي بقعة سوداء قد افتقرتها حجارة متقاربة في العكبر، ويروى أنها الحجارة المسومة التي رُمي به قوم لوط، وعلى جميع تلك الحجارة كالطابع من وجهها وهي شيء كقواليب الجبن المستديرة هيأتها وخلقها فلا يرى فيها ما يخالف شيئاً من أشكالها. ومعان مدينة صغيرة على شفير البادية أيضاً

١ - (هل تحبس ... ركزاً) صورة مريم (١٩) الآية ٩٨.

سكانها بنو أُمَيَّةَ ، وفيهم لبني السبيل مرفق ومغوثه . وحوّزان والبشنية رستاقان عظيمان من جند دمشق مزارعها مباخس ويتصل أعمالها بمجدود نهر بين الذي عند البلقاء وعمان الذي جاء في الخبر انه نهر من ركىّ الحوض وأنه ما بين بُصرى وعمان .

١٧ - فأما المسافات بالشَّام فإن طولها من حدّ ملطيه الى رفع والطريق من ملطيه على منبج وبينهما اربعة أيام ، ومن منبج الى حلب يومان ، ومن حلب الى حمص خمسة أيام ، ومن حمص الى دمشق خمسة أيام ، ومن دمشق الى طبرية اربعة أيام ، ومن طبرية الى الرملة ثلاثة أيام ، ومن الرملة الى رفع يومان ، فالجميع خمسة وعشرون يوماً ، وعرضها في بعض المواضع اكثر من بعض ، وذلك ان أعرضها طرفاها وأحد طرفيها من الفُرات من جسر منبج على منبج ، ثم على قورس في حدّ قنّسرين ثم على العوام في حدّ انطاكية ، ثم يقطع جبل اللكام الى بياس ثم الى التينات . ثم على المثقب ثم على المصيصة وعلى اذنه ، ثم على طرطوس^(١) وذلك نحو عشر مراحل . وإن سلكت من بالس الى حلب ثم الى انطاكية ثم الى الاسكندرونة ثم الى بياس حتى تنتهي الى طرسوس ، فالمسافة ايضاً نحو عشر مراحل ، غير ان السمت المستقيم هو الطريق الاول . وأما الطرف الآخر فهو من حدّ فلسطين فيأخذ من البحر من حدّ يافا حتى ينتهي الى الرملة ، ثم الى بيت المقدس ثم الى ريجا ثم الى زغر ثم الى جبال الشّراة الى ان ينتهي الى معان ، ومقداره المذكور ست مراحل . فأما ما بين هذين الطريقين من الشَّام فمختصر ، ولا يكاد يزيد عرض موضع الأردنّ ودمشق وحمص على اكثر من ثلاث مراحل ، لأن من دمشق الى بيروت على بحر الروم مسيرة يومين غرباً ، وإلى أقصى الغوطة من دمشق حتى يتصل بالبادية مشرقاً يومٌ ، ومن حمص الى انطرطوس التي على بحر الروم مسيرة يومين غرباً ومن حمص الى سلميّة على البادية مشرقاً يوم . ومن طبرية الى صور التي على البحر غرباً مرحلة ، ومنها الى ان

يجاوز فيق على ديار بني فزارة مشرقاً دون المرحلة ؛ وهذه مسافات طول الشّام وعرضه .

١٨ - والمسافة في أضعافه فالمبتدأ بفلسطين إذ هي أول أجناد الشّام مما يلي المغرب وقصبتها الرملة ، ومنها الى يافا نصف مرحلة ومن الرملة الى عسقلان مرحلة ، ومنها الى غزة دون مرحلة . ومن الرملة الى بيت المقدس يوم ومن بيت المقدس الى مسجد ابراهيم عليه السلام يوم ، ومن بيت المقدس الى ريجا مرحلة ومن بيت المقدس الى البلقاء مرحلتان . ومن الرملة الى قيساريّة مرحلة ومن الرملة الى نابلس مرحلة ، ومن ريجا الى زغر مرحلتان ومن زغر الى جبال الشّراة مرحلة ومن جبال الشّراة الى آخر الشّراة مرحلة . وقصبة الأردنّ طبريّة ومنها الى صور يوم ومنها الى عقبة فيق مرحلة ، ومنها الى بيسان مرحلتان خفيفتان ومنها الى عكّا يوم . والأردن أصغر أجناد الشّام واقصرها مسافة ، ولم تزل في يد أبي منصور احمد بن العباس محلولة ومعقودة سنين كثيرة بمائتي الف دينار . وأما جند دمشق فدمشق قصبتها ومنها الى بعلبك يومان ، ومنها الى بيروت يومان ومن بيروت الى طرابلس يومان ، ومن بيروت الى صيدا يومان ومن دمشق الى اذرعاً أربعة أيام والى أقصى الغوطة يوم والى حوران والبثنيّه يومان . وجند قنسرين مدينتها غير أن الامارة والأسواق وجمع ناسها والعمارات انتقلت الى حلب ، ومن حلب الى بالس يومان ومن حلب الى قنسرين يوم ومن حلب الى الاثارب يوم ، ومن حلب الى قورس يوم ومن حلب الى منبج يومان ومن حلب الى الحناصرة يومان .

١٩ - وقد مرّ في ذكر العواصم ما صارت اليه من ملك الروم لها ما يُغني عن إعادة فيها : والعواصم قصبتها انطاكية وكان منها الى اذنة ثلاث مراحل ومنها الى بغراس يوم والى الاثارب يومان والى حمص أربع مراحل ، ومنها الى مرعش يومان والى الحدث ثلاث مراحل . والشّغور فلا قصبة لها وكل مدينة قائمة بنفسها . ومنبج مدينة قريبة من الشّغور ومنها الى الفرات مرحلة خفيفة . ومن منبج الى قورس مرحلتان ومنها

الى ملطيه اربعة ايام ، ومن منبج الى سيمساط يومان ومن منبج الى
الحدث يومان ، ومن سيمساط الى شمشاط مرحلتان ومن شمشاط الى حصن
منصور يوم ، ومن حصن منصور الى ملطية يومان . ومن حصن منصور
الى زبطرة يوم ومن حصن منصور الى الحدث يوم ، ومن ملطية الى
مرعش ثلاث مراحل كمار ومن مرعش الى الحدث يوم ؛ فهذه مسافات
الثغور الجزرية، وكذا الثغور الشامية، وأما الثغور الشامية فمن الاسكندرونة
الى بياس مرحلة خفيفة، ومن بياس الى المصيصة مرحلتان، ومن المصيصة
الى عين زربة مرحلة ومن المصيصة الى اذنة مرحلة، ومن اذنة الى طرسوس
مرحلة ومن طرسوس الى اولاس على بحر الروم يومان ، ومن طرسوس
الى الحوزات مرحلتان ومن طرسوس الى بياس على بحر الروم فرسخان ،
ومن بياس الى الكنيصة والهارونية أقل من يوم ، ومن الهارونية الى
مرعش من ثغور الجزيرة مرحلة ؛ فهذه جملة مسافات الثغور .

٢٠ - وقد انتهى القول فيما قصدتُ ذكره من الشام بعد ذكر
المغرب ومصر والشام في أقاليم ممتدة على بحر الروم . وقد استوفيتُ
ايضاً ذكره ولا وجه لذكر ارتفاع ما خرج عن ايدي اهل الشام ،
وبالباقي من الشام في ايدي المسلمين وحكمهم فيه نافذ وأمرهم فيه ماض ،
فهو ما كان على ساحل بحر الروم من حد اطرابلس وانفه الى نواحي
يافا وعسقلان ، لأن اللاذقية وما نزل عنها وحاذها تحت جزييتهم ومقاطعتهم .
وما عدا ذلك فالروم وقبضتهم وحوزتهم قد استولت عليهم اسياهم والحكم
فيه اليهم . وقد اقام كثير من اهلها فيما رضوا منهم فيه بالجزية ، وأظنهم
بآخرة صائرين الى النصرانية أنفةً من ذلة الجزية ورغبة مع حذق المؤونة في العز
والراحة . فأما تقدير ما بقي منها لم اذكره فمذ سنون كثيرة لم يقع لها قانون
صحيح ولا استخراج على طريقته وصحته ، وذلك أنها منذ سنة أربعين بين قوم
يتناول أحدهم على الآخر واكثرهم غرضه ما احتلبه في يومه وحصله لوقته ،
لا يرغب في عمارة ولا يلتفت اليها برؤية ولا إشارة . وكان ارتفاعه قديماً
بعد ما يخرج منه في لوازم السلطان وأرزاق الجند والمتصرفين من الكتاب
والعمال تسعة وثلاثين ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم . ورأيتُ

ارتفاع الشام وما في ضمنها من الأعمال والأجناد والتي أفف عليه من جماعة
علي بن عيسى ومحمد بن سليمان لسنة ست وتسعين ومائتين وسنة ست
وثلاثمائة ، من جميع وجوها الى حقوق بيت المال وما يلزم له من التوابع
دون أرزاق العمال ، تسعة وثلاثون ألف ألف درهم .



بحر الروم

١ - وسأصل ذلك بذكر بحر الروم وتصويره إذ هو خليج من البحر المحيط ، عليه أكثر هذه الديار وقد أثبت به على التقريب لا على الحقيقة إذ بعضه أشبه شيء بالدائرة المحددة ، ومخرجه بين أرض الاندلس وأرض طنجة وسبتة ، وهذه الناحية محاذية من الاندلس لجزيرة جبل طارق وإشبيلية . وعرض هذا المخرج بهذا المكان المعروف بإشبورتال ، وهو جبل عال ويمتد جنوباً إلى سله ويمحاذيه من العدو الاندلسية جبل الأعرج ويمتد إلى لبله بناحية الشمال من الاندلس ، فيكون نحو اثني عشر ميلاً ثم لا يزال يتسع ويعرض ويمتد على سواحل المغرب ومما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أقاصي أرض مصر ، ممتداً على أرضها إلى الشام متصلاً عليها إلى الثغر الذي كان يُعرف بطرسوس ، ويعطف إلى بلدان الروم من جبال اقلية إلى انطاكية ، ثم يصير إلى خليج القسطنطينية ويمضي على سواحل أثينا وسواحل قلورية والانكبرضة إلى أفرنجة ورومية ، ويصير البحر حينئذ جنوباً لأرض جليقية ويكون على سهله الأفرنجة ، إلى أن يتصل بطرطوشه من بلاد الاندلس ويمتد على النواحي التي تقدم ذكرها في صفة الاندلس ، ويجاوز المربة وأعمال الجزيرة وإشبيلية ويمضي على البحر المحيط إلى شترين ، وهي آخر بلاد الاسلام من ناحية الاندلس وجانب بلد الروم .

٢ - ولو أن امرأة سار من سبتة وطنجة على ساحل هذا البحر المغربي مؤملاً أن يعود إلى ما يحاذيه من أرض الاندلس لدار على جميع بحر

الرُّوم ، من حيث لا يمنع مانع إلا نهر يلقى اليه او يفرع فيه او خليج القُسطنطينية ، فإنه يُفَضَّى اليه من البحر المحيط ايضاً وذلك انه انفصل به من الارض فاصلةٌ حازت شطر بلد الصقاليبة وبعض بلد الروم ، فسُمِّيت الارض الصغيرة والذي تحوز من البلاد مهما ذكرته ارض قلوريه وجليقيه وافرنجيه والاندلس ، فجعل ذلك جزيرةً ليست مع الارض الكبيرة ولا متصلة بشيء منها ، لانها قائمة بنفسها ولم يحتج الى ان يدلّه دليل إن أمكنه ذلك .

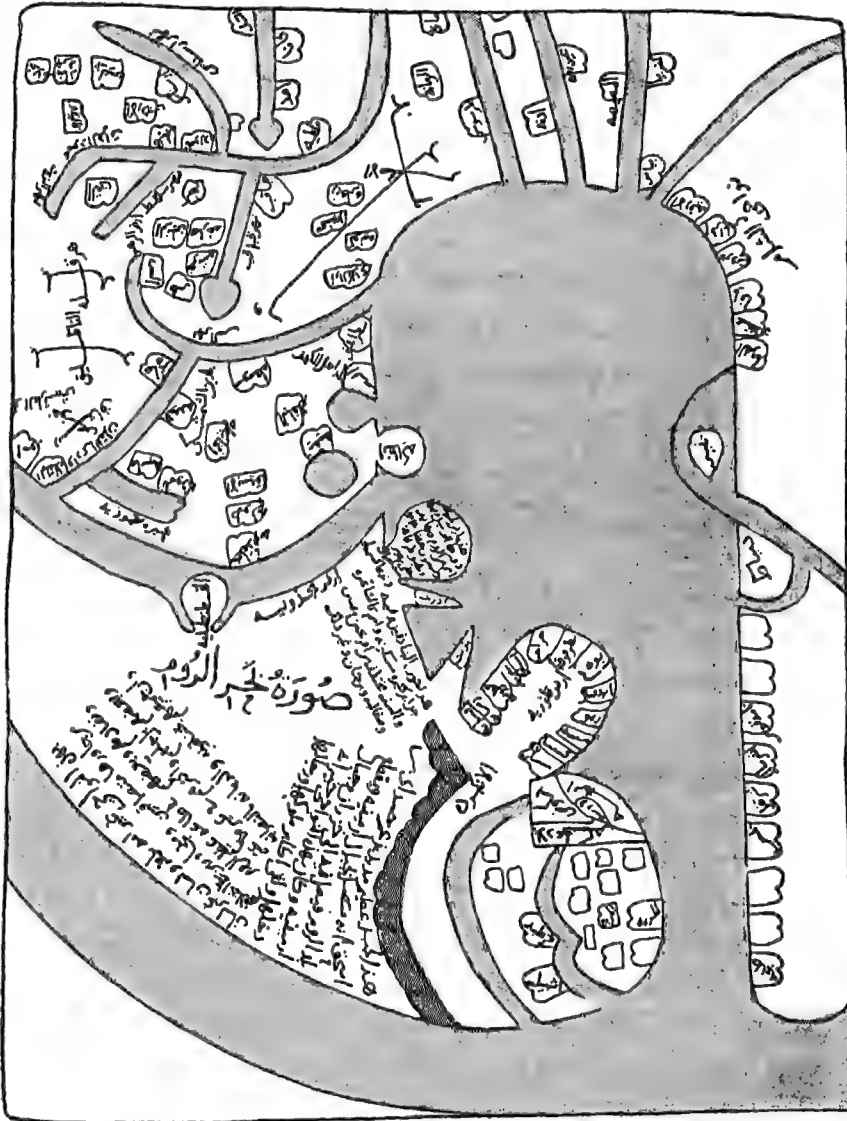
٣ - وما في بطن هذه الصفحة صورة بحر الروم وما عليه من نواحيهم وشكله في نفسه وان كنتُ سُقِّتُهُ على ما أتيتُ به من الاستطالة في صورة المغرب فهو من الاستدارة على هذا الشكل .

...

ايضاح ما يوجد في صورة بحر الروم من الاسماء والنصوص :

قد صور البحر في وسط الصورة ويكون على ساحله الأيسر من المدن طنجة ، تنس ، برشك ، اشرسال ، تامدفوس ، دمياط ، ثم في البحر تنيس . ثم على الساحل : الفرما ، عسقلان ، يافا ، بيروت ، اطرابلس ، اللاذقية ، ثم نهر ثم بياس ثم نهر ثانٍ عليه من المدن كفر بيا والمصيصة ، ثم نهر ثالث عليه عين زربه واذنه ، ثم نهر رابع عليه طرسوس وعن يمين طرسوس الرمانة وعند طرف الصورة الأسفل ... اريه ، (١)

وعن يمين ذلك يأخذ من طرف الصورة الأسفل نهر كُتِّب عند منتهاه نهر الزيت ثم عمود الفرات ، وعلى ضفة هذا النهر في الجانب الأسفل : ملطية ، تل موزن ، هباب . وينصب فيه عند تل موزن نهر ارسناس وعليه مدينة ارسناس ، وعن يمين ملطية يبتدىء نهر آخر وهو دجلة وعليها من المدن : آمد ، كافا ، التل ، وفي الجانب الآخر من نهر ارسناس بينه وبين عمود الفرات من المدن : الادريس ، قاليقلا ، بدليس ، منازجرد ، خلاط . وينصب في الفرات من الجانب الأعلى نهران أحدهما نهر قباقب وعند فوهته قباقب ، وكُتِّب في الساحة بين نهر قباقب والفرات والبحر بلد ولد الأصفر وفيه من المدن : ذو الكلاع ، كونه ، سمندوا ، زبطره ، والنهر الثاني المنصب في الفرات نهر غيلقط وبينه نهر قباقب من المدن : كخ ، صارخه ، الرلين ، خرشنه ، وعند مبتدأ نهر قباقب تنس ، ثم عند مبتدأ نهر غيلقط ارض الصرهود وبين نهر غيلقط والفرات التي .



بحر الروم

١٧٧

ورسم من أعلى ذلك نهر الس الذي ينصب في البحر وعند مبعده مدينة الس ، ويأخذ من هذا النهر نهر آخر الى الأعلى كُتِبَ عنده وادي اللقان ، وعن يمين هذا النهر مدينة صاغره وعند فوهته البلقار ثم عن يمينها على الساحل . . . ١٠٠ سور ، وفي هذا القسم الأيمن من الصورة من البلاد : رستاق خونص ، وبلد الطرقسيس ، وبلد الناطليق ، وبلد هرقله ، ويكون في الجانب الأعلى من نهر الس ابتداء عن اليسار سطرابلين وسوسطه ، ومن أعلى سطرابلين على البحر افسوس وكُتِبَ عندها بلد اهل الكهف ، ثم على وادي اللقان قومنه وكتب على يسارها بلد بن الشمشكي وعند مصب وادي اللقان في الخليج بحيرة نَقْمُوذِيَه ، ومن أسفل البحيرة نَقْمُوذِيَه وماسيه ، ومن أعلى سوسطه الى جهة خليج القسطنطينية من المدين : افخايطه ، الابسيق ، طموذيه ، خلقلونيه ، وعن يسار ذلك البلقار ، ونيقية وفي قطعة من البر تدخل في البحر انطاكية .

وعلى وسط الخليج من الجانب الأعلى القسطنطينية وكتب عن يسارها مجذونية ، وفوق ذلك صورة بحر الروم وهو عنوان الصورة : وكتب فوق ذلك في البر بهذه النواحي غير أمة بلغة ولسان غير لسان من جاورها متصافين متجاورين على اختلافهم وتضادهم . وبعضهم في طاعة عظيم الروم وبعضهم بل جلهم واكثرهم في غير طاعته ، وان جميعهم يختلفونه والديانة بالنصرانية . وعن يسار ذلك يُقرأ موازياً لخط الجبل هذا الجبل عظيم مديد يزعم حسداي بن اسحاق انه متصل بجبال ارمينية ، ويقطع بلد الروم فيصل فيه الى خزران وجبال ارمينية ، وكان بهذه النواحي خبيراً لانه دخلها ولقي اكابر ملوكها ورجاها ، وكُتِبَ في الجانب الآخر من الجبل الانكبره .

وعن يسار ذلك صور الاندلس وفيه من المدين : قرطبه واشبيلية والمريه ثم المريه مرة ثانية في البر ومن اسفل ذلك بلاد : غلجشكش ، بشكونس ، روميه ، افرنجيه ، ثم من اسفل ذلك قسم من الارض داخل في البحر يُقرأ فيه ارض قلوريه ، وعلى ساحلها من المدين : مستيان ، كسشه ، منتيه ، ريو ، ابن ذقتل ، بوه ، قسرقوقه ، جراجيه ، استلو ، سبرينه ، قطرونيه ، رسيانه ، قسانه ، ثم يلي ذلك الى الاسفل جون كُتِبَ عنده في البر : هذا جون البنادقين وفيه جزائر كثيرة مسكونة وامم كالشاغرة والسنه مختلفة من افرنجيين وتمتين وصقالبه وبرجان وغير ذلك . وعلى طرفي الجون مدينتا بذرننت واذرننت ، ثم من اسفل ذلك ناحية اخرى داخله في البحر يُقرأ فيها : هذه ارض بلبنوس دورها الف ميل وفيها امم من الروم وبها نيف وسبعون حصناً عامراً ويضيق طرفاها حتى يصير ستة اميال وتدها كسميلي .

هذه صورة بحر الروم وما اتجه من رسم مشاهير مدنه من مَشْرِقه التي هي مختصة ببني الاصفر وكيفية الخليج القاطع لبلد الروم على نواحي اطرابزنده الى نفس القسطنطينية ، واجتيازه بأرض مجذونية الى ان يفرع في بحر الروم مع اعاده ما اتصل به من النواحي الى بلد الاندلس .

٤ - وسمعت ابا الحسين محمد بن عبد الوهاب التل موزني ، وكان

رجلاً قد اناف على مائة سنة ثابت العقل صالح الأدب يقول : 'سُيِّرْتُ من كمنخ وهي مدينة الروم صالحة القدر عامرة على بريد الملك الى القسطنطينية مائة وستة وثمانين بريداً ، فلما عدت من القسطنطينية حين خروجي عنها عدتُ على انقره ، وهي مدينة كبيرة خراب الى مَلِطِيَه مائة وثمانية وعشرين بريداً . فكان من كمنخ الى صارخه يومان والى مدينة خرسنه يومان . وسُيِّرْتُ على مدنٍ لا اعرف اسماءها عامرة الى صاغرة . وهي على نهر اَلَسَ فعبرناه بمركب وصرنا في المركب بالبحيرة ستة فراسخ ، وصرنا يوماً آخر على الظهر الى مدينة تعرف بنقموديه ، وركبنا منها في البحر يومين وصرنا الى مدينة تعرف بخلقذونه فبتنا بها وسُيِّرْنَا في السحر ، فركبنا في الخليج وصَبَحْنَا القُسْطَنْطِينِيَّةَ والبريد عندهم فرسخ ؛ قال : وكنتُ اسمع ان للملك اربعة حُجُوسٍ دون دار البلاط التي يُحْبَسُ بها أسراء الملك في رساتيق لهم . فأحدها يُعرف بالطرقسيس ، والآخر بالابسيق ، والآخر بالبُلُقْلار ، والآخر بالنومره ، قال : والطرقسيس والابسيق أرفهُمَا لأنهما لا قِيُودَ فيهما ، والبُلُقْلار والنومره ضيقان ومن حُجِسٍ في دار البلاط فبالنومره ابتداء حبسه ، ثم ينقل وهو حبس ضيق مؤلم مظلُم . قال : وكانوا يسرون بنا في كل يوم من عشرين بريداً الى خمسة عشر بريداً فصرنا الى القسطنطينية في نحو عشرة أيام من كمنخ . والذي اعرفه انا أن بين كمنخ وملطيه عشر مراحل ، وبين ملطيه وانقره عشرون مرحلة ، ومنها الى القسطنطينية عشر مراحل فيصير جميع الطريق اربعين مرحلة . قال : وألفيتهم وإنَّ الملك يتبعه في المنزلة اللغيطُ وهو الوزير والفرخُ من بعده ، والفرخ من المنزلة انه يلبسُ خُفَيْنِ احدهما احمر والآخر اسود ، ولا يتزَيَّي غيره بهذا الزي بوجهه ، وذلك أن الحكم والقطع والضرب والقود والادب من مؤامرة للملك اليه ، ثم الدُمُستق من بعده ثم البطارقة وهم اثنا عشر رجلاً لا ينقصون ولا يزيدون بوجهه ، واذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له ، ثم الزاورةُ وهم كثرة لا يُحْصَوْنَ كالقواد اللاحقين بالأمراء ، ثم الطرايحةُ وهم الثناءُ وأرباب النعم من اهل القسطنطينية ، ومنهم يكون الارتفاع الى الزورة والبطرقة . وكل مولود

يولد بالقسطنطينية للطراحيّة فللملك عليه جناية من وقت يولد الى آخر عمره ،
يدرّج في اسباب الزيادة والنقصان في اعطيته وأرزاقه عند درج بلوغه
وتكهنه ، وبقدر استحقاقه للزيادة عند تعلقه بأسباب الرياسة من علم سياسة
او صعلكة وتقدّم في اسباب شجاعة او ترسم بالرأي والفهم ، إلا أن
يتوهّب فيستغنى من العطاء فيُعفيّه الملك منه .

هـ - وبما اعلمه أنا في حين غزونا من ميافاوقين أننا نزلنا على حصن
الهاخ ، فكانت اليه مرحلة ستة فراسخ ومنه الى حصن ذي القرنين وهو
حصن مسيع مرحلة خفيفة ، ومنه الى مدينة الأرديس وكانت اذ ذاك للمسلمين
سبعة فراسخ ، ومنها الى ضيعة القس ثلاثة فراسخ ، ومنها الى هباب مدينة
خمسة فراسخ ومن هباب الى قرية انكليس ستة فراسخ ، ومن انكليس الى
الكلكس قرية ثلاثة فراسخ ، ومنها الى حصن زياد اربعة فراسخ ومن حصن
زياد الى تل ارسناس ثلاثة فراسخ وعبرنا الفرات الى قرية تعرف بالحمّام
اربعة فراسخ ، ومنها الى مَلَطِيَه اربعة فراسخ . وعبر القوم قباقيب الى
عرقا مدينة كانت عامرة اربعة فراسخ ، ومنها الى ضيعة في وادي الحجاره
ووادي البقر . وكان آخر عمل الاسلام ستة فراسخ . ومنها الى الرّمانة
قرية وحصن ستة فراسخ ، ومن الرّمانة الى سمندوا عشرة فراسخ . ولم
أترك الاستخبار في خلال ذلك وقبله وبعده من صعاليك ديار ربيعة ومن أسر
ببلد الروم ، وخرج سارقاً لجماعة من المسلمين والروم لعلمه بالبلد ومعرفته
بمخائضه ومن فودي به عن ارتفاع بلد الروم وما فيه ، من المرافق
لملوكمهم واللوازم بقوانينهم الموضوعة قديماً لهم في كلّ سنة ، فألفيت
ذلك أقلّ من نصف جبايات المغرب بكثير ، وألفيت الهدايا والضرائب
على النواحي تزيد وتنقص على قلة محل المتلّين لها . ومن اعظم جباياتهم
واكثر وجوه أموالهم ضريبة بلد اطرانزنده وانطاكيا المرسومة من اخذ
ما يرد من بلد الاسلام ، لما يؤخذ من سواحل الشام ومراكبهم ويغنم
بالسّنديات والمراكب الحربية والشينيات وما يحصل من اثمان المسلمين ،
ويقام من اثمان مراكبهم والأمتعة التي فيها ضريبة الملك ويستأثر القيم على
ذلك بما يزيد على مال الملك من اثمان الأمتعة والمراكب والمسلمين .

٦ - واخبرني غير ثقة من العارفين العالمين حال بلد الروم ممن اقام به مواطىء لحديث عيسى بن حبيب النجاشي : أن ضريبة انطاكية على صاحب المراكب بها المجمعول اليه قصدُ بلد الإسلام سقطت ، وكانت قبل ذلك بسنين عند ما دار لهم الظفرُ بهم من بعد سنة عشرين وثلاثمائة ثلاثة قناطر ذهباً وتكون مع اللوازم التي تلحقها والهدايا ثلاثين ألف دينار ومائة اسير في كل سنة . ثم تأكد خذلان الثغور وفشا نحسها وانتهك بالمعاصي وجور السلطان أستار أربابها فصارت بالأمانة ، وتحرى فيها متلوها إقامة الناموس والديانة والحرص على الجهاد والنفاذ في مقاومة المسلمين بالعناد ، وانقذوا مراكبهم بالتجارة الى بلد الاسلام ورجلها يحوسونه ويتفقدونه ويستبطنون أخباره ، ثم يرجعون وقد علموا حاله اليهم بالخبره فيتحكمون في مضاره ، ويصلون بذلك الى دواخله وسهله وأوعاره بمراى من سلاطين الإسلام ومنظرٍ ، ومساعدةٍ من اكثرهم على ما يحبونه وتقويةٍ للعدو بفاجر السلاح ونفيس المتاع ، ورغبةٍ في يسيرٍ من الحطام يعود عليهم من تجارة يعملونها الى بلد الروم ، فتعود بخسيس من الارباح والنار تحت ذلك تضرّم عليهم والبلاء يفتل فيما يأخذونه ، والشؤم يومٌ عليهم فيما يأتونه وتمثيلهم يجهر بقوله ويضحك من غفلتهم عن فعله حتى لسمع من فصحاءهم دائماً متمثلون :

أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِضَ جَحْرٍ وَيُوسِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ

وكان ما يصل اليهم من العثور على المتاع الواصل الى اطرايزنده الداخل اليها والخارج عنها ، ويصل الى متلى ذلك لقيامه بها من الهدايا المرسومة على تجارها ما سمعتُ الاكثر يقول : أنها مذ عرفت هذه الضرائب لم يبلغ من حين اخذ ملطيه وشمشاط وحصن زياد عشرة قناطر ذهباً . وسبيلهم فيما يقيمونه من غزو المسلمين في البحر بالمراكب الحربية والشنيدية والشينية أن يأتوا الى كل ضيعة تقارب البحر ، فيأخذوا من كل دخان اي من كل بيت دينارين ويجمع ذلك ويدفع الى النافذين في البحر اثنا عشر ديناراً لكل انسان ، يأكل مما يلقاه فيما يغنمه ولا شيء له في الغنيمة

من ثمن مسلم او متاع يغم ، وكل ذلك متوفر على الملك . قال : فاذا قبض رجال البحر ارزاقهم اصلحوا ما أحبوا استجدائه من مركب وآلة له او مَرَمَّةٍ لمركبٍ قديم في صناعتهم ، وما يبقى من المال المجموع من تلك الجهة صرفه المتبقي للبحر حيث يراه بعد حمله معه الى بلد الاسلام وفراغه بما قصد له . وأما غزوهم في البر فان ملكهم تقفون اخذ من كل دخان يسكنه رئيس منهم يملك خدماً وبقراً وغنماً وأرضاً ومزدرعاً في حال متوسطة عشرة دنائير عيناً ذهباً ، ومن فوق هذه الطبقة في القوة جعل عليه رجلاً بسلاحه ودوابه وقوامه ومؤنه ونفقةً له ثلاثين ديناراً ، وبهذا اتجه لتقفون ما اتجه في المسلمين لا أنه فرق مالا من خزائنه او تصرف في ملك نفسه او لزمه درهم فما فوزه من حاصله ، بل ربح في خلال جمعه هذه الاموال وعند صرفها في النفقات امراً ذكره خرج به الى بلد الاسلام ، وعاد معه فاحتجته وكانت جبايته لهذه الاموال على هذه الجهة السبب في مقت النصرانية له وبُغضها لأيامه وتسخطها لبقائه ، وخوفهم من وقوع معاودة لما ضرى عليه الى بلد الاسلام فجعلوا ذلك سبباً لقتله وطريقاً للحجّة عليه .

٧ - وأما حد بلد الروم فإن مشارق بلدانهم المضمومة اليهم والمضافة على مرّ الأوقات الى ممتلكاتهم ما واجه من ناحية الثغور الشامية والجزرية الى آخر حدود ارمينية وشملها من نواحي البجناكية وبشجرت ، وبعض بلاد الصقالبة ومغربها بعض البحر المحيط وما حاذ جليقيه وافرنجيه من جزيرة الاندلس وبعض بحر المغرب ، وجنوبيهم بقية بحر المغرب وبعض ساحل الشام ومصر .

٨ - والمدن النفيسة قليلة في مملكتهم وبلادهم مع سعة رُقعتها واتصال أيامها وحالها ، وذلك أن جُلَّها جبال وقلاع وحصون ومطامير وقُرى في الجبال منحوتة وتحت الارض منقوبة . وقد استولى الحليجُ الآخذ من القسطنطينية الى اطرابزنده على أكثرها ، وليس هناك مدينة مشهورة إلا ما وصفته وحددته . ومياهم كثيرة غزيرة وليس تمرُّ على وجه الأرض مرّاً مستقيماً ، وإنما تتغلغل بين الجبال على غير قصدٍ ولا استقامة سيرٍ ،

وقد صوّرتُ غير نهر من انهارهم فيما دون الخليج الى نواحي الثغور وليس جريها على ما وصفته في الصورة وشكّلتُه لكي تحريتُ اصل مخرجه الى حيث مصّبه فشكّلتُه على ذلك . وبلد الروم عند كثير من خاصّة اهل الاسلام ومؤلفي الكتب بخلاف ما هو عليه بالحقيقة من صغر المحل وتّفه الخطر ، ونزور الدخّل وضعّة الرجال وعزّة الاموال وخسيس الاعمال والاحوال وهو عند من عنده وقبيله ادنى ميزة ومعرفة وبحث عن حقائق الامور ، واهتمّ بمعارف اقطار الارض والممالك وسكانها والجبايات فيها لا يقارب اسباب المغرب وحدّه ، ولا يدانيه ولا يشاكله في وجهه من الوجوه لاني قد ذكرتُ من قبائل البربر المتبدّدين في صحاري المغرب ما يستولي على ضعف عدد من تحوزة نواحي الروم ، وما عندهم من القوّة والجلّد وحلّهم في البأس والشدّة ، فانهم بحيث اذا دخل لهم جيش من المغرب الى بلد الروم ابادوه واباره واهلكه واتى عليه ، وتنسرب العِدّة اليّسيرة في اقطاره فتشفها حتى ان لاهل المغرب على اهل قلوبيه في كل سنة جزية آلاف دنانير كثيرة تقبض منهم ، وكانت ضعفتها فأسقط النصف عنهم عيّد الله صاحب المغرب لحُرّم اجتازت ببلد الروم على القُسطنطينيّة الى ناحيته ، ووصلوا الملك الذي كان في ايامهم شاكرين وكان خائفاً عليهم من صاحب مصر ، غير انّ للاسلام فيما عليه نفوس اهلكه وقلوبهم شأنًا في انتشار الكلمة وفساد الحال ، وكثرة العناد والخلاف والاستغال بطلبه بعضهم لبعض ما خلا به للروم سرّهم ، فظالت ايديهم الى ما كانت مغلولّة عنه واطماعهم محسومة منه .

٩ - وقد ذكرتُ هذا البحر وما عليه من المدن والبقاع من حدّ طنجة ونواحيها الى ارض مصر والى آخر الشام من الثغور الى اولاس ، بما كان في ايدي المسلمين ولهم وشكّلت ذلك الى اطراف بلد الروم وما دون الخليج وبعده من الارض الصغيرة ، واثبتُ فيه اكثر ما بعد الخليج من ارض القسطنطينية ونواحي بلبونس وجون البنادقين ، وارض قلوبيه والانكبرذه وافرّنجيه وروميه وجليقيه وما يحادّ من نواحي الاندلس .

١٠ - وعلى هذا البحر وفي بلد الروم جبال لا تُحدّد لكثرتها ومنها

جبال اقليسيه ، واقليسيه مدينة كانت للروم قديماً اتى عليها المسلمون وكان بعض ابواب طرسوس يُدعى بباب اقليسيه وينسب اليها ، وهذه الجبال آخذة ببلد الروم ميّناً وشمالاً . واذا جُزّت اقليسيه وكانت بعيدةً من شطّ البحر بنحو مرحلة نزلت المكان المعروف باللامس قرية على شطّ البحر ، كان الفداء يقع فيها بين المسلمين والروم ، فيكون الروم في مراكزهم والمسلمون في البر يُفادون . وتتصل هذه الناحية باقليم اجيا معدن الميعة التي تُجلب الى جميع الارض في البر والبحر من هذا الرستاق والناحية ، ويمتد البحر الى انطاكيه وبينهما اربعة ايام في البحر بطاروس جيّد ومثلها في البر . وانطاكيه حصن منيع ورستاق عظيم مضاف الى حصن انطاكيه وليس للملك عليه دخان ولا كلفة من صغير ولا كبير ، وبه مرتّبون للخرايط والبريد بالبغال والبراذين في البر ومرتّبون في البحر ، لنقل الحوائج والمتاع المختص بالملك . ومن آجيا المذكورة اذا اقلع في البحر ملججاً الى مصر اربعة ايام ، وبين انطاكيه والقسطنطينية ثمانية ايام في البر على البريد ، وفي البحر على الطاروس خمسة عشر يوماً ، والارض التي بينهما عامرة مأهولة مسكونة لا تنقطع سابلتها من نواحي انطاكيه ورستاقها ، وهو رستاق كثير الخير والمير الى خليج القسطنطينية ، وعلى الخليج سلسلة ممتدة لا تعبر عنها سفن البحر الا باذنٍ وعلامةٍ وعليها مرصد ، ويقع هذا الخليج في بحر الروم من البحر المحيط على ما قدّمتُ ذكره من نفس الشمال على طرف البريّة التي لا تُسلك برّداً ، فيمضي بقُتُرٍ من اقتار ياجوج وماجوج ثم يخترق بلاد الصقالبة ويقطعها قطعتين ويتوسّط بلد الروم .

١١ - ومن ورائه الى المغرب بلاد اثيناس وروميه ، وكلاهما ذوات أعمال ورساتيق وبلدانٍ ومدنٍ مضافة اليها وبرسمها ، وقرى ومزارع وقصور وحصون وملوك على قدر صالح . وروميه واثيناس مدينتان بهما مجمعُ النصرى وتقربان من البحر . فاما اثيناس فهي دار حكمة اليونانيين وبها تحفظ علومهم وحكهم ، وروميه ركن من اركان ملك النصرى وبها كرسى النصرى ككرسى انطاكيه وكرسى الاسكندرية . والكرسى الذي ببيت المقدس مُحدّث لم يكُ في ايام الحواريين ، واتخذوه بعدهم

لتنظيم بيت المقدس ، ثم تتصل ارض قلورية بارض الانكبرذه ، واول ذلك ارض شلورى ثم نواحي ملف . ومدينة ملف أخصب بلدان الانكبرذه وانظفها واجلّها احوالاً واكثرها يساراً واموالاً ، وتتصل ارض ملف بارض نابل ، وهي مدينة صالحة الحال دون ملف في اكثر احوالها . واكثر اموال اهل نابل من الكتان وثياب الكتان وبها منه ثياب ليس بسائر الارض مثلها ولا ما يشاكلها ولا يُستطاع . ولهم ثوب يعمل طوله مائة ذراع في عشر أذرع ، ويباع الثوب منها بالدون فمن مائة وخمسين رُباعيّ الثوب الى ما فوق ذلك بقليل وانقص بكثير . وتتصل ارض نابل بأرض غيطه ثم تتصل ديارهم بالافرنجة على ساحل البحر الى أن تحاذي حقلية ونجاوزها الى أن تتصل بطرطوشه من أرض الاندلس .

١٢ - وفي هذا البحر جزائر صفار وكبار وجبال غامرة وعامرة للروم والمسلمين . فأما المعبور بالاسلام والناس فصقلية ، وهي أكبرها وأكثرها عُدةً وأشدّها بأساً بمن حوته من ناقلة المغرب ، وهي ناحية قريبة من الافرنجة وقد قدمت كثيراً من ذكرها . وكان للمسلمين في هذا البحر غير جزيرة جليلية وناحية مشهورة نبيلة ، فاستولى العدو عليها كقبوس واقريطش وكانتا جزيرتين كثيرتي الخير والمير والتجارة ، والوارد منها والصادر اليها رائج . وكان أخذهما أحد الاسباب الزائدة في اطماع الروم لأنهما بما كان فيهما من الرجال والعُدّة والعتاد كالنار ، لهما لا يقر وأوارها لا يقصر ، ينكون في بلد النصرانية صباح مساء نكابةً بيّنة ظاهرة يوجبها لهم قربهم من مطالبهم ومجاورتهم للروم في مساكنهم ، فصعدت النصرانية صدهما ووكدت وكدهما الى ان فُتحتا جميعاً ومُلكتا . وكانت قبوس على غير ما كانت اقريطش عليه من موافقه كانت بين أهلها فيها ، وذلك أنها لم تزل قسيتين ، نصف للروم ونصف للمسلمين بها لهم أمير وحاكم ، وأيدي المسلمين مبسوطة على من جاورهم من النصارى والنصارى بهم شقيين . وجزيرة اقريطش حرةً مذ كانت وفتحت في أيدي المسلمين ، ولم يكن للنصرانية فيها مدخل ولا مخرج ، واهلها في غاية الجهاد وفي حين الهدنة والمسالمة مصونة في شرائط بينهم غزيرة مقرونة بالقهر والاستظهار . وميرقه

جزيرة خطيرة لصاحب الاندلس ، وكذلك جبل الفلال مضاف الى ذلك العمل ، وليس مبرقه بالمداينة لصقلية في حال من الاحوال وان كانت ذات خصب ورخص وسائمه وتناج وخير ؛ فانها تقصر عن صقلية في العدة والعتاد والقوة على الجهاد وكثرة التجارة ووفور العمارة . ومن الجزائر المشهورة غير العمارة جزيرة مالطه ، وهي بين صقلية واقريطش ، وبها الى هذه الغاية من الخير التي قد توحشت والغنم الكثير الغزير ، وبها من العسل ايضاً ما يقصدها قوم بالزاد لاشتياره ولصيد الغنم والخير ، فاما الغنم فتكسّد والخير فيمكن الورود بها الى النواحي فتباع وتعتل . والذي سبّب هلاك الجزيرتين بعد قصد العدو لهما ما صار اليه اهلها من البغي والحسد والنكد ، حسب ما خامر اهل الثغور من ذلك الى استباحة الفساد والفسوق والغدر والغيلة والتضاد والعتاد ، فجعلوا عبرة للمعتبرين وموعظة للسامعين الناظرين « ولن يُصْلِحَ الله عملَ المفسدين ولا يُضِعُّ اجرَ الحسنين » . وقد ذكرت ان من جبلة الى قبرس يومين ومنها الى جانب بلد الروم مثله ، وبقبرس المصطكى الجيّد والميعة الكثيرة والحرير والكتان ، وبها من القمح والشعير والحبوب والحصب ما لا يوصف كثرة . ولجبل الفلال الذي بنواحي افرنجه بايدى المجاهدين عمارة وحرث ومياه وارض تقوت من لجأ اليهم ، فلما وقع اليه المسلمون عمّروه وصاروا في وجوه الافرنجة والوصول اليهم ممتنع ، لانهم يسكنون في وجه الجبل فلا طريق اليهم ولا متسلق عليهم الا من جهة هم منها آمنون ومقداره في الطول نحو يومين .

١٣ - وليس في البحار أعمر حاشية من هذا البحر ، لان العمارات من جنبتيه ممتدة غير منقطعة ولا ممتنعة ، وسائر البحار تعترض في شطوطها المفاوز والمقاطع ، وقد ألحّ الروم في هذا الوقت على سواحل الشام بالغارة ونواحي مصر ، فهم يختطفون مراكبهم من كل أوبٍ وبأخذونها من كل جهة ولا غياث ولا ناصر ، ومن المسلمين بناظر ، والمملك فيهم هامل شاغر ، والمملك جماع متاع ، والعالم يسرق ولا يشبع ، ويفي بالباطل على ما يبلع ، ولا يخاف معاداً ولا مرجعاً ، والفقيه ذئب أدرع ، في كل

بليّة يشرع ، وبكل ربح يسري ويقلع ، والتاجر فاجرٌ مسقع ، لا يعاف
 حراماً ولا مطعماً ، والديار والاعشار بيد الاعداء متسلمة ، والاملاك
 مغتصّة مُصطلمة ، والارض من اربابها الى الله تعالى متظلّمة ؛ وهذه نُجمل
 صفة بحر الروم وجزائره وما عليه بما يحتاج الى علمه .



الجزيرة

١ - وهذه الصورة شكل الجزيرة .

...

إيضاح ما يوجد في صورة الجزيرة من الأسماء والنصوص :

قد رُسم في نصف الصورة الأيمن من أعلاها الى أسفلها نهر الفرات ويوازيه عن اليسار نهر دجلة ، وكتب عن يمين نهر الفرات في الزاوية العليا صورة الجزيرة وتحت ذلك الجنوب وفي الزاوية السفلى المغرب، وعلى ضفة الفرات من هذا الجانب من المدين : الكوفة، بالس، سميساط، ومن أسفل بالس في البر منبج وحلب .

وفي أعلى الصورة تخرج بعض الأنهار من الفرات الى اليسار وعلى النهر الأول من أعلاه سوراً ثم يليه نهر الملك وعليه القصر ثم نهر صرصر وعليه صرصر، ثم نهر عيسى ويخرج منه نهر الصراء ثم رسمت في الجانب الأيسر من الفرات من المدين : الانبار، هيت ، الدالية ، الرحبة ، قرقيسيا ، الخانوقة ، الرافقه، الرقه ، الجسر، جربلص، وبين هيت والدالية في النهر عانه ، وبين الخانوقة والرافقه يصب نهر الخابور في الفرات وعليه من المدين : العبيديه ، تينير ، الجحشيه ، طلبان ، سكير العباس ، عرابان . ومن أعلى هذه المدين بحيرة كتب عندها المنخرق وعن يسارها ماكسين وينتهي عند عربان وادي الخيال وهو آت من جبل سنجار وكتب من أعلى ذلك هذه ديار لقبائل من ربيعه وهي براري ينتجع مراعيها وتسلك على السميت بالنجوم على غير طريق، وفوق ذلك حد العراق .

وعلى الجانب الأيمن من دجلة من المدين : بغداد وتكريت وبينهما نهر الاسماقي ، ثم الموصل، بلد ، طنزى ، آمد ، وعلى الطريق من بلد الى الجسر من المدين برقعيد ، اذرمه ، نصيبين ، دارا، كفرتوثا ، رأس عين ، تل بني سيار ، حران ، ومن حران يأخذ طريق الى الأسفل الى سروج، وبين هذا الطريق ونهر دجلة رسم جبل تتصل به مدينتا ماردن والرها ، وكتب في هذا القسم من الصورة على خط منعطف ديار مضر ثم قاطعاً لدجلة ديار بكر ، وعن آمد مدينة حني .

وعلى دجلة في الجانب الأيسر من المدن بفسداد مرة ثانية ثم البردان ، عكبرا ، الجويث ، العليث ، الكرخ ، سرّ من رأى ، الدور ، السن ، الحديثة ، فيشاور ، ثمين ، التل ، وبجنداء آمد ارزن ، وعن يسار ذلك ميفارقين . ويقرأ عن يمين القسم الأعلى من الجبل الموازي لدجلة جبل بارما وفي طرفه الآخر في الزاوية المشرق ، ويصب في دجلة عند السن الزاب الصغير ومن أسفله الزاب الكبير ، وبينهما من المدن : الراجة ، جنبون ، كفرعزى ، وقد تطلّس أسماء مدينتين يجوز ان تكون إحداهما اربل ، ومن أسفل الزاب الكبير بين دجلة والجبل : سوق الاحد ومعلثايا وكتب هنا عند الطرف الآخر من الجبل : هذا الجبل متصل بجبال ارمينية وجبل الثمين ويتصل بجبل اللكام وجميع جبال بلد الروم . ثم يلي تحت ذلك نهر الزرم ثم نهر سربط ثم نهر ساقيدما وبين هذين النهرين نواحي ارمينية وفي زاوية الصورة الشمال .

٢ - فأما الجزيرة التي بين دجلة والفُرات فتشتمل على ديار ربعة ومُضر ومُخرج الفُرات من داخل بلد الروم على ما شكّلتُه مجتازاً من ملطيه على يومين ، ويجري بينها وبين المدينة المعروفة كانت بشمشاط للمسلمين ، ويمرّ على سميساط ونواحي جسر منبج على بالس الى الرقة وقرقيسيا والرحبة وهيت والانباء ، وينقطع الحدّ عن الفُرات بما يلي الجزيرة بالانباء ثم يعود حدّ الجزيرة في سمت الشمال ، فيكون الى تكريت الحدّ العراق وتكرت على دجلة ، وبنتهي الحدّ منها مصاعداً على دجلة الى السنّ بما يلي الجزيرة الى الحديثة والموصل ، ويصعد بصعود دجلة الى الجزيرة المعروفة بابن نمرّ ثم يتجاوزها الى آمد ، فيكون ما في غربها من حدّ ارمينية ثم يعود الحدّ مغرباً على البر الى سميساط ، ثم ينثني الى مخرج ماء الفُرات في حدّ الاسلام من حيث ابتداءه . ومُخرج دجلة وان كان من حدود بلد الروم فطويلاً ما كان في يد المسلمين وحيز الاسلام من بعده بمراحل . وعلى شرقيّ دجلة وغربي الفُرات مدن وقرى تنسب الى الجزيرة ، وهي خارجة عنها ونائية منها وسأذكرها بما يدل على حالها .

٣ - قد اتفق العلماء بمسالك الارض وبعض الحساب المشار اليهم بعلم الهيئة فيما تواضعوه من صفات الارض ، انها مصوّرة بصورة طائر فالبصرة ومصر الجناحان ، والشأم الرأس ، الجزيرة الجؤجؤ ، واليمن الذنب . وهذه حكاية ما رأيته قطّ مقرّرة . واذا كان الامر كذلك ففارس وسجستان وكرمان وطبرستان واذريجان وخراسان ليست من الارض ولا معدودة

في حسابها ، ام الارض هو ما ذكروه دون غيرها وهذا قول يحتاج الى تقرير بفهم جامع وفكر صحيح ، ليقف على حق ذلك من باطله وموقع الجزيرة قريب مما قالوه ان وجب ان يكون الشام رأساً لهذا الطائر ، واظن قائل ذلك عنى غير ما ارادوه وقصد سوى ما نقلوه ، ومتى اراد بذلك ديار العرب خاصة فهذه صفتها .

٤ - والجزيرة اقليم جليل بنفسه شريف كان بسكانه واهله رفعة بخصبه ، كثير الجبايات لسلطانه اذ كانت الاحوال والاموال والدخل على سلطانه داخل من وجوهه وخارج من مظانه ، وقد اختلفت وتغيرت وانتقلت املاكها وباد رجالها واربابها وتضر ابطالها . وسمعت رئيساً من علماء البغداديين يذكرها فقال . كانت معدن الابطال وعنصر الرجال وينبوع الحيل والعدة وينبوت الحيل والشدة .

٥ - فاما حدودها ومسافاتها فمن مخرج ماء الفرات في حد ملطيه الى سميساط يومان ، ومن سميساط الى جسر منبج اربعة ايام ، ومن الجسر الى بلس اربعة ايام ومن بلس الى الرقة يومان ، ومن الرقة الى الانبار عشرون يوماً ومن الانبار الى تكريت يومان في نفس البرية ، ومن تكريت الى الموصل خمسة ايام ومن الموصل الى آمد اربعة عشر يوماً ، ومن آمد الى سميساط ثلاثة ايام ومن سميساط الى ملطيه ثلاثة ايام ، ومن الموصل الى بلد مرحلة ومن بلد الى نصيبين خمس مراحل ، ومن الموصل الى سنجار ثلاثة ايام ، ومن سنجار الى نصيبين خمسة ايام ومن نصيبين الى رأس العين ثلاث مراحل ، ومن رأس العين الى الرقة اربعة ايام ، ومن رأس العين الى حران ثلاثة ايام ومن حران الى جسر منبج يومان ، ومن حران الى الرها يوم ومن الرها الى سميساط يوم ، ومن حران الى الرقة ثلاثة ايام ، ومن الرقة الى قرقيسيا اربعة ايام ، ومدينة الخانوقة في وسط الطريق ، ومن الخانوقة الى عرابان اربع مراحل ومن عرابان الى الحيال مرحلتان ، ومنها الى سنجار نصف مرحلة ومن سنجار الى ماكسين مرحلتان ومن ماكسين الى المنخرق يوم ، ومن المنخرق الى الفرات يوم ، والمنخرق بحيرة بين ماكسين والفرات استدارتها مساحة جريب او ازيد

بقليل ، وفيها ماء ازرق عذب كالزجاج الملوّح لا يُعرف قعرها ولا يُعلم كمية ماؤها ، وذلك انها اعتُبرت ليُعرف قراوها ومقدار ماؤها بماثين اذرع حبال بمثقلات فلم يوجد لها قرار ، ولا في يد الخلف عن السلف منها أثر ولا خبر . وعلى ظهر الخابور وبنواحي عرابان وبالْبُعد من الخابور عن مرحلة مدن كثيرة قد غلبت عليها البادية ، فحكمهم دون أهلها فيها أمضى وأمرهم في غلاتهم وأموالهم أنفذ وأعلى : كالعبيدية وتنينير والحشيشة وطلبان ، وهذه مدن عليها أسوار لا تحصنها وقد لجأ الى الخفائر والأذمة أهلها ، فكلمن ساقهم تبعوه وكلمن خافوه أطاعوه ، فاذا ملك الفرات سلطان قادر أمنوا ، واذا ضعف السلطان بنواحيهم هلكوا وغنيموا .

٦ - وكان من أجلّ بقاع الجزيرة وأحسن مدنها وأكثرها فواكه ومياهاً ومتنزهاتٍ وخضرةً ونضرةً ، إلى سعة غلات من الحبوب والقمح والشعير والكروم الرائعة الزائدة على حدّ الرخص ، نصيين وهي مدينة كبيرة في مستواةٍ من الأرض ، ويخرج ماؤها عن شعب جبل يُعرف ببالوسا ، وهو أنزه مكان بها حتى ينبسط في بساينها ومزارعها ، ويدخل الى كثير من دورها ويُعقد البرك التي في قصورها . وكان لهم مع ذلك فيما بُعد من المدينة ضياع مباحس كبار جليلة عظيمة غزيرة السائمة والكراع ، دائرة الغلات والنتاج معروفة الفرسان مشهورة الشجعان الى ديارات للنصارى وبيعٍ وقلّياتٍ ، تُتقصد للأنهضة وتنتجع للفرحة والفرّج .

٧ - ولم تزل على ما ذكرته مذ أوّل الاسلام معروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار ، تتضمن بمائة الف دينار الى سنة ثلاثين وثلاثمائة فأكب عليها بنو حمدان بضروب الظلم والعدوان ودقائق الجور والغشم ، وتجديد كلفٍ لم يعرفوها ورسم نواب ما عهدوها الى المطالبة ببيع الضياع والمسقف من العقار ، حتى حمل ذلك بني حبيب الى ان خرجوا بذرائعهم وعبيدهم ومواسيهم وخيقتهم الذي يمكن بثله النقلة ، ومن ساعدهم من جيوانهم وشاركتهم فيما قصدوا به من الغصب لعقاربهم في نحو عشرة آلاف فارس ، على فرسٍ عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مُذهّب ومغفر مُدبّج ، وسيف يقلُّ شبهه ورُمع خطي وآلة وعدة لم تزل

على بلد الروم مُطلّة ، يجمع بها شوكتهم وبسبى بها ذرارهم ويخربون بالاستطالة حصونهم ويجوسون ديارهم ، يقدمهم نحو هذه العِدّة من الجنائب العتاق والبغال الفره عليها الخدم والحوّل والموالي . فتتصّروا بأجمعهم وأوثقوا ملك الروم من انفسهم بعد ان احسن لهم النظر في انزالهم على كرائم الضياع ونفائس الحُبى والمتاع ، وخيّروهم القرى والمنازل ورفدهم بالنواحي الحسنة والمواشي والعوامل ، فعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة بمضارّه وعلم بأسباب فسادّه ، وخبرة بطرقه ومعرفة بجلبّه ودقّه وقلوبهم تضطرم حقدًا وتفور كيدًا وتلتهب ضبّا . وقد كاتبوا من خلفوه وراسلوا من عرفوه ولاطفوه بذكر ما بلغوه ونالوه ، وكان الاكثر قد قصد في ضياعه وحيل بينه وبين املاكه ، ووُظّف عليه ما لا يعرفه وألزم من الكلف ما لم يجر بثله عليه رسم ، فأطعموهم فيما نالوه وعرفوهم ما وصلوا اليه وما جاؤوا فيه ، وله من قصد بلد الاسلام واجتياحه واصطلام نواحيه وبقائه ، وأن ملكهم أيدهم وقوّاهم وأنعم عليهم وآواهم فلحق بهم كثير من المتخلفين عنهم وانتمى اليهم من لم يك منهم ، فشنوا الغارات على بلد الاسلام وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد ، وساروا الى كفرتوثا ودارا فأثوا عليها بالسبي والقتل وألحقوا أسوارهما بالارض وضرّوا بذلك ، فصار لهم عادةً وديدنًا يخرجون في كل سنة عند اوان الغلات الى ان أتوا على ربض نصيبين نفسها والغربي من ضياعها ، وتعدّوا ذلك الى ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فأهلكوا نواحيها وسحقوا رأس العين وعملها ، وساروا الى نواحي الرقة وبالس وعادوا الى ميفارقين وارزن ، فأخووا قراها وضياعها وعضدوا اشجارها وزروعها الى ان بُجعت كالحاوية على عروشها . وتزايدت ثقة الملك بهم والروم في السكون اليهم ، الى ان بُجعت لهم الارزاق ورُسّمت لهم الاعطية ، وصاروا خاصّة الملك وآراء العرب أثقف من آراء الروم لما يقترب بهم من الجسارة والبسالة ، ففتحوا له المضائق وتقدّموه في المسالك وأطعموه على مر الأيام وتعاقب الاعوام [...]»^(١)

١ - (....) فقد هنا بعض الكلمات ولعله يجوز استتمامه بما معناه (بما أخبروه به من اختلال البلدان) .

وهلاك السلطان وفقر الخواص والعوام في انطاكيه والمصيصة وحلب وطرسوس ، فدار لهم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه . وعمد الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين واكتسح اشجارها ، وبذل ثمارها وعور انهارها واستصفها عمن كان دخل الى بلد الروم ، واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها إلا القليل ، وجعل مكان الفواكه الغلات بالحبوب والسمن والقطن والارز فصار ارتفاعها اضعاف ما كانت عليه وزادت ربوعها ، وسلّمها الى من بقي من اهلها ولم يكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ ، وحيث قضوا لبلانات الايام والشباب على مقاسمة النصف من غلاتها الى اي نوع كانت ، على ان يقدّر الدخل ويقوّمه عيناً ان شاء او ورقاً ، ويُعطي الحراث ثمن ما وجب له بحقّ المقاسمة فيكون دون الحسين ، ولم يزالوا على ذلك معه ومع ولده الغضنفر الى ان لحقوا باسلافهما الدجالين « فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا اذا منظرين^(١) » واهلها وقتنا هذا على اقبج ما كانوا عليه وفيه من تقدير من وليهم عليهم كابن الراعي لا رحمة الله ومن يشبهه ، يستغرق اكثر الغلة وتقويم ما يبقى من سهم المزارع بشمن يراه المقدّر وحمل ما وقع بسهمه الى مخازنهم واهرائهم ، ويوضح له منه بما يسبح به لبذره ويقدّر أنه مُمسك لرمقه وعيشه في قوته .

٨ - واعمال نصيبين اربعة ارباع ولكل رُبع منها عامل . وحضرت في سنة ثمان وخمسين وقد رُفع تقديرها على توسط الى ابي تغلب الغضنفر بالموصل ، فكان حاصل دخلها من حنطة وارز وشعير وحبوب عشرة آلاف كُرب ، وأُخرج تقويم اسعارها على خمس مائة درهم الكُرب ، فكان المال عند التقدير المذكور خمسة آلاف درهم ، ورُفع لها من الجلاجم عن جواليها ولوازمها مع الزيادات فيها فكانت خمسة آلاف دينار ، ورُفع لها عن عشور اموال اللطف وهي ضرائب الشراب خمسة آلاف دينار ، ورُفع القوانين المأخوذة من عراصها عن الغنم والبقر والبقول والفواكه

١ - « فما بكت » منظرين « سورة الدخان (٤٤) الآية (٢٨)

خمسة آلاف دينار ، وما يُقبض من الطواحين في القصبه والضياح المقبوضة
والمشتراة وغلات العقار المسقف من الخانات والحمامات والحوانيت والدور
ستة عشر الف دينار ، وكانت اعمال دارا في الربع الشمالي وطور عبيد
ايضاً وهو من اعظم رساتيقها ، ورُفِع تقدير رستاق ابنين وهو مجاور
لطور عبيد ، وكان لسيف الدولة بألفي كُرٍ حبوباً فقُوتت بألف ألف
درهم ، ورُفِع عصيرها واسقاؤها وجماجها وعراضها وطواحينها بثلاثين الف
دينار ، وهذا على انّ البلد قد تخرّب وناسه قد هلكوا ليوبقَ الله متبلي
ذلك بما أُمليَ له واسسه من ظلمه وجوره .

٩ - وبنصيبين عقارب قاتلة موصوفة مشهورة . وبالقرب منها جبل
ماردين ومن قرار الارض الى ذروته نحو فرسخين ، وعليه قلعة لمدان
ابن الحسن بن عبدالله بن حمدان ، تعرف بالباز الاشهب لا يُستطاع فتحها
عنوة . وبنواحيها حيّات موصوفة تفوق الحيات في سرعة القتل ومضاء
المنية ، ويجبل ماردين جوهر للزجاج الجيّد ويحمل منه الى سائر بلدان
الجزيرة والعراق وبلد الروم ، فيفضل على ما سواه بجوهرية فيه .

١٠ - واما الموصل فمدينة على غربي دجلة صحيحة التربة والهواء
وشرب اهلها من مائها ، وفيها نهر يقطعها اتخذه بنو أمية في وسطها وبين
مائها ووجه الارض نحو ستين ذراعاً وزائد وناقص ، ولم يك بها كثير
شجر ولا بساتين إلا التفاهة القليل اليسير ، فلما تمكك بنو حمدان ورجاهم
غرسوا فيها الاشجار وكثرت الكروم وغزرت الفواكه وغرست النخيل
والخضر . وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتي اموالها وارتفاعها ،
ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها ، وارتفاع وجبايات زادت
على ما كانت عليه في سالف الزمان لأن اللعين لا رحمه الله اخذ بمن كان
في جملته وخدمه املاكهم ، واشترى الكثير منها بالقليل التفاهة من أعشار
أثمانها ، واستملك رباعها واحتوى على خارجها وداخلها ، واستعمل فيهم من
الحال ما أثره من سيورته في بلد نصيبين ، فزاد قائمة وتناهى كثرة وإسرافاً .
وذلك ان الموصل اضعاف اعمال نصيبين في فسحة الاعمال وكثرة الضياح
وعظم الحُلّ وغزر السكان وأهل الاسواق ، اذ كانت اسواقها واسعة

وأحوالها في الشرف والفضخ ظاهرة . وهي مدينة أبينيتها بالخص والحجارة كبيرة غناء ، وأهلها عرب ولهم بها خطط واكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة ، وكانت من أعظم الشأف بصورة أكبر البلدان وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والاربعة والثلاثة ، بما يكون في السوق المائة حائوت وزائد . وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية ، فقطنوها وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصالح أسعارها فسكنوها . وهي فُرصة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشأم ، ولها بواي وأحياء كثيرة تصيف في مصائفها وتشتو في مشائها من أحياء العرب وقبائل ربعة ومُضر واليمن ، وأحياء الأكراذ كالهذبانة والحديدية واللازية . وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة ، لهم من الثنية يسار وبأملأكمهم ويسارهم على الأيام استطالة واقتدار : كبنى فهدى وبني عمران من وجوه الأزد وأشرف اليمن ، وبني شخاج وبني اود وبني زبيد وبني الجارود وبني ابي خنداش والصداميين والعبريين وبني هاشم وغير ذلك ، فمزقهم جور بني حمدان وبددهم في كل صقع ومكان ، بعد انتزاع املاكهم وقبض ضياعهم وإحواج أكثرهم الى قصد الاطراف والشتات في اعماق الاكناف ، بعد ان كانوا مقصودين والى السؤال بعد أن لم يزالوا مسؤولين ، فمن هالك في نجف ومُضطهد في طرفٍ ومعرّض نفسه للبحن والتلف . (أما في زماننا هذا ، وهو سنة ستين وخمسة ، فقد عمرت عمارة لم تكن قط منذ اسست حتى ان العمارة قد استولت عليها ولم يبق بها موضع ، فامتدت العمارة الى خارج السور وصار في خارجها اسواق وحمامات وفنادق وغير ذلك من المرافق) . وفي ذكر تقدير البلد ما يدل على ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه ما يُعرب عن حاله وأصقاعه ومكانه وأوضاعه ، ويعني عن الاطالة في وصف شرفه وشأنه وقوانينه الواصلة الى سلطانه ، وهي الدليل على أوصاف أهله وشأنهم في ذات انفسهم . وقد تقدّم القول بذلك وأن قوام الدنيا وأهلها بالاموال ، اذ محلّهم في انفسهم وكيفيتهم في عيشهم وسياستهم في مروؤاتهم بمقدار ما يملكونه ، وبه يمكنهم المروؤة والأفضال والتصرف في كل جهة وحال ، وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لساير

الفهاء، وإن خرج بالخصوص عن حدّ العبوم في هذه القضية قوم لم يحكم بهم ولا يُلتفت الى سيرتهم وسياستهم .

١١ - وللموصل نواحٍ عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة ، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من اسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع ، فمن ذلك رستاق نينوى وكانت به مدينة في سالف الزمان تجاه الموصل من الجانب الشرقي من دجلة، آثارها بيّنة وأحوالها ظاهرة وسورها مشاهد ، وكانت البلدة التي بعث الله تعالى الى أهلها يونس ابن متى عليه السلام . ويحدّ هذا الرستاق على جلالته وعظمه وقربه الى حوزته رستاق المرج ، وهو ايضاً فسيح واسع كثير الضياع والماشية والكراع ، وفيه مدينة تُعرف بسوق الأحدي ، وفيها اسواق ولها موعد لاوقات يحضر فيها السوق ، يجتمع فيه المتاع وسائر التجارة والاكراة والاكراة ، وكانت مدينة كثيرة الخير خصبة تحاذي الجبل على نهر يقرب منها يطرح مائها الى الزابي الكبير . ويجاور هذا الرستاق ارض حزة ورساتيقها ، وهو إقليم بينه وبين اعمال المرج الزابي الكبير ، وفيه مدينة تُعرف بكفر عزي يسكنها قوم من الشهاجرة نصارى ذوو يسار ، وهي مدينة قصدة فيها اسواق وضياع وبها خير ورخص ، ومنها يثار الاعراب وينزل في نواحيها الاكراة ، وقردي وبازبدى رستاقان عظيمان متجاوران ، فيهما الضياع الجليلة الخطيرة التي تكيل الضيعة دخلاً في كل سنة الف كرّ حنطة وشعير او حبوب قطن ، ولها من مرافق الجوالي بالجماع ومموال اللطف ما يقارب دخل غيرها من الضياع ، ورستاق باهدرا وهو ايضاً عظيم جليل الضياع والدخل والمرافق والعائدة . ورستاق الحابور وفيه مدن كثيرة واعمال واسعة تجاور رستاق سنجار ونواحي الحيال ، وللجميع من الدخل الكثير عن سائر وجوه الغلات والفواكه اليابسة والرطبة . ورستاق معلشيا وفيشاور وهما رستاقان خطيران معدودان في نفائس الاعمال ومحاسن الكور بكثرة الغلات والخيرات والتجارات .

١٢ - وحضرت مدينة الموصل آخر دجلة دخلتها سنة ثمان وخمسين فألفت ارتفاعها من الحاصل دون قسمة المزارعين بنينوى والمرج وكورة

حزة ستة آلاف كرّ حنطةً وشعيراً قيمتها من الورق ثلاثة آلاف الف درهم ، ومن الحبوب والقطاني ثلاثمائة كرّ ، قيمتها من العين عشرة آلاف دينار ومن الورق...^(١) عن وجوه أوجب اجتباؤها من جوالٍ وضمانات ومرافق بيت المال. ودّت عيناً عشرة آلاف دينار دون ضياع وُسِمت بضياح الاخوة في هذه النواحي الثلاث المتقدم ذكرها ، وهي املاك بايديهم ودخلها حاصل لهم استوفاه كتبهم اربعة آلاف كرّ حنطة وشعيراً ، قيمتها من الورق ألفا ألف درهم ، قال الرافع : وتوابعها من مواجب بيت مال السلطان ألفا دينار قيمتها من الورق ثلاثون الف درهم ، وذكر أموال الناحية المتقبّل عراسها وجزائرُها وبساتينها والمستغلّات المحترقة من اصحابها والمشتراة ، ومال اللطف والجوالي بألفي ألف درهم . وذكر باعربايا وهي من نواحيها ورساتيقها وحدها فقال : من باعيناها الى نهر سريا من دون اذرمه بفرسخ طولا وعرضها من نواحي سنجار الى ان تصاقب بازبدي ، والحاصل دون الواصل بحق المقاسمة الى الاكرة والمزارعين ثمانية آلاف كرّ حنطةً وشعيراً ، قيمتها من الورق دون زيادة الصنجة وحق الحزن اربعة آلاف ألف درهم ، وفيها من الاحلاب والجوالي . وعرة برقعيد ألفا دينار قيمتها من الورق ثلاثون الف درهم . وذكر بازبدي فقال : حدها من الضيعة المعروفة بالمقبة والاحمدي وباعوسا والبيضاء الى حدود الجزيرة ، ودخلها من الحنطة والشعير الحاصل ألفا كرّ قيمتها من الورق ألف ألف درهم ، ولها من وجوه الاموال المذكورة المشهورة ألفا دينار وقيمتها ثلاثون ألف درهم ، وبادرا وهي من حدّ المغينة الى الخابور ومن معلثايا الى فيشاور ، والحاصل دون الواصل الى المزارعين بحق المقاسمة من الحنطة والشعير ثلاثة آلاف كرّ قيمتها مائة الف دينار ؛ قال : وبها من المال عن وجوه أسقائها ومياها ثلاثون الف دينار . قال : وقردي وهي الجزيرة المعروفة بابن عُمر وجبل باسورين ونواحيه الى حدود باعيناها الى طنزي وشاتان ، والحاصل دون الواصل الى المزارعين من الحنطة والشعير ثلاثة

١ - يجب استتمام هذا النقص بمائة وخمسون الف درهم) ثم (وبها من الاموال) او ما معناه

آلاف كُر قيمتها مائة ألف دينار ، وبها من المال من وجوه الطواحين والجوالي وما أشبه ذلك ثلاثون ألف دينار ؛ فالحاصل على التقريب من جميع أعمالها وجباياتها عن قيمة عين نُجبي من الورق ستة عشر ألف ألف درهم ، ومائتا ألف وتسعون ألف درهم .

١٣ - ومن اسافل الموصل مدينة تُعرف بالحديثة وبينهما تسع فراسخ ، كثيرة الصيود واسعة الخير في ضمن المَوصِل عملها ، وبالمَوصِل نُجبي أموالها ، ولها عامل بذاته على استيفاء أموالها فربما عملت بالأمانة ، وربما كانت بضمان وقلمًا ضمنت لأن أحوالها تزيد وتنقص .

١٤ - وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعُروب يقل نظيرها في كثير من الارض ، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجربة موثقة بالسلاسل الحديد ، في كل عربة منها أربعة أحجار ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين قرأ ، وهذه العروب من الحُشب والحديد . وربما دخل فيها شيء من الساج . وكانت ببلد المدينة التي عن سبعة فراسخ منها عُروب كثيرة دارت إعمالاً وجهازاً الى العراق ، فلم يُبق منها شؤم ابن حمدان ولا من أهلها باقية ، وبمدينة الحديثة منها عداد تعمل في وسط دجلة ، وقد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حال الموصل وسائر ديار ربيعة وارتفاعها نحو خمسين ألف دينار . وكان بالفرات للرقّة وقلعة جعبر ما لا يداني هذه العروب ولا ككثرتها . وبمدينة تفلّيس في نفس الكر منها شيء به تقوم اقوات أهل تفلّيس وهي دونها في الفخم والعظم . وبتكريت وعُكبرا والبردان منها شيء باق . ولم يُبق بركة بني حمدان بالموصل إلا ستة أو سبعة منها وليس ببغداد شيء منها .

١٥ - وبلد المذكورة فكانت مدينة كثيرة الغلات والأموال والجهاز . والمشائخ المذكورين بالعراق في حسن اليسار وسعة الأحوال ، الى ان وضع الملقب بناصر الدولة عليهم يده واستفرغ فيهم جهده ، فلم يُبق لهم باقية وبدّهم في كل قُتر وزاوية ، ولم يبق لهم ثاغية ولا راغية حتى اكّلتهم الشدائد وصبت عليهم بشؤمه المصائب ، فهم كما قال بعض سكان مكّة من خُزاعة عند خروجهم منها :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس" ولم يسمر بمكة سامر
وكان لبلد في ظاهرها بين غربها وشمالها مكات يعرف بالاولس : نزه
كثير الشجر والتمر والحضر والفواكه والكروم ، فقصدها اللعين المشؤوم
بما قصد به الموصل ، فهو كالبور مع شرف حال هذا الاولس ومكانه من
الربيع اذا زرع وفي أعاليه ساقية تسقي شيئاً من الارض اذا زُرعت بماء
تافه ترب .

١٦ - ومدينة سنجار على تسعة فراسخ من بلدٍ وهي في وسط البوثة
وفي سفح جبل خصب ، ولها انهار جارية وعيون مطردة وأسقاء ومباحس .
وضياعها قريبة الحال وعليها سور من حجر يمنع عن اهلها تظافرهم ، وقد
شابهها من نسيم الزنيم ونالها من البلاء ما يشبه الزمان . وبها مع رخص
أسعارها وكثرة خيرها وفواكهها الصيفية فواكه شتوية بما يكون اختصاصه
في بلاد الصرود : كالحماق والجوز واللوز والزيتون والأترج والسسم
والرمان الكبير المجفف حبه الدائم الى العراق والنواحي جهازه وحمله .
وبقرب سنجار بين شمالها وغربها الحيال ، وهو وادٍ من اودية ديار ربيعة ،
فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب وأب يسكنه قوم من العرب قاطنين
فيه مخفرين من بني قشير وغير وعقيل وكلاب ، وليس بالجزيرة مدينة ذات
نخيل في وقتنا هذا اكثر من سنجار إلا ان يكون على الفرات ونواحي
هيت والانبار .

١٧ - وبين بلد نصيبين برقعيد وأذرمة . فأما برقعيد فمدينة كثيرة
الزراع من الحنطة والشعير ، ويسكنها بنو حبيب : قوم من تغلب . وفيها
مغوثة لبني السبيل وفي اهلها بعض شرّ لأنهم من سنخ بني حمدان ،
وشرب اهلها من الأبار وليس بها بستان ولا كرم . ومنها الى مدينة
اذرمة ستة فراسخ وكانت مدينة صالحة كثيرة الغلات ، وقد فتحها الروم
لما خرجوا الى نصيبين وأتى المنتصرة عليها ، ولم يبق بها إلا نفر وصُباة
لا تجد الى النقلة عنها وجهاً ولا تعرف سبيلاً . ومنها الى نصيبين تسعة
فراسخ . ومن نصيبين الى دارا مدينة ازيلية كانت للروم طيبة في نفسها
كثيرة الغلات والحيات والخصب ، في جميع وجوه الخصب من المأكّل

والمشارب وما تحويه فكالحجان . وان كانت هذه الحال في جميع هذه الديار عامة وبها مشهورة فان الذي اخرجها عما كانت عليه ونقلها من احوالها الى ما هي به ومضافة اليه ما قدمت ذكره . وكفرتوثا بين دارا ورأس العين : مدينة سهليّة وكان حظها من كل خير جزيلاً ، ووصفها مذ كانت فحسن جميل الى ان افتتحها الروم ، وكانت في مستواة من الارض ولها شجر وثمر ومزدورع وضياع في سنة افتتاحهم رأس العين . (وفي زمان المؤلف افتتحها الروم والآن فهي للمسلمين والعاقبة للمتقين) .

١٨ - وكانت رأس العين مدينة ذات سور من حجارة نبيل ، وكان داخل السور لهم من المزارع والطواحين والبساتين ما كان يقوتهم لولا ما منوا به من الجور الغالب والبلاء الفادح ، ممن لا رَحِمَ الله منهم شعرة ولا ترك من نسلهم احداً ليجعلهم آية وعبرة . وكان يسكنها العرب وبها لهم خطط ، وفيهم نافلة من الموصل اصلهم . وفيها من العيون ما ليس ببلد من بلدان الاسلام ، وهي اكثر من ثلاثمائة عين ماء جارية كلها صافية بين ما تحت مياهها في قعوورها على اراضيها . وفيها غير عين لا يُعرف لها قرار وغير بئر عليها شبابيك الحديد والحشب ، ويقال انها خسيف وقد جعل الشباك دون وجه الماء بذراع ونحوه ليحفظ ما يسقط فيها . ويقال انهم اعتبروا غير بئر بمائتين اذرع حبال ، فلم يبلغوا قعرها وتجتمع هذه المياه حتى تصير نهراً واحداً ويجري على وجه الارض فيُعرف بالخابور ، ويقع الى نواحي قرقيسيا وكان عليه لاهل رأس العين نحو عشرين فرسخاً قرى ومزارع ، وكان لهم غير رستاق وناحية كبيرة كثيرة الضياع والاشجار والكروم على هذه المياه الجارية المذكورة . وكان لهم ايضاً ضياع مباخس وأعداء في ضياعها ومزارعها ، فلم يبق بالقصبة لهم إلا نويس في نفسها على ترقيب من الروم والعرب قد لجؤوا الى بعض قصورها ، وجعلوه حصناً يأوون اليه عند خوفهم . ونهر الخابور المذكور عليه مدائن كثيرة قد شكلتها ووصفتها كمدينة عرابان ، وهي مدينة لطيفة كثيرة الأقطان وثياب القطن تُحمل منها وتجهز الى الشام وغيرها . وعليها سور صالح منيع ومن ورائه منعة بمن فيه من الرجال ، واليها سُكير العباس ،

وهي أيضاً مدينة لطيفة فيها غلات وبها رجال، وكذلك طلبان والجهشية وتنينير والعبدية مدن تتقارب ازصافها، وفيها ما له اقليم كبير ورستاق واسع وعمل صالح ودخل وأشجار وكروم وسفرجل موصوف .

١٩ - ومدينة آمد على جبل من غربي دجلة مطل عليها من نحو خمسين قامة، وعليها سور اسود من حجارة الأرحية ويسمى ذلك السور ميموناً لشدة سواده، وذلك انه من حجارة أرحية الجزيرة، وليس لحجارته في جميع الأرض نظير، ومنها ما يساوي الحجر للطحن به بالعراق من خمسين ديناراً الى اكثر واقل، وسور خلط وجامعها واكثر ابنيتها من هذه الحجارة وكذلك جامعها، غير انها اصغر منها واقل سمكاً في عرض وطول . وبآمد مزدرع داخل سورها ومياه وطواحن على عيون تنبع منها، وكان لها ضياع ورستاق وقصور ومزارع برسمها هلكت بضعفهم واقتدار العدو عليهم وقلة المغيث والناصر، ولم يبق للمسلمين ثغر أجل ولا امنع جانباً سوره منه، ولما ينفع السور بغير رجال والسلاح بغير مقاتل . وإن دام عليهم ما هم به خيف عليهم، لأن سلاطينهم اكثر ما يظهر منهم الرغبة فيها لإرادة التسمية على منابرها والدعاء لهم بها، دون ما يجب لأهل الثغور على الملوك من تقوية المال والكرام والرجال والعدة والعتاد . ولما بقي ثغر بالمثنى او ينفعه التسمي على منابر باللقاب والكنى او نكي في عدوه شيء مما يظهر به اهل زماننا وملوكنا من ذلك، لأنهم بالجمع والمنع في شغل عن صلاح الرعايا وتأمل الرزايا، وكأني به وقد قيل أسلمه أهله او دخل تحت الجزيرة من فيه، والله من ورائه دافعاً ومانعاً . (قال كاتب هذه الاحرف : دخلتها سنة اربع وثلاثين وخمس مائة ولم يكن بها إلا بقايا رمق، وفيها من الصدور والاجلاء والرؤساء والمشائخ والفضلاء وارباب العلم والحكم وأصحاب الفقه والادب، وذوي اليسار والمروءة والإفضال والكرم والنوال ومؤاساة الغريب والقريب جماعة، فلم يزل بها جور بني نيسان وظلمهم وكثرة الاضطهاد والاجحاف والمصادرات والتضييق عليهم، ومطالبهم برسوم ومؤون وضعوها لم تك فيها قبل وتكلفهم ما لا يطاق، فأجأهم ذلك الى التشتت عن الاوطان والبعد عن الاهل والاخوان، فخربت بيوتهم وانمحت آثارهم فلم يبق بأسواقها حانوت معمور، فضلاً ان يقال مسكون، ومع ذلك وسهمهم بسمه ردية بحيث كان احدهم اذا دخل بلدة وقصد ناحية غير اسمه وأنكر بلده، خوفاً على نفسه وصيانة لعرسه

وده ، الى ان فرّجُ الله عن بقي بها وافتتحها الملك العالم العادل المؤيّد المظفّر المنصور نورالدين فخر الاسلام ابو عبدالله محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سكان الارقيقي ، خلد الله دولته وثبت وطأته ، وذلك في اول سنة تسع وسبعين وخمس مائة ، فأطلق لهم الابواب ورفع المكوس وحى تلك الرسوم المذمومة ، وفعل فعل الاكارم الاجواد الطلاعين في الفضل ذروة الانجاد مفتنماً للذكر الجميل والأجر الجزيل ، والآن قد دبّت الحياة في عروق اهلها اليها وإفاضة العدل من مالكةا عليها ، ان شاء الله تعالى وهو الموفق والمعين) .

٢٠ - (وميفارقين مدينة جليظة عظمة الخطر عليها سور من حجارة وفصيل وخندق عميق ، مصطكة الهامة ضيقة الاسواق وبها مسجد جامع لا بأس به ، والفواكه والاشجار والانهار محتفة بها وفي هوائها وخامة ما . وماردين حصن حصين منيع لا يرام ولا يقدر عليه ، مبني على قلة جبل شاهق في الهواء وهو مشرف على تلك الجبال شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ، لا يدانيه قلة جبل البتة وفيه من الذخائر والعدة والاسلحة ما لا يمكن حصره ، ومن تحته في ناحية الجنوب ربض عامر منقّص بالسكان ضيق الاسواق ، وليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النظر الى برية رأس العين والخابور وسنجار ، ومياهم من عيون مجرورة في قنوات وقصد استحدثوا الآن الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر ، حيث كثر الخلق وازدادت الهامة . ولهم الفواكه الكثيرة اللذيذة والكروم الواسعة والهواء الصحيح والرخص . وتحتها في الصحراء من جانب القبلة ، على اربع فراسخ منها او اقل ، موضع يعرف بسوق مُدنيسر كان قبل هذا قرية يجتمع الناس في صحرائها كل يوم احد للبيع والشرى ، فانعمرت الآن عمارة كثيرة واتخذ بها الخانات والفنادق والحمامات والاسواق والبيع والشرى ، يجلب اليها الجهاز من سائر البلدان ، قد استوطنتها الناس من كل فج عميق وكثر بها الارتفاع والضمانات . واما حصن كيفا فهي قلعة حصينة منيعة ذات شعب مدفونة بين الجبال سوى جانبها المشرف على الدجلة من الجانب الغربي عن الدجلة ، وفيها شعاب وأودية لا يُقدر عليها وبين يديها على الدجلة قنطرة عالية حسنة البناء ، استحدثها الامير فخرالدين قرا ارسلان بن داود في عشر خمس مائة ، وتحتها ربض عامر فيه الاسواق والحمامات كالفنادق والمساكن الحسنة ، وبنّاؤهم بالحجر والجص ولها رساتيق كثيرة وضياح عامرة وهي وخمة الهواء وبية لا سيما في الصيف) .

٢١ - وجزيرة ابن عمر مدينة صغيرة لها اشجار وثمار ومياه ومرافق وخصب وعليها سور . ولما بلغها الروم لم يقفوا عليها ، وبينها وبين الموصل ثلاثون فرسخاً وهي أيضاً على شفا جرف بين الخوف والرجاء ؛ وبها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين وربح ومُضطرب لو لم يجر فيها حكم الشياطين والحوارج . وهي فرضة لأرمينية وبلاد الروم ونواحي ميفارقين وارزن ، وتصل منها الى الموصل المراكب مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن ،

والجن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين الى غير ذلك من الانواع، وهي أحسن تلك الناحية عمارةً وأرجاها سلامةً لوفور أهلها وكثرة خصبها وليست كآرزن وميفارقين من مُخلو المنازل وعدم الأكرة وأهل الضياع وقلّة الماشية والكراع . والجزيرة متّصلة بجبل ثنين وباسورين وفيشابور، وجميعها في الجبل الذي منه جبل الجوديّ متّصل بآمد من جهة النغير وأعلى البلد بأعمال مرعش واللكام وبأسافلها . فلا يبعد من دجلة الى مدينة السنّ التي على شرقيّ دجلة في حدود جبل بارمّا ويتّصل بجبال شهرزور . والسنّ مدينة لطيفة بينها وبين تكريت بضعة عشر فرسخاً ، عليها سور قد خرب أكثره ، وفي أهلها جور وشرّ وبينهم حنات وضغائن وليست ببعيدة الحراب . وبينها وبين مدينة البوازيج أربعة فراسخ ، وهي مدينة على الزاب الصغير من غربيّه ، يسكنها قوم خوارج الغالب عليهم إيواء اللصوص وفعل القبائح وشرى السرقات ، وما يأخذ بنو شيبان من قطع الطريق . والى مدينة السنّ مصب الزاب الأصغر في دجلة عن غلوةٍ منها ، والسنّ مضمومة الى عمل الجزيرة وليس البوازيج منها ولا في ضمنها لأنها مذ كانت لمن غلب .

٢٢ - وديار مُضر فهي من هذه الجزيرة قائمة حدودها ، وكذلك ديار بكر وديار ربيعة تُعرف كل ناحية من المجاورة لها بأوصافها وأقطارها وحدودها ومدينها . وأجلّ مدينة لدير مُضر الرقة وهي والرافقة مدينتان كالمُتلاصقتين ، وكل واحدة بائنة من الأخرى بأذرع كثيرة ، وفي كل واحدة منهما مسجد جامع ، وهما على شرقيّ الفرات وكان لهما عمارة وأعمال ورساتيق وكور، فقلّ حظهما من كل حال وضعفت بما حملها سيف الدولة، تجاوز الله عنه من الكُلف والنوائب والمغارم ومصادرة أهلها مرّةً بعد أخرى . وكانت خصبة رخصة الأسعار حسنة الأسواق وفي أهلها ولاية لبني أميّة شديد . وفي غربيّ الفرات بين الرقة وبالس أرض صقيّ وبها قبر عمّار بن ياسر وأكثر أصحاب عليّ عليه السلام ، وصقيّ أرض على الفرات مطلّة من شرفه عالي السمك ويروى من كان بالفرات منه عجباً وذلك انه يروى قبوراً في موضعين : أحدهما أعلى من الآخر ، ويعبد في

أحد الموضعين دون العشرة قبور وفي الآخر نحو عشرين قبوراً ، ويصعد الى المكان فلا يرى لذلك أثراً ولا يحسّ منه خبراً ، وإني لأستعجب أن أحكي هذه الحكاية ولكنني بلغتني فكذبتها ، ثم رأيتها فلزمني حكايتها تصديقاً لمن تقدّم بالحكاية اليّ وإن عرّضت نفسي للتهم على أن أكثر من قتل من أصحاب عليّ هناك معروفة قبورهم . وخبرني من رأى هناك بيتاً ينسب أنه كان بيت مال عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وحرّان مدينة تلي الرقة في الحَكْبَر ، وهي مدينة الصابئين وبها سدنهم ولهم بها طربال كالطربال الذي بمدينة بلخ عليه مصلى الصابئين ، يعظمونه وينسبونه الى إبراهيم وهي بين تلك المدن قليلة الماء والشجر وزروعها مباحس . وكان لها غير رستاق عظيم وكورة جليلة فافتتح الروم أكثرها وأناخت بنو عقيل وبنو غير بعقوتها وبقعتها ، فلم يبقَ بها باقية ولا في رساتيقها ثاغية ولا راغية ، وهي مدينة في بقعة يحتمل بها جبل مسيرة يومين في مثلها وجميعها مستواة . ومدينة الرها في شمال هذه البقعة وكانت وسطة من المدن ، والغالب على أهلها النصارى ، وبها زيادة على ثلاثمائة بيعة ودير ذي صوامع فيه رهبانهم وبها البيعة التي ليس للنصرانية أعظم ولا أبدع صنعة منها . ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة نزهة ، وهي أصغر من كفرتوتا وكان بها منديل لعيسى بن مريم ، فخرج نقفور في بعض خرجاته ونزل بهم وحاصروهم وطالبهم به فسلموه اليه على هدية وافقوه على مدتها . [وهذه البيعة قد حُرب أكثرها ولم يبق منها إلا الطاق الأعظم في تاريخ ثمانين وخمس مائة] . وجسر منبج وسميساط : مدينتان نزهتان ذواتا مياه وبساتين ومباحس وأشجار ، وهما عن غرب الفُرات في حال اختلال وزروح حال .

٢٣ - وأما قرقيسيا فمدينة على الحابور ولها بساتين وأشجار كثيرة وفواكه . وهي في نفسها نزهة ويجلب من فواكهها وفواكه الحابور الى العراق في الشتاء ، وإن كان الاختلال قد شأها وبينها وبين مدينة الحانوقة يومان ، وهي مدينة لطيفة وزحة الحال وقتنا هذا [ابتناها مالك بن طوق صاحب الرحبة] . ورحبة مالك بن طوق أكبر منها وهي كثيرة الشجر والمياه في شرقي الفرات وقد عراها الاختلال ، وهي ذات سور صالح ولها

فخيل وثر وسقي كثير من جميع الغلات . وهيت مدينة وسطية عن غربيّ الفرات ، وعليها حصن وهي أمر المدن المتقدم ذكرها وتحاذي تكريت في الحدّ الغربيّ من العراق . وتكرت في شمال العراق وبهت قبو عبدالله بن المبارك الزاهد العابد الأديب . والأنبار بلد السفّاح وكانت داره التي يسكنها عامرة آهلة كثيرة النخل والزروع الجيدة والثمار والأسواق الحسنة على شرقيّ الفرات ، فتغيّرت وخربت . ومنها أبو بكر بن مجاهد صاحب القرائت ومن لم يساوه في القرائت أحد ، ونجم منها غير رئيس في صناعة الكتابة والفقه والعلم .

٢٤ - وبالجزيرة براري ومفاوز وسباخ بعيدة الأقطار تنتجع لامتيار الملح والأشنان والقلّي . وكان يسكنها قبائل من ربيعة ومضر : أهل خيل وغنم وإبل قليلة ، وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها فهم بادية حاضرة فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني غنم وبني كلاب ، فأزاحوهم عن بعض ديارهم بل جلبها وملكوها غير بلد وإقليم منها كحران وجسر منبج والخابور والخانوقة وعربان وقرقيسيا والرحبة في أيديهم يتحكمون في خفائرها ومرافقها .

٢٥ - والزابيان نهران عظيمان كبيران إذا نجعا كانا كنصف دجلة وأكثر ، وهما من شرقيّها ومخرجها من الجبال التي بين نواحي أذربيجان متسرّبة من أقطار أرمينية ونواحي أذربيجان من جنوبيّها ، وبين ذين النهرين مراعي كثيرة وبلاد كانت الضياع بها ظاهرة والسكّان بها الى عن قريب على حال صالحة وافرة ، فتكاثرت عليهم البوادي واعتورهم الفتن فصارت قفاراً من السكّان يباباً بعد العمران ، وهي في الشتاء متشاتي للأكراد الهذليّة ومصائف لبني شيبان .

٢٦ - ومدينة تكريت على غربيّ دجلة وأكثر أهلها نصاري مطلة على جبل عظيم شاهق ، وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة ، وكانت حصناً ذا مساكن ومحالّ يشملها سور حصين ، وهي قديمة أزلية وتجمع سائر فرق النصاري . وبها من البيع والأديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام وأيام الخواريّين ، لم تتغيّر أبنيتها وثاقه وجلداً

ومن أعظم بيعة بها محلاً وأقدمها بيعة الخضراء . وأبنيتهم بالحصن والحجر والآجر والحصن . ومن أسفل تكريت يشقّ نهر الدجيل الآخذ من دجلة على بعض مساكن تكريت وفي فنائها ماراً الى سواد سرّ مَنْ رأى فيعمره الى بغداد .

٢٧ - وعانة مدينة صغيرة في وسط الفرات يطوف بها خليج من الفرات ، وبالفرات غير مدينة كهى في جزيرة قد أحاط بها الماء ، وقرية حسنة ذات شجر ومساكن وجامع ، ومن ذلك التغني والبدلية والنهاية ، وتقارب أصاغر المدن في الحال وتلتف مشاجرها بالنخيل والكروم ، والحديثة ولها جامع وأسواق وتائنة وأهل لهم عدد وألوس وهي دونها ، ولها جامع وسوق والحزاة ، وتقارب ألوس في الحال . وهذه المدن وإن كانت في الماء وقد أحاط بها فلها مزارع وقرى وأكرة وقصور من جانبي الفرات ، يكثر خيرها ويبين على أهلها نفعها وريعها . والدالية مدينة صغيرة بشطّ الفرات عن غربيّه وبها أخذ صاحب الحال الخارج بالشام على بني العباس .

٢٨ - وجبل الجوديّ بقرب الجزيرة وفيه القرية المعروفة بشنين التي يقال ان سفينة نوح عليه السلام استقرّت عليه لقوله تعالى : واستوت على الجودي^(١) ويتصل هذا الجبل كما ذكرت بالثغور باللكام ، ويقال أن جميع من كان مع نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلاً فبنوا هذه القرية ولم يعقب منهم احد فسميت باسم عددهم .

٢٩ - وحصن مسلمة فلن مسلمة بن عبد الملك اتخذها ، وكانت طائفة من بني أمية تسكنه من تلقاء الفرات وفي حاجره ، وكان شرب اهله من السماء وأرضه مباخس ، وتل بني سيّار مدينة كانت صغيرة وكان اكثرها للعباس ابن عمرو الغنوي وقومه ، فخربت في مدّة ادركتها ثم عمرت وقد عادت الى الخراب حالها بعد ان تراجع اليها اهله ، وهي على مرحلة من رأس العين واتصل خراب تل بني سيّار بخراب باجروان ، وكانت منزلاً خصباً

نزهاً واسعاً ، وكانت عن منكب طريق حرّان الى الرقة . وسروج
وستاق له مدينة خصبة تعرف بسروج ، عن شمال طريق حرّان الى جسر
منبج ، حصينة ذات سور كثيرة الاعناب والفواكه والزبيب ، ويعمل من
زبيبها لكثرة الربّ ويتخذ منه الناطف وهي من حرّان على يوم .
٣٠ - وهذه جمل أخبار الجزيرة وأوصافها وجميعها قد تغيرت آثارها
وانتقلت أحوالها الى النقص والاستحالة .



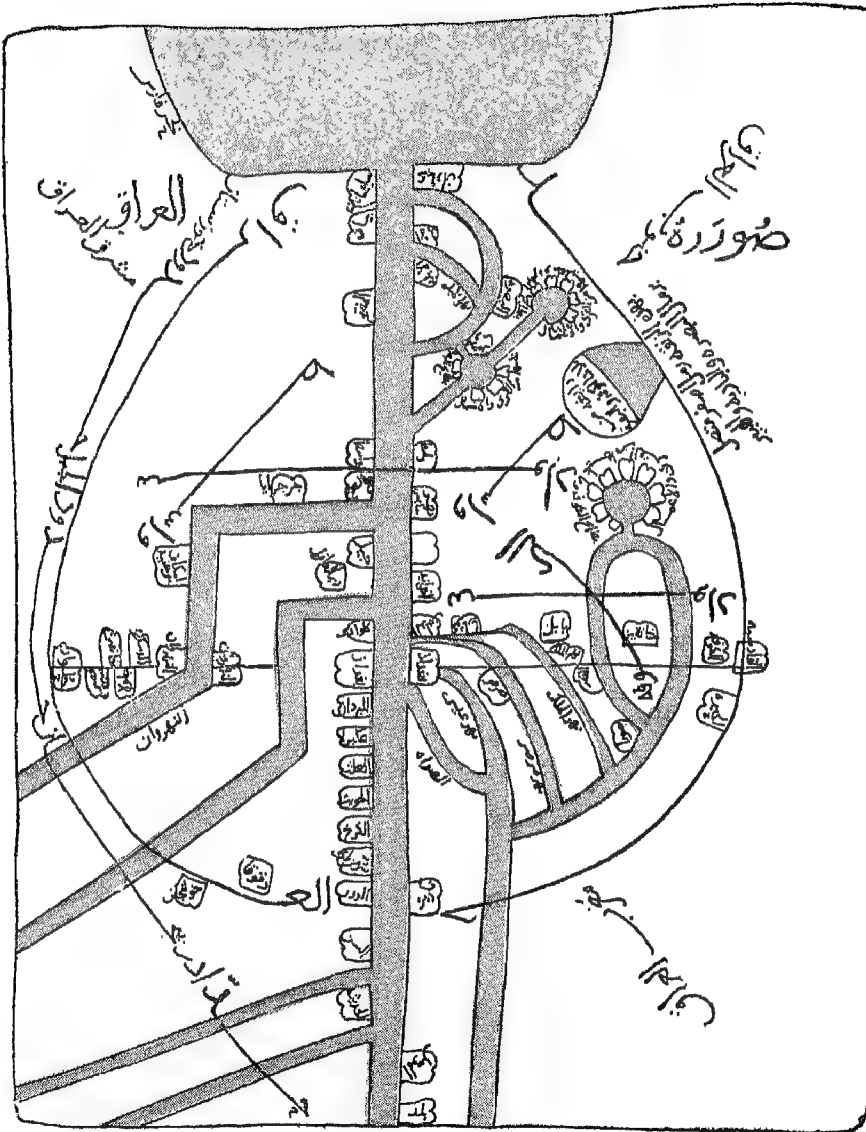
العراق

١ - وأما العراق فإنه في الطول من حد تكريت الى عبّادان، وعبّادان مدينة على نحر بحر فارس، وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد الى حلوان، وعرضه بنواحي واسط من سواد واسط الى قرب الطيب، وبنواحي البصرة من البصرة الى حدود بُجَيّ. والذي يُطيف بحدوده من تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدود سهرورد وشهرزور ثم يمر على حدود حلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي الى حدود بُجَيّ، ثم الى البحر فيكون في هذا الحد من تكريت الى البحر تقويس، ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحتها الى واسط، ثم على سواد الكوفة وبطائحتها الى الكوفة ثم على ظهر الفرات الى الانبار، ثم من الانبار الى حد تكريت بين الدجلة والفرات، وفي هذا الحد من البحر على الانبار الى تكريت تقويس ايضاً. وهذا المحيط بحدود العراق وستأتي اوصافه مفصلة ان شاء الله.

٢ - والصورة التي في باطن هذه الصفحة صورة العراق.

ايضاح ما يوجد في صورة العراق من الأسماء والنصوص :

قد صورت في اعلى الصورة بحر فارس وينصب فيه نهر دجلة قاطعاً لوسط الصورة، ويقرأ في القسم الاعلى من الصورة من جانبي النهر صورة العراق، وفي الزاويتين الاعلايين جنوب العراق ومشرق العراق، وكتب من جانبي النهر على شكل خطين مقوسين حد العراق، وموازيّاً للخط الأيسر حدود خوزستان ثم حدود الجبل ثم حدود اذربيجان. وفي اسفل الصورة في الزاوية اليمنى مغرب العراق.



وقد رسم على جانب النهر الايمن ابتداء من البحر من المدن : عبادان ، الابله ، الابله مرة ثانية : واسط ، نهر سابس ، ثم شكل مدينة لا اسم فيها ثم النعمانية ، المداين ، بغداد ، تكريت ، الموصل ، بلد ، ويأخذ من الابله نهر الابله وحذاء نهايته مدينة البصرة ، وعن يمين البصرة شكلت دائرة كتب حولها بطائح البصرة وما عليها من القرى والاعمال . ويأخذ من تلك الدائرة نهر ينصب في دجلة عند واسط وفي وسط هذا النهر دائرة ثانية يُقرأ حولها مرة اخرى بطائح البصرة وما عليها من القرى والاعمال ، وبين هذه الدائرة وماء البصرة نهر يُقرأ عنده نهر معقل ، وعن يمين ذلك ناحية متصلة بخط الحد كتب فيها رايغة من بلاد الكوفة والبصرة ، ومن وراء هذه الزنقة رمل أصفر متصل برمال البصرة والبادية والهيبر ، ثم يقع من أسفل ذلك على الخط المقوس من المدن القادسية وعن يسارها الكوفة ثم الخيرة .

ويوازي نهر دجلة في القسم الاسفل من الصورة نهر الفرات ويتشعب في عدة شعب تأخذ اثنان منها الى بغداد وهما : الصراء ونهر عيسى ، ثم عن يمينها نهر صرصر وعليه مدينة صرصر ، ثم نهر الملك وعليه مدينة كوثا ربا . وبين هذا النهر والشعبة التالية الى اليمين من المدن : سورا ، القصر ، نهر الملك ، بابل . وبين الشعبتين الاخرتين مدينة الجامعان ، وتجتمع هاتان الشعبتان في دائرة كتب حولها بطائح الكوفة وما عليها من القرى والاعمال ، ويشار الى هذه الناحية كلها بكتابة سواد الكوفة على شكل صليبي . وعلى سمت واسط يُقطع نهر دجلة بكتابة سواد واسط ، وكتب واسط في كل واحد من جانبيه على شكل صليبي .

وعلى جانب دجلة الايسر رسم من المدن ابتداء من البحر : سليمان ، بيان ، المفتاح ، واسط مرة ثانية ، فم الصلح ، جبل ، وعن يسارها دير العاقول ، ثم كلواذي ، بغداد مرة ثانية ، البردان ، عكبرا ، العلت ، الجويث ، الكرخ ، سر من رأى ، الدور ، السن ، الحديثه . وينصب في دجلة عند فم الصلح نهر كتب عنده النهروان وعليه من المدن ابتداء من دجلة : جرجرايا ، اسكاف بني جنيد ، النهروان وحذاءها النهروان مرة ثانية ، ويأخذ من النهروان طريق الى اليسار الى حلوان عليه من المدن : الدسكرة ، جلولا ، خانقين ، قصر شيرين ، وينصب عند كلواذي نهر آخر بينه وبين دجلة دقوقا وخولنجان .

٣- هذا الاقليم اعظم اقاليم الارض منزلة وأجلها صفة واغزرها جباية واكثرها دخلاً واجملها اهلاً واكثرها اموالاً واحسنها محاسن وافخرها صنائع ، وآهله فأوفرهم عقولاً وأوسعهم حلوماً وأفسحهم فطنة في سالف الزمان والامم الحالية ، وبمثله تجري امور امّة الآخرة يُقرّ بذلك لهم أهل الطاعة والفضائل ولا يتتري فيه أهل الدراية والحاصل . ورأيت بعض الخطوط القديمة أنه كان يُجيب لقباذ السواد دون سائر اعماله ، وما كان تحت يده وسلطانه مائة الف الف وخمسين الف الف مثقال ، وأن

عمر بن الخطّاب رضي الله عنه امر بمساحته فكان طوله من العلت في جري دجلة الى عبّادان مائة وخمسة وعشرين فرسخاً ، وعرضه من عتبة حلوان الى العبّاذين ثمانين فرسخاً عامرة مُغلّّة لا يقطعها بَورٌ ولا يلحق عمارتها غبٌ ولا فتور ، فبلغت جُربانهُ ستة وثلاثين الف الف جريب ، فوضع على كل جريب للحنطة اربعة دراهم وعلى الشعير درهمين وعلى جريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب الكَرَم والرطاب ستة دراهم ، وختم على خمس مائة الف انسان للجزية على الطبقات ، وأنه تجبى السواد فبلغت الجباية مائة الف الف وثمانية وعشرين الف الف درهم . وجباه عمر بن عبدالعزيز مائة الف الف وأربعة وعشرين الف الف درهم . وجباه الحجاج ابن يوسف ثمانية عشر الف الف درهم وأسلف الأكرّة الف الف درهم ، وحمل ستة عشر الف الف ومنع اهل السواد من ذبح البقر فقال شاعرهم :
شكونا اليه خراب السواد فحرمَ فينا لحومَ البقر

قال : واجتبي لكسرى ابرويز خراجُ مملكته سنة ثمانى عشرة من ملكه اربعمائة الف الف مثقال وعشرين الف الف مثقال . قال : ثم بلغت الجباية بعد ذلك ستائة الف الف مثقال . (وأما في زماننا هذا وهو تاريخ سنة خمسين وخمسةائة فهو اكثر مما ذكره أضعافاً مضاعفة لا احيط بمقداره) .

٤ - فأما ذكر مسافاته فمن حد تكريت الى البحر مما يلي المشرق على تقويسه فنحو شهر ، ومن البحر راجعاً في حد المغرب على تقويسه الى تكريت فمثل ذلك . ومن بغداد الى سُرّ من رأى ثلاث مراحل ومن الكوفة الى القادسية مرحلتان ، ومن بغداد الى واسط ثمانى مراحل ومن بغداد الى حلوان ست مراحل والى حدود الصيرة والسيروان نحو ذلك . ومن واسط الى البصرة ثمانى مراحل ومن الكوفة الى واسط على طريق البطائع ست مراحل ، ومن البصرة الى البحر مرحلتان . وعرض العراق على سمت بغداد من حلوان الى القادسية إحدى عشرة مرحلة ، وعرضه على قَمّة سُرّ من رأى من الدجلة الى حد شهرزور والجبل نحو خمس مراحل ، والعامر منه أقلّ من مرحلة ، والعرض من واسط الى نواحي خوزستان نحو أربع مراحل ، ومن البصرة الى جبّى مدينة أبي علي الجبّاني مرحلة .

٥ - فأما مدنها فان البصرة مدينة عظيمة ولم تكن في أيام العجم ، وإنما اختطها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومصرها عتبة ابن غزوان فهي خطط وقبائل كلها ويحيط بغربها البادية مقووسة وبشرقها مياه الأنهار مفترشة . وذكر بعض المؤلفين من اصحاب الاخبار ان انهار البصرة عددة أيام بلال بن ابي بردة ، فزادت على مائة الف نهر وعشرين الف نهر ، تجري في اكثرها الزواريق . وكنت أنكر ما ذكره من هذا العدد في أيام بلال حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع ، فرميا رأيت في مقدار رمية سهم عدداً من الأنهار صغاراً تجري في جميعها السميريات ، ولكل نهر اسم ينسب به الى صاحبه الذي احتفله او الى الناحية التي يصب اليها ويفرع ماؤه فيها ، وأشبه ذلك من الاسامي فجوزت ان يكون ذلك كذلك في طول هذه المسافة وعرضها ولم أستكثره . وهي من بين سائر العراق مدينة عشرية ولها نخيل متصلة من عبداسي الى عبّادان نيف وخمسين فرسخاً متصلة ، لا يكون الانسان منها بمكان إلا وهو في نهر ونخيل او يكون بحيث يراها . وهي مستواة لا جبل فيها ولا يكون بحيث يقع البصر على جبل بثه ، وبها آثار امير المؤمنين صلوات الله عليه وغير موقف معروف منذ أيام الجمل ، وقبر طلحة بن عبيدالله في نفس المدينة وخارج المربد في البادية قبر أنس بن مالك ، والحسن البصري وابن سيرين والمشاهير من علماء البصرة وزهادها الى يومنا هذا . ومن مشاهير انهارها نهر الأبله وطوله اربعة فراسخ ما بين البصرة والأبله ، وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدّت على خيط ، ورصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الأنيقة والابنية الفاخرة والعروش العجيبة والاشجار المثمرة والفواكه اللذيذة ، والرياحين الغضة المركب منها مثل الحيوان والبوك الفسيحة المرصوفة . ولا تخلو من المتنزهين بغرائب الملاذ وتحف المتظرّفين منحدريّن ومصعدين . ويتشعب فوق البصرة ومن تحتها انهار كثيرة ، فمنها ما يقارب هذا النهر في الكبر ولا يدانيه في الجمال وحسن المنظر الانيق . وكان نخيلها غُرست ليوم واحد ، وهذه الانهار الكبار كلها متخرقة بعضها الى بعض ، وكذلك عامة

أنهار البصرة حتى اذا جاءهم مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل
 نخيلهم وحيطانهم وجميع انهارهم من غير تكلف ، واذا جزر الماء عنها
 وانحط خلت منه البساتين والنخيل وبقيت اكثر الانهار خالية فارغة .
 ويغلب على مياههم الملوحة واكثر ما يستسقون الماء لشربهم اذا جزر الماء
 من آخر حد نهر معقل ، لانه يعذب هناك فلا يضره ماء البحر ، وعلى
 نهر معقل ايضاً ابنة شريفة ومساكن حسنة عالية وقصور مشيدة
 وبساتين ، وضياح واسعة غزيرة كبيرة عظيمة . وكان على ركن الأبلّة
 في دجلة بين يدي نهرها خور عظيم الخطر جسيم الضرر دائم الغرر ،
 وكانت اكثر السفن تسلم من سائر الاماكن في البحر حتى تروه فيبتلعها
 وتغرق فيه ، بعد ان تدور على وجه الماء أياماً ، وكان يعرف بكرداب
 الأبلّة وخورها فاحتالت له بعض نساء بني العباس بمراكب اشترتها ،
 فاكثرت منها وأوسقتها بالحجارة العظام وبلغتها ذلك المكان فابتلعها ، وقد
 توافت على مقدار فانسد المكان وزال الضرر في وقتنا هذا عما كان عليه .
 واكثر ابنتها بالآجر وهي مدينة عظيمة جليلة خصبة بما حوته عامرة وافرة
 الأهل حسنة النظم . [حتى أن من طرف نهر معقل اذا سار الانسان على خط مستقيم
 الى ناحية القبلة يكون بين السور وبين طرف النهر نحو فرسخ او اكثر . قال كاتب هذه
 الاحرف : دخلتها سنة سبع وثلاثين وخمسة و قد خربت ولم يبق من آثارها الا الأقل ،
 وطمست محالها فلم يبق منها إلا محال معلومة كالنحاسين وقساميل وهذيل والمربد وقبر طلحة ،
 وقد بقي في محلة بيوت معدودة وباقي بيوتها إما خراب وإما غير مسكونة ، وجامعها باق في
 وسط الخراب كأنه سفينة في وسط بحر لحي ، وسورها القديم قد خرب وبينه وبين ما قد بقي
 من العمارة مسافة بعيدة ، وكان القاضي عبدالسلام الجبلي رحمه الله قد سور على ما بقي سوراً
 بينه وبين السور القديم دون النصف فرسخ في سنة ست عشرة وخمسة ، وسبب خرابها ظلم الولاة
 والجور وايضاً في كل سنة مرة او مرتين تثن عليهم البادية الغارات واكثرهم خفاجة ، وابتدأ
 خرابها منذ خرج بها البرقي وادعى انه علوي وتحصن بنهر الخصيب ، ومحاصرة احمد الموفق بن
 المتوكل . وسمعت جماعة من اهل البصرة يقولون : كان بها في زمن الرشيد بن المهدي اربعة
 آلاف نهر ، يجيى له في كل يوم من كل نهر مثقال ذهب ودرهم نقرة وقوصرة تمر . وسمعت
 الشيخ وهب بن العباس وكان من جملة الوعاظ المعروفين بالبصرة يحكى عن والده العباس انه
 قال : كان على باب المحلة التي يسكنها دكان بقال منفرد عن السوق ، وأثن ذلك البقال شكاً الى
 العباس قلة المعاش وذكر انه كان يشتري من دكانه في كل سنة عشرة مكايي خردل دون باقي

الخوائج ، وفي سنتي هذه قد بقي من مكوي خردل بقية [. وللبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع والمجالب والجهاز الى سائر اقطار الارض ما يستغني بشهرته عن اعادة ذكر فيه . ولها من المدن عبّادان والأبلة والمفتح والمذار في مجاري مياه دجلة ، وهي مدن صغار متقاربة في الكبر عامرة والأبلة اكبرها وافسحها رقعة وهي احد حدود البصرة من جهة نهرها . والأبلة من بينها عامرة وبها اسواق صالحة . ولها حدّ آخر من عمود دجلة مكان يتشعب منها النهر المعروف بنهر الابلة ، وينتهي عمود دجلة الى البحر بعبّادان بعد ان يضرب اليه نهر الابلة . وفي اضعاف قراها آجام كثيرة وبطائح الماء تسير فيها السفن بالمرادى لقرب قعرها، كأنها كانت على قديم الأيام ارضاً مسكونة، ويشبه ان يكون لما بنيت البصرة وشقت انهارها وكثرت واستغلق بعضها على بعض في مجاريها تراجعت المياه ، وغلبت على ما سفل من ارضها فصارت بطائح وآجاماً . وللبصرة كتاب يعرف بكتاب البصرة ، ألفه عمر بن شبة قبل كتاب الكوفة ومكة ، يغني عن ذكر شيء من اوصافها . وهذه الكتب موجودة في جميع الاماكن . وأما ارتفاعها وقتنا هذا من وجوه اموالها كلها وجباياتها من أعشارها وجماجها ومصالحها وضمات البحر بلوازم المراكب ، فإنه زاد وكثر وغلا وغزر وحضرته سنة ثمان وخمسين فكان ذلك في يد أبي الفضل الشيرازي ستة آلاف ألف درهم .

٦ - ومدينة واسط على جانبي دجلة تشقها بنصفين ، والنصفان متقابلان بينهما جسر سفن يعبر عليه من أراد من أحد الجانبين الآخر ، وفي كل جانب مسجد جامع . وهي مدينة محدثة في الاسلام استحدثها الحجاج بن يوسف ، وبها حضر الحجاز ، وهي مدينة تحيط بجدها الغربي البادية بعد مزارع يسيرة وهي خصة كثيرة الشجر والنخل والزرع ، وأصح هواء من البصرة وليس لها بطائح ولها أرض واسعة ونواح فسيحة وعمارة متصلة . وبها قوام مدينة السلام إذا أسنت نواحيها أو عييت . ونواحي واسط عمل مفرد من أعمال العراق لعامل جليل نبيه خطير ، وحضرتها وقد جرى ذكر عقدها على أبي الفضل في سنة ثمان وخمسين

وكان ستة آلاف ألف درهم .

٧ - ومدينة الكوفة قريبة الأوصاف من البصرة ، وهواؤها أصحّ وماؤها أعذب ، وهي على الفرات وبناؤها كبناء البصرة . ومصرها سعد ابن أبي وقاص وهي خطط لقبائل العرب إلا أنها خراج بخلاف البصرة ، لأن ضياع الكوفة قديمة أزلية وضياع البصرة أحياء موات في الاسلام . والقادسية والحيرة والحورنق على سيف البادية مما يلي المغرب ومحيط بها بما يلي المشرق النخيل والأنهار والزروع ، وهي الكوفة في أقل من مرحلتين . والحيرة مدينة قديمة أزلية طيبة التربة مفترشة البناء ، وقد خف أهلها بل لم يبق منهم إلا القليل بعمارة الكوفة ، وبينها وبين الكوفة نحو الفرسنج . وبالكوفة قبر أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه . ويقال أنه بموضع يلي زاوية جامعها وأخفي من أجل بني أمية خوفاً عليه . وفي هذا الموضع دكان علاّف ويزعم أكثر ولده أن قبره بالمكان الذي ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة ، وقد شهّر أبو الهيثم عبد الله بن حمدان هذا المكان وجعل عليه حصاراً منيعاً . وابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها أبواب ، وستوها بفاخر الستور وفرشها بشمين الحصر السامات وقد دفن في هذا المكان المذكور جلّة أولاده ، وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة ، وجعلت الناحية بما دون الحصار الكبير تراباً لآل أبي طالب . والكوفة في هذا الوقت وأعمالها وسوادها مضافة الى ضمات مدينة السلام ، ومرفوعة أعمالها الى دواوينها ، وحضرت ارتفاع السواد سنة ثمان وخمسين وقد ضمنه أيضاً أبو الفضل وسائر طساسيج العراق دون زيادة الصنجة وحق بيت المال فكان ثلاثين ألف ألف درهم . والقادسية مدينة على شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه ، ويزرع بها الرطاب الكثيرة ويتخذ منه القتّ علقاً لجمال الحالج وغيرها . وليس للعراق بعدها من ناحية البادية وجزيرة العرب ماء يجري ولا شجر .

٨ - ومدينة السلام محدثة في الاسلام ، ابتناها أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل حوالها قطائع لحاشيته ومواليه وأتباعه

كقطيعة الربيع والحربية وغيرهما، ثم عمرت وتزايدت . فلما ملكها المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسمي عسكر المهدي ، وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقي فسمي عسكر المهدي ، وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقي ودارُ من بيده حال من اسم المملكة ، وعمل الى اسفل هذا الجانب بالمُخرّم واستحدث الدار التي في اسفلها للسلطان ، وليس بما وراءها بنيان للعامة متصل . ويتصل قصور السلطان وبساتينها من بغداد الى نهر بين فرسخين على جدار واحد، ثم يتصل من نهر بين الى شط دجلة ، ويتصل البنيان بدار خلافتهم مرتفعاً على دجلة الى الشَّاسية نحو خمسة اميال ، وتحاذي من الجانب الغربي الحربية فيمتد نازلاً على دجلة البنيان الى آخر الكرخ . ويسمى الجانب الشرقي منها جانب باب الطاق وجانب الرُصافة ، ويسمى عسكر المهدي لانه كان عسكر بجزاء مدينة ابي جعفر المنصور [ويبني هناك مسجد جامع حسن ، والآن فقد خرب ذلك المكان ولم يبق معمور غير الجامع ومقابر قريش والحلة المعروفة بقبر ابي حنيفة رضي الله عنه . وانتقلت العماره الى نهر معلى وقد سوّر في زماننا هذا وهو عشر السنين وخمسة بسور حصين منيع ، وبين يديه خندق عميق محيط به يتخرقه ماء الدجلة] ويسمى الجانب الغربي جانب الكرخ . وبها مساجد للجمعة وصلاتها خاصة في أربعة مواضع منها فمنها في الجانب الغربي الذي بمدينة ابي جعفر ، وبالرُصافة جامع آخر لأهل باب الطاق ، وفي دار السلطان أيضاً جامع يحضره الخاصة والعامة ، ومسجد برائا في الجانب الغربي واستحدثه أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه ، وتتصل عماره الجانب الشرقي في أسفل دار الخلافة بكلوذي ، وهي أيضاً مدينة قصدة فيها مسجد جامع ولو عُدد في جملة بغداد لجاز لأن كثيراً من أهلها يصلون فيه . وبين الجانبين في وقتنا هذا جسر بقرب باب الطاق ، وكانا اثنين لعبور المجتازين . ولما بان النقص عليهما عطل أحدهما لبيان الاختلال : وهلك أكثر محالها ، وذلك أنه كان من باب خراسان عماره الى أن تبلغ الجسر وتمتد الى باب الياسرية من الجانب الغربي ، وعرضها فقد اختل أيضاً من الجانبين جميعاً

نحو خمسة أميال ، ونقص وهلك منه الكثير وأعمر بقعة بها اليوم الكرخ وجانبه لأت أهل الياسرية ومعظم مساكن التجار هناك . وذكر بعض المؤلفين أن الموفق أمر بمساحتها فوجد الجانب الشرقي مائتي حبل وخمسين حبلاً ، وعرضه مائة حبل وخمسة أحبل . ويكون ذلك ستة وعشرين ألف جريباً ومائتين وخمسين جريباً وهذا حساب لا أعرفه . ووجد الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلاً والعرض سبعين حبلاً سبعة عشر ألف وخمسة مائة جريب ، الجميع ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبع مائة وخمسون جريباً . ويكون بفدان مصر حساب كل جريبين ونصف فدان سبعة عشر ألف فدان وخمسة مائة فدان ، وكانت هذه مساحة رقعتها .

٩ - فأما الأشجار والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فإنها من ماء النهر وان وتامرا ، وليس يرفع اليها من دجلة إلا شيء يقصر عن العمارة . وأما الجانب الغربي فيشق اليه من الفرات نهر عيسى من قرب الانبار تحت قنطرة ديماء ، وتتجلب من هذا النهر صابات تجتمع فتصير نهراً يسمى الصراة يفضي أيضاً الى بغداد [عند الهلة المعروفة بباب البصرة] وعليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتنفجر منه أنهار كثيرة لعمارات الناحية ، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداد في نحو نصف المدينة ، وعليها كثير من مساكنهم ودورهم وبساتينهم ، فأما نهر عيسى فإن السفن تجري فيه من الفرات الى أن يقع في دجلة والصراة فيها حواجز وموانع من جري السفن بسكور ودوال فيها ، فتنتهي السفن فيها الى قنطرتها ثم يحول ما يكون فيها فيجاور به ذلك الحاجز الى سفن غيرها . وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متباعد تخترق اليه أنهار من الفرات ، فأولها بما يلي بغداد نهر صرصر عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن ، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ومدينة صرصر عامرة بالتخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ . ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك وهو كبير أيضاً أضعاف نهر صرصر في غزر مائه ، وعليه جسر من سفن يعبر عليه ونهر الملك مدينة أكبر من صرصر عامرة بأهلها ، وهي أكثر نخلاً وزرعاً

وثرأً وشجراً منها . ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة ، وليس بين بغداد والكوفة مدينة أكبر منها وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود ويطلع اليها هناك عن يمين وشمال أنهار مفترقة ليست بكبار ، إلا أنها تعيهم لحاجتهم وتقوتهم وهي أعمر نواحي السواد ، ثم ينتهي الى نهر سورا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء ، وليس للفرات شعبة أكبر منه وينتهي الى سائر سواد الكوفة ، ويقع الفاضل منه الى بطائح الكوفة وسورا هذه بين تلك النواحي أكثرها كروماً وأشربة ، وكربلا من غربي الفرات فيما يحاذي قصر ابن هبيرة ، وبها قبر الحسين بن علي صلوات الله عليهما ، وله مشهد عظيم وخطب في أوقات من السنة بزيارته وقصده جسيم .

١٠ - ومدينة سُور من رأى في وقتنا هذا مختلة وأعمالها وضائعها مضحكة ، قد تجمع أهل كل ناحية منها الى مكان لهم به مسجد جامع وحاكم وناظر في أمورهم ، وصاحب معونة يصرفهم في مصالحهم . وكانت مدينة استحدثها أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد ، طولها سبعة فراسخ على شرقي دجلة وكان شرب أهلها منها ، وليس بنواحيها ماء يجري إلا أنهار القاطول التي تنصب بالبعد منها الى سواد بغداد ، والذي يحيط بها فبرية ، وعمارتها ومياهها وأشجارها في الجانب الغربي بجذائنها ممتدة ، والمواقع التي ذكرتها مداداً هي مدن قائمة بأنفسها . كدور العرابي والكرخ ودور الحرب وصينية سُور من رأى نفسها في وسطها . ومن أول ذلك الى آخره عند دور الحرب نحو مرحلة لا ينقطع بناؤها ولا تخفي آثارها وهي إسلامية . ولما ابتدأ بناءها المعتصم استتمه المتوكل ، وهواؤها وثمارها أصح من ثمار بغداد وهوائها ولها نخيل وكروم وغلات تحمل الى مدينة السلام [وهي الآن خراب أكثرها] .

١١ - والنهروان مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين في وسطها ، وهي صغيرة عامرة من بغداد على أربعة فراسخ كثيرة الغلات والخيرات والنخيل والكروم والسسم خاصة ، ونهرها يفضي الى سواد بغداد أسفل من دار السلطان الى الاسكاف وغيرها من المدن والقرى . فاذا جرت النهروان الى الدسكرة الى حد حلوان خفت المياه والنخيل ، وإن كانت من

الدسكرة الى حد حلوان كالبادية منقطعة العمارة منفردة المنازل والقرى حتى تقضي الى نهر تامرا وحدود شهرزور والى تكريت .

١٢ - فأما المدائن فمدينة صغيرة جاهلية أزيلت كسروية آثارها عظيمة ومعالمها قائمة ، وقد نُقل عامة أبنيتها الى بغداد وهي من بغداد على مرحلة ، وكانت مسكن الأكاسرة وبها ايوان كسرى المشهور ذكره بحديث سطيح وغيره الى يومنا هذا ، وهو إيوان معقود عظيم جسيم من آجر وجص وليس للأكاسرة أثر ولا بنية كهم . وينعت هذا الاقليم بأرض بابل وكانت مدينة النادرة والفراغة وقرار ملكهم وحومة نعمهم ، وهي الآن قرية صغيرة وهي أقدم أبنية العراق عهداً ، استحدثها ملوك الكنعانيين وسكنوها ومن كان بعدهم ، وكانت دار مقامهم وبها آثار أبنية تخبر أنها كانت في قدم الأيام مصرأً عظيماً ، ويرى آخرون أن الضحّاك أول من بناها وسكنها التابعة ودخلها ابراهيم عليه السلام . [وتجاءها حلة ابن مزيد : مدينة محدثة استحدثها منصور بن مزيد الاسدي في سني التسعين واربعمائة غربي الفرات منفصة بالناس ، كثيرة الاسواق دائمة الشرى والبيع وبها مسجد جامع حسن كبير وجبايتها ربما زادت على الف دينار] . وكوفي ربأً مدينة يزعم قوم انها كانت اكبر من بابل ، ويقال ان ابراهيم الخليل عليه السلام بها طُرح في النار . وكوفي بلدان وفاحيتان : تعرف إحداها بكوفي الطريق ، والاخرى ربأً . وبها تلال رمادٍ عظيمة ويزعمون أنها نار النمرود بن كنعان التي طرح فيها ابراهيم . والجامعان منبر صغير حواليتها رستاق عامر خُصِبَ جدّاً بحاد نواحي المدائن . والمدائن من شرقي دجلة ومن بغداد على مرحلة . ويقال : انه كان في أيام الفرس قد عُقد بها على الدجلة جسر من آجر ، وليس لذلك اثر في هذا الزمان . وقد حُكيت هذه الحكاية عن تكريت ، وأنه كان على الدجلة بها عُقد جسر من آجر يُعبر عليه في أيام الهياطة ، وأدركتْ أثراً من ذلك يشهد له في سني نيّف وعشرين وثلاثمائة .

١٣ - فأما عُكبرا والبوذان والنعمانية ودير العاقول وجبل وجرجرايا وغمّ الصلح ونهر سابس وسائر ما ذكرته على شط الدجلة من المدن ، فهي متقاربة في الكبر وليس بها مدينة كبيرة وهي مشتبكة العمارة ولكل

مدينة من ذلك كورة ، والبوارج شرقي تكريت وهي على النهر الصغير الذي من بلاد الدربند وشهرزور ، ولها نهر يأخذ من الزاب من اعلاها مسيرة اربعة اميال ويحيي اليها من قبلها ، ويقسم بمقاسم عملت من الآجر أفواه الانهار نهر الى شرقيها ونهر الى غربيها ، يسقي بساتينها وأقطانها ، ونهر يسمى السن يدخل تحت السور من قبلها ويشق في وسطها وفي اسواقها ، وعليه مرابع بالآجر وربما دخل واخذ دكانه واستقى الماء من طاقه . ويخرج منها النهر فيسقي البساتين والاقطان الى شمالها وشرقها ، وهو ماء كثير . وفيها ايضاً نهر صغير يشن وسط البلد ويروح الى غربي البلد يسقي الاقطان والبساتين . وفي بساتينها فاكهة مليحة واكثرها الرمان والرطب . واهلها لينو العريكة محبو الغريب ويتمصون له وربما حمل من فاكهتها الى الموصل وينادي عليه باسمها ، وربما أبيع فاكهة غيرها باسمها لشهرتها بالجيد . ورؤساؤها قوم بنو يعرب من بجيلة من ولد جرير بن عبدالله البجلي ورؤساء نصفها الآخر من بني هود يقال لهم بنو هود بن قحطان ، وهؤلاء رؤساء الجانين مختلفون في المذهب فبنو يعرب شيعة وبنو هود سنية ، ولكل منهم تبع عظيم وربما يجري بينهم شيء من القتال على ذلك ، إلا أنهم يزوجون بعضهم من بعض ولا يزوجون غريباً ولا يتزوجون من غريب ، وكانوا قديماً من عسكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما فتح تكريت اخذوها وسكنوها بعد مقتله بالكوفة ، وهي مبنية بالطوب الذي هو الابن والجص مساكن مرتفعة جداً أحسن من أربل) . وحلوان مدينة ليس بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أصغر منها ولا أكثر خصباً . وجبل ثارها التين وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة تقرب من الجبل غيرها ، وربما سقط بها الثلج . فأما أعلى جبلها فالثلج يسقط به دائماً . وبالدمسكرة نخيل وزروع كثيرة وبخارجها حصن من طين داخله فارغ وهو مزرعة ، ويقال أن ملكها كان يقيم به في بعض فصول السنة فسميت دمسكرة الملك لذلك .

١٤ - وقد قدمت القول بالتقويس الذي في حد العراق من نحو تكريت الى أن يجاوز مشرقاً عن دجلة الى قرب العلت بالطول على مثال القوس الى الدمسكرة ، ثم يتصوّب على مثال القوس الى حد عمل واسط من حد العراق الى حد الجبل فانه قليل العمازة ، وفيه قرى مفترشة والغالب عليها الأكراد والاعراب وهي مراعى لهم . وكذلك من تكريت عن غربيها الى ان تنتهي الى الانبار بين الدجلة والفرات قليل العمازة ، وانما العمازة منه ما يجاذي سر من رأى اميال يسيرة والباقي هي بادية .

١٥ - ولم أبلغ في وصف العراق لا كثار الناس فيها ووصفهم المستفاض لها واشتهار عامة ما يُذكر منها ، وهذه صفة جامعة لها واذا قصدي فيها وفي غيرها اثبات هياتها في الصورة وموقع بعضها من بعض . وأما ارتفاعها فبمعزل من ارتفاع البصرة وواسط في وقتنا هذا ، وقد قدمتُ ذكر ذلك في غير موضع من قديم وحديث ، وحضرتُ عقد ضمانها من حدّ تكريت الى حد واسط بجميع طاسيجها وأعمال الكوفة المضمومة اليها من جميع وجوها وأسبابها على ابي الفضل الشيرازي ، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وكانت دون زيادة الصنعة وحق بيت المال ثلاثين الف الف درهم ، وقد تقدّم ارتفاع البصرة وواسط عند ذكرهما وأنها تُضمّنا معاً باثني عشر الف الف درهم في هذه السنة المذكورة [.



القسم الثاني

خوزستان

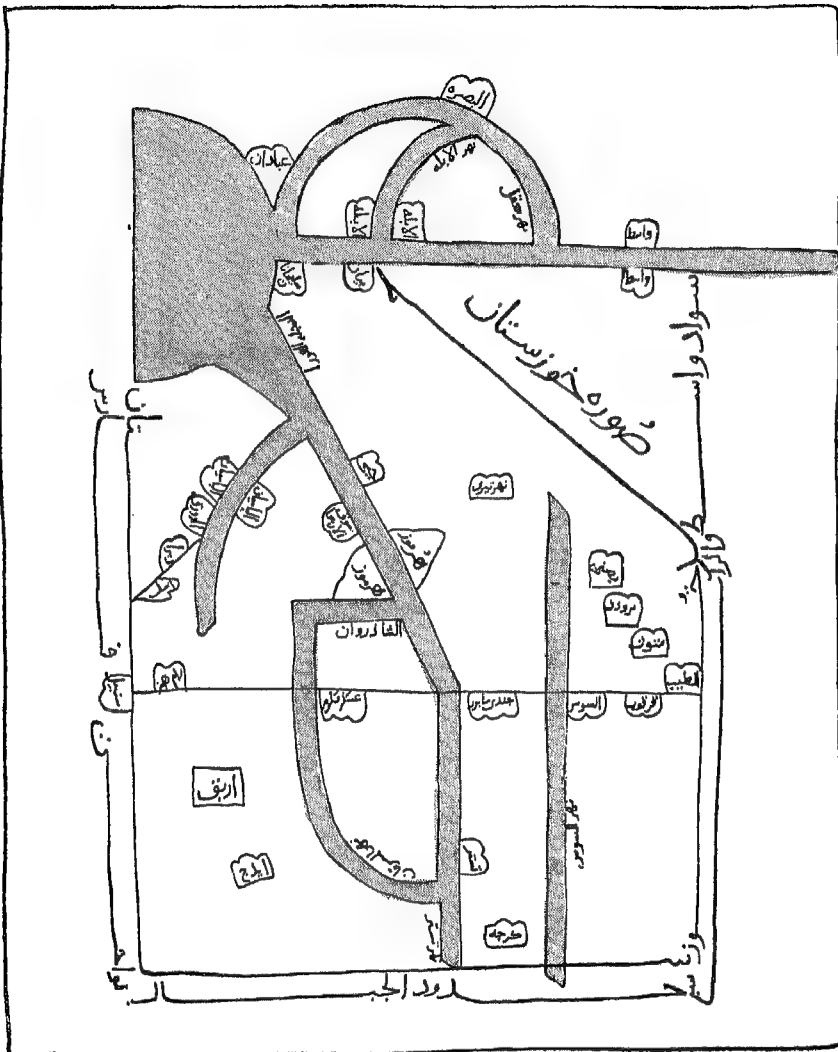
١ - وأما حدود خوزستان ومحلتها بما يجاورها من البقاع المضافة إليها والمصاحبة لنواحيها ، فإن شرقيها حد فارس واصبهان . وبينها وبين حد فارس من حد اصبهان نهر طاب ، وهو الحد الى قرب مهروبان ، ولهذا النهر رستاق كبير وناحية واسعة وهو نهر عميق عليه جسر من خشب معلق بين السماء والماء ، وبينه وبين الماء نحو عشرة اذرع يعبر عليه سيارة تلك الناحية والمجتازون بها . ثم يصير الحد بين الدورق ومهروبان على الظهر الى البحر . وغربيها حد رستاق واسط وأعمالها ودور الراسبي ، وشمالها حد الصيرة والكرج والور حتى يتصل على حدود الجبال الى اصبهان ، على أنه يقال أن اللور وأعمالها كانت من خوزستان فحوّلت الى الجبال . وحد خوزستان بما يلي فارس واصبهان وحدود الجبال من واسط على خط مستقيم في التوزيع ، إلا أن الحد الجنوبي من حد عبّادان الى رستاق واسط يصير مخروطاً ، فيضيق في التوزيع عمّا قبله وفيه من حد الجنوب أيضاً من حد عبّادان على البحر الى حد فارس تقويس يسير في الزاوية ، وينتهي هذا الحد آخذاً الى المغرب ذاهباً الى الدجلة حتى يجاوز بيان ، ثم ينعطف من وراء المفتح والمذار الى أن يتصل برستاق واسط من حيث ابتدائه .

٢ - والصورة التي في بطن هذه الصفحة صورة خوزستان .

إيضاح ما يوجد في صورة خوزستان من الأسماء والنصوص :

قد مرّس البحر في الزاوية اليسرى من اعلی الصورة على شكل نصف دائرة ويصب في البحر

« الارض - ١٥ »



صوبه خوزستان

نهر دجلة آتياً من اليمين ، وعلى هذا النهر ابتداء من اليمين مدينة واسط وفي الجانب الآخر واسط مرة ثانية . ثم تتشعب من اعلى النهر شعبة كتب عندها نهر معقل ، ويمر على خط مدور بمدينة البصرة الى ان تصب في البحر عند عبادان في موضع مصب دجلة . ويأخذ من هذاه البصرة نهر الابله الذي ينتهي الى عمود دجلة عند مدينة الابله المشكله من جانبيه ، وتجاه الأبله على دجلة مدينة بيان ثم عند مصبها سليمانان .

وكتب ابتداء من عند بيان حد خوزستان على خط مستطيل يأخذ اولاً الى وسط الطرف الأيمن ، يوازي هذا الطرف الى اسفل الصورة ، ثم يوازي الطرف الأسفل ثم يعطف الى الاعلى راجعاً الى البحر . ويوازي كلمة حد عن اعلى يمينه كتابه صورة خوزستان ، وتبتدىء من عند واسط الى الاسفل كتابه سواد واسط والراسي ، ثم يوازي القسم الاسفل من الحد حدود الجبال وبعد ذلك موازياً لآخر الحد الى فوق نواحي فارس .

ويأخذ من وسط اسفل الصورة نهر تستر وارداً الى البحر وكتب عند مصبه الدجلة الهوزا . وعن يمين هذا النهر في اسفل الصورة مدينة كرجة ثم على النهر تستر ، ثم جندي سابور ثم هرموز ثم جسي . وبهذاه تستر يتشعب من هذا النهر نهر المسرقان ماراً بمدينة عسكر مكرم ثم يعطف الى اليمين راجعاً الى عمود نهر تستر عند النصف الأيسر من هرموز ، وكتب مقابلاً لهرموز الى الاسفل الشاذروان ، ثم من اعلى هرموز على عمود النهر سوق الاريسا ، ويوازي نهر تستر في القسم الايمن من الصورة نهر السوس ، عليه مدينة السوس وعن يسار نهايته نهر تيرى . ويقع عن يمين نهر السوس من المدن : قرقوب ، الطيب ، متوث ، برذون ، بصنى .

ويصب في نهر تستر بقرب فوهته نهر آخر يأتي من اليسار عليه الباسيان . من الجانبين ثم الدورق ، وعلى الطريق الآخذ من الدورق الى اليسار ديرا واسك ، ويمتد الطريق الآخذ من الطيب عند الحد الايمن على قرقوب والسوس وجندي سابور وعسكر مكرم الى رام هرمز ثم الى سنبل على الحد الايسر . وفي الساحة من تحت هذا الطريق مدينتا اربق وايلج .

٣ - وهذه مواقع خوزستان وما ارتفع في كورها من مدنها . والاهواز مدينة تعرف بهرموز شهر وهي الكورة العظيمة والناحية الجسيمة التي ينسب اليها سائر المدن والكور (والآن فقد خرب اكثرها وانجلى اهلها وصارت مدينة عسكر مكرم اكثر عمارة منها) وعسكر مكرم وتُستَر وجندي سابور والسوس ورامُ هرمز والسرِّق ، وكلها ذكرته من كورة فهو اسم المدينة غير السرِّق فان مدينته الدورق ، وهي المعروفة بدورق الفرس وابذج ونهر تيرى وحومة الزُط والجائزان وهما واحد ، وحومة الثينان وسوق سنبل ومناذر الكبرى ومناذر الصغرى وجبى والطيب وكيوان ،

فهذه مدن ولكل مدينة كورة . ومن مدنها المشهورة المعروفة في جميع الارض بصنى المذكورة على ستورها المجلوبة الى جميع اقاليم الدنيا . وازم وسوق الاربعاء وحصن مهدي والباسيان وبيان وسليمانان وقرقوب ومتوت وبرذون وكرجه وهي جميع ما لها من المناير .

٤ - وخوزستان أجمعها في مستواة من الارض سهلة ذات مياه جارية، وأكبر أنهارها نهر تـُسـتَر وهو النهر الذي بنى عليه سابور الملك الشاذروان بباب تستر حتى ارتفع مأؤه الى المدينة ، لأن تستر على نشز مرتفع عما داناها من الارض يجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم على الأهواز حتى ينتهي الى نهر السدرة الى حصن مهدي ويقع في البحر . ويجري من ناحية تستر نهر المسرقان حتى ينتهي الى عسكر مكرم ويشقها بنصفين ، ويتصل بالأهواز وآخره الأهواز لا يجاوزها ، وإذا انتهى الى عسكر مكرم فعليه جسر كبير نحو عشرين سفينة [وعلى نهر المسرقان في وسط عسكر مكرم قنطرة حسنة محكمة البناء بالجص والآجر عريضة جداً ، وفي هذه القنطرة سوق ودكاكين ومسجد حسن نزه] وتجري فيه السفن العظام وركبته من عسكر مكرم الى الأهواز والمسافة عشرة فراسخ ، فسرنا في الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا في وسط النهر . وكان الباقي من هذا النهر الى الأهواز طريقاً يابساً لأن ذلك كاث في آخر الشهر والقمر في نقصانه ، فنقص الماء عن ملء النهر من قبل المد والجزر اللذين ينقصان ويزيدان بزيادة القمر . ولن يضع من هذا الماء شيء بوجه من الوجوه بل يُسقى به أراضي قصب السكر وما في أضعافه من النخيل والزروع وغير ذلك . وليس بخوزستان كلها على كمال عمارتها بقعة هي أعمر من المسرقان . ومياه خوزستان من الأهواز والدورق وتستر وغير ذلك بما يصاقب هذه المواضع كلها ، تجتمع عند حصن مهدي فيفيض هناك بعد أن يغزر ويكثر ويصير له عرض ما يقارب الفرسخ وينتهي الى البحر . وليس بخوزستان بحر إلا ما ينتهي إليها من زاوية من حدّ مهروبان الى قرب سليمانان بجذاء عبّادان وهو شيء يسير من بحر فارس .

٥ - وليس بجميع خوزستان جبال ولا رمال إلا شيء يسير يتأخم

نواحي تستر وجندي سابور وناحية ايدج واصبهان ، وباقي خوزستان كأرض العراق . فأما هواؤها وتربتها وصحة أهلها فإن مياهها طيبة عذبة جارية ، ولا أعرف بجميع خوزستان بلداً ماؤه من البئر لكثرة المياه الجارية بها ، وأما تربتها فما بعد من الدجلة الى ناحية الشمال فهو أبيض وأصح ، وما كان الى الدجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسبخ ، وكذلك الصحة ونقاء البشرة في أهلها فيما بعد عن الدجلة . وأما المسرقان خاصة ففيه رطب يُعرف برطب الطن ، ويقال أن ذلك الرطب إذا أكله الإنسان وشرب عليه ماء المسرقان لم يخطئه رائحة فيه من رائحة الخمر العتيق . وليس بخوزستان موضع يجمد فيه الماء ولا يقع فيه الثلج ولا يخلو من النخيل . والعلل بها كثيرة وخاصة لمن انتابها وطراً عليها . وثمارهم وزروعهم فالتغالب منها في غلاتهم النخل ، ولهم عامة الحبوب كالحنطة والشعير والفلول ، ويكثر عندهم الأرض حتى أنهم ليطحنونه ويخبزونه ويأكلونه وهو لهم قوت [وفيهم من تعود أكل خبز الأرض طول السنة ، حتى إذا أكل خبز الحنطة أخذ المغس ووجع البطن وربما يموت منه] وكذلك رساتيق العراق . وليس من بلد ليس به قصب سكر في جميع هذه الكور الكبار التي تقدم ذكرها ، وأكثر ذلك بالمسرقان ويقع أكثره الى عسكر مكرم ، وليس بالعسكر في القصة كثير سكر ولا بتستر ويتخذ الكثير منه بالسوس وفي سائر المواضع للأكل من القصب ما يسد الحاجة ويزيد وعندهم عامة الثمار . ولا يكاد يخطئهم من الثمار غير الجوز وما لا يكون إلا ببلاد الصرود .

٦ - وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية ، غير أن لهم لساناً آخر خوزياً ليس بعبрани ولا سرياني ولا فارسي ، وزعيم زبي أهل العراق في الملابس من القمص والطياشة والعمائم ، وفي أضعافهم من يلبس الأزرق والميازير . والغالب على أخلاقهم الشراسة والمنافسة فيما بينهم في اليسير من الأمور والشدة والإمساك . والغالب على خلقهم صفرة الألوان والنحافة وخفة اللحم ووفور الشعر فيهم أقل مما في غيرهم من المدن وهذه صفة عامة الجروم . وأما ما ينتحلونه من الديانات والمذاهب

فالغالب عليهم الاعتزال والغلبة لأهله دون سائر النجّل ، والقول بالوعد والوعيد فيهم أكثر منه في جميع الخلق أظهر على الحقيقة وصدق النية ، وليس في جميع موازين الأرض الحبة مجزأة على أربعة أجزاء إلا بالعسكر ، ويقال لكل جزء منها 'تومنته' . وفي عوامهم وأهل منهم من الرياضة بالكلام والعلم به وبوجهه ما يباهون به الخواص من أرباب البلدان وعلمائهم ، ولقد رأيت حملاً عبر وعلى رأسه وقر ثقيل أو على ظهره وهو يسير حملاً آخر على حاله ، وهما يتنازعان في التأويل وحقائق الكلام غير مكتوئين بما عليهما في جنب ما خطر لهما .

٧ - ومن الخاصيات عندهم ما تقدم ذكره من الشاذروان الذي بناه سابور وهو من أعجب البناء وأحكمه ، وطوله نحو الميل قد رُصّ بالحجارة ورُصف كله حتى تراجع الماء فيه وارتفع الى باب تُستور . وبندر السوس قابوت دانيال النبي عليه السلام . وبلغني أن أبا موسى الأشعري وجده وكان أهل الكتاب يديرونه في مجامعهم ويتبركون به ويستسقون المطر إذا أجذبوا ، فأخذه أبو موسى وشقّ من النهر الذي على باب السوس خليجاً وجعل فيه ثلاثة قبور مطوية بالآجر ، ودفن ذلك التابوت في أحد القبور ثم استوثق منها كلها ومماها ، ثم فتح الماء حتى قلب ذلك الثرى الكثير على ظهور تلك القبور والنهر يجري عليهم الى يومنا هذا ، ويقال أن من نزل الى قعر الماء وجد تلك القبور . ولهم بناحية آسك متاخماً لأرض فارس جبل تنقد فيه النار ليلاً وبالنهار يرمى بالدخان لا يطفأ أبداً ، كالبركان الذي بنواحي صقلية في وسط البحر صورته هذه الصورة وجبل النار المحاذي لطبرمين من أرض صقلية أيضاً ، وسرنبجوا وهي جزيرة فجاء أرض قلورية ذات جبل لا تنقطع نارا ليلاً ولا دخاناً نهاراً ، وأكثرها ناراً وأغزرها بعد جبل النار المحاذي لطبرمين البركان جزيرة ذات جبل بهذه الصورة . ويذكر أنه عين كبويت أو نفظ بما تعمل فيه النار ، وقد وقعت فيه على قدم الأيام فعلى قدر ما تخرج تحتوق أبداً وقد رأيت جميع النيران التي بصقلية وما شاهدتها من قرب ، وإنما ذكرته وعليه حسباناً وتوهماً لا بالحقيقة .

وبعسكر مكرم من العقارب صفار على قدر ورقة الانجذان وصُفرتها
فسمي الجرارة ، وقل من يسلم من لسعها إذا لدعته وهي أبلغ في القتل
من بعض الأفاعي القاتلة وأمضى سماً .

٨ - ويتخذ بتستر الديباج الذي يحمل الى جميع الآفاق وكان تعمل
بها كسوة الكعبة للبيت الحرام الى أن افتقر السلطان وحلت به الرحمة ،
فسقط عنه عند ذلك فريضته ، ويكون بتستور لجميع من ملك العراق
طراز وصاحب يستعمل له ما يشتهي . ويعمل بالسوس الحُروز الثقيلة
ومنها تحمل الى الآفاق . وبالسوس صنف من الأتراج شمامات ذكية
كلأ كُفّ بأصابعها وليست إلا بصر منها الشيء القليل . وبقرقوب
السوسن جرد الذي يحمل الى الآفاق وبالسوس وبها طرز للسلطان .
وببصنى تعمل الستور المشهورة في جميع الأرض المرقوم عليها عمل
بصنى ، وقد تعمل ببرذون وكليوان وغيرهما من المدن ستور يكتب
عليها بصنى وتُدلس في ستور بصنى . ويزامهرمز من ثياب الابرسم ما
يحمل الى كثير من المواضع ويقال أن ماني بها قُتل وصُلب . ويقال
أنه مات في محبس بهرام خنق أنفه فقطع رأسه وأظهر قتله . وجُندي
سابور مدينة خصبة واسعة الخير وبها نخل وزرع كثير ومياه ، وقطنها
يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالمير الكثيرة فمات بها وقبره
بها . وبنهر تيرى ثياب تشبه ثياب بغداد وتحمل اليها فتُدلس بها
وتُقصر هناك ، وتحمل جهازاً الى جميع الآفاق فلا شك فيها وهي
حسنة . وتُجبى مدينة ولها رستاق عريض مشتبك العمارة بالنخيل وقصب
السكر وغيرهما ، ومنها أبو علي الجُبَّائي الشيخ الجليل إمام المعتزلة
ورئيس المتكلمين في عصره .

٩ - ثم تتصل زارية من خوزستان بالبحر فيكون لها خور يخاف
على سفن البحر إذا انتهت اليه ، وربما غرق فيه الكثير منها وذلك لما
يستجمع من مياه خوزستان بمحضر مهدي ، فيتصل بالبحر ويعرض هناك
حتى ينتهي في طرفه المد والجزر ، ويتسع حتى كأنه البحر وإذا عصفت
فيه الرياح حُثن واضطرب ويزيد على الفرسخ . ويتخذ بالطيب تكك

'تشبه الأرمني وقل' ما تتخذ بمكان من الاسلام بعد ارمينية أحسن أو أفخر منها ، وإن كان ما يُعمل بسجله من جنسها لكنه لا يبلغ القيمة ولا يدانيها ولا يقارنها في الحسن ؛ وهي مدينة طيبة مقتصدة يُعمل بها الأكسية والبركانات . واللُّور بلد بذاته خصب والغالب عليه هواء الجبل ، وكان من خوزستان فُضِّمَ الى أعمال الجبال وله بادية وإقليم ورساتيق الغالب عليه الأكراد ، وهو بجوارهم خصب وبمصاقيهم رطب . وسنيل كورة متاخمة لفارس وكانت مضمومة اليها من أيام محمد بن واصل الى آخر أيام السجزيّة فحوّلت الى خوزستان . والزطّ والجایزان كورتان متجاورتان كثيرتا الدخل . والثّيتان متاخمة للسردن من أرض فارس ، وحدّ اصهبان وهواؤها هواء الصرود ، وليس بخوزستان رستاق يقارب الصرود غير الثّيتان . وآسك قرية ليس بها منبر وحوها نخيل كثيرة ، وبها كانت للأزارقة الوقعة التي يقال أن أربعين من الشراة قتلوا فيها نحو ألفي رجل من الجند ، اتّبعوهم من البصرة فأتوا عليهم . والدوشاب الآسكي الذي يحمل الى العراق مشهور بالجودة ويفضل على كل دبس من الرجائي وغيره . وأما مناذر الكبرى والصغرى فكورتان عامرتان أيضاً بالنخيل والزروع ، ولهما ارتفاع كثير ولأربابها في الديوان محلّ ليس يدانق رفعه وجلاله .

١٠ - وأما المسافات بها فإن من خوزستان الى العراق طريقين شارعين : أحدهما الى البصرة ثم الى بغداد ، والآخر الى واسط ثم الى بغداد . فاما طريق البصرة فانك تأخذ من الرّجّان الى آسك قرية مرحلتين خفيفتين ، ثم الى ديوا مرحلة وديوا قرية ثم منها الى الدورق مرحلة . والدورق مدينة كثيرة الأهل وهي مدينة الرستاق المعروف بسرّ ، ثم من الدورق الى خان من دونها ينزله السابلة يُعرف بخان نردويه ، ثم الى الباسيان مدينة وسطية في الحال عامرة يشقّها نهر فتصير نصفين مرحلة ، ومن الباسيان الى حصن مهديّ مرحلتان ، وفيها منبر ويُسلّك بينهما في الماء . وكذلك من الدورق الى الباسيان فيُسلّك في الماء وهو أيسر من البرّ ومن حصن مهدي الى بيان مرحلة على الظهر

وببيان منبر، وقد انتهت الى آخر حدود خوزستان وبيان على دجلة فيركب منها الى حيث أراد المرء، فإما الى الأبلّة في الماء ومن شاء على الظهر الى أن يحاذي الأبلّة ثم يعبر اليها . وأما الطريق على واسط الى بغداد فإن من الرجان الى سوق سنبل مرحلة، ومنها الى رامهرمز مرحلتان ثم من رامهرمز الى عسكر مكرم ثلاث مراحل، ومن عسكر مكرم الى تستر مرحلة ومن تستر الى جندي سابور مرحلة، ومن جندي سابور الى السوس مرحلة ومن السوس الى قرقوب مرحلة، ومن قرقوب الى الطيب مرحلة ويتصل بعمل واسط . ومن العسكر الى واسط طريق اخصر من هذا الطريق ولا يمرّ على تستر، وإنما ذكرتُ هذا المسلك لأني قصدتُ ذكر المسافة ما بين المدن ولم ارد نفس الطرق الى بغداد، فكان هذا اجمع لما أردتُه . ومن العسكر الى ايزج اربع مراحل ومن العسكر الى الاهواز مرحلة ومن الاهواز الى ازم مرحلة، ومن الاهواز الى الدورق اربع مراحل ومن عسكر مكرم الى الدورق نحو اربع مراحل، ومن الاهواز الى رامهرمز نحو ثلاث مراحل ايضاً لان الاهواز وعسكر مكرم في سمت واحد ورامهرمز منها كإحدى زوايا المثلثة . ومن عسكر مكرم الى سوق الاربعاء مرحلة ومن تعدّى سوق الاربعاء الى حصن مهدي سار مرحلة . ومن الاهواز الى نهر تيرى يوم . ومن السوس الى بصّني أقل من مرحلة . ومن السوس الى بردون مرحلة خفيفة . ومن السوس الى مئوثة مرحلة، فهذه جميع المسافات بها .

١١ - وأما ارتفاعها فاني حضرتها سنة ثمان وخمسين وهي بيد ابي الفضل الشيرازي بثلاثين الف الف درهم دون زيادة الصنجة وحق بيت المال .



فارس

١ - أمّا فارس فالذي يحيط بها بمّا يلي المشرق حدود كرمان ومّا يلي المغرب كور خوزستان ، ومّا يلي الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود اصبهان ومن الجنوب بحرهما . وفيها زنقة وزلوية تلي كرمان بمّا يلي المفازة ، وفي الحدّ الذي يصاقب البحر تقويس قليل من أوّله الى آخره وزنقة وزاوية أخرى بمّا يلي اصبهان ، وإنّما وقعت هاتان الزنقتان كالزاويتين لأنّ من شيراز وهي واسطة فارس اليهما من المسافة نحو نصف ما بين خوزستان وبين شيراز ، وكذلك جرم كرمان .

٢ - وما في بطن هذه الصفحة صورة فآرسٍ

إيضاح ما يوجد في صورة فارس من الاسماء والنصوص :

كتب موازياً للطرف الاعلى من الصورة : هذه صورة فارس . ورسم تحت ذلك بحر فارس ، وفيه من الجزائر : جزيرة اوال، جزيرة خارك، جزيرة لافت، وتحيط باليمن والاسفل والايسر من اطراف الصورة ابتداء من اعلى الطرف الايمن على دخلتين مربعتي الشكل، في الزاويتين السفلايين ، كتابة مستطيلة الخط وهي حد فارس ، وتحيط بالدخلة اليمنى في اسفل الصورة من طرفها كتابة حد اصبهان ، وبالدخلة اليسرى من ثلاثة من اطرافها على خط ممتد الى الاعلى كتابة حد كرمان .

ويقع على ساحل البحر من المدين ابتداء من اليمن : مهروبان ، سينيز، جنابه، توج، نجيرم، سيراف ، حصن ابن عماره . وينصبّ في البحر عن يمين مهروبان نهر يوازي الطرف الايمن من الصورة ، ويأخذ من هذا النهر آخر الى اليسار يبتدىء من عند مدينة فرزك ثم يمر بمدينة الرجان وينصب في البحر عن يمين سينيز . وكتب قطعاً لهذا النهر بين الرجان والبحر رستاق ريشهر على شكل صليبي . وبين سينيز وجنابه مصب نهر شيرين ، وبين هذا النهر والنهر المتقدم

ذكره من المدن : ثنبوك والهندجان . ثم ينصب بين ثوج ونجبرم نهر تقع من جانبه الايسر مدينتا المملجان وكارج . وعن يسار نجبرم مصب نهر يأتي من بحيرة سكان . وفي الجانب الايمن من هذا النهر مدينتا كهرجان ونابند . ثم عن يمين ذلك على الطريق من سيراف الى شيراز في وسط الصورة جره وجور وعبر النهر كوار . ويقع من اسفل نجبرم من المدن : صفاره ، فهلوه ، الهندجان . ومن اسفل كارج شكل مدينة كتب فيها فقط ، ويجوز انها كازرون ثم سابور ، وتقطع هذه الناحية كتابة زم الديوان ومن أعلى ذلك الى اليسار قطعاً للنهر زم اللوajan ، ومن اسفل بحيرة سكان على الطريق الآخذ من شيراز الى الرجان من المدن : النوبندجان وجويم .

ويأخذ من شيراز طريق الى اليسار عليه من المدن : خورستان ، قسا ، طمستان ، الفستجان ، ازبراه ، دراكان ، مريزجان ، خيار ، دارابجرد ، الزم ، رستاق الرستاق ، برج ، تارم . وفي الساحة من اعلى هذا الطريق بينه والبحر والنهر رسمت من المدن صعوداً من الاسفل الى الاعلى : منوجيان ، فوشجان ، جويم ، فرسجان ، الكاريان ، ازر ، خبر ، جهرم ، روبنج ، كارزين ، سميران ، كير ، كرديان ، خوار ، جرمق ، جم .

ويأخذ من شيراز طريق الى الاسفل الى اصطخر ثم الى كته في اسفل الصورة . ويأخذ من شيراز طريق آخر الى اصبهان في الزاوية اليمنى . وكتب في الساحة بين هذا الطريق والطرف الايمن من الصورة على شكل صليبي ناحية زم جيلويه . ويقطع هذه الكتابة نهر الكر الذي ابتداءه في قرب مدينة ارج ، ومن اعلى هذا النهر عن يمين شيراز مدينتا البيضا وهزار ومن اسفل النهر مدينة مايين . ورسم بين ارج واصبهان مدينة حومة السردن ، وبين الطريق من شيراز الى اصبهان والطريق الى كته من المسدن : بنجه ، اقليد ، مشكان ، السرمق ، ابرقويه ، كرد ، الارجمان ، ناين ، ميبلا .

ويأخذ من اصطخر طريق آخر الى السيرجان في الزاوية اليسرى وعليه من المسدن : اباده ، بوذنجان ، صاهك ، هريه . ويوازي هذا الطريق من اعلاه نهر بختكان المنصب في بحيرة بختكان . وعن يسار هذه البحيرة بينها والحد مدينة الماشكانات . وكتب في هذا القسم من الصورة على شكل صليبي قطعاً للطريق من شيراز الى تارم ناحية زم الكاريان . وفي الساحة الواقعة بين الطريقين الى السيرجان والى كته من المدن : كمين ، الجورقان ، مريزجان ، شهر فابك ، خيره ، كبس ، خبر ، رودان ، وعلى الحد الاسفل : الفهرج ، انار ، اذركان . وكتب في هذا القسم على خط منقطع شق كرمان .

٧٦ ظ — قد صورتُ فارسَ بمجدودها ولم آتِ فيها برستاقٍ لانتشار ذلك وكثرة ولا الجبال ، لانه ليس بفارس بلد إلا وبه جبل أو يكون الجبل بحيث تراه إلا اليسير ، ولم أصوّر إلا مدينة لها منبر مذكور مشهور وقد تحرّيتُ واجتهدتُ في هذه الرسالة فيما يُعَلِّم من قرأها موقع كل كورة برساتيقها ومواضع المدن بها .

٣ - فأما ما بها من المدن والزموم والاحياء والحصون وبيوت النيران والانهار والبحيرات والكور فإن كورها خمس ، وأوسعها وأعرضها وأكثرها مدناً ونواحي كورة اصطخر ومدينتها اصطخر ، وهي أكبر مدينة بهذه الكورة وتليها في الكبر اردشير خُرّه ومدينتها جور ، ويدخل في هذه الكورة قباذ خُرّه وبكورة اردشير خُرّه مدن هي أكبر من جور مثل شيراز وسيراف . وإنها صارت جور مدينتها لأنها بناء اردشير ودار ملكه ، وشيراز وإن كانت قصةً لفارس كلها وبها الدواوين ودار الامارة ، فهي مُحدثة في الاسلام . وتليها في الكبر كورة دارابجرد ومدينتها دارابجرد ، وفسا هي أكبر منها وأعمر غير ان الكورة منسوبة الى دارا الملك وهي مدينته التي ابتناها لهذه الكورة . وتليها في الكبر كورة الرّجّان وتليها كورة سابور وهي اصغر كور فارس ومدينتها سابور ، وهذه الكورة مدن كبيرة هي أكبر منها كالنوبندجان وكازرون ، ولكن هذه الكورة تُنسب الى سابور وهو الذي ابتنى المدينة المعروفة بسابور المشهورة بالثياب السابوري . وأما زُمومها فهي ايضاً خمسة وأكبرها زُمّ جيلويه ، ويُعرف زُمّ الرميحان ، والذي يليه في الكبر زُمّ احمد بن الليث ويُعرف بالوالجان ، يلي ذلك في الكبر زُمّ الحسين بن صالح ويُعرف زُمّ الديوان ثم زُمّ شيراز ويعرف زُمّ المازنجان ، والمازنجان قبيل من الأكراد في حدود اصبهان ناقلة من هذا الزُمّ ، وزُمّ أحمد بن الحسن ويُعرف زُمّ الكاريان وهو زُمّ اردشير . فأما احياء الأكراد فإنها تكثر عن الاحصاء غير انهم بجميع احيائهم المقيمة بفارس على استفاضة أهل الديوان ، والخاصة من علماء التّناء يزيدون على خمس مائة ألف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب ، ويخرج من البيت الواحد من الأرباب والاجراء والرعاء والحوّل وأتباعهم ما بين رجل واحد الى عشرة من الرجال ونحو ذلك . وسأذكر من أسامي احيائهم ما يحضرنى ذكره على أنهم لا يتقصون في العدد إلا من ديوان الصدقات . وأما أنهارها الكبار التي تحمل السفن إذا أُجريت فيها فإنها نهر طاب ونهر شيون ونهر

الشاذكان ونهر درخيد ونهر الخوبذان ونهر رس ونهر سكان ، ونهر جرشيق ونهر ككر ونهر فرراب ونهر برزه فهذه المعروفة المشهورة .
وأما بحارها فالبحر الاعظم معروف باسمها لان بحر البصرة الى أقصى عمل الهند يُعرف ببحر فارس . وبحيرة البختكان وبحيرة دشت ارزن وبحيرة المور وبحيرة الجوبانان وبحر جنكان ، وهذه بحيرات قائمة بأنفسها ينتفع بها مجاورها . وأما بيوت نيرانها فإنه لا تخلو ناحية ولا مدينة بفارس إلا القليل من بيوت النيران ، والمجوس أكثر أهل الملل بها ولهم من هذه البيوت بيوت يفضلونها في التعظيم وسأذكرها . وأما حصونها ففي عامة فارس وبعضها أمنع من بعض وأكثرها بناحية سيف بني الصفار . وسأفصل كلما ذكرته مجملًا وأبتدئ بذكر ما بكل كورة وناحية من النواحي التي تشتمل على القرى ، وتنصرف في الدواوين بأعمال مفردة ورساتيق مستقلة بضياعها ، ومنها ما فيه منابر ومنها ما يخلو منها ، ورب كورة هي أكبر وأعرض ومدنها ونواحيها في التسمية أقل مما هو أصغر منها واتبع ذلك بتفصيله .

٤ - فأما كورة اصطخر فناحية يزد وهي أكبر ناحية فيها وبها من المدن : كته وهي القصبة ومبيد وثاين والفهرج ، وليس في جميع النواحي ناحية بها أربعة منابر غير هذه الناحية . وناحية الروذان وكانت من كرمان فحوّلت الى فارس ، ويكون امتداد هذه الناحية في الطول نحو ستين فرسخًا . وابرقويه وهي المدينة وفيها اقليد ، والسرمد . مدينة ورستاق ، والجوبرقان ومدينتها مشكان ، والارجمان ومدينتها الارجمان ، والمريزجان مدينة ولها رستاق ، وبرم مدينتان اباده وهي قرية عبد الرحمن ومهرزنجان ، وصاهك الكبرى ولها رستاق ، وشهر فابك مدينة . ولها رستاق ، وهراه فيها منبر ، والروذان مدينة ورستاق فيه من المنابر : انار وكبس وخبر ، والاذركان بها منبر ، والبيضاء ولها اقليم وعليها سور ، وهزار بها منبر ، وماين بها منبر ، وابرج ولها رستاق ، وخرمه ورستاقها يُعرف بالطسوج ، والخيره فيها منبر ، والسرداب وكين ولها منبران ، وبجه ورستاقها الارد وكرد وبها منبر ، واللورجان ورستاقها السردن .

٥ - ذكر ما باردشيو خرّه من المُنْدن : جور ولها رستاق ، وثابند ورستاقها ميمند ، والصيكان ولها رستاق ، ونجهر منبر . وخورستان ولها رستاق باسمها ، والقوشجان ولها رستاق باسمها ، وكران ولها رستاق باسمها ، وسيراف ولها منبران نجيرم وجم ، والغندجان ورستاقها دشت بارين وفيه منبر بالفهلو ، وصفاره ورستاقها الرستقان ، وتوتج قصبة توج ، والجرمق قصبة الاغريستان ، وكير قصبة كير ، كازين ولها رستاق ، وابزر قصبة ابزر ، سيران ولها رستاق ، وكوار ولها رستاق كير ، وفي البحر جزائر منسوبة الى كورة اردشير خرّه فمنها : جزيرة بركاوان وهي لافث وبها مدينة وجامع آهل ، وأوال وبها مدينة ولها جامع وفيها أسواق صالحة ، وخارك وفيها منبر وله آهل وأناس كثيرة فيهم تجارة صادرة وواردة .

٦ - ذكر ناحية كورة دارابجرد ، اباده وكريجرد وإقليميهما يعرف بكرم ، والمص بها منبر ورستاق يُعرف بها ، وفسا مدينة بجلية في ذاتها كثيرة الاهل والتجارة ، ولهم يسار وقد خرب في زماننا هذا أكثرها وتشتت أهلها ، ومنها أبو علي شيخنا الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفقيه النهوي المتكلم وهو من جلّة المعتزلة وأصحاب أبي هاشم . طمستان وبها منبر ، والكردبان وبها منبر ، وجهّرَم ولها رستاق وهي مشهورة بكثرة يسار الاهل ، وإليها يُنسب الجَهْرَمِيّ من البسط المعبولة بها وبها غير طراز للتجار وكان للسلطان بها صاحب يستعمل له . والفُستجان ولها منبر ، والدراكان ولها منبر ، وازبراه ولها رستاق باسمها ، وسان ولها رستاق باسمها ، وايچ وبها منبر ، والاصطهبانات وبها منبر ، وجويم ولها إقليم ومنها أبو أحمد الجُومِيّ أحد رؤساء التتاء بفارس معروف بالعراق ، وخيار ورستاقها نيريز ، والمريزجان وبها منبر ، والمادوان وبها منبر ، وروبنج ورستاقها خسوا ، ورستاق الرستاق وبها منبر ، وتارم وبها منبر ، والماسكانات وبها منبر ، وزم ورستاقها زم شهریار .

٧ - ذكر نواحي كورة سابور ، ومنها سابور ، وقد تقدم ذكرها ، والنجان ورستاقها كازرون ، والزابجان مدينة ورستاقها باسمها ، والخبوذان ولها رستاق باسمها ، والنوبندجان ولها رستاق كبير وعمل واسع غزير ،

والمورستان وبها منبر ، وجرّه ولها رستاق وناحية خصبة أهلة ذات فضاء وسعة وفسحة .

٨ - ذكر نواحي الرّجان والرجان مدينة في غاية الطيبة والنزهة وكثرة المياه والحُصْب من الزرع والنخل والكروم والزيتون والزيت والجوز والأترج ، وبها فواكه الصرود والجروم ، ومنها ابوبكر بن شاهويه الفقيه الحاسب المهندس ، وكان اهلها على غاية من اليسار وماؤها غير طيّب ولا مَرِي (وبقرها الى ناحية النوبندجان شعب بوان في غاية ما يمكن ان يكون مثله من الحسن والنزهة وفيه يقول المتنبي :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا تفر الى الطمان
أبوكم آدم سنّ المصافي وعلّمكم مفارقة الجنان

سابور بها منبر ، وریشهر بها منبر ، ومهروبان وبها منبر وهي على نفس الساحل في غاية الحر ، وجنّابه وبها منبر ومنها ابوسعيد الحسن بن بهرام الدجال صاحب البحرين ، وهي مدينة كان فيها طُرز للكتان للتجار والسلطان من غير نوع كثيرة التجارة ، وسينيز بها منبر ومنها الثياب الكتان اللسينيزي التي وقع الاجماع ان الطيب لا يعلّق ويعبق بشيء من الثياب كعلّقه وعبقه بها لتفها ونعمتها ، وقال آخرون : بل بخاصّة في كتّانها .

٩ - ذكر زُمومها وصفاتها ، فأما زُمومها فان لكل زم منها قرى ومدناً مجتمعة قد ضُمَّن خراج كل ناحية منها رئيس من الاكراد ، وألزم صلاح احوال ناحيته وتنفيذ القوافل وحفظ الطرق والقيام بأحوال السلطان اذا عرضت بناحيته وتنفيذ اوامره وهي كالممالك . فأما زمّ جيلويه المعروف بالرميجان فإنه يلي اصهبان ويأخذ طرفاً من كورة اصطخر وطرفاً من كورة سابور وطرفاً من كورة الرجان ، وحد منه ينتهي الى البيضاء وحد منه ينتهي الى حدود اصهبان وحد منه الى حدود خوزستان وحد منه ينتهي الى زمّ ناحية سابور . وكلما وقع فيه من المدن والقرى فكأنه من عمل اصهبان . ومتأخّهم من عمل اصهبان المازنجان وهم من المازنجان الذين هم من زمّ شهر يار ، وليس منهم احد في عمل فارس إلا وله بها ضياع وقرى كثيرة غزيرة . وأما زمّ الديوان المعروف بالحسين بن صالح

وهو من كورة سابور فان حداً منه يلي اردشير خُره، وثلاثة حدوده تنعطف عليها كورة سابور . فكلما كان من المدن والقرى في اضعافه فهو منها، فأما اللوالبان زمّ احمد بن الليث وهو في كورة اردشير خُره فحد منه يلي البحر، ويحيط بثلاثة حدوده كورة اردشير خُره وما وقع في اضعافه من القرى والمدن فهو منها . وأما زمّ الكاريان فان حداً منه الى سيف بني الصفار وحدّ منه الى زمّ المازنجان ، وحدّ من حدوده كرمان وحد منه اردشير خُره وجميعها في اردشير خُره .

١٠ - وأما أحياء الاكراد بفارس فان منهم : الكرمانية والرامانية ومدن وحى محمد بن بشر والبقيلة والبنداذهرية ، وحى محمد بن اسحاق والصباحية والاسحاقية والاذركانية والسهركية والطاهدية والزبادية والشهروية والبنداذقية والحسروية ، والزنجية والصفرية والشهاريّة والمهركية والمباركية والاستامهريه والشاهوية والفراتية والسلمونية والصيرية والازاددختية والمطلبية ، والمهالية واللازية والبرزدختية والشاهككائية والجليلية .

وهؤلاء المشهورون من أحيائهم ولا يمكن تقصيصهم إلا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمس مائة ألف بيت ، ويخرج من الحى الواحد ألف فارس وأكثر وأقل ، ينتجعون في الشتاء والصيف المراعي والمصائف والمشاتي إلا القليل منهم على حدود الصرود . فأما أهل الجروم فلا يزولون ولا ينتقلون بل يترددون فيما لهم من النواحي ، ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان أمرهم إذا أراد تحيئهم وتهضمهم . ويزعم ابن دريد أنهم من العرب وأن أكثرهم من ولد كرد بن مُرد بن عمرو بن عامر في حماسه ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ممن يستبطن علوم العرب وأخبارها يحتج بقوله ويُسلم له ما يدّعيه من هذا الباب وغيره . وهم أصحاب أغنام ورميك والابل فيهم قليلة ، وليس للأكراد خيل عتاق إلا ما عند المازنجان المقيمين بمحدود اصهبان ، ولما دواهم براذين وشهاريّ وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في القنية والنجعة مذاهب العرب . ويقال أنهم يزيدون

على مائة حبي وإلما ذكرت منهم نيّفاً وثلاثين حياً .

١١ - وأما حصون فارس فإن أكثر مدنها محصنة بحصون منيعة وأسوار وثيقة شاهقة عالية ، ومنها حصون داخل المدن وقهندزات وحواليها أرباض ، ومنها حصون في جبال منيعة منفردة عن البنيان قائمة بأنفسها . ومن المدن المحصنة اصطخر لها حصن حواله الربض ، ومدينة كته لها حصن وربض ، والبيضاء لها حصن وربض ، وقرية الآس لها قهندز وربض ، وشيراز لها قهندز يستى قلعة شهوبند ، وجور عليها حصن ولا ربض لها ، وكارزين لها قهندز من داخل سورها وربض ، وكير لها قهندز وربض واسع ، ودارابجرد لها حصن وربض ، ورؤبنج لها حصن وربض ، وسيران لها قهندز وربض ، وفسا ذات قهندز وربض ، وسابور لها حصن فقط ، والجنجان لها حصن فقط ، وجفته لها حصن بغير ربض ، وسمعت غير رئيس من كاتب تحصل نفيس وتانىء جليل حصيف يذكر أن بفارس زيادة على خمسة آلاف قلعة منفردة في جبالها لا تقرب من المدن وفي المدن منها القهندزات ولا يمكن تقصّي ذلك إلا بتعب من الدواوين ، وكذلك المدن المحصنة فإنني لم أقدر على تقصّيها وإلما ذكرت جوامع بما أعرفه وسمعت به ، وفي هذه القلاع ما لم يُذكر لأحد من الجبابرة أنه قدر عليها عنوة منها قلعة ابن عماره وتسمى قلعة داكباياه ، يريدون باسمها أنها كثلاث أثاف لأنها قارة على ثلاث شعب كقرار القدر على الأثافي ، وقلعة ابن عماره تنسب الى الجلندي بن كنعان ولا يقدر أحد ان يرتقي إليها بنفسه إلا أن يُرقى به في شيء من البجر ، وهي مرصد كانت لآل عماره على البحر يعرفون منها المراكب فإذا أقبلت خرجوا إليها وطالبوا أهلها بضرائبهم على ما لهم من الحمل فيها ، وقلعة الكاريان على جبل طين قصدها محمد بن واصل في جيشه وقد تحصن بها أحمد بن الحسين الأزدي فلم يقدر عليها ، وقلعة سعيداباذ بدارابجرد من كورة اصطخر في جبل شاهق وترتقى إليها مسيرة فرسخ ، وكانت في التشرّك تُعرف بأسفندياذ فلما كان الاسلام تحصن فيها زياد بن أبيه أيام علي عليه السلام ، فنُسبت الى زياد ثم تحصن بها آخر أيام بني أميه

منصور بن جعفر وكان والياً على فارس فعُرفَتْ به ونُسِبَتْ اليه ، ثم عَظُمَتْ فَعَمِدَ اليها محمد بن واصل فخرَ بها ثم بناها . وكان محمد بن واصل الحنظلي أمير فارس يليها حرباً وخراجاً ، فلما أخذه يعقوب بن الليث لم يقدر على فتحها إلا بأمر محمد فخرَ بها يعقوب ، ثم احتاج اليها فأعادها وجعلها محبساً لمن سخط عليه وعدل عن قتله ، وقلعة اشكنوان من رستاق ماين والمرتقى اليها صعب وهي منيعة جداً وفيها عين ماء جارية وقلعة جوذرز صاحب كيخسرو بموضع يُعرف بالسوَيْقَة من كام فيروز وهي منيعة جداً ، وقلعة الحص بناحية الرجان يسكنها الجوس بإبازكرات الفرس وأيامهم يتدارسون فيها علوسهم وهي منيعة رفيعة ، وقلعة ابرج تدانيها في المنعة ، ولها قلاع منيعة ورُبُّها قُدِرَ عليها بالاحتياط لفتحها وهي أكثر من أن يبلغها تحصيل من غير الديوان .

١٢ - وأما بيوت نيرانها فكثيرة ايضاً ويعجز علمها من سوى الديوان إذ ليس من بلد ولا ناحية ولا رستاق إلا وبها عدد كثير من بيوت النيران ، غير ان المشاهير التي يفضّلونها على غيرها في التعظيم منها بيت نار الكاريان ويعرف ببيت نار قرّاً . وبيت نار بجرّه ينسب الى دارا بن دارا ، وبه تحلف الجوس في المبالغة بأيمانهم . وبيت نار عند بركة جور ويسمى بارين ، وحدّثني من قرأ عليه بالفهلوية انه أنفق عليه ثلاثون ألف ألف درهم . وبيت النار الذي على باب سابور يُعرف بسيوخشين وآخر على باب سابور محاذياً لباب ساسان يعرف بمجنبد كاوسن . وبكازرون بيت نار يُعرف بجفته ، وبها ايضاً بيت نار يعرف بكواذن . وبشيراز بيت نار يعرف بالكاريان وبها بيت آخر يعرف بهرمزد . وعلى باب شيراز بالقرية المعروفة بالسوكان بيت نار يعرف بالمنسريان ويُرى هذا البيت من شيراز ، وهي قرية في شمال شيراز وعن يسار طريق يزد الآخذ الى خراسان وبينها وبين شيراز نحو ميل . ومن دين الجوس ان المرأة اذا زنت في حملها او حيضها لم تطهر إلا بأن تأتي هذه النار فتعمرى لبعض المرابذة ليطهرها ببول البقر في هذه الناحية .

١٣ - وأما انهار فارس فذات مياه طيبة ، واعظمها نهر طاب الذي

يخرج من حدود اصبهان وجبالها، فيظهر بناحية السردن بعد مرّه بنواحي ابرج وانصبابه في نهر المسن ، وهو النهر الخارج من اسافل اصبهان الى نواحي السردن وجميعها عند قرية تدعى مسن ، ولا يزال فاضلها عن حاجتهم جاوياً الى باب الرّجّان تحت قنطرة ثكان ، وهي قنطرة بين فارس وخوزستان قليلة النظير وهي عندي اجلّ من قنطرة قُرْطبة التي بالاندلس ، ومحدثها بعض ثناء فارس فيسقي رستاق ريشهر ثم يقع في البحر نحو سينيز . وأما نهر شيرين فمخرجه من جبل دينان الذي بناحية بازرنج فيسقي فرزك والجلاذجان ثم يخترق حتى يقع في البحر نحو جنبابه . وأما نهر الشاذكان فإنه يخرج من بازرنج وجبالها حتى يدخل تنبوك مورستان وخان حمّاد ، فيسقي رستاق زيرواباذ ونابند والكهركان ثم يمتد الى دشت الرستاقان ثم يدخل البحر . وأما نهر درخيد فإنه يخرج من جبال الجويخان فيقع في بحيرة درخيد . ونهر الحوبذان فيخرج بالحوبذان فيسقي نواحيها وانبوران ثم ينصبّ الى الجلاذجان متفرّقاً يتساقط في البحر . ونهر رس يخرج من التمايجان العليا حتى يصير بالزيران فيسقط في نهر سابور ثم ينحدر من سابور فيضي الى توّج فيمر بباها ومنها الى البحر . ونهر اخشين يخرج من خلال جبال داذين فاذا بلغ الجنقان وقع في نهر توّج . ونهر سكان يخرج من رستاق الرويجان من قرية تدعى شاذفزي فيسقي زروعا ثم ينحدر الى رستاق سياه فيسقيه ، ومنها الى كوار فيسقيها ثم الى خبر فيسقيها ثم الى الصيكان فيسقيها ثم الى كارزين فيسقيها ثم الى قرية سك ، وهذا الوادي منسوب الى سك ثم يقع في البحر وليس في انهار فارس نهر اكثر عمارة من هذا النهر . ونهر جرشيق فإنه يخرج من رستاق ماصرم ويخترق رستاق المشعجان حتى يجري تحت قنطرة حجارة عادية ، تعرف بقنطرة سيوك حتى يدخل رستاق جرّه فيسقيها ثم الى رستاق داذين ويقع في نهر اخشين . ونهر الكرّ فإنه يخرج من كروان من حد الارد وينسب الى الكروان ، وهو يخرج من شعب بوان المشهور ويسقي كام فيروز وينحدر فيسقي قرية راجرد وكاسكان والطسوج ، فينتهي الى بحيرة بخفرز ونيريز تعرف ببخيرة البختكان ؛

ويقال أن له منبعاً يخرج في بعض كور دارايجرد فينتهي الى البحر . ونهر فرواب يخرج من الجوزفان من قرية تعرف بفرواب ، فيجري على باب اصطخر تحت قنطرة خراسان حتى يسقط في نهر الكر . ونهر برزه يخرج من ناحيه دراجان سياه فيسقي رستاق الخنيفغان وجور حتى يخترق رساتيق اردشير خره ثم يقع في البحر . وبها أنهار تقصر عن هذا المحل وأنصر عن إحصائها . ١٤ - وقد تكرّر القول بأن بحر فارس خليج من البحر المحيط في حد الصين وبلد الواق ، وهو بحر يجري على حدود بلدان السند وكرمان الى فارس فينسب من بين سائر الممالك التي عليه الى فارس ، لانه ليس عليه مملكة أحر منها ولأن ملوك فارس كانوا على قديم الأيام اقوى سلطاناً ، وهم المستولون الى يومنا هذا على ما بعد . وقرب من شطوط هذا البحر ، ولأننا لا نعلم في جميع بلد فارس وغيرها سفناً تجزي في بحر فارس فتخرج عن حد مملكتها وترجع بجلالتها وصيانتها إلا لفارس ، ومن بحيراتها التي تحيط بها القرى والعمارات بحيرة البختكان التي يقع فيها نهر الكر ، وهي بناحية خفرز الى قرب صاهك كرمان ويكون طولها نحو عشرين فرسخاً وماؤها مالح ينعد ملحاً ، وحواليها مُسْبَخٌ ويحيط بها رساتيق وقرى وهي في كورة اصطخر ، وبحيرة بدشت ارزن من كورة سابور وطولها نحو عشرة فراسخ ، وماؤها عذل ورُبُّها جفّت حتى لا يبقى فيها من الماء إلا القليل ، ورُبُّها امتلأت ففاضت نحو عشرة فراسخ وتحتفّ بها القرى والعمارات وعامة سمك شيواز منها ، وبحيرة مور من كورة سابور تعرف بكازرون وطولها نحو عشرة فراسخ أيضاً الى قرب موري ، وماؤها مالح وفيها صيد كثير ومنافع ، وبحيرة الجنكان مالحة وطولها نحو اثني عشر فرسخاً ، ويرتفع من أطرافها الملح وحواليها قرى الكهرجان وهي من اردشير خره ، وأولها من شيواز على فرسخين وآخرها حد خوزستان ، وبحيرة الباسفرية التي عليها دير الباسفرية طولها نحو ثمانية فراسخ وماؤها مالح وصيدها كثير وفي أطرافها آجام كثيرة ، ومنها قصب وبردي وحلفاء وغير ذلك مما يتسع به أهل شيواز ، وهي في كورة اصطخر متاخمة للزرقان من رستاق هزار .

١٥ - فأما ذكر مدنها وأخوالها فإن اصطخر مدينة وسطية في وقتنا هذا وسعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان يكون ملك فارس حتى حوّل اردشير الملك الى جُور (والآن فقد خرب أكثرها .) ويُروى في الأخبار أن سليمان بن داود عليها السلام كان يسير من طَبَوِيَّة اليها من عُذْوَةٍ الى عَشِيَّةٍ ، وبها مسجد يُعرف بمسجد سليمان ، ويزعم قوم من عوام الفُرس الذين لا يرجعون الى تحصيل أن جم الذي كان قبل الضحّاك هو سليمان ، وكان في قديم الأيام على اصطخر سور قد تهدّم وبنائهم من الطين والحجارة والحص على قدر يسار الباني ، وقنطرة خُرّاسان خارج المدينة على بابها بما يلي خراسان ، غير أن وراء القنطرة أبنية ومساكن ليست بقديمة ، وأما سابور فمدينة بناها سابور الملك وهي في السعة نحو اصطخر إلا أنها أعمر وأرجع وأيسر أهلاً ، وبنائهم نحو أبنية اصطخر وباصطخر وباء لفساد في هوائها ، غير أن خارج المدينة صحيح الهواء سيخ التربة ، ودارابجرد من بناء دازا بن دارا وتفسير ذلك عمل دارا ، ولذلك سمي دارابجرد ، ولها سور عامر جديد كسور جُور وعليها خندق تتولد المياه فيه من نِزٍّ ونَجْلٍ عليه وعيون تتصل به ، وفي هذا الماء حشائش إذا دخلته دابة أو إنسان التفت عليه فلا يتهاى له عبوره ، ولا يكاد ينسلم منه إلا بشدّة وجهدٍ . ولها أربعة أبواب وفي وسط المدينة جبل حجارة كأنه قبة ليس لها اتصال بشيء من الجبال ، وبنيانهم من طين وليس بها في زماننا كثير أثرٍ للعجم ، وأما جُور فاستحدثها اردشير ، ويقال أن مكانها كان ماءً واقفاً كالبحيرة فنذر اردشير أن يبنى مدينة على المكان الذي يظهر الماء به أو بعدوته ، ويجدد فيها بيت نار فاحتال في إزالة ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه ، وابتنى به مدينة جُور ، وهي قريبة في السعة من اصطخر وسابور ودارابجرد ، وعليها سور عامر من طين وخندق ، ولها أربعة أبواب بما يلي المشرق : واحد منها يسمى باب مِهْر ، وبما يلي المغرب باب بَهْرَام ، وبما يلي الشمال باب هُرْمِز وبما يلي الجنوب باب اردشير ، وفي وسط المدينة بناء مثل الدكة يسمى الطيربَال ويُعرف بلسان الفُرس بياران كنا خره ، وهو بناء بناء اردشير

ويقال انه كان من الارتفاع بحيث يُشرف منه الانسان على المدينة وجميع رساتيقها ، واستحدث بأعلاه بيت نار واستنبط بجذائه من جبل عال ماء حتى أصعده الى اعلى هذا الطربال كالفوارة ، ثم ينزل في مجرى آخر قد بني من جص وحجارة ، وقد نقضه الناس واستعملوا اكثره وخرب حتى لم يبق منه إلا القليل اليسير ، وكأنه الطربال الذي بمدينة بلخ في وسط ربضها وخارج المدينة قريب من السور ، ويكون اعلاه اكثر من جريب مساحة في غاية العلو من أجبر وطوب ، وخبره كالحجر المتقدم من ذكر الطربال الأول ؛ وفي المدينة مياه جارية وهي نزهة جداً يسير الانسان منها عن كل باب يخرج منه نحو فرسخ في بساتين وقصور ومتنزهات في غاية الحسن والطيبة والنضرة والخضرة ، وما يطرَبُ الناس الى مثله من المناظر الانيقة الحسنة (وكان في هذه البساتين قصور ودور حسنة طيبة فخرت اكثر ذلك) .

١٦ - فأما مدينة شيراز فمدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن ابي عقيل بن عم الحجاج ، وسميت بشيراز تشبيهاً لها بجوف الاسد ، وذلك أن عامة المير بتلك النواحي تحمل اليها ولا تحمل منها الى مكان . وكانت معسكراً للمسلمين لما اناخوا على فتح اصطخر ، فلما افتتحت اصطخر تبرك محمد بن القاسم بهذا المكان فجعله مدينة ، وهي نحو فرسخ في السعة وليس عليها سور يحجمها ، وهي مشتبكة البناء كثيرة الابل بها شحنة جيش فارس ابدأ ودواوين فارس وعملها وولاية الحرب فيها . واما كارزين فانها مدينة صغيرة نحو ثلث اصطخر ، ولها قلعة وليست من القوة في اسبابها والكبر بحيث تُذكر بأكثر من هذا وانما تُذكر لانها قصة قباذخره . ومن اجل المدن التي بكورة اصطخر مما يلي خراسان كنه ، وهي حومة يزد وبرقويه وبناحية كرمان الروذان وهريه من شق كرمان ومن ناحية اصبهان كرد والسردين . فأما كنه وهي حومة يزد فانها مدينة على طرف المغازة ولها طيب هواء البرية وصحته ، وخصب المدن الجبلية ولها رستاق يشتمل على رخص ، والغالب على ابنتها آزاج الطين وبها مدينة حصنه محصن ، وللحصن بابان من حديد ويسمى احدهما باب اندور والآخر باب المسجد لقربه من الجامع ، وجامعها في الربض ، ومياهم من القني

إلا نهراً يخرج من ناحية القلعة من قرية فيها معدن الآنك ، وهي نزهة جداً ولها رساتيق عريضة خصبة وهي ورساتيقها كثيرة الثمار ولفضل كثرتها ما تحمل الى اصبهان وغيرها رطبةً ويابسة . وجبالهم كثيرة الشجر والنبات وخارج المدينة ربض يشتمل على ابنية وأسواق تامة بالعمارة ، ويغلب على اهلها الأدب والكتبة ولهم مسجد جامع طيب . واما ابرقويه فهي مدينة خصبة كثيرة الزحمة تكون نحو الثلث من اصطخر وهي مشتبكة البناء ، والغالب على بنائها وأبنية يزد الآزاج ، وهي ناحية قفرة من الشجر قراء ليس حوالها بساتين ولا فيما بعد منها وهي خصبة رخيصة الاسعار . والروذان قريبة من ابرقويه في الشبه والمعنى والأحوال . وهريه اكبر من ابرقويه وهي في الابنية وسائر ما وصفت مقارنة لابرقويه ، غير ان لها مياهاً وثماراً كثيرة تفضل عن اهلها فتجمل الى النواحي ويقصد منه الكثير الغزير . وكرد مدينة اكبر من ابرقويه واخصب ، وبنائها من طين وهي كثيرة القصور . والسردن اخصب منها وارخص اسعاراً وهي كثيرة الأشجار والمياه ، ومدينة البيضاء اكبر مدينة في كورة اصطخر ، وانما سميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء تبص من بعد فترى بياضها من اماكن شاسعة ، وكان معسكر المسلمين يقصدونها في فتح اصطخر ويسأل بعضهم لبعض عنها فيقول : أنرى البيضاء ؟ فيقول : نعم . واليها لا يذوق غمضاً واسمها بالفارسية نسايك ، وتقارب في الكبر اصطخر وبنائهم من طين وهي تامة العمارة خصبة رطبة يتسع اهل شيواز عيبتهم .

١٧ - وبكورة سابور من المدن النوبندجان وكازرون والنوبندجان اكبرهما ، وكورة دارابجرد فأكبر مدينة بها فسا ، وهي مدينة مفتوحة البناء واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيواز إلا أنها اصح هواء من شيواز واوسع ابنية منها ، وبنائهم من طين واكثر الحشب في ابنتهم السرو ، وهي مدينة قديمة ولها مدينة عليها حصن وخندق ، ولها ربض واسواقها في ربضها (قد خرب الآن اكثرها) ويجتمع فيها ما يكون في نواحي الصرود والجروم من الثلج والرطب والجوز والاترج الى غير ذلك . وسائر المدن بعد دارابجرد متقاربة في عمارتها وخصبها .

١٨ - وقد ذكرتُ مدن اردشير نُخره و اكبر مدينة بها بعد شيراز
سيراف وتقارب شيراز في الكبر، وبنائهم بالساج وخشب يُحمل من بلاد
الزنج، وابنتهم طبقات كطبقات مصر فهي على شفير البحر وفي نحره
مشتبكة البنيان كثيرة الاهل، يبالغون في نفقات الابنية حتى ان الرجل
من تجارهم لينفق على داره زيادة على ثلاثين الف دينار من غير ان
يُستسرف ولا يُستنكر ذلك له. وليس فيما يقاربها ويحيط بها بساتين
واشجار وإنما فواكههم وتوسعهم وطيب عيشهم بما يصل اليهم من مياه تفرغ
من جبل مشرف عليهم يدعى حم، وهو اعلى جبل بها تُشبه الصرود
حاله، وسيراف اشد تلك النواحي حرًا واقلمها بردًا وقبرًا في اول
الشتاء وحين البرد، وبها قوم كذوو يسار ورأيتُ من أهلها غير نفيس
خطير من التجار. (وأهلها موسرون جداً حتى انه حكي عن احدهم أنه مرض فأوصى
فكان ثلث ماله الحاضر عنده الف الف دينار. غير ما كان له مع المضاربين : ورامشت التقيتُ
بولده موسى في عدن بتاريخ سنة تسع وثلاثين وخمسة ذكر ان آلات النقرة التي يستعملها وُزنت
فكانت الف ومائتي منّا، وهو اصغر اولاده واقلمهم بضاعة. ولرامشت اربعة خدم ذكروا ان
كل واحد منهم اكثر غناء من موسى ولده، ورأيتُ كاتب رامشت يذكر انه لما خرج من بلد
الصين مدهشرين سنة كانت بضاعته خمسمائة الف دينار، وهو عليّ النيلي من سواد الخلّة، فاذا
كان كاتبه بهذه الكثرة فكيف يكون هو، وهو الذي رفع ميزاب الكعبة وكان نقرة وجعل
مكانه ذهباً، ولبسها بالثياب الصيني التي لا يعرف احد قيمتها؟ وبالجملة لم اسمع ان تاجرًا في
هذا وصلت حاله وماله الى ما شمل عليه حال رامشت في كثرة المال واليسار والجاء العريض).

وقد تقدّم ذكر الرجان من انها مدينة بحرية جبلية سهلة برّية، بينها
وبين البحر مرحلة، وتوّج مدينة شديدة الحرّ ايضاً في وهدّة بناؤها طين
كثيرة النخيل والبساتين تضاهي النوبندجان في اكثر احوالها وشأنها.
وبقرب النوبندجان شعبُ بَوَّانَ ويكون مقدار فرسخين قرى ومياهًا
متصلة، وقد غطت الاشجار القرى حتى لا يكاد يراها الانسان إلا ان
يدخلها وهو أنزه شعب بفارس وجنّابه وسينيز ومهروبان على البحر، وفي
حرّها شدّة فادحة وبها نخيل وما يكون في بلد الجروم من الفواكه.

١٩ - ذكر المسافات بفارس: فالطريق من شيراز الى سيراف أن
تخرج من شيراز الى كفرنه قرية خمسة فراسخ، ومن كفرنه الى نخذ قرية

خمسـة فراسـخ ، ومن نـخذ الى كـوار غـلوة وهـي مـقسم مـاء مـدينة كـوار، ومن نـخذ الى الـيـمـجان قـوية اربـعة فراسـخ ، ومن الـيـمـجان الى جـور سـتـة فراسـخ ، ومن جـور الى دشت شـوارب خـمسـة فراسـخ ، ومنـها الى خـان آزادمـرد سـتـة فراسـخ وهـو خـان في صـحراء قـدر ثـلاثـة فراسـخ ، وهـذه الصـحراء كلـها نـرجس مـضعـفٌ ومن خـان آزادمـرد الى كـيـوند قـرية سـتـة فراسـخ ، ومنـها الى مـي قـرية سـتـة فراسـخ ، ومن مـي الى رآس العـقـبة سـتـة فراسـخ بـنـزل يُعـرف بـاذرـكان ، ومن اذرـكان الى بـرـكانـه خـان اربـعة فراسـخ ، ومن بـرـكانـه الى سـيراف المـدينة نـحو سـبـعة فراسـخ ، ويـكون الجـمـيع سـتـين فرسـخاً .
والطـريق من سـيراف الى يـزد وهـو طـريق خـراسـان : فـمن سـيراف الى الزـرقان سـتـة فراسـخ ، ومن الزـرقان وهـي مـنازل عـلى وادٍ عـذب الى اصـطـخر سـتـة فراسـخ ، ومن اصـطـخر الى تـير قـرية اربـعة فراسـخ ، ومن تـير الى كـهـنـك ثـمـانية فراسـخ ، ومن كـهـنـك الى قـرية بـيد ثـمـانية فراسـخ ، ومن قـرية بـيد الى ابرقـويه مـدينة اثـنا عـشر فرسـخاً ، ومن ابرقـويه الى قـرية الـأسـد ثـلاثـة عـشر فرسـخاً ، ومن قـرية الـأسـد وهـي قـرية ذات حـصـن الى قـرية الجـوز سـتـة فراسـخ ، ومن قـرية الجـوز الى قـلعة الجـوس قـرية سـتـة فراسـخ ، ومن قـلعة الجـوس الى مـدينة كـنه حـومة يـزد خـمسـة فراسـخ ، ومن يـزد الى انـجـيره مـوضع فيـه قـباب وعـين مـاء عـليـها اُصول تـبن وهـي آخـر عـمل فـارس سـتـة فراسـخ ، ولبـس بـعـدها عـمل لفـارس بـوجـه ويـكون الجـمـيع ثـمـانـين فرسـخاً ، والطـريق من سـيراف الى جـنـابـه : فـمن سـيراف الى خـات الـأسـد وهـو عـلى نـهر السـكان سـتـة فراسـخ ، ومن الخـان الى دشت اـرزن خـان اربـعة فراسـخ ، ومن دشت اـرزن الى تـيره قـرية اربـعة فراسـخ ، ومن تـيره الى كـازرون مـدينة سـتـة فراسـخ ، ومن كـازرون الى قـرية دـريـز اربـعة فراسـخ ، ومن قـرية دـريـز الى رآس العـقـبة خـان اربـعة فراسـخ ، ومن رآس العـقـبة الى تـوج المـدينة اربـعة فراسـخ ، ومن تـوج الى جـنـابـه اثـنا عـشر فرسـخاً ويـكون الجـمـيع اربـعة وأربـعين فرسـخاً .

٢٠ - والطـريق من سـيراف الى السـيرجان : فـمن سـيراف الى اصـطـخر اثـنا عـشر فرسـخاً ، ومن اصـطـخر الى زيـادابـاذ قـرية من رستاق خـفرز ثـمـانية

فراسخ ، ومن زياداباذ الى كلودر ثمانية فراسخ ، ومن كلودر الى الجوبانان قرية بها بحيرة ستة فراسخ ، ومن الجوبانان الى قرية عبد الرحمن ستة فراسخ ، وهي مدينة تُسمى ابازده ، ومن قرية عبد الرحمن الى قرية الاس مدينة تُسمى البوذنجان ستة فراسخ ، ومنها الى صاهك مدينة ثمانية فراسخ ومن صاهك الى رباط السرمقان وهو رباط كالخان ثمانية فراسخ ، ومنه الى بشت خم رباط أيضاً تسعة فراسخ ، ومن بشت خم الى السيرجان مدينة كرمان تسعة فراسخ ، ورباط السرمقان من حد فارس وما بعده من حد كرمان فجميع الطريق من شيواز الى السرمقان اثنان وستون فرسخاً ، والى السيرجان من السرمقان ثمانية عشر فرسخاً ، والطريق من شيواز الى جروم كرمان : فمن شيواز الى خان ميم قرية من رستاق الكهركان سبعة فراسخ ، ومن خورستان الى منزل يُعرف بالرباط أربعة فراسخ ، ومنه الى كرم مدينة أربعة فراسخ ، ومن كرم الى فسا خمسة فراسخ ، ومن فسا الى طمستان مدينة أربعة فراسخ ، ومن طمستان الى حومة الفستجان مدينة ستة فراسخ ، ومن الفستجان الى الدراكان مدينة أربعة فراسخ ، ومنها الى المريزجان مدينة أربعة فراسخ ، ومن المريزجان الى سنان مدينة أربعة فراسخ ، ومنها الى دارابجرد فرسخ ، ومنها الى زم المهدي خمسة فراسخ ، ومنها الى رستاق مدينة خمسة فراسخ ، ومنها الى فرج مدينة ثمانية فراسخ ، ومنها الى تارم مدينة أربعة عشر فرسخاً ، والجميع من شيواز الى تارم اثنان وثمانون فرسخاً ، والطريق من شيواز الى اصهبان : فمنها الى هزار مدينة ستة فراسخ ، ومنها الى ماين مدينة ستة فراسخ ، ومن ماين الى كسنا مرصد ستة فراسخ ، ومنها الى كنار قرية أربعة فراسخ ، ومن كنار الى قصر ابن اعين قرية سبعة فراسخ ، ومنها الى اصطخران قرية سبعة فراسخ ، ومنها الى خان روشن قرية سبعة فراسخ ، ومنها الى كرد قرية سبعة فراسخ ، ومن كرد الى كزه ثمانية فراسخ ، ومن كزه الى خان لنجان سبعة فراسخ ، ومنها الى اصهبان سبعة فراسخ ، وحد فارس الى خان روشن وبينهما ثلاثة واربعون فرسخاً ويكون الجميع الى اصهبان ثلاثة وسبعين فرسخاً ،

والطريق من شيراز الى خوزستان: فمن شيراز الى جويم مدينة خمسة فراسخ ، ومن جويم الى خلّار قرية اربعة فراسخ ، ومن خلّار الى الحراره قرية كبيرة قليلة الماء خمسة فراسخ ، ومن الحراره الى الكركان قرية خمسة فراسخ ، ومن الكركان الى النوبندجان مدينة كبيرة ستة فراسخ ، ومنها الى الحوبذان قرية اربعة فراسخ ، ومنها الى دوحيد قرية اربعة فراسخ ، ومنها الى خان حمّاد قرية اربعة فراسخ ، ومنها الى بيذك قرية ثلاثة فراسخ ، ومنها الى قرية العقارب وتعرف بهر اربعة فراسخ ، ومنها الى راشتن اربعة فراسخ ، ومن راشتن الى الرجان سبعة فراسخ ، ومن الرجان على غلّوّة ، فجميع الطريق من شيراز الى الرجان احد وستون فرسخاً .

٢١ - وأمّا المسافات بين المدن الكبار بفارس : فمن فسا الى كارزين ثمانية عشر فرسخاً ، ومنها الى جهرم عشرة فراسخ والى كارزين ثمانية فراسخ ، وقد مرّ أن من شيراز الى اصطخر اثني عشر فرسخاً ، ومن شيراز الى كوار عشرة فراسخ ، ومن شيراز الى جور على كوار عشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى فسا ستة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى البيضاء ثمانية فراسخ ، ومن شيراز الى دارابجرد خمسون فرسخاً . وقد مرّ ان من شيراز الى سيواف ستون فرسخاً ، ومن شيراز الى النوبندجان خمسة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى يزد اربعة وسبعون فرسخاً ، ومن شيراز الى توتج اثنان وثلاثون فرسخاً ، ومن شيراز الى جنبابـه اربعة واربعون فرسخاً ، ومن شيراز الى الرجان ستون فرسخاً ، وقد مرّ ذلك ، ومن شيراز الى سابور خمسة وعشرون فرسخاً ، ومن شيراز الى خرّمه اربعة عشر فرسخاً ، ومن شيراز الى جهرم ثلاثون فرسخاً ، ومن جور الى كازورون ستة عشر فرسخاً ، ومن سيواف الى نجيرم اثنا عشر فرسخاً ، ومن مهربان الى حصن ابن عمارة وهو طول فارس على البحر نحو مائة وستين فرسخاً ، والذي يحيط بالمفازة من حدّ كرمان الى جد اصهبان من رودان الى انار ثمانية عشر فرسخاً ، ومن انار الى الفهرج خمسة وعشرون فرسخاً ، ومن الفهرج الى كته خمسة

فراسخ ، ومن كنه الى مبيد عشرة فراسخ ، ومن مبيد الى عقدة عشرة فراسخ ، ومن عقده الى نابين خمسة عشر فرسخاً ، ومن نابين الى اصبهان خمسة وعشرون فرسخاً ، فمن روذان الى نابين ثلاثة وعشرون فرسخاً . ومسافة الحد الذي يلي كرمان من حد السيف من لدن حصن ابن عمارة الى ان ينتهي الى تارم ، ثم يمتد الى الروذان حتى ينتهي الى برية خراسان مثل ما من البحر على خط مستقيم الى شيراز الى ان ينتهي الى مفازة خراسان ، وهو مائة وعشرون فرسخاً . والحد الذي يلي خوزستان من فارس ومهروبان حتى ينتهي الى الرجان وبلاد سابور والسردن الى اول حد اصبهان نحو ستين فرسخاً .

٢٢ - ذكر المياه والهواء والتربة بفارس : وارض فارس مقسومة على خط من لدن الرجان الى النوبندجان الى كازرون الى جرّه ، ثم على حدود السيف الى كازرين حتى يمتد على الزم ودارابجرد الى فرج وتارم ، فما كان مما يلي ناحية الجنوب فجزوم وما كان مما يلي الشمال فسرود . ويقع في جرومها الرجان والنوبندجان ومهروبان وسينيز وجتابه وتوج ودشت الرستقان وجرّه وداذين ومور وكازرين ودشت بارين ، وجينيز ودشت البوشقان وزم اللوالجان وكير وكهرين وايزر وسيميران ، وخمايجان وكران وسيراف ونجبروم وحصن ابن عمارة وما في اضعاف ذلك . ويقع في السرود اصطخر والبيضاء وماين وابرج وكام فيروز ، وكرد وخالار وسروستان والاسبينجان والارد والرون وصرام ، وبازرنج والسردن والحرمّة والحيرة والنيروز والماشكانات والايج والاصطهبانات ، وبرم ورهنان وبرن وطرخيشان والجوبرقان واقليد والسرمدق وبرقويه ويزد ، وجارين ونابين وما في اضعاف ذلك من البلاد والنجاد . ومن الحدين مدن فيها ما في السرود والجزوم من التخيّل والجوز مثل فسا وجور وشيراز وسابور والنوبندجان وكازرون . وأما السرود ففيها اماكن تبلغ من شدة البرد ان لا ينبت عندهم شيء من الفواكه والبقول ، سوى الزرع كالارد والرون وكرد والرساتيق الاصطخرية والرهنان . وأما الجزوم فان بها ما يبلغ من شدة الحر في الصيف الصائف ان لا ينبت عندهم شيء من

الطير لشدة الحرّ مثل الاغريستان وهي رستاق . ولقد خبّر بعض الناس بعض الملوك أنه كان في بيت يُشرف على وادٍ فيه حجارة نصف النهار ، فرأى الحجارة تتفلّق في النار ، والصرود كلّها صحيحه الهواء والجروم فالغالب عليها فساد الهواء وتغيير الألوان ، وليس فيها أكثر وباء من مدينة دارابجرد ثم توجّ ، وأصحّ الهواء من جرومها الرجان وسيراف وجتّابه وسينيز ، وأعدل هواء هذه المدن ما كان من هذين الحدين كشيواز وفسا وكازرون وجور وغير ذلك ، وليس بجميع فارس هواء أصح من هواء كازرون ولا اصح ابداناً واحسن أبقاراً من اهلها ، وأصح مياهها ماء كُر وأردأها ماء دارابجرد .

٢٣ - فأما زيّهم ولباسهم واحوالهم فالغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعر وسفرة الألوان ، وأهل الصرود أعبل ابداناً واكثر شعوراً واشد بياضاً ، ولهم ثلاثة ألسنة : الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم لبعض بها إلا ألفاظاً تختلف لا تستعجم على عامّتهم ولسانهم الذي به كُتب العجم وأيامهم ومكاتبات الجوس فيما بينهم من الفهلوية التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفرس ، ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس ، وأما زيّهم فكان السلطان زيّ الأقيّة وقد تلبّس سلاطينهم الدرايع وان كانوا فُوساً ، ومن لبس الدرايع منهم أوسع فروجها وعرض جرباناتها ، وجيوب دراريعهم كدراريع الكتّاب والعمائم تحتها القلائس المرتفعة ، ويلبسون السيوف بجائل وفي أوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان ، وقد تغير زيّ سلطانهم في وقتنا هذا لأن الغالب على أصحابه لباس الديلم وقضاتهم يلبسون الدنيّات وما أشبهها من القلائس المشيرة عن الأذنين مع الطيالة والقمص والجاب ، ولا يلبسون دُرّاعة ولا خُفّاً بكسرة ولا قلنسوة تغطي الأذنين ، وكتّابهم يلبسون ملابس كتّاب العراق ولا يستعملون القُبى ولا الطيلسان ، وتناوهم بين لباس الكتّاب والتجار من الطيالة والأردية والأكسية القومسي والخز والعمائم والخفاف التي لا كسر فيها والقمص والجاب والمبطنّات ، ويتفاضلون في جودة

الملابس وحسن الزي وزيمهم كزي اهل العراق ، والغالب على اخلاق ملوكهم وخدمهم والتثناء منهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواب وغيرهم والداخلين عليهم استعمال المروضة في احوالهم ، وإقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطاعم وكثرة الطعام ، وإحضار الحلاوى والفواكه قبل الموائد ، والنزاهة عما يقبض به الحديث من الأخلاق الدنيئة وترك المجاهرة بالفواحش ، والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والأدب الظاهر فيما بينهم والعلم الشائع في جميعهم ، وأما تجارتهم فالغالب عليهم محبة الجمع للمال والحرص فوق من سواهم من اهل الأمصار .

٢٤ - فأما اهل سيراف والسواحل فربما غاب أحدهم عامة عمره في البحر ، ولقد بلغني أن رجلاً من سيراف ألف البحر حتى ذكر أنه لم يخرج من السفينة نحو أربعين سنة ، وكان إذا قارب البر أخرج صاحبه فقصى حوائجه في كل مدينة ويتحول من سفينة الى اخرى اذا انكسرت أو احتيج الى اصلاحها ، ولقد حظوا من ذلك بحظٍ جزيلٍ وهم أهل صبرٍ على الغربة ، وفيهم اليسار الظاهر حيث كانوا ، ولقد رأيتُ بالبصرة منهم أبا بكر أحمد بن عمر السيرافي في سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد قدمتُ عليه بكتابٍ من يعز عليه في مهمٍ له ، فأخذ الكتاب من حيث لم ينظرُ اليَّ فقرأه ثم وضعه من يده ولم يُعِرني لحظَ عين ، وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ما عرض فيه من مخاطبته وما بينها بما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بعد تعريفه في الكتاب صورتي ومحلي منه ، ثم أقبل على بعض خدمه وذكر مراكمه وحاله فوثبت غيظاً وتركته ، وأنا لا أبصرُ ما بين يدي من شدة ما نالني ودخلني بإعراضه عني ، فكأنه لاحظ مكاني فقال : ما فعل الرجل ؟ فقل : من هو ؟ فقال : صاحب فلان . فقل له : وبصاحب فلان فعلتَ هذا الانقباض لقد خرج وهو لا يُبصرُ ما بين يديه ألماً وغيظاً ! فقال عليّ به . فلحقني كاتبٌ له وقد بثَّ جماعةً غيره في طليبي في الطريق الذي قصدتُ له فقال : إن الشيخ تألم من خروجك بغير إذنه وعرفناه ما ظهر لنا منك

وقد أنفذنا لردك . فقلت : والله لقد رأيت أكثر ملوك الارض ومن تحت ايديهم من الناس على اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف ، فما رأيت رجلاً أكثر زهواً ولا أقبح صلفاً وبأوأ منه . فقال لي كاتبه . وحق له ذلك : هذا رجلٌ اعتلّ في سنة ثمانى وأربعين علّة خفيف عليه منها فأوصى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده على الثلث لانه لا وارث له ، فبلغت وصيته تسعمائة الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته في يد وكيل معلوم ما لديه ، وعنده بالحسابات الظاهرة والقبوض المعلومة المعروفة من جهاتها واورقاتها الى بوبهار ومتاع من جوهر وعطر في خابراته ومحازنه ، وقلّ مركبٌ خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريكٌ او كرىٌ إلا على حسب التفضل على المحمول بغير اجرة ولا عوض : فأفحمني قوله وعدت اليه فاعتذر بما كان . وهذا وان زاد على الثلث فلعله اوصى بنصف ماله ، وما سمعت ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه ولا من ودعة سلطان لانها حكاية اذا اعتبرت كالجزاف يُستوحش من حكايتها .

٢٥ - وما علمت مدينة في برّ ولا بحر يجتمع بالمشرق فيها قوم من الفرس مقيمون إلا وهم في أعقهم طريقةً وأحسنهم طبقةً وفيهم علم ، وأكثرهم يقول بالوعيد على مذاهب اهل البصرة ، والى الاعتزال مذهبهم ومن كان خاصةً من اهل جرومهم رأى تفضيل ابي عليّ بن عبد الوهاب الجبائي على الجميع ، واليه ينحون وبه يأتمنون . واهل الصرود من اهل شيراز واصطخر وفسا فالغالب عليهم مذاهب الحشو ، وفي الفتيما مذاهب اهل الحديث . وبفارس اليهود والنصارى والمجوس وليس فيهم صابئ ولا سامريّ ، واكثر اهل الملل فيهم المجوس واليهود أقل من النصارى ، وليس للمجوس بدارٍ اكثر منهم بفارس لان بها كانت دار مملكتهم واديانهم وكتبهم وبيوت نيرانهم ، يتوارثون ذلك في ايديهم الى وقتنا هذا .

٢٦ - وبفارس سنة جميلة وعادة فجا بينهم وفضيلة من تفضيل اهل البيوتات القديمة وإكرام اهل النعم الأزلية ، وفيها بيوت يتوارثون فيها بينهم اعمال الدواوين على قديم ايامهم الى يومنا هذا : منهم آل حبيب وكان

مشائخهم مُدرَكًا واحمدَ والفضلَ بنو حبيب وأصلهم من كام فيروز ،
ومنشأهم شيراز قطنوها وتقلدوا الاعمال الجليلة الشريفة . وكان المأمون
استدعى مدرَك بن حبيب للحساب وغيره من وجوه الخدمة وحظي عنده
وقرأ عليه ، فمات ببغداد أيام المعتصم واتَّهم يحيى بن اكثم به . وآل ابي
صفية من موالي باهلة منهم يحيى وعبدالرحمن وعبدالله بنو محمد بن اسماعيل
ناقلة توطئوا بها . وآل المرزبان بن زاذبه اليهم في الاعمال ، وكان الحسن
ابن المرزبان بنداراً لمحمد بن واصل ومن بعده ليعقوب بن الليث . وخدم
علي بن المرزبان عمرو بن الليث على ديوان الاستدراك ، فزادت عنده
منزلته لنبل كان فيه وفضل وبراعة ، وإخوته الحسن وسهل والفضل
ومحمد ومنصور . وشيخنا ابو منصور احمد بن عبيد الله من ولده ، والى
يومنا هذا تجري اعمال الدواوين بينهم . ولقيت ابا جعفر بن سهل بن
المرزبان كاتب ابي الحارث بن افرغون وهو حي الى يومنا هذا ، ولا
والله الذي لا إله غيره ما رأيتُ احداً قبله ولا بعده اجتمعت الألسن على
حمده بفضله وكرمه كاجتماعها عليه ، لأن السنن المقرؤة والآثار المروية
ومن ادركناه في عصرنا ممن تعلّق باسم الكرم وداب ونصّب في طلبه
يُمدح ويذمّ غيره ، فلم ار له ذاماً ولا مستزيداً بوجه من الوجوه ولا
سبب من الاسباب ، ولم يدخل خراسان منذ خمسين سنة أحد ليس عليه
له فضل ويد يشكرها ، وإن لم يلقه قصده بالمكاتبة والتحف عليه بجميعه
حتى أنه احتال في اصال فضله وتشديد مكارمه الى من لا يمكنه قصده ،
ولا يضع نفسه للحاجة اليه فأقام في رباطات جعلها واستحدثها في ضياع
وقفها على مصالحها بقرأ سائمة تحلب ويأخذ البانها القوام عليها ، ويقصدون
المجتازين عليهم والمارّين بهم غير النازلين عندهم مع شيء من الاطعمة منها
ومن غيرها على مقدار السابلة والمارة بهم ، فيُسقون رائبها مع الهواجر
براً لبني السبيل المارّين والجائنين على ضياعه بهذا اللطف والوجه الحسن .
وما من قرية ورباط له فيها ملك إلا وفيه المائة بقرة الى ما فوق ذلك
لهذا الوجه والمقصد ، دون بقرة العاملة في اسباب منافعه . وله غير نظير
بخراسان ممن يقصد أفعال الخير وإفشاء المعروف بما وراء النهر ، لا يدانيه

ولا يقاربه في هذا الباب ولا في غيره . وأهله آل المرزبان ابن فرابنداذ أقدم أهل هذه البيوتات في العجم وأكثرهم عدداً ، منهم أبو سعيد الحسن ابن عبدالله ونصر بن منصور بن المرزبان وعبد الرحمن بن الحسين بن المرزبان ، وفرابنداذ بن مردشاري بن المرزبان وأحمد بن فرابنداذ في جماعة أقصّر عن معرفتهم وعددهم وعليّ بن خرّشاد وأولاده الحسين والحسن وأحمد إلى نحو أيامنا هذه كانوا يتولون بفارس الدواوين ، مع من ذكرته من أهل البيوتات المتقدم ذكرها ووصفها .

٢٧ - وقد انتحل قوم من الفرس ديانات ومذاهب خرجوا بها عن المذاهب المشهورة فدعوا إليها وانتصبوا لها ، ولو أن إهمال ذكرهم وترك وصفهم ضرب من العصبية على الدين وباب من التعامل عليه ، لأضربت عنه ولكن نذكر المستفاض ، وما بمن يقرأ هذا الكتاب حاجة إلى معرفته وضرورة إلى علمه دون الاستقصاء ، لذلك إذ الأخبار قد أتت به واعتقد الناس فيهم القبيح ، ووقفوا منهم على التلبيس المذموم وتأليف الكتب بالقدف للإسلام والبوادة منه بعد تأليف شيء منها جلبوا به القلوب ودعوا إليه العامة ، ومن لا رياضة له بالعلم من الخاصة في الظاهر وضادوا ذلك في الباطن . وبمن عُرف من هؤلاء واشتهر وطار اسمه في الآفاق وظهر الحسين بن منصور الحلّاج من أهل البيضاء ، وكان حلاجياً ينتحل النُسك والتصوّف وما زال يرتقي طبقة على طبق ، حتى انتهى به الحال إلى أن زعم أن من هدب في الطاعة جسمه واشتغل بالأعمال الصالحة قلبه ، وصبر على مفارقة اللذات وملك نفسه بمنعها عن الشهوات ارتقى إلى مقام المقرّبين ، وشارك الملائكة الكرام الكاتبين ثم لا يتردد في درجة المصافاة حتى يصفو عن البشرية طبعه ، فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب حلّ فيه روح الله الذي كان منه كعيسى بن مريم ، فيصير مطاعاً لا يريد شيئاً إلا كان من جميع ما ينفذ فيه أمر الله ، فإن جميع أفعاله حينئذٍ فعل الله وأمره أمره . وكان يتعاطى هذا ويدعو إلى نفسه بتحقيق ذلك كله فيه ، حتى استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة والجبال وما

والاها ، وكان لا يمكنه الرجوع الى فارس ولا يطمع في قبولهم لآياه
لخوفه على نفسه منهم لو ظفروا به وظهر لهم ، وأخذ فاعتقل وما زال
في دار السلطان ببغداد إلى أن خيف من قبيله أن يستغوي كثيراً من
أهل دار الخلافة من الحُجَّاب والحُرَم وغيرهم فضلب حياً إلى أُن
مات . ومنهم الحسن المكتى بأبي سعيد بن بهرام الجُتَّابي من أهل
جَنَابَه ، وكان دَقَّاقاً وتعلّق لعنة الله عليه بدعوة القرامطة من قبل
عبدان الكاتب صهر حمدان بن الأشعث المعروف بقرمطي ، واستخلفه على
كثير من نواحيهم وكانت الدعوة اليه بجَنَابَه وسينيز وتوَج ومهروبات
وجروم فارس ، فدعاهم وأخذ الكثير من أموالهم ونبت له أضداد فنبوا
عليه فقيض على ما جمعه من المال واتخذ من الخُزائن والعُدَد ، وأفلت
بجُشاشته نفسه فلم يزل في خَفِيَّة حتى كتب اليه حمدان بن الأشعث
المعروف بقرمطي من كلواذي بالشخص الى حضرته ، ولم يكن رآه ولا
عائنه فلما بصرَ به رأى منه نافذاً فيما تكلفه ، ورأى ما دار عليه ليس
من قبل سوء سياسته فيما كان بسبيله لكن وجوه وقعت عليه ودارت ،
كالضرورة ، اضطره اليها مخالفوه والمنكرون عليه فأنفذه على يد عبدان
أيضاً الى البحرين وأمره بالدعوة هناك ، وأيده بوجوه القوة من المال
والكتب وغيرهما ، فورد البحرين وصاهر آل سنبر وبث الدعوة في
العرب الذين بتلك الناحية ، فقبلوها وانفتحت الديار على يده وأجابته
القبائل والعشائر رغبة ورهبة ، بعد أن حاصر هَجَرَ وافتتحها بضروب
من الحيل ووجوه الكيد ومشاق من الأعمال والأفعال ودخلها بالسيف ،
فقتل رجالها واستعبد الأولاد من الصبيان والصبايا واستباح حريمهم . وكان
إذ ذاك في دعوة المقيم بالمغرب وفي جملة المنتبين اليه حتى قتل عبدان
صاحبه ، فارتدت عما كان عليه وقتل أبا زكريا الطهمي داعياً كان لأهل
المغرب قبله بالبحرين ، واشتدت شوكته وتفرّد بالأمر لنفسه وكرّ في
خطوب كثيرة يطول شرحها وليس يمكن ذكرها إلا مستقصاة وفي
إعادته طول فتركها لذلك . وذبح أبا سعيد بعض خدمه في الحما
مع جماعة من كهراء رجاله بالأحساء . وكانت وصيته الى أكبر أولاده

بتسليمهم لولده الأصغر منهم عند بلوغه ، لأمر وقف عليه فيه سائر ما خلقه واتباعهم إياه ووقوفهم عند أمره ونهيه ، فكان من لعنه الله منهم أبو طاهر سليمان فاتح البصرة والكوفة ، وصاحب قوافل الحاج في طريق مكة وقاتل آل أبي طالب وبني هاشم والمستحلّ دماءهم وفروجهم وأموالهم ، ومخرّب مكة وأخذ الحجر وفاعل كل كبيرة ومستحلّ كل عظمة ومقتوف كل آثام ومستبيح كل حرام ، الى أن أهلكه الله ودمّر عليه وأتى على أهله وولده بتشتيت الكلمة واختلاف الدعوة ، وغيلة بعضهم لبعض بالقتل والمكائد والختل . وما كان من فعله بالمسلمين واعتواضه على حبيبتهم وعيّه في بلادهم بقتلهم ، وما فعله بالحرم فلا حاجة بنا الى ذكره لشهرته والغنى عن إعادته من أخذ كنوز الكعبة ، وقتل المجاورين لها والمستدمين بحرمتها الى أن أخذَ عمُّ أبي طاهر أخو أبي سعيد وقراباته وذووه ، فحسبوا بشيراز مدّةً وكانوا مخالفين له في المذهب والطريقة يرجعون الى صلاح وسداد ، وشهد لهم بالبراءة من القرامطة فخشيَ عنهم . ومنهم أبو جعفر محمد بن عليّ الشلمغانيّ فإنه أيضاً ممن ظاهر بأمور من العلم ودعا الى الفقه والزهد وتريّا بالورع والعفة ، وألّف كتباً في الحلال والحرام بأحسن نظام وأجمل تأليف وهو مع ذلك يُسرُّ شقاق الأمة ويعتقد إكفارهم ، ويرى أن الدار دارُ كفرٍ وأهلها وأموالهم ومناكحتهم وحجّهم وغزوهم فاسد وجهادهم لازم ، ودعا مرّةً الى أصحاب المغرب وأشار اليهم وأخرى الى نفسه واضطرب في فنونٍ اعتقدها في الباري تعالى الى أن هلك أيضاً صلباً وكفى الله أمره . والله الحافظ للاسلام وأهله والدافع عنهم بمنّه وطوّله فقد عاد غريباً كبُدّوه غريباً .

٢٨ - ذكر الخاصّيات بفارس وما يُجلب منها : فبناحية اصطخر تفّاح يكون بعض التفاحة في غاية الحلاوة وبعضها حامض صادق الجوضة ، وكنتُ رأيتُ ذلك في حكاية أن مرداس بن عمر حدّث بها الحسن بن رجاء ، فرأى في وجهه انكاراً لقوله فأحضر التفاح حتى رآه ، وبقرب ابرقويه تلال وماد كالجبال العظام التي صعود التلّ ونزوله نحو ميل ،

ويزعم قوم أنها نار نمرود وهو خطأ لأن نمرود كان كنعانياً ومساكنهم ببابل، ورأيت مثل هذه الجبال أعظم منها وأعلى وأكثر على نهر الزاب الكبير الجائي من نواحي أرمينية وبلد الداسن، بظاهر القرية المعروفة بالمحمدية من عمل محمد بن حسنون الكردي، ومررت بما اصغر منها وما يضاهاها في بلد السودان، وبكورة سابور رستاق يُعرف بالهندوجان، فيها بئر بين جبلين يخرج منها دخان فيتعالى كثيراً بالنهار ولا يتهياً لأحد أن يقربها، وإن طار عليها طائر سقط فيها ويُرى في حال هبوطه وهويته احتراقه قبل تعبیه فيها، وبكورة الرجان في نواحي صاهك غير بئر لا قعر لها، وبناحية كام فيروز بالقرية المعروفة والمورجان بين جبال شاهقة كهف فيه جرن، يقطر إليه من سقف هذا الكهف ماء ويزعم قوم أن له طلسماً، فإن دخل ذلك الكهف رجلٌ خرج من الماء بما يكفيه، وإن دخله ألف رجل خرجوا من ذلك الجرن بالقطر من الماء بما يكفيهم ويعيشهم، ومقدار ذلك الجرن كالجفنه الصغيرة أو الغضارة الكبيرة، وعلى باب الرجان ممّا يلي خوزستان قنطرة على نهر طاب تُنسب إلى الديلمي طبيب الحجاج بن يوسف، وهي طاق واحد سعة ما بين عموده على وجه الأرض ثمانون خطوةً وارتفاعها مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بيده علمٌ من أطول ما يكون من الأعلام. وبكورة اردشير خُربة من نواحي شيراز عين ماء حلوى عذب يشربه الناس لتتقية الجوف، فمن شرب قدحاً أقامه مجلساً وإن ازداد فلكل قدح مجلس. وبناحية داخين نهر ماء عذب يُعرف بنهر اخشين يُشرب منه، ويُسقى الأرضين إذا غُسلت بمائه الشياخ خرجت خضراً، وبناحية كوار طين أخضر كالسلق وأشرق منه يؤكل ولا نظير له. وبشيراز نرجس ورقه كورق السوسن وفي داخله عيون صفراء كعيون النرجس سواءً.

٢٩ - فأما ما يجلب من فارس إلى سائر الأرض وهو أفضل أجناسه في سائر البلدان فماء الورد الذي بكوار وجور، ينقل إلى سائر الأرض حتى المغرب وبلد الروم والاندلس ورومية وأرض أفرنج، وإلى مصر واليمن وبلد الهند والصين ويقض كل ماء وردٍ سواءً، ويرتفع الكثير

من غيرهما بأعمال فارس غير أن الأكثر الأغزر من جُور والى جُور ينسب
الورد الذي الرائحة ، ويجُور ماء الطلح وماء القَيْسُوم الذي لا يكون في
غير جُور وماء الزعفران وماء الخُلاف بفارس ودهن الخُلاف يعلو على
جميع ما يُعمل في أقطار الأرض منه ، سوى دُهْن الخُلاف المِراغيّ فلاني
رأيت منه ما لا يدانيه دُهْن في الأرض ، ويباع منه المنّ بعشرة دنانير
وكان عندي خيراً من ذلك ، وترتفع من سابور الادهان فتفضّل على كل
جنس إلا الخيري والبنفسج اللذين بالكوفة ، وترتفع من سينيّر الثياب
السينيّزيّ ومن جَنابَه المِناديل الجَنابِيّة ، ومن تَوَجّ ثياب التوتّزي ولا
يشبهها شيء من ثياب الأرض في جنسها ، وإن وُجد أرفع منها وأكثر
ثمناً فلذلك من العلة وكان للسلطان في كل بلد منها طراز ، ويرتفع من
فسا أنواع من الثياب التي تُحمل الى الآفاق وبها طراز الوشي المرتفع الذي
ليس بسائر الآفاق كهو اذا كان مذهّباً ، واذا كان ساذجاً فكالذي يجهرم
وغيرها ، وأمّا الصوف فانه يُعمل للسلطان والتجار ثياب للفرش ما يأخذ
القيمة العظيمة من العين وكلّ مرتفعة من سائر أصناف الحرير ، ويُسَخِّذ
من القزّ للسلطان ستور معيّنة معلّمة ومن ثياب القزّ والصوف الفاخرة
ما يُحمل الى كثير من الامصار ، والسُوسن جرد الذي يكون بها أرفع
بما يكون بقرقوب وتوّج وقارم وبها أكسية القز التي يكون بالقِيم
الوافية الراجحة كلمائة دينار ونحوها ، ويرتفع من جهرم من الثياب الوشي
الرفيع ، فأما البسط والنخاخ والمُصليّات والزلاّلي المعروفة بجميع الأرض
بالجهرمي فلا نظير لها ، ويرتفع من يزد وابرقويه ثياب قطن فتُحمل الى
كثير من النواحي فتدخل في جمل البغداديّ إذا قُصرت ، ويرتفع من
الغندجان قصبة دشت بآرين من البسط والستور والمقاعد وأشباه ذلك ما
يوازي به عمل الارمني ، وبها طراز للسلطان ويُحمل منها الى الآفاق
جهاز كثير ، وسوسن جرد فسا أفضل من سوسن جرد قرقوب ، لانّ
متاع فسا من صوف والقرقوبي من إبريسم ، والصوف أحكم عملاً في
الصنعة وأبقى على مر الايام .

٣٠ - وبداراجرد حوت في الخندق المحيط بالبلد لا شك فيه ولا

عظم ولا فقار ، وله فلوس وهو من ألد السموك ، ويرتفع منها ثياب كالطبري للفرش تستحسن ، وبقرية من قرى دارابجرد الموميائي الذي يُحمل الى الآفاق وهي ملك للسلطان ولا نظير له ، وهو غار في جبل قد وُكِّلَ به من يحفظه وهو مسدود الباب والمدخل مُغلق مُقفَل محتوم ، مُعَلَّم بعلامات كثيرة لمن يحضر فتحه من ثقات السلطان ويُفتح في كل سنة في وقت معروف ، وقد استجمع في نُقْرة حجر هناك ما اجتمع منه وفي غير ذلك النُقْرة الشيء بعد الشيء منه فإذا جُمِعَ يكون الموجود في كل سنة كالمائة فيُخْتَم بِمُشْهَد من ثقات السلطان والحكام وأصحاب البرد والمعدلين من اهل الأمانة ، بعد ان يُرضخ للحاضرين بالشيء اليسير منه وهو الموميائي الصحيح ، وما عداه فزور ليس بصحيح ، وبقرى هذا الغار قرية تعرف بأبي فنُسب هذا الموم اليها وتفسيره موم قرية آبي . وبناحية دارابجرد جبال من الملح الأبيض والاسود والاصفر والاحمر والاخضر وجميع الألوان المتفرقة ، وهي جبال على ظاهر الأرض يُنحت منها الموائد والغضار والآنية المستطرفة ، وتُحمل الى سائر مدن فارس وغيرها ، وبفارس عامة المعادن من الفضة والحديد والآلنك والكبريت والنفط وما أشبه ذلك ما يُعني أهلها عن عمل ما سواها من البلدان والنواحي ، إلا ان الفضة قليلة وبها معدن ذهب ومعدن صفرها بالسردن ، ويحمل منها الى البصرة وغيرها والحديد بجبال اصطخر ، وبقرية من جوار اصطخر تعرف بدارابجرد معدن للزيت ، ويُعمل بفارس مداد أسود لدوي الكتاب وأصباغ التزويق فيفضل على كل مداد في الارض غير الصيني لأنها جميعاً من تذاكي أكبر النيران الجوسية المتقدمة ، وهو في نفسه دخانها لا غير ، وبشيراز أبراد معروفة مشهورة في أكثر أقطار الارض بالشيرازية ،

٣١ - فأما نقودهم ومكاييلهم للبيس والشرى فجميع بيوع فارس بالدرهم والدنانير عندهم كالعرَض . وأوزانهم كأوزان جميع الأرض المعروفة العشرة الدراهم سبعة مثاقيل ، وليست كالليمن والاندلس في اختلاف الأوزان . والأمناء التي تُوزن بها المتاع فنوان صغير وكبير فالصغير وزن ألف وأربعين درهماً كطل اردبيل ، ومنها من كبير

ورطل اللحم . بالاندلس تسعة أرتال ونصف بالفلفلي ، والفلفلي خمس عشرة أوقية بالبغدادية ، ورطل القيروان فلفلي ايضاً إلا رطل اللحم فانه اثنا عشر أوقية ، والمنّ الاصغر بفارس كمنّ العراق مائتان وستون درهماً ، وهذا المنّ المستعمل بفارس وعامة البلدان وأمصار المسلمين ، وإن كان لهم اوزان غير ذلك . والمنّ بالبيضاء ثمانمائة درهم وباصطخر اربعمئة وبجرّ مائتان وثمانون وبسابور ثلاثمائة وبعص نواحي اردشير خربة مائتان وأربعون . والكيل بشيراز الجريب عشرة اقفة والقفيز ستة عشر رطلاً في التقدير ، ويزيد وينقص بحسب المكيل وهو خنطة ستة عشر رطلاً ورطلهم كرطل بغداد اثنا عشر أوقية ، والأوقية عشرة دراهم وثلثان ؛ وللقفيز عندهم كيل يعرف بنصف قفيز وثلث وربع وكل واحد مجزأ منه . ومنشأ معروف معلوم قائم بنفسه موجود في سائر حوانيتهم ، ولهم ايضاً كيل صغير وهو جزء من اربعة وعشرين جزءاً من القفيز . وجريب اصطخر وقفيزها على نصف جريب شيراز وقفيزها ، ومكايل البيضاء تزيد على مكاييل اصطخر بنحو الربع وتنقص عن شيراز . وكذلك الرجاء وكازرون تزيد على العشرة من كيلهم ستة . ومكاييل فسا تنقص عن مكاييل شيراز ؛ فهذه جمل ما يجب علمه ويسأل الناس الناس عنه .

٣٢ - وأما ابواب المال لبيت المال على الناس فمن الزموم وما تطبق عليه الدواوين وخراج الأرضين والصدقات ، وأعشار السفن وأخماس المعادن والمراعي والجوالي وغلة دار الضرب والمراسد في الضياع والمستغلات ، وأثمان الماء وضرائب الملائحات والآجام . فأما خراج الارضين فعلى ثلاثة أصناف فالمساحة والمقاسمة والقوانين التي هي مقاطعات معروفة لا تزيد ولا تنقص زُرعت او لم تُزَرَعت فتؤخذ بالعبوة . والمساحة دون المقاسمة فان زرع زارعٌ أخذ خراجه بالمساحة على الجُرَبان ، وان لم يزرع لم يطالب وعامة فارس مساحة إلا الزموم فانها مقاطعات بالعبوة والشئ اليسير من المقاسمات ، وتختلف الأخرجة في البلدان على المساحة فأقلها بشيراز على كل صنف من المزروع شيء مقدّر ، وذلك أن على الجريب الكبير من الارض تُزَرع فيها الحنطة والشعير بالسَّيخ مائة وتسعين درهماً ، والشجر بالسَّيخ

مائةً واثنين وتسعين درهماً ، والرطاب والمقائي السيج للجريب الكبير مائتان وسبعة وثلاثون درهماً ، وللجريب الكبير من القطن بالماء السيج مائتان وسبعة وخمسون درهماً وثلثان ، وعلى الجريب الكبير من الكروم بالماء السيج ألف وأربعمائة وخمسة وعشرون درهماً . والجريب الكبير ثلاثة أجربة وثلثا جريب بالجريب الصغير ، والصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً بذراع الملك وذراع الملك سبع قبضات . وخراج كوار على الثلثين من هذا العقد لأن جعفر بن أبي زهير السامي كلّم الرشيد فردّه الى ثلثي الربع . وخراج اصطخر ينقص من خراج شيراز شيئاً يسيراً لا أقف عليه . وخراج البخوس على ثلث السيج والطوي في البطيخ والقضاء والبقول على ثلثي الخراج . وإذا سُقي السيج سقيةً قبض السلطان رُبْع الخراج وطالب به أشدّ مطالبةً ، وإذا بُدِئَ بالسقية الثانية طالب بتمام الخراج واستتمّه عند استتمام السقي . وكورة دارابجرد والرجان وسابور فزروهم ومقادير الخراج على ارضهم بخلاف هذا يزيد وينقص اكّاره على قدر ملكه ودخله ، والمقاسمة على وجهين : فضياع في أيدي قوم من أهل الزموم وغيرهم معهم عهد من امير المؤمنين علي بن ابي طالب وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ، وغيرهما من الولاة المُستَين باسم الخلافة فيقاسمون على العُشر الى الثلث وغير ذلك ، والوجه الآخر مقاسمات على قرى قُبِضَتْ وصارت لبيت المال بإخلال أصحابها ووجوه غير ذلك يُؤَارَعُ س عليها بالخمسين وحسب الموافقة . وأمّا أبواب أموال الضياع فالضياع السلطانية خارجة من المساحة ، والذي يؤخذ منها بالمقاسمة والمقاطعة فعلى الأكرة فيها ضرائب من الدراهم يؤدونها الى السلطان ، والصدقات وأعشار السفن وأخماس المعادن والجزية ودار الضرب والمرصد وضرائب الملاحات والآجام ، وأثمان الماء والمراعي فإنها تقرب في الرسم بما في سائر الأمصار ، وليس بفارس دار ضرب إلا بشيراز ، فأما المستغلّات فتربتها للسلطان وقد ابتنى فيها التجّار الأسواق وغيرها ، فالببناء لهم ويؤدون أجرة الارض والطواحين للسلطان وأجرة الدور التي يُعمل فيها ماء الورد ، وكان الرسم القديم بفارس ان كل حوْمة بها لا خراج على

الكروم فيها ولا على الأشجار الى ان ولى علي بن عيسى بن الجراح الوزارة سنة اثنتين وثلاثمائة فالزمهم فيها كلها الخراج ، وكان بفارس ضياع قد ألجأها أربابها الى الكُبراء من حاشية السلطان بالعراق ، فهي تجري بأسمائهم ويحمل عنهم الرُبع وهي في أيدي أهلها وأهلها يتبايعونها ويتشارونها ويتوارثونها .

٣٣ - وكانت فارس في قديم الأيام وقبل الاسلام مقاسمت الى أيام قباذ أبي انوشروان ، فإنه نزل من تعب ناله في بعض البساتين وقد لعب من الحر فذاً فرداً بعد إياس ناله من نفسه بانتقاعه عن رجاله في طلب طريدة ، فألقى امرأة وبين يديها صبية صغيرة وقد استضافها فأضافته والصبية تمد يدها الى شجرة رُمان والعجوز تمنعها ، ولجأت الصبية الى ان قطعت رُمانة فضربتها ضرباً وجيعاً ، فقال قباذ : لِمَ ضربت هذه الصبية على هذا القدر الطفيف الخسيس من رُمانة فقالت : يا سيديها لنا فيها وفي جميع الباغ شريك غائب كريم ويقبُح بالشريك الحاضر خيانة الشريك الغائب ، سيما إذا كان عدلاً أميناً . فقال قباذ : ومن شريكك ؟ فقالت : الملك قباذ له فيها بحق القصة ويقبُح بالفقير ذي المروءة خيانة الغني ذي العدالة والأمانة ! فبكى قباذ وقال : صدقت وأقبُح منه ان يخون الملك الغني العدل الأمين الذي هو أعذل وقد سلطه وملكه ومكته وأقدره في عبادته وبلاده ، أحضري الي إذا نزل العسكر فلاناً ، رجلاً وصفه ؛ فحضر وحضر أصحابه وجيشه فلما جمعهم مجلسه أخبرهم خبر العجوز ، ولم يرم حتى جعل جميع فارس مقاطعات وخراجات تقبض إذا حُسن ما في الانادر وتصرف الاكرة والمزارعون في البيادر .

٣٤ - فأما أموال فارس من الوجوه التي ذكرتها فرأيت أهل الخبرة سنة خمسين يومون الى ألف ألف وخمسمائة الف دينار وزيادة ، وكانت أعمال الرجان خارجة عن عمل فارس في هذا العهد ، لأنها كانت بيد أبي الفضل ابن العميد يستوفي حقوقها وتبلغ خمس مائة الف دينار ونحو عشرة آلاف دينار ، فربما حُمِلت الى الرمي وصرفها الامير ركن الدولة في أسبابه ، وربما آثر بها الملك صلة منه له ينالها على يد أبي الفضل ابن العميد وكان ذلك يسكرت الملك ويخرجهُ .

كرمان

١ - وأما كرمـان فشرقيّـها ارض مُكرـان ومفازة ما بين مُكرـان والبحر من وراء البلّوص ، وغربيّـها ارض فارس وشماليّـها مفازة خراسان وسجستان ، وجنوبيّـها بحر فارس . ولها في حد السيرجان دخلة في حد فارس مثل الكم وفيما يلي البحر تفويس قريب .

٢ - وهذه الصورة التي تقابل هذه الصفحة صورة كرمـان .

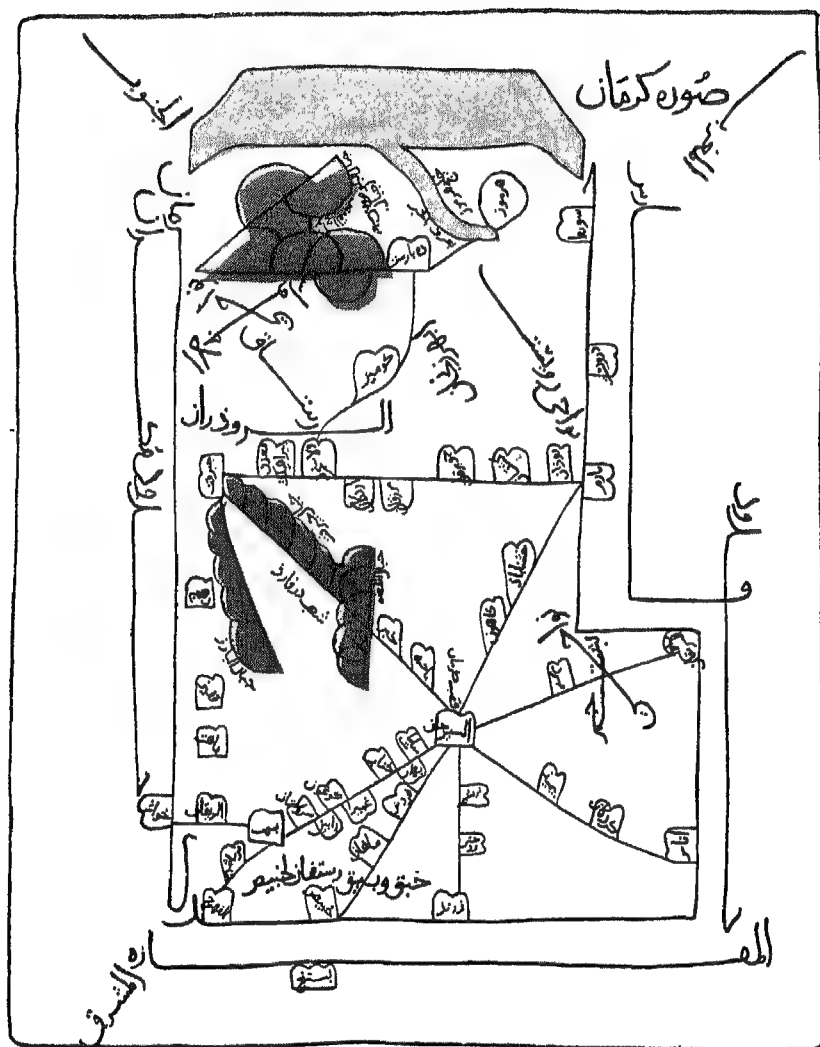
إيضاح ما يوجد في صورة كرمـان من الاسماء والنصوص :

قد رُسم في اعلى الصورة البحر وكتب عن يمينه صورة كرمـان ، وعن يمين ذلك في الزاوية المغرب وفي الزاوية اليسرى الجنوب .

وتبتدئ من عند الطرف الايمن من البحر الى الاسفل كتابة مستطيلة الخط تحيط بالثلاثة الاطراف من الصورة وهي حد كرمـان ، وكتب موازيّاً لطرفها الايمن كتابة حدود فارس ثم موازيّاً للطرف الاسفل المفازة ثم موازيّاً للطرف الايسر حدود مُكرـان . ويقرأ في الزاوية اليمنى في اسفل الصورة المشرق ، وتتصل بأسفل خط كتابة المفازة مدينة سبيج .

ويتصل بالقسم الاول من خط الحد من المدين : سوروا ، رويست ، تارم ، ويأخذ من تارم طريق الى اليسار ينتهي الى جبرفت في اوسط الطرف الايسر وعليه من المدين : روين ، كشستان ، خيروقان ، مرزقان ، اردكان ، ولاشجرد ، مغون براهيمكث . ويأخذ من ولاشجرد طريق الى ناحية البحر عليه كوميـز ثم ده بارست ، ومن هنا الى اليمين الى هرموز وينتهي الى هرموز خليج من البحر كتب عنده خليج هرموز يعرف بالخير ، وتقع عن يسار ده بارست كتلة جبال كتب عندها جبال البلّوص ، وهي سبعة اجيال وعن يسار ذلك بين جبلين نواحي القفص . وكتب في الساحة تحت الجبال على شكل صليبي نواحي الاخواش ومن اسفل ذلك رستاق الروذبار ، وفي الساحة عن يمين كوميـز اهر زنجان وعن يمين ذلك نواحي رويست .

وتقع في مركز النصف الاسفل من الصورة مدينة السيرجان كتب عندها قصبة كرمـان . ويأخذ



من السيرجان طريق الى جيرفت عليه باخته وخبر ، ثم يبلغ هذا الطريق جبال الفضة ثم جبال جيرفت . ويأخذ من جيرفت الى الاسفل سلسلة جبلية اخرى وهي جبال البارز وكتب بين السلسلتين شعب در فارد ، وعن يسار جبال البارز بينها والحد مدينة دهج ومن اسفل ذلك من المدن : ققيز ، باهت ، الريقان . وعن يسار الريقان متصلا بالجانب المقابل من الحد نحو اش . وعلى الطريق من السيرجان الى الفهرج في الزاوية اليسرى من اسفل الحد من المدين : شامات ، بهار ، خناب ، غيبرا ، كوگون ، راين ، سزوستان ، بم ، نرماشير . وتقع عن يمين الفهرج على الحد خبيص ويأخذ اليها طريق من السيرجان عليه فردين وماهان ، وعلى الطريق من السيرجان الى زرنند في اوسط الحد الاسفل من المدين بردشير وجنرود ، وكتب في الساحة فوق خبيص خبق وبيق رستاقان نخبيص ، ثم يأخذ طريق من السيرجان الى اناس على اسفل الحد الايمن وعليه يميند وكردكان ، ويأخذ طريق آخر من السيرجان الى رباط السرمقان الواقع على عطف الحد الايمن ، وبينها مبرد . وكتب في الساحة بين الموضع ورباط السرمقان على شكل صليبي نواحي بشت خم ، ويقع على الطريق من السيرجان الى تازم كاهون وخشناباد .

٣ - كرماني ناحية لها جروم وصرود ، وصرودها تقصر عن صرود فارس في البرد وليس في جرومها شيء من الصرود ، وربما عرض في صرودها بعض جروم . والذي يرتفع فيها من المدين المشهورة فالسيرجان وهي قصبة كرماني وجيرفت وبم وهرموز ، وهذه اعلام مدينها وكبارها مشهورة معروفة وفي اضعافها دونها . وفيما بين فارس وبين جيرفت مدينة روين ، وبعضهم يزعم انها ليست من كرماني والبعض يقول هي من كرماني ومدينة كشمستان وخبروقان ومرزقان والسورقان وولاشكرد ومغون بيراكنك . وما يلي جيرفت الى السيرجان باخته وخبر ، وما بين السيرجان وبم الشامات رستاق يُعرف بقوهستان السيرجان وبهار وخناب وغيبرا وكوگون وراين وسروستان ودارجين . وفيما بين جيرفت وبم مدينة هرمز الملك وتُعرف في وقتنا هذا بقرية الجوز ، وما بين السيرجان وفارس كردكان ونيمند ، وبين السيرجان وفارس بمجدود دارابجرد خشناباد وكاهون ، ومن السيرجان الى ما يلي المفازة بردشير وجنرود وزرنند وفردين وماهان وخبيص ، وبين ماهان وخبيص رستاقان عظيمان نخبيص يُعرفان بخبق وبيق ، وما يلي المفازة بناحية بم نرماشير والفهرج وسبيج إلا ان سبيج بأوسط المفازة منقطعة عن حدود كرماني وان كانت

مضمومة اليها ، فقد صورتها كأنها في صورة مفازة فارس لأنها اليها أقرب وكذلك الاخواس ليست من كرمان على ان منهم من يزعم ان الاخواس من عمل سجستان وقد صورتها على آخر حد كرمان ، وحوالي جبل البارز الريقان ومدينة دهج وقفيز وحومة قوهستان أبي غانم ، وما يلي هرموز وجيوت مدينة كوميز واهرزنجان والمنوجان ، وأما سورا فعلى البحر ليس بها منبر وهي عظيمة وهذا المشهور من حالها . [والذي فيها من المدن المشهورة في عصرنا هذا بردشير وهي مدينة صغيرة كثيرة التجارة آهلة بالناس ، وقد عمر حولها أكثر منها أضعافاً مضاعفة ، وبها دار الملك ومقر السلطان والديوان وجميع المساكين] ،

٤ - ومن مشاهير جبالها المنيرة جبال القفص وجبال البارز وجبال معدن الفضة ، وليس ببلاد كرمان نهر عظيم ولا بحيرة إلا ما لها من بحر فارس وخليجه الذي يخرق منه الى هُرموز يُسمى الخُبر ، فتدخل فيه السفن من البحر وهو مالح الماء كما البحر ، وبين أضعاف مدن كرمان مفاز وبراري كثيرة وليس اتصال عمارتها كاتصال عمارة فارس ، وجبال القفص فهي جبال جنوبيها البحر وشماليتها حدود جيوت والروذبار وقوهستان أبي غانم ، وشرقيها الاخواس ومفازة بين القفص ومكران وغربيها البلوص وحدود نواحي المنوجان ونواحي هرموز ، ويقال أنها سبعة أجيال ولكل جيل رئيس منهم ، وهم صنف من الأكراد وحي من أحيائهم ويكونون على ما قاله اهل نواحيهم نحو عشرة الف رجل مستظهِرين بمتعين ، وكان للسلطان عليهم جارية يستكشفهم بها وهم مع ذلك يقطعون الطريق ويُخيفون السبيل في عامة كرمان والى مفازة سجستان وحدود فارس ، فاستأصل الملك شأفتهم وكسر شوكتهم وجاس ديارهم وأخرب نواحيهم وشتتهم ثم ألجأهم الى خدمته وفرقتهم في أكناف نواحيه ومملكته ، وهم رجالة لا دواب لهم والغالب على خلقهم النعافة والسمة وقام الخلق ، ويزعمون انهم من العرب وكانوا في دعوة اهل المغرب في جملة جزيرة خراسان ، وتذكر طائفة تظاً أخبارهم ان ببلادهم أموالاً بجموعة ودخائر نفيسة ويقولون أنها مدخرة لامام الزمان وصاحبه ، والبلوص طائفة في سفح جبل القفص ولم يخف القفص أحداً إلا من البلوص ، وهم أصحاب

تَعَمَّ وبيوت شعري كالبادية وهم قوم ذوو سلامة لا يتأذى بهم احد ولا يعترضون لأبناء السبيل إلا بخير وبهم بلغ الملك ما أحبه من القفص . وجبال البارز جبال حصينة خصبة فيها أشجار وهي ناحية يقع فيها الثلوج وبلد من الصرود منيعة ، وأهلها ذوو سلامة لا يرون أذية احد ولم يزل أهلها على المجوسية أيام بني أمية كلها لا يُقدَرُ عليهم ، وكانوا أشد من القفص شدةً واكثر ضرراً وبليّة فلما ولي بنو العباس أسلموا ، وكانوا مع ذلك في منعة الى ايام السجزيّة فأخذ يعقوب وعمرو أبناء الليث رؤسائهم وملوكهم وأخلوا تلك الجبال من عتاتهم . وجبالهم أخصب من جبال ظهر القفص وبها معادن حديد ، وفي جبال المعدن جبال فيها فضة تمتد من جيرفت على شعب يُعرف بدرفارد الى جبل الفضة مسيرة مرحلتين ، ودرفارد هذا شعب خصب عامر بالبساتين والقرى تزيده جدًا .

٥ - وجروم كرمان اكثر من صرودها ولعل صرودها نحو ربعها ، وهي بما يلي السيرجان وحواليها الى جهة فارس والمفاضة وما يلي بم . والجروم فيها من حدّ هرموز الى حدّ مُكران وحد فارس وحدّ السيرجان ، فيقع في اضعافها هرموز والمنوجات وجيرفت وجبال القفص وده بارست ورويست وما في اضعاف ذلك من المدن والرساتيق . وكذلك بم وما في اضعافها الى المفاضة وحدّ مُكران والى خبيص . والغالب على أهل كرمان نخافة الجسم والسمة لغلبة الحر . وليس بعد جيرفت وبم بما يلي المشرق شيء من الصرود ، وبما يلي المغرب من جيرفت صرود يقع فيها الثلج وما بين جبال الفضة الى درفارد الى ان تشرف على جيرفت ، وكذلك في وجه جبل البارز . وبقرب جيرفت موضع يُعرف بالميزان وعامة فواكه جيرفت والخطب والثلوج تحمل اليها من الميزان ودرفارد . ويجيرفت نهر يُعرف بهري ووذ شديد الجري ، له وجبة وجري سريع يجري على الصخور لا يستطيع احد ان ينزله إلا متوقفاً على رجله من تلك الحجارة ، وفيه ماء بالتقدير يدير خمسين رحى ،

٦ - وهرموز مجمع تجارة كرمان وهي فرضة البحر وموضع السوق ، بها مسجد جامع ورباط وليس بها كثير مساكن ، وإنما مساكن التجار في

ورساتيقها متفرقتين في القرى، وبلدهم كثير النخيل والغالب على زروعهم الذرة . وجيرفت مدينة طولها نحو ميلين وهي مُتَجَر خراسان وسجستان . ويجتمع فيها ما يكون في الصرود والجروم من الثلج والرطب والجوز والأترج ، وماؤهم من نهر هري رود، وهي مدينة وناحية خصبة وزروعهم سقي . ومدينة بم بها نخيل ولها قرى كثيرة وهي أصح هواء من جيرفت ولها قلعة منيعة مشهورة ، وهي في المدينة . وبمدينة بم ثلاثة مساجد يجتمعون فيها الجمعات فمنها مسجد للخوارج في السوق عند دار منصور بن خردن أمير كانت لكرمان ، ومسجد جامع في البزازين لاهل الجماعة ، ومسجد جامع في القلعة . وفي مسجد الجامع للخوارج بيت فاهم للصدقات وشرائعهم قليلون إلا أن لهم يساراً ، وبم اكبر من جيرفت ويعمل بم ثياب من قطنهم فاخرة حسنة رفيعة باقية، وتُحْمَل الى اباعد الديار ونأي البلدان فتُستَحْسَن . ومن طريف ما يُعْمَل من ثيابهم الطيالة المقورة في المناسج تُنسج برفارف . والثياب الرفيعة بما يبلغ الثوب ثلاثين ديناراً وأكثر وأقل فتباع بخراسان والعراق ومصر . ولهم عمائم معروفة ايضاً مرتفعة يرغب فيها اهل العراق ومصر وخراسان ، وثيابهم بقاة مستفاض كبقاء العدني والصنعاني من خمس سنين اقلته الى عشر سنين مع الكد ، وثيابهم مما يدخرها الملوك ويقتنونها ، وكان عندهم قديماً طراز للسلطان فهلك بهلاكه .

٧ - ومياه السيرجان من القني في المدينة كقني نيسابور ورساتيقها يشربون من الآبار . [وكانت قصبة كرمان وأجلها وأعرها فخرت] وهي اكبر مدينة بكرمان وأبنيتها آراج لقلعة الحشَب بها ، والغالب على مذاهب أهل السيرجان الحديث وعلى أهل جيرفت الرأي وكذلك على أهل الروذبار وقوهستان أبي غانم واهل القفص والمنوجان يتشيعون ، ومن حد مغون وولاشجورد الى ناحية هرموز يزرع النيل والكمثون ويحملان الى الآفاق ، ويُتخذ بها الفانيد ، وقصب السكر عندهم غزير والغالب على طعامهم الذرة ، وبها نخيل كثيرة حتى ربما بلغ بها وبساتير جروم جيرفت التمر مائة منا بدرهم ، ولهم سنة حسنة لا يرفعون من ثمرهم ما أسقطته الريح ،

ويأخذ الضعفاء والمساكين بغير كره من أربابها ، وربما كثرت الرياح فيصير الى الضعفاء والمساكين من التمور في التقاطهم أكثر مما يحصل لأربابها ، وعليهم فيها العشور للسلطان كحال أهل البصرة . وأما ناحية ده بارست فإنه بلد قشيف والغالب على أهله اللصوصية . وسوروا قرية على البحر بها صيادون ، وهي منزل لمن أراد ان يأخذ من فارس الى هُرموز وليس بها منبر . ولسان أهل كرمان الفارسية إلا القفص فلهم مع لسان الفارسية لسان آخر ، [وقد ذكرت ما يرتفع من ثيابهم] وبزرند البطائن المعروفة بالزرنديّة وتحمل حتى تصل الى مصر وأقاصي المغرب ، والخواش نواح تعرف بالاخواش ، وهم بوادٍ اصحاب إبل ولهم اخصاص ينزلون فيها وينتجعون المراعي ، ويرتفع من الاخواش ونواحيها الفانيذ الذي يحمل الى سجستان وخراسان لكثرة زارعهم لقصب السُكّر ولهم نخيل كثيرة ، ونقودهم فالغالب عليها الدراهم والدنانير فيما بينهم كالعرض لا يتبايعون بها من حد فارس اليهم ،

٨ — فأما المسافات بين مدن كرمان فإن من السيوجان الى رستاق الرستاق من حد فارس فنحو أربع مراحل ، وذلك ان من السيوجان الى كاهون مرحلتين ومن كاهون الى خشناباذ نحو فرسخين ، ومن خشناباذ الى رستاق الرستاق مرحلة ، ومن السيوجان الى الروذان مما يلي فارس منها الى بينند أربعة فراسخ ، ومن بينند الى كردكان فرسخين ، ومن كردكان الى آناس مرحلة كبيرة ، ومن آناس الى الروذان من حد فارس مرحلة خفيفة ومن السيوجان الى رباط السرمقان من حد فارس مرحلتان كـيـرتان ، وليس فيما بينهما منبر . وبشت خم فيما بين السيوجان وبين رباط السرمقان منزل . ومن السيوجان الى بهم أول مرحلة منها الى الشامات وتعرف بـكوهستان ، ومن الشامات الى بهار مرحلة خفيفة ومن بهار الى خناب مدينة مرحلة خفيفة ، ومن خناب الى غبورا مرحلة خفيفة ومنها الى كوگون فرسخ ، ومن كوگون الى راين مرحلة ومنها الى سروستان مرحلة ، ومن سروستان الى دارجين مرحلة [خفيفة] ومن دارجين الى بهم مرحلة . ومن السيوجان الى جيرفت لمن أراد طريق بهم فالى سـروستان ثم يعطف الطريق

ميناً الى هرمز قرية الجوز مرحلة، ومنها الى جيرفت مرحلة ومن شاء من السيرجان الى باخته مرحلتان، ومن باخته الى خبر مرحلة ومنها الى جبل الفضّة مرحلة ومنها الى درفارد مرحلة، ومن درفارد الى جيرفت مرحلة. ومن السيرجان الى خبيص ست مراحل فتوحد من السيرجان الى فردين مرحلتين، ومن فردين الى ماهان مرحلة ومن ماهان الى خبيص ثلاث مراحل. والطريق من السيرجان الى زرنند اربع مراحل وذلك ان من السيرجان الى بردشير مرحلتين، ومن بردشير الى جنزروذ مرحلة كبيرة ومن جنزروذ الى زرنند مرحلة ومن زرنند الى حد المفازة مرحلة كبيرة. ومن بم الى المفازة طريق وهو من بم الى نرماشير مرحلة، ومن نرماشير الى الفهرج على طريق المفازة مرحلة، ومن بم الى جيرفت منها الى دارجين مرحلة، ومن دارجين الى هرمز مرحلة، ومن هرمز الى جيرفت مرحلة. ومن جيرفت الى قناة الشاه مرحلة، ومنها الى مغون مرحلة ومن مغون الى ولاشكرد مرحلة، ومن ولاشكرد الى اردكان مرحلة، ومنها الى مرزقان مرحلة ومنها الى خبووقان فرسخ، ومنها الى كشتان مرحلة خفيفة، ومنها الى روثين مرحلة خفيفة ومن روثين الى فارس مرحلة خفيفة، ومن جيرفت الى هرموز الطريق الى ولاشكرد ثم تعدل على اليسار الى كوميز مرحلة، ومن كوميز الى اهرزنكان مرحلة ومنه الى المنوجان مرحلة، ومن المنوجان الى هرموز مرحلتان. والطريق من هرموز الى فارس فمنها الى سوروا مرحلة ومن سوروا الى رويست ثلاث مراحل، ومن رويست الى تارم ثلاث مراحل فهذه جوامع المسافات بها.

٩ - فأما ارتفاعها في وقتنا هذا فتشتت بما حدث على محمد بن الياس من ولده وحدث بولده بعده وانتقالها من يد الى يد حالت وتغيّرت. وأخبرني غير بندار بمن وليها انه جبا بها لنصر خمس مائة الف دينار في غير سنة.

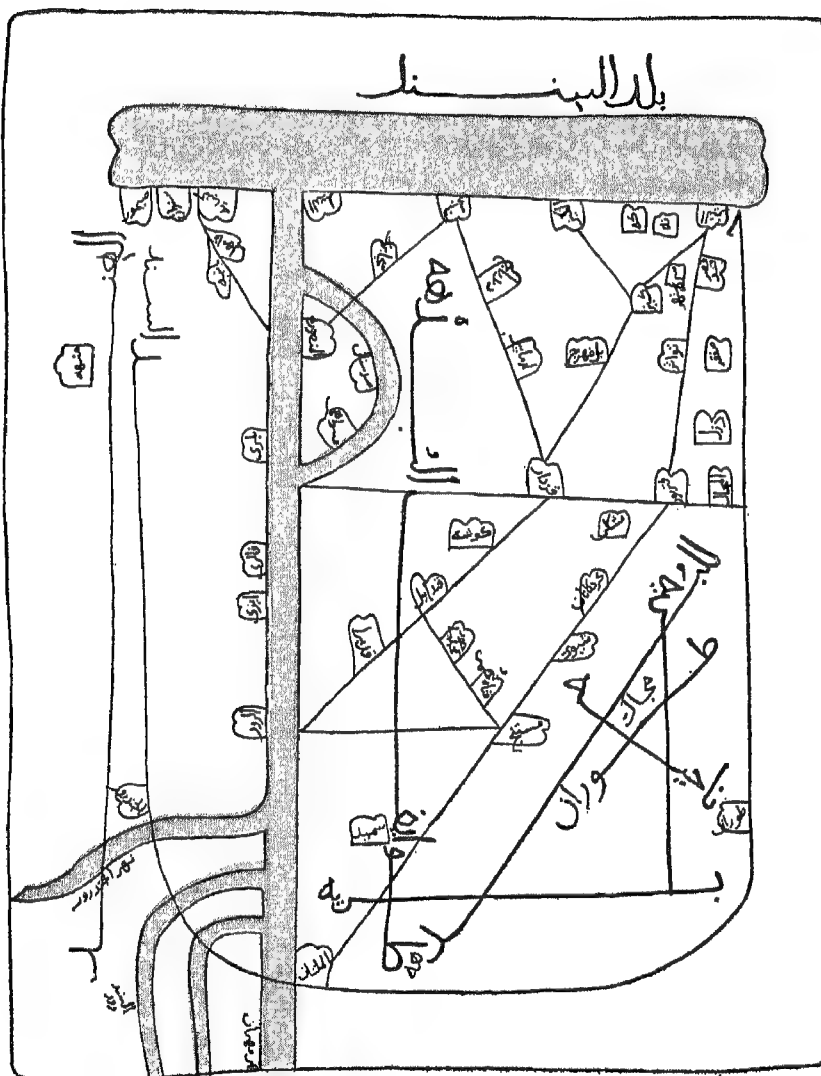
السند

١ - وأما بلاد السند وما يصاحبها للإسلام مما جمعه في صورة واحدة فهي بلاد السند وشيء من بلاد الهند ومُكران وطوران والبدهه . وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربيها كرمان ومفازة سجستان وأعمالها ، وشماليتها بلاد الهند وجنوبيها مفازة ما بين مُكران والقفص ومن ورائها بحر فارس . وإنما صار بحر فارس يحيط بشرقي هذه البلاد والجنوبي من وراء هذه المفازة من أجل أن البحر يمتد من صيمور على الشرقي الى تيز مُكران ، ثم ينعطف على هذه المفازة الى أن يتقوس على بلاد كرمان وفارس .

٢ - وهذه صورة بلاد السند :

لإيضاح ما يوجد في صورة السند من الأسماء والنصوص :
قد مُرسم البحر موازياً للطرف الأعلى وكتب فوقه بلد السند ، وينصب في البحر نهر يأتي من الأسفل وكتب عند نهايته السفلى نهر مهران .

ويقع عن يمين مصب نهر مهران على ساحل البحر من المدن : الديبل ، قنبلي ، النكيز ، التيز . وبين التيز والنكيز في قرب الساحل به وكه ، وتبتدىء عن يمين التيز كتابة مستطيلة الخط تحيط بثلاثة اطراف الصورة منتهية الى طرف البحر الايسر وهي حد السند . ويبتدىء من منتصف الطرف الايمن من الحد طريق الى اليسار ينتهي الى النهر وعليه من المدن : الحباك ، فزبور ، قزدار . ويأخذ من التيز طريق الى فزبور عليه قصرقند وخواش ، ويقع بين هذا الطريق وخط الحد من المدن اصفقه ودرك ، ثم يأخذ طريق آخر من التيز الى قزدار عليه كيز وبل فهرج ، وبين كيز وقصرقند سري شهر . ثم يأخذ طريق من قزدار الى قنبلي على البحر وعليه ارما بيل ودندراج . ويأخذ من قنبلي طريق آخر الى اليسار عليه منجابرى ثم المنصورة على نهر مهران .



ويأخذ من هذا النهر خليج بين الدبيل والمنصورة يرجع الى النهر من تحت المنصورة ، وعلى هذا الخليج من جانبه الأيسر سدوستان ومسواهي .

ويوازي نهر مهران عن يمينه من الأسفل الى الأعلى كتابة طوائف البدهه . وتقع مدينة الملتان في جانب النهر الأيمن متصلة بخط الحد في أسفل الصورة ، ويأخذ اليها طريق من قنزبور عليه : كيزكانان ، سيوى ، مستنج . وتقع من فوق كيزكانان مشكى ، ويوازي هذا الطريق طريق آخر يأخذ من قزدار الى شاطئ مهران عليه : كوشه ، قندابيل ، قديرا . وعلى الطريق من قندابيل الى مستنج خور كجليا وقناة . أخر . ومن أعلى الملتان عن يمين النهر مدينة بسمد ، وتقع على خط الحد في أسفل طرفه الأيمن مدينة طوران ، وكتب في الساحة عن يمين الطريق من قنزبور الى الملتان في شكل مثلث برية للبدده ، ويكون ضلعان من أضلاع المثلث خطى كلمة برية . وتقطع أعلى المثلث كتابة ناحية طوران على شكل صليبي وكتب فوق هذه الكتابة بينها وبين ضلعي المثلث مجاك .

وعن يسار مصب نهر مهران على ساحل البحر : كنبايه ، سندان ، صيمور . وعلى الطريق من كنبايه الى جانب النهر المقابل للمنصورة قامهل وبانيه ، ثم يقع على شاطئ النهر الأيسر : بلرى ، قالرى ، انزى ، الرور . وينصب في نهر مهران نهر يأتي من اليسار كتب عنده نهر الجندورور وعليه مدينة الجندورور ، ويليه نهر آخر يقرأ عنده السندروذ ، ويوازي طرف الصورة الأيسر كتابة مستطيلة نصها الهند ، وتقع عن يسار هذه الكتابة مدينة منه .

٣ - والذي يقع من المدن في هذه البلاد فبناحية مكران التيز وكينز وقنزبور ودزك ورأسك ، وهي مدينة الخروج وبه وبند وقصر قند واصفقه وفهلفهره ومشكى وقنبلى وارمايل . وبنواحي طوران من المدن مجاك وكيزكانان وسيوى وقصدار . وبنواحي البدهه من المدن قندابيل وهي امّ الناحية . وأما نواحي السند وما يقع بها من المدن فالمنصورة اسمها ياميرامان بالسندية ، والدبيل والنيرون وقالرى وانزى وبلرى ومسواهي والفهرج وبانيه ومنجايرى وسدوستان والرور والجندورور . وأما مدن الهند فهي : قامهل وكنبايه وسوباره ، ولها نواح جليظة واساول وجناول وسندان وصيمور وبني بتن الى الجندورور والسندروذ ، وهذه مدن الهند التي يملكها الاسلاميون . ولبلد الهند مواطن وأماكن وفجاج وأعماق كفرزان وقیوج في المفاوز ، وأقطارها نائية وبراريها فسيحة لا يصل اليها تاجر إلا من اهلها ، ولا يمكن سافرة غيرها ان تردها لانقطاعها ونأيا وكثرة الآفات المعترضة على الطارئين اليها .

٤ - ومن كُنْبايه الى صِيمور هو بلد بلهرا صاحب كتاب الأمثال ، ويُدعى ملكهم باسم ناحيته كما قالوا غانه وهو اسم الناحية ويتسمى الملك بها ، وكذلك كُوْغِه اسم المملكة واسم من يملكها والغالب على هذه الناحية الكُفْر ، وفيها مسلمون ولا يلي عليهم من قبل بلهرا الذي في زماننا هذا إلا مسلم يستخلفه عليهم ، وكذلك العادة وجدُّها في كثير من بلدان الاطراف التي يغلب عليها املاك الكُفْر كالخُزْر والسرير واللان وغانه وكُوْغِه . والمسلمون لا يقبلون ان يحكم عليهم إلا مسلم منهم ولا يتولّى حدودهم ولا يقيم عليهم شهادة إلا من في دعوتهم ، وإن قلَّ عددهم في بعض الممالك قبلوا من اهل الممالك المشار اليه في العقّة ، فإن جرحه الخصم وزكّاه المسلمون أمضيت شهادته وأخذ الحق بقوله من المسلمين . وببلاد بلهرا المساجد تجتمع فيها الجمعات ويقام بساثرها الصلوات بالأذان في المنار والإعلان بالتكبير والتهلّيل ، وهي مملكة عريضة .

٥ - والمنصورة مدينة مقدارها في الطول والعرض نحو ميل في مثله ، ويحيط بها خليج من نهر مهران وهي في شبه الجزيرة ، وأهلها مسلمون ملكها من قُرَيْش من ولد هُبَّار بن الأسود وقد تغلب عليها أجداده ، وساسوهم سياسةً اوجبت رغبة الرعيّة فيهم وإيثارهم على من سواهم غير أن الحُطْبَة لبني العبّاس . وهي مدينة جروميّة حارّة بها نخيل وليس بها عنب ولا تَفّاح ولا جوز ولا كمثوي ، ولهم قصب سكر يُعقد منه القند الغزير الكثير ، وبأرضهم ثمرة على قدر التفاح تسمى الليمونة حامضة شديدة الحموضة ، ولهم فاكهة تشبه الخوخ يسمونها الانبج تقارب طعم الخوخ ، وأسعارهم رخيصة وبها خصب ، ونقودهم القندهاريات كل درهم منها خمسة دراهم ، ولهم درهم يقال له الطاطري في الدرهم درهم وثمان ، ويتعاملون بالدنانير أيضاً وزبّهم كزي اهل العراق غير ان زي ملوكهم يقارب زي ملوك الهند في الشعور والقراطق .

٦ - والمثلثان مدينة نحو المنصورة في الكُبر وتسمى فرج بيت الذهب ، وبها الصنم الأعظم للهند الذي تحج اليه من أقاصي بلدانها وسائر أصقاعها وتعظّمه ، ويُتقرّب الى هذا الصنم في كل سنة بمالٍ عظيم فينفق

على بيت الصنم وعلى سدّته والمعتكفين عليه منهم ، وسمّيت المثلثات باسم الصنم والصنم اسمه المثلثان ، ومكان هذا الصنم في قصر مبني في أعمر موضعٍ بسوق المثلثان بين سوق العاجيين وصف الصقارين ، وفي وسط هذا القصر قبة والصنم فيها ومن حوالي القبة بيوت يسكنها خدم هذا الصنم ومن اعتكف عليه ، وليس بالمثلثان من الهند والسند الذين يعبدون الأوثان غير هؤلاء السدنة الذين يحوزهم هذا القصر مع هذا الصنم ، وهذا الصنم صورة على خلفة الانسان مربّع على كرسي من جص وآجر ، وقد ألبس الصنم جلداً يشبه السختيان أحمر فلا يتبين من جسده شيء الا عيناه ، فمنهم من يزعم ان بدنه خشب ومنهم من يدفع ذلك ، غير انه لا يترك بدنه ينكشف وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه إكليل من ذهب مرتفع على ذلك الكرسي وقد مد ذراعيه على ركبتيه ، وقد فرق أصابع يديه كمن يحسب أربعة ، وعامة ما يُحمل الى هذا الصنم من المال يأخذه القرشي الهباري امير المثلثان ، وينفق على السدنة منه كفافهم ، وقد قصدهم الهند غير وقت للتغلب على المثلثان في انتزاع الصنم منهم ، فيظاهرون المتغلبين عليهم القاصدين لهم بكسره وإحراقه فيرجعون عنهم ولولا ذلك لحربوا المثلثان . على المثلثان حصن وبها منعة وهي خصبة رخيصة الأسعار ، غير ان المنصورة أخصب وأعمر منها وسمّيت المثلثات بفرج بيت الذهب ، لأنها فتحت في اول الاسلام وكان بالمسلمين إضافة وقحط ، فوجدوا فيها ذهباً كثيراً فاتسّعوا فيها بما وجدوه ، وأهلها غلبة في القرآن وعلمه والأخذ بالمقاريء السبعة والفقه وطلبة الأدب والعلم ، وفيهم جساء وزعارة أخلاق وبخارج المثلثان على نصف فرسخ منها أبنية كثيرة تُعرف بالجندور ، وهي معسكر الأمير ولا يدخل الأمير منها الى المثلثان إلا في يوم الجمعة عند ركوبه الفيل ، ويدخل فيصلي الجمعة بأهلها ويعود على الفيل الى دار إمارته وهو من ولد سامّة بن لؤي بن غالب وليس هو في طاعة أحدٍ وخطبته لبني العباس ، [قال كاتب هذه الأحرف : أظن ان الهنود افتتحوها بعد هذا لأني وجدت في الكتاب الذي ألفه العثماني الكاتب في مناقب السلطان محمود بن سبكتكين وفتوحه ، أنه استفتح المثلثان في سنة أربع مائة بعد واقعة عظيمة جرت له مع ملكها وحروب جمّة قد بالغ في وصفها العثماني .]

٧ - وأما بسمد فمدينة صغيرة وهي الملتان دون الجندور عن شرقي نهر الملتان ، وهو نهر مهران وبين كل واحدةٍ منهما وبين النهر نحو نصف فرسخ ، وشربهم من الأبشار وبسمد هذه خصبة وتكتب بالباء والفاء . ومدينة الرور تقارب الملتان في الكبر وعليها سوران ، وهي على شط نهر مهران ايضاً وهي من حد المنصورة خصبة رَفِيْهَةٌ كثيرة التجارة . والديبل من شرقي نهر مهران على البحر ، وهي متجر عظيم وتجارها من وجوه كثيرة وهي فرضة هذه البلاد وغيرها وزروعهم مباحس ، وليس لهم كثير شجر ولا نخيل وهو بلد قشف وإنما مقامهم للتجارة . والنيرون مدينة بين الديبل والمنصورة على نحو نصف الطريق وهي الى المنصورة اقرب . وهي مقاربة في الحال لمنجابرى على غربي مهران ، وبها يعبر من جاء من الديبل الى المنصورة وهي تجاها . ومدينة مسواهي والفهرج وسدوستان كلها غربي مهران وهي متقاربة في احوالها ، وانرى وقالري فمن شرقي مهران ايضاً على طريق المنصورة الى الملتان وهما بالبعد من شط مهران لهما عمل صالح ، وهما متقاربتان في الحال والصلاح . فأما بلرى فعلى شط نهر مهران ايضاً في غربيّه وبقرب الخليج الذي يفتح من مهران على ظهر المنصورة ، وهي ناحية ومدينة مقتصدة صالحة الحال . وبانيه مدينة صغيرة ومنها عمر بن عبدالعزيز الهباري القرشي الجواد الكريم المشهور حاله بالعراق في النبل والفضل ، وهو جد المتغلبين على المنصورة ونواحيها . وقامهل مدينة من اول حد الهند الى صيمور ، ومن صيمور الى قامهل فمن بلد الهند ومن قامهل الى مكران فلبدهه ، وما وراء ذلك الى حد الملتان فجميعه من بلد السند .

٨ - والكفار في بلد السند هم البدهه وقوم يُعرفون بالميد ، وهم قبائل مفترشة ما بين حدود طوران ومكران والملتان ومدن المنصورة ، وهي في غربي مهران وهم أهل ابل والجل الفالح الذي يرغب فيه أهل خراسان وغيرهم من فارس وأشباها لنتاج البخاري البلخيّة والنوق السمرقندية . ومدينة البدهه التي يتجرون اليها ويقصدونها بجوانجهم قنابيل والبدهه كالبادية من البوبر ، لهم أخصاص وآجام يأرون اليها وبطائح مياه يعيشون

بينها . والميد قوم على شطوط مهران من حدّ الملتان الى البحر ، ولهم في البرية بين مهران وقامهل مراعي ومواطن ينتجعونها لمصيفهم ومشايتهم وهم عدد كثير . وبقامهل وسندان وصيمور وكنبايه مساجد جوامع وفيها أحكام المسلمين ظاهرة ، وهي مدن خصبة واسعة وبها التارجيل ويستعملون منه الشراب فيسكرهم [وهو كالماء واللبن صفاء وبياضاً ورقّةً] يسمّى الأطواق والحلّ فيكون في غاية الجموضة ويستعملون المزرّ نبيذاً اهل مصر ، ولا والله ما أعرفه ولا ادري ما هو ، إلا أنّي أحسبه يجري مجرى العصيدة الرقيقة . والغالب على زروعهم الأذفّ ولهم العسل الكثير ولا نخيل لهم . والزاهوق وكلوان رستاقان متجاوران بين كيز وارمايل . فأما كلوان ونواحيه فمن مكران ، وأما الزاهوق فمن حد المنصورة ولها مباحس كثيرة وزروع واسعة وقرى غزيرة قليلة الثمر كثيرة المواشي والسائمة من كل نوع وجنس .

٩ - ولطوران وادٍ وقصبة تُدعى طوران ؛ وهو حصن في وسط الوادي وكان يلي عمله رجل من اخواننا يُعرف بأبي القاسم البصري قضاء وإمارةً وبندرةً ، وكان لا يعرف ثلاثةً في عشرةٍ بل كان رجلاً من اهل القرآن . وقزدار مدينة لها رستاق ومدن والغالب عليها رجل يُعرف بمُعترّ بن احمد ، يخطب لبني العباس ومُقامه بمدينة كيزكانان وهي ناحية خصبة الاسعار ، وبها أعناب وفواكه الصرود ورُمان حسن وليس بها نخيل .

١٠ - وبين بانيه وقامهل مفاوز ، ومن قامهل الى كنبايه أيضاً مفازة ثم يكون حينئذٍ من كنبايه الى صيمور قرى متصلة وعمارة للهند كثيرة واسعة .

١١ - وزى المسلمين والكفار بها واحد في اللباس وإرسال الشعّر ، ولباسهم الأزرق والميازر لشدة الحر يلبداهم ، وكذلك زي أهل الملتان لباسهم الأزرق والميازر ، ولسان اهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية ، ولسان أهل مكران الفارسية والمكرية ، ولباس القراطق فيهم ظاهر إلا التجار فإن لباسهم القمص والأردية كسائر أهل العراق وفارس .

١٢ - ومكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والقحط والضيق ، والمتغلب عليها رجل يُعرف بعيسى بن معدان سَهْمياً ومُقامه بمدينة كيز ، وهي مدينة نحو نصف الملتان وبها نخيل كثيرة وهي فرضة مكران ، وتلك النواحي التي يعرف بتيز مكران ، وأكبر مدينة بمكران الفنجبور وبه وبند وقصرقند ودرك وفهلقره وكلها مدن متقاربة في الاقتصاد وجميعها جروم ، ولهم رستاق يُدعى الخروج ومدينته راسك ، ورستاق يدعى خردان وبه فانيد كثير وقصب سُكَّر ونخيل ، وعامة الفانيد الذي يُحمل الى الآفاق منها إلا شيء يُحمل من ناحية ماسكات وبقصدار أيضاً فانيد ، وسكان هذه الرساتيق الشراة وتتصل بنواحي كرمان من ناحية تسمى مشكي ، وهي مدينة قد تغلب عليها رجل يعرف بمطهر بن رجاء ويخطب لبني العباس ، ولا يذكر غيرهم ولا يطيع أحداً من الملوك الذين يصادقونه وحدود عمله نحو ثلاث مراحل ، وبها نخيل قليلة وفيها شيء من الفواكه الصرودية على أنها من الجروم . وارمايل وقنبل مدينتان كبيرتان وبينهما مقدار مرحلتين ، وبين قنبل والبحر نحو نصف فرسخ وهما بين الديبل ومكران ولهما سعة وفي أهلها يسار ومكنة . وقندابيل مدينة كبيرة وليس بها نخيل وهي في بركة مفردة بذاتها وأعمالها وهي ممتاز للبدنه . وبين كيزكانان وقندابيل رستاق يُعرف بابل ، وفيه مسلمون وكفار وثنيون من البدنه ، ولهم غلات وزروع وكروم ومواشٍ واسعة وخصب وإبل وغنم وبقر ، وأكثر زروعهم البخوس ، وإبل اسم رجل تغلب في القديم على هذه الناحية فهي تنسب اليه .

١٣ - وأما المسافات بها فمن التيز الى كيز نحو خمس مراحل ومن كيز الى فنزبور مرحلتان ، ومن أراد من فنزبور الى تيز مكران فطريقه على كيز ، ومن فنزبور الى ذلك ثلاث مراحل ، ومن ذلك الى راسك ثلاث مراحل ، ومن راسك الى بل فخره ثلاث مراحل ، ومن بل فخره الى اصفقه مرحلتان خفيفتان ، ومن اصفقه الى بند مرحلة ومن بند الى به مرحلة ومن به الى قصرقند مرحلة ، ومن كيز الى ارمايل ست مراحل ومن ارمايل الى قنبل مرحلتان ، ومن قنبل الى الديبل أربع مراحل ، ومن

المنصورة الى الديبل ست مراحل ومن المنصورة الى المثلتان اثنتا عشرة مرحلة ، ومن المنصورة الى طوران نحو خمس عشرة مرحلة ، ومن قزدار الى المثلتان عشرون مرحلة وقزدار مدينة طوران . ومن المنصورة الى أول حدّ البدهه خمس مراحل ، ومن كيز وهي مسكن عيسى بن معدان الى البدهه نحو عشر مراحل ومن البدهه الى التيز نحو خمس عشرة مرحلة . وطول عمل مكران من التيز الى قزدار نحو اثني عشرة مرحلة . ومن المثلتان الى اول حدود طوران وهو والشتان المعروف ببالش نحو عشر مراحل ، ويحتاج ان يسير على غير قصد مهران ومن اراد بلاد البدهه من المنصورة الى مدينة سدوستان على شط مهران ، ومن قندايل الى مستنج مدينة بالش اربع مراحل ، ومن قصدار الى قندايل نحو خمسة فراسخ . ومن قندايل الى المنصورة نحو ثمان مراحل . ومن قندايل الى المثلتان مفازة نحو عشر مراحل . وبين المنصورة وقاميل ثمان مراحل ومن قاميل الى كنبايه اربع مراحل ، وكنبايه على نحو فرسخ من البحر ومن كنبايه الى سوباره نحو اربع مراحل ، وسوباره من البحر على نصف فرسخ وبين سوباره وسندان نحو خمس مراحل وهي ايضاً على نصف فرسخ من البحر . وبين سندات وصيمور نحو خمس مراحل وبين صيمور وسرنديب خمس عشرة مرحلة . وبين المثلتان وبين بسمد مرحلتان ومن بسمد الى الرور ثلاث مراحل ، ومن الرور الى انري اربع مراحل ومن انري الى قالري مرحلتان ومن قالري الى المنصورة مرحلة . ومن الديبل الى فنزبور اربع عشرة مرحلة ، ومن الديبل الى منجايري مرحلتان والطريق من الديبل الى فنزبور على منجايري . ومن قالري الى بلري اربعة فراسخ . وبانيه بين المنصورة وقاميل على مرحلة من المنصورة ، وقاميل على مرحلتين من المنصورة .

١٤ - وأما أنهارهم فأعظمها نهر مهران ومخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون ، وتمدّه أنهار كثيرة وعيون غزيرة ويظهر على توافره بناحية المثلتان ، فيجري على حد بسمد ويمر بالرور ثم على المنصورة حتى يقع في البحر شرقي الديبل وهو نهر كبير عذب جداً وفيه التماسيح

كتاسيح النيل ، وهو كالنيل في الكبر وجريه كجريه بماء الامطار الصيفية ويرتفع على وجه الارض ثم ينضب فيزرع عليه حسبا يُزرع بأرض مصر . والسندروذ من الملتان على نحو ثلاثة أيام وهو نهر كبير عذب يفرغ الى مهران قبل بسند وبعد الملتان . ونهر الجندورور نهر ايضاً كبير عذب طيب وعليه مدينة الجندورور ويفرع الى مهران دون السندروذ الى نواحي المنصورة . والغالب على ارض مكران البوادي والزروع البخوس لأنها قليلة الأنهار جداً ، وفيما بين المنصورة ومكران مياه من مهران كالبطائح عليها طوائف من السند يُعرفون بالزُط ، فمن قارب منهم هذا الماء فهم بأخصاص كأخصاص البربر وطعامهم السمك ، وطير الماء في جملة ما يغتذون به ولهم سموك كبار جليلة وليس اغذيتهم من السمك كأغذية اهل الشحر من سمك الورق الذي اكبر ما يكون منه كالإصبع ودونها . ومن بعد من الزُط عن الشط في البوادي فهم كالأكراد يتغذون الألبان والاجبان وخبز الذرة .

١٥ - وقد انتهيت من حدّ المشرق الى آخر حدود الاسلام ولم أقصر إن شاء الله فيما قصدت ولا اعلمني توخيت فيه زيادة لتجمل ولا نقصاً للاحية بإزراء وتقول .

١٦ - وكان اكثر ما حداني على هذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة أني كنت في حال الحداثة شغفاً بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار ، كثير الاستعلام والاستخبار لسافرة النواحي وكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها ، وكنت اذا لقيت الرجل الذي أظنه صادقاً وإخاله بما أسأله عنه خبيراً عالماً فأجد عند إعادة الخبر الذي أعتقد فيه صدقه ، وقد حفظت نسقه وتأملت طريقه ووصفه أكثر ذلك باطلاً ، وأرى الحاكي بأكثر ما حكاها جاهلاً ثم أعاوده الخبر الذي أتمسه منه والذكر ليسمع الذي استوصفته وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد رؤية ، وأجمع بينهما وبين حكاية ثالث بالعدل والسوية فتتأفر الأقوال وتتأفر الحكايات ، وكان ذلك داعية الى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار وركوب الأخطار ومحبة تصوير المدن وكيفية مواقع الأمصار وتجاور الأقاليم

والأصقاع ، وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبه وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج 'قدامة بن جعفر واذا الكتابان الأولان قد لزماني ان أستغفر الله من حملها واستغالي بهما عن ما يلزماني من توخي العلوم النافعة والسند الواجبة ، ولقيتُ أبا إسحاق الفارسي وقد صور هذه الصورة لأرض السند فخلطها وصور فارس فجوّدتها وكنتُ قد صورت اذربيجان التي في هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها ، وأخرج التي لمصر فاسدة ولمغرب أكثرها خطأ وقال : قد نظرتُ في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللتُ فأصلحتُ منه غير شكل وعزوتُه اليه ، ثم رأيت ان أنفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره أجمعه وإيضاحه ، من غير ان ألمّ بتذكرة أبي الفرج وان كانت حقاً بأجمعها وصدفاً من سائر جهاتها ، وقد كان يجب ان أذكر منها طرفاً في هذا الكتاب لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواي ونصب فيه غيري .

١٧ - واما ارتفاعات هذه النواحي الى ملوكها والقائمين بأموورها فشيء طفيف وقدر سخيف لا يتجاوز مؤنهم ولا يزيد على لوازمهم ، ولعلّها ان تقصّر بعضهم عن نفقاته وتتخلف به عن طلباته .



ارمينية واذربيجان والران

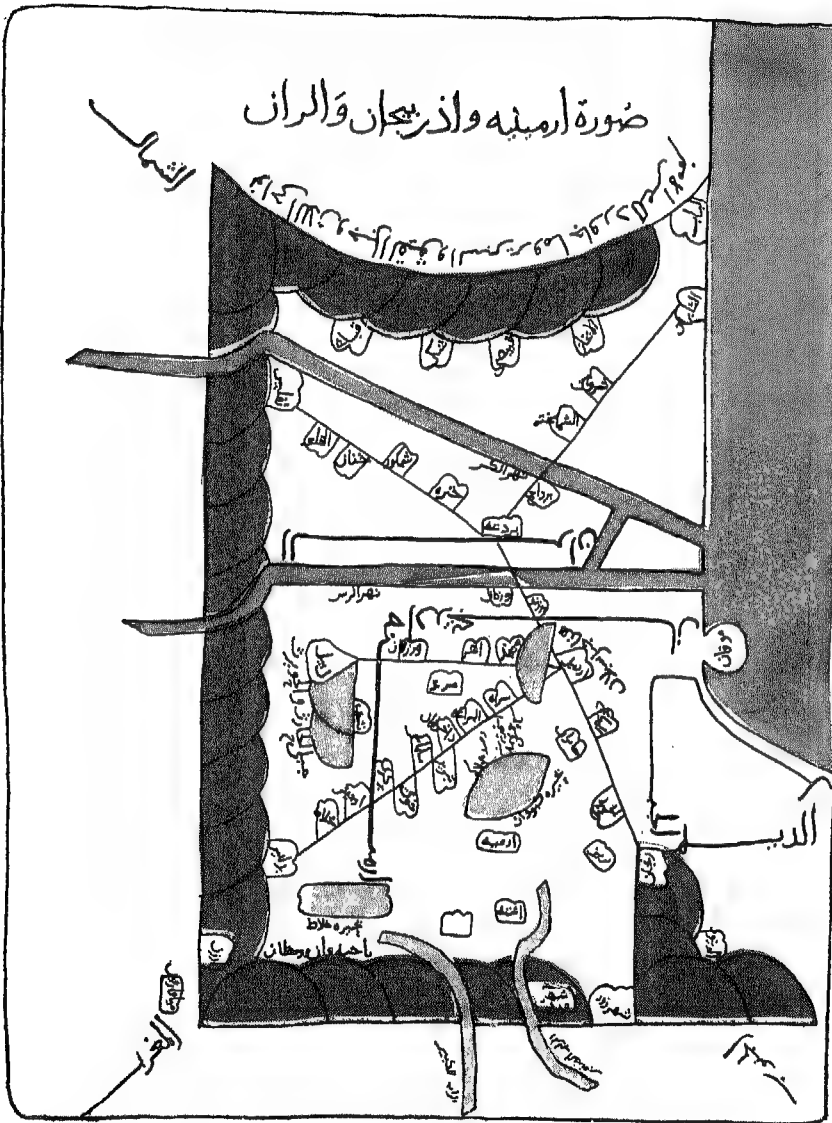
١ - فلنرجع الى حدّ بلد الروم غرباً فننصف ما صاقبها الى آخر الاسلام في حد المشرق . والذي ابتدئ به ارمينية والران واذربيجان، وقد جعلتها اقليماً واحداً لأنها مملكة إنسان واحد فيما شاهدته سائر عمري، وما نقلت الاخبار به لمن تقدمني كابن ابي الساج ومطلع غلامه وديسم بن ساذلويه، والمرزبان بن محمد المعروف بالسلاّر آنفاً وسالفاً لمثل الفضل بن يحيى وعبدالله بن مالك الخزاعي وغيرهما .

٢ - والذي يحيط به مما يلي المشرق فالجبال والديلم وغربي بحر الخزر، والذي يحيط به مما يلي المغرب حدود الارمن واللان وشيء من حدود الجزيرة، والذي يحيط به من جهة الشمال فاللان وجبال القبق والذي يحيط به من الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة .

٣ - وهذه صورة ارمينية واذربيجان والران .

ليوضح ما يوجد في صورة ارمينية واذربيجان والران من الاسماء والنصوص :
قد كتب في اعلى الصورة صورة ارمينية واذربيجان والران وعن يسار ذلك في الزاوية الشمال .

ورسم في اعلى القسم الايمن البحر وعلى ساحله الباب ثم الشبران . وتبتدى من عند الباب سلسلة جبال آخذة الى اليسار وكتب موازياً لطرفها الاعلى نواحي اللان وجبل القبق والسرير وما جاور ذلك من الامم . ويتصل بالجانب الاسفل من المدن : اللايحان ، قبيصى ، شكى ، قبله . ورسم من اسفل ذلك نهر الكر الذي ينصب في البحر وتقع على هذا النهر متصلة بالجبل مدينة تفليس ثم برداج ، يأخذ طريق من الشبران على مدينتي شروان والشاغخي الى برداج ثم الى



برذعه . ويأخذ من برذعه طريق آخر الى تفليس عليه جنزه ، شمكور ، خنان ، القلعة . وكتب في هذه الساحة الران .

وحد ناحية الران من اسفلها نهر الرس وعليه مدينة ورثان . وتقع عن يمين ورثان قرب النهر برزند . والطريق الآخذ من برذعه الى برزند يمر بعدها على اردبيل والميسانج والخنونج الى زنجان . وكتب في الساحة تحت نهر الراس اذربيجان وفي قسم من البر داخل في البحر عند منتهى هذه الكتابة موقان . وكتب من تحت ذلك على خط عاطف في الساحة بين البحر والجبل الجبل وتحت ذلك الديلم . وتتصل بالجبل من اسفل تلك الكتابة مدينة الدينور . ويقع عن يسار اردبيل جبل كتب عنده هذا جبل سبلان ، ويأخذ من اردبيل طريق الى اليسار على ميمد واهر وورزقان الى ديبيل ، وتتصل ديبيل بجبل كتب عنده جبلي الحارث والحويرث وتتصل بهذا الجبل عن يمينه مدينة نشوى . وكتب في الساحة عن يمين الجبل ارمينيه .

ويأخذ من اردبيل طريق الى مدينة بدليس المتصلة بالقسم الاسفل من الجبال وعلى هذا الطريق من المدن : سراه ، المراغة ، داخرقان ، تبريز ، سلماس ، خوى ، بركرى ، ارجيش ، خلط . وتقع بين المراغة وورزقان مدينة مرند ، وكتب عند المراغة بغير خط الناسخ رصد هولاء استحدثه سنة سبع وخمسين وستائة . ورسمت من اسفل ذلك بحيرة كبوزان وفي جانبها الاسفل مدينة ارميه ثم من تحتها اشته وعن يسارها شكل مدينة لا اسم فيها . وتقع عن يمين البحيرة بينها وبين الميانج مدينة جابروان ، وتقع من اسفل الخونج مدينة تبريز ، ورسمت عن يمين بدليس بينها وسلسلة الجبال بحيرة خلط ، وكتب تحتها ناحية وان ووسطان . وتقع عن يسار ذلك في الجبل مدينة ارزن وعن يسارها خارج الجبل ميافاوقين ، وكتب تحتها في الزاوية المغرب . ويشق الجبل في اسفل الصورة نهران هما الزاب الكبير والزاب الصغير . وتقع عن يمين الزاب الصغير مدينتا سهرورد وشهرزور . وكتب في الزاوية اليمنى من الصورة الجنوب .

٤ - وأكمل هذه النواحي اذربيجان وأكبر مدنها اردبيل وأجلها ، وان كانت في وقتنا قد رزحت احوالها لأن بها المعسكر ودار الامارة والدواوين وهذه مدينة تكون أعمالها ثلاثين فرسخاً في مثلها ، والغالب على ابنتها الطين والآجر . وكان عليها سور منيع فهدمه المرزبان بن محمد ابن مسافر السلار عندما نقم على أهلها بمنعهم ديسم بن شاذلويه بها في سنة احدى وثلاثين ، فلن عمل عليهم في شرطهم الذي شرطوه استثناء استحل به هدمه فهدمه بأيدي تجارها وأربابها . وكان الرجل الجليل في نفسه الواسع الحال في ملكه يأتي بثيابه الحسنة التي كان يباشر بها بيعه من بز أو عطر أو غير ذلك ، ويأخذ المعول فيهدم ونظيره من التحار يحمل ما يهدمه من تراب وحجارة في طيلسانه وإزاره أو في رداءه ، من غير أن

أطلق لهم حملة او-اوسع احدثاً في نقله بغير ثيابهم التي كانوا يتجمعون بها ويتباهون بلبوسها . من فاخر المروي والمنير حتى اكتسح جميعه وانتسيف اثره بعد فقرهم بأخذه لأموالهم والمبالغة في مطالباتهم ، وتشتيتهم من بعد ذلك في الاقطار وتزريقهم في الجبال والقفار . وذلك انهم كانوا من اسباب العيارة وطرق التمرّد وذكرهم للشطارة بحالٍ ، لا يكثرثون بالسلطان معتصين بالشیطان معتكفين على البلاء والعصيان ، وكانت اموال السافرة بينهم منهوكة ونعمهم منهوبة ودمائهم مراقبة مطولة . ولقد اخبرني غير إنسان أنه سأل القصاب منهم أن يعطيه من الشاة مكاناً آثر اخذه من جملة ما يعطيه ، فقطع من رداء المشتري قطعة وتركها مع اللحم في كفة الميزان وآخر قطيع من كمته وآخر من منديله قرداً وطغياناً وجراً على الله تعالى وعصياناً ، فأدال الله منهم بعد ما أملى لهم وحلم عنهم فهي كالعليلة في وقتنا هذا قياساً الى ما كانت عليه وبه من العماره وكثرة التجارات بالسيارة ، وهي مدينة خصبة وأسعارها رخيصة ولها رساتيق وكور جليلة ، ولها جبل صعوده ونزوله نحو ثلاثة فراسخ يسمى سبلان عظيم رفيع شامخ مطلّ عليها من غربيها لا تفارقه الثلوج صيفاً ولا شتاءً ، وهي مدينة لها أنهار جارية وأبَارها طيبة عذبة وأكثر الأوقات خبزها بالعدد خمسون رغيفاً بدرهم، ولحماً بمنّاً مناً ونصف بدرهم والعسل والسمن والجوز والزبيب وجميع المأكّل رخيصة كاللحّان ، وأكثر البلدان المشار اليها بالرخص دونها في رطوبة الحال من وجود سائر المطوبات .

٥ - وبلي اردبيل في الكبر المراغة وكانت في قديم الأيام المعسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية بها ، فنقل أبو القاسم يوسف بن الداوداذ بن الداودشت ذلك الى اردبيل لتوسطه لجميع البلد ، على ان المراغة مدينة نزهة كثيرة البساتين والأنهار والمياه والقواكه الحسنة والخيرات والغلات من جميع الجهات الى كثرة الرساتيق والزروع ووفور الحظ ، من جميع ما تشتمل عليه الأمصار مضاف الى ذلك سيادة رجاها وكثرة تنائها ومشائخها . وبقرية من قراها تُعرف باردهر بطيخ يُنسب اليها ويقال له الاردهري ، مستطيل الخلق قبيح المنظر غاية في الخلاوة

وطيب الطعم يضاهي بطيخ خراسان الموصوف . وكان على المراوغة سور
خرّبه يوسف بن أبي الساج في نحو ما خرّب السلّار سور اردبيل .
[وتبريز مدينة حسنة عامرة منفصة بالخلق كثيرة الخيرات فيها الأسواق الكثيرة والبيع والشرى
وفي قصبة اذربيجان اليوم أعمر مدينة بها ، وخوى مدينة وسطة غير أنها عامرة أهلة كثيرة
الخيرات والفواكه والبساتين ، وعليها سور منيع من الآجر وأهلها ألطف طباعاً من أهل تبريز
وسلاسل مدينة وسطة أيضاً عامرة كثيرة الأهل والفواكه وعليها سور منيع من الحجارة]

٦ - وبلي المراوغة في الكبر ارميه وهي مدينة نزهة كثيرة الكروم
والمياه الجارية في المدينة والضياح والرساتيق ، وافرة الحظّ من التجارات
والغلّات وبينها وبين المراوغة بحيرة كَبُودان ، والمراغة من شرقي البحيرة
وأرميه من غربيّها ولها رساتيق واسعة ونواح خصبة ، وفي ضمن أرميه
ومضاف الى عملها مدينة اشنه وهي أيضاً مدينة كثيرة الشجر والخضر
والخيرات والفواكه والحصب والأعنان ، والمياه الجارية متوفرة القسم
غزيرة القسط من سائر ما خُصّت به أرميه والمراغة من رفق باديتها والتفاف
الخيرات بها من جهة أكرادها المذبانية ، وبها يصيفون وإياها ينتجعون وبها
جميع ما يملكون ويدخرون ، وبها أسواق للتجّار في أوقات من السنة
مُنْجحة وبيوع حادة وأرباح وافرة ، ويحلب منها ومن سوادها الأغنام
والدواب والعسل واللوز والجوز والشمع وما جانس ذلك من ضروب
المتاجر الى بلد الموصل ونواحي بلد الجزيرة من الحديثة وغيرها .

٧ - والميانج والخنوج وداخرقات وخوى وسلماس ، ومرند وتبريز
وبرزند وورّثان وموقان والبيلقان والخابروان فهي مدن صغار متقاربة
في الكبر والاقتصاد . وكذلك نواحي أبي الهيجاء ابن الرواد من أهر
وورزفان فجميع ذلك مخصوص بالشجر معوم بالخيرات والشر ، لم يَغْرَ
من خيرها مكان دون مكان الى أنهار وبساتين وثمار ورياحين وعمارة تامة
بالكيراب والفلاحين ، مقعّمة بالخيرات بملوّة بالبركات فواكههم كالباطل
وما كلهم كالجمّان . وكانت داخرقان وتبريز الى اشنه الاذرية وما يحترف بها
تُعرف ببني الرُدّيني خُطّة لهم وأملاكاً ، لم تزل بعز السلاط من
الاعتراضات سليمة ، حتى إذا فسد الزمان وهلك السلطان وتحيّف الجيران

فهي لمن غلب . وكان آل الرُديني من العرب فأقن عليهم الدهر ومشى
فيهم الزمان بالغلبة والقهر ، فعفى آثارهم وترك اليسير من أخبارهم .
[وأما دوين فمدينة كبيرة كثيرة الخيرات والبساتين والفواكه والزروع وعليها سور من طين ،
وفيها عيون ومياه جارية والغالب على زروعهم الأرز والقطن ، وقد اختل أحوال أهلها في
زماننا هذا بمجاورتهم للكرج ؛ فانهم نهبوا المدينة وأحرقوها وفي كل وقت يجدون فرصة يشنون
عليهم الغارات ، والآن فقد عمروا في وسط المدينة المسجد الجامع وسوروه بسور آخر وحوله
خندق ، وفيه عين ماء في وسط المسجد يلتجئون إليه حين يفتأهم عسكر الكرج وبينها وبين
الرس نحو فرسخين ،)

٨ - ومدينة بَرْدَعَه فهي أم الران وعين تلك الديار لم تزل على قديم
الزمان كبيرة ، وتكون نحو فرسخ طولاً في أقل منه عرضاً وكانت من
النزهة والخصب وكثرة الزرع والثمار والأشجار والأنهار بحالٍ سنيّ ومحل
سري هني . ولم يكن بين العراق وطبرستان بعد الري واصبهان مدينة
أكبر منها ولا أخصب ، ولا أحسن موضعاً ومرافق وأسواقاً الى فنادق
وخانات ودور وحمامات وأموال وتجارات ، فاختلف حالها بمجاورة الكرج
لها ، قد حلها ما حل بغيرها من رغبة السلاطين وتوسط الكتاب المتمردين
من استغلال المحظور لأموال أهلها ، وقصد أربابها بالمصادرات والمطالبات
بغرائب العدوان في الجبايات فواهاً لها ولأهلها ، ولقد بلغني أنها وقتنا
هذا من سوء الحال واختلال الأسباب بما أصارها الى ان جميع من يجذب
بها خمسة خبازين ، ولقد كان بها منهم أكثر من ألف ومائتين . وكان منها
على أقل من فرسخ ناحية بموضع يُدعى الاندراب ما بين كزنه وتصوب
من أنزه مكان رأيتُه ، وأقطاره أكثر من مسيرة يوم في مثله مشتبكة
البساتين والعمارات طيبة المنتزهات والباغات ، ولها فواكه كثيرة وغلات
خطيرة ومتاجر عظيمة ومزايح جسيمة ومقاصد قريبة . وكانت لما رأيتها
كالشمسة حسناً تشتمل أجنحتها على البندق والشاه بلوط ونادر الفواكه في
غريب المطاعم والمآكل ، الى نوع كان بها من الفاكهة يسمى الروقال في
تقدير كبار الغُبراء وله نواء حلو الطعم إذا أدرك لذيد وبه عفوصة
قبل ان يُدرك ويستدرك ، وببرْدَعَه تين يحمل من تصوب يفضل على
ما كان من جنسه ، ويرتفع بها من الابرسم شيء عظيم جسيم كثير غزير ،

وذلك ان توتهم مباح لا مالك له ولا يباع ولا يُشترى ، فأكثرهم لهذه الحال يربي الدود ويُتخذ القز ويُجهز عنهم الى فارس وخوزستان منه جهاز كثير مُربح ، وبرذعه من نهر الكرّ على نحو ثلاثة فراسخ وفي نهر الكر السلك المعروف بالسُرماهي ، ويكون في نهر الرس منه بورثان وغيرها ما يُحمل منه الى اردبيل والريّ والعراق لطيبه ولذقه ويُستهدى من أهلها وتجارها ، وفي الكر والرس أيضاً سمك يُعرف بالدراقن وقلمن يثبت لأكله من شدة سمه ، وفيها القشوبة سمك في غير صوريتها وهو لذيذ . ومن أبواب برذعه باب يُعرف بباب الأكراد على ظاهره سوق يُعرف بسوق الكرّكي مقدار فرسخ ، ويجتمع فيه الناس كل يوم احدى ويتناولونه من كل مكان وأوب ، ويجتمع فيه اهل القرى حتى يكاد يداني سوق كورسره وقد غلب اسم السوق على اسم اليوم لدوامه وقولهم يوم الكرّكي ، حتى ان كثيراً منهم إذا عدّ ايام الجمعة قال الجمعة والسبت والكرّكي والاثنين ؛ يريد بالكرّكي الاحد ، ولهم مسجد جامع حسن فسيح وفيه بيت مال الناحية كالذي اتخذهُ بنو أمية بمصر وغيرها وهو من عملهم . وأسواق برذعه فكانت في ربضها منغصة مُرصّصة وفيها بين ذلك فنادقهم وخاناتهم وحماماتهم عامرة آهلة ، وبعد ان دخلها الروسية في غاية الانتظام والتمام . [فاختلّ حالها بمجاورة الكرج لها ، وجنزه مدينة حسنة كثيرة الخير عامرة بعمارة تامة منغصة بالخلق وأهلها ذور مروّدة وأخلاق طيبة مرضية ومجاملة ومحبة للغرباء وأهل العلم] .

٩ - ومدينة باب الابواب مدينة على بحر الخزر في وسطها مرسى للسفن ، وفي هذا المرسى الخارج من البحر اليها بناء قد بُني كالسدّ بين جبلين مطلّين على ماء هذا المرسى الخارج ماؤه من بحر الخزر ، وفي هذا السدّ باب مغلق على الماء قد استحکم من وصيده بعقد قد عُقد على نفس الماء والماء من تحته . والسفن مدخل مقلوب من ناحية بابه وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة كالتي بصور وبيروت بالشام ، وعلى خليج القسطنطينية . وعليها قُفل لمن ينظر في امر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب القفل والسدّ من صخر ورصاص وبحر الخزر

بجر طهروستان . ومدينة الباب اكثر من اردبيل زووعاً وثأرها قليلة إلا ما يُحمل اليهم من النواحي ، وهذه مدينة عليها سور منيع من حجارة وآجرٍ وطنين ، وهي فرضة بجر الحزر والسرير واللان وسائر بلدان طهروستان وجرجان وبلدان الكُفر والديلم . ويرتفع منها ثياب كتّان في عروض الأبدان وليس بالران وأرمينية واذربيجان ثياب كتّان إلا هناك ، وبها زعفران كثير ويقع اليها رقيق كثير من سائر دور الكفر المصاقبة لها .

١٠ - وتفلّيس مدينة دون باب الأبواب في الكبر وعليها سوران من طين ، ولها ثلاثة أبواب وهي خصبة حصينة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار ، يزيد رخاؤها على سائر البلدان الراحية والنواحي الرفهة والخصبة . ولقد ذكر بعض من اشترى العسل ذات يوم انه اشتراه على نحو عشرين رطلاً بدرهم . وهي ثغر جليل كثير الأعداء من كل جهة ، وبها حمّامات كحمّامات طبرية ماؤها سخين من غير نار . وهي على نهر الكُر ولها فيه عروب يطعن فيها الحنطة كما تطعن عروب الموصل والرقّة وغيرها في الدجلة والفرات . [والآن فهي بيد الكرج اخذوها في العشر الاخير من سني خمسمائة ، وملك الكرج مع كفره يراعي اهلها ويمنع جانبيهم من كل اذية وشعار الاسلام بها قائمة كما كانت ، ومسجد الجامع ممنوع من كل دنس يوقده الملك بالشمع والقناديل وما يحتاج اليه ، والاذنان في جميع مساجدها يجهر لا يعرض لهم احد بسوء البتة وقد اختلط الآن المسلم والكرجي] . وأهلها قوم فيهم سلامة وقبول للغريب وميل الى الطاريء عليهم وأنس بمن له أدنى فهم وانتساب الى شيء من الادب ، وهم أهل سُنة محضة على المذاهب القديمة يكبرون علم الحديث ويعظمون أهله ، مع أني لقيت جماعة وغير ثقة فاضل ممن طرأ اليها وأقام بها السنة والاكثر ، مصطلحين على أنه لم يبت احد منهم في منزله بوجه ولا قدّر على ذلك . ولقد تبيّنت من رغبتهم في ذلك وحرصهم عليه أني دخلتها وقد آليت ان لا أكل لاحدٍ بها طعاماً إثارة لان املك نفسي وأنقطع الى ما هو أولى بي من حوائجي ، فعقدت لي مجلساً للمناظرة على هذه البين في دار أميرها وحضر القاضي ابن سميع فابتدأ دونهم فقال : أيّدك الله ، إن المأكول في بلدنا أقل من ان نكبرهك على ان تناله من غير مالك ، وأنت تنال

منه باليسير في دورنا اذا تكلفه لك خدمتنا من صلب مالك ما لا يقصر بمشيئة الله عما الفته او ترجنا الثواب بخدمتك ، وليس لك ان تنقص لنا سيرة ولا تغير لنا سنة ، فإننا مذ أدركنا شيوخنا نسع تفاوضهم أنه لا يجوز ان يبيت غريب ببلدنا في منزله ولا خادم له إن كان واحداً ، اللهم إلا أن يكونوا من الكثرة بحال من يؤنس بعضهم بعضاً وقلنا تركوا برأيهم ، حتى ربما حصل المالك لرفاههم بمكان وهم معه او بمكان غير المكان الذي هو فيه يؤنسون ويأنسونه . ولست تخلو من أن تكون موضعاً ممن تستفيد العلم اذا وجدته مع ققيم به او تكون بصورة من يستفاد منه ويُرغب فيما عندك او ممن لا يرغب فيه اذا وجده عند أهله ، ولا لديه منه ما يُرغب فيه ؛ واذا كنت بإحدى الحلفتين الأخيرتين فالرحيل عنا بك اولى وراحتنا من النظر اليك أحسن والينا أشهى وقد ثقلت على قلوبنا . وبعد فأتما البسعة يلزمنا حشها لتكفرن عن يمينك في يومنا هذا تسليماً للحديث المروي عن النبي ﷺ او لأكفرن عنك ، يا بني امض الى بابهِ فاسمر عليه بإذن الأمير بخشبة وثيقة واطبع عليها بخاتي ، ووكل الجيرة براعاتها ولا تطلق له أيده الله الدخول اليها إلا بعد رأينا ومطالعنا والسلام . وحيل بيني وبين رحلي وما كان معي فكنت عنده ليلتين وعند غيره ليلة مبروراً ، وبضاعتي في خلال ذلك تباع وما يدعوه اليه حسن النظر بما عاد بصلاحي يشتري ، حتى قضيت جميع حوائجي وأبو بكر القتاد مطّلع على جميع ذلك الى ان قال لي ذات يوم : تحبّ العود الى جرجان ؟ فقلت : لو وجدت الى ذلك وسيلة او كان لي فيه حيلة ؛ فقال : وما يمنعك ؟ وأطلعني على الصورة فبقيت باهتاً ساكناً فقال : ما لي أراك وكأنك لا تراني ؟ فقلت : يا ويحك ! هذا يشبه حديث اسحاق بن ابراهيم الموصلي مع يحيى بن خالد ، وكنت قد حدثتهم به فقال : يشهد الله لقد استريت غير وقت بذلك الحديث ، ولقد أراني فعل هؤلاء بالامكان والقدرة على ما يتوخواه وقلّة الحفل بما يتولونه ، أن ذلك الحديث حق لا يشوبه كذب وصدق لا يتوخواه إفاك ، لأنهم لا يلزمهم فيما يتولونه وبفعلونه

كلفة سوى الأمر به ، وكذلك ما كانت البرامكة تقعله وتأتيه من غير كلفة سوى الأمر به ، لنفوذ أوامرهم واتساع أحوالهم .

١١ - وليس بالران مدينة اكبر من برذعه والباب وتفليس ، فأما البيلقان وورثان وبرديج والشماخية وشروان واللايجان ومشبران وقبله وشكي وجنزه وشكور وخنان ، فهي بمالك صغار ومدن لطاف متقاربة في الكبر خصبة واسعة المرافق .

١٢ - وأما ديبيل ونشوى فإن ديبيل مدينة اكبر من اردبيل ، وهي أجل ناحية وبلدة بأرمنية الداخلة ، وهي قصبة ارمنية فيها دار الامارة منها دون جميع نواحي ارمنية ، كما ان دار الامارة بالران ببرذعه وبأذريجان بأردبيل . وعليها سور ، والنصارى بها كثيرة ومسجد جامعها الى جنب البيعة كمسجد حمص في مشاركة البيعة ومصاقتها وملاصقتها . ويرتفع بها ثياب مرعزي وصوف من بُسط ووسائد ومقاعد وأنماط وتكك وغير ذلك من أصناف الارمني المصبوغ بالقرمز ، وهو صبغ أحمر يُصبغ به المرعزي والصوف وأصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز ، اذا نسجت على نفسها القز ويرتفع منها بزبون كثير . فأما بزبونهم فله نظير كثير في بلد الروم وإن كان في نفسه مرتفعاً . وأما ما يُعرف من عملهم بالارمني من البتوت والمقاعد والبُسط والستور والأخاخ والمساور والوسائد والأنماط ، فلا نظير لها في شيء من الارض بوجه من الوجوه والأسباب كلها .

١٣ - وكانت في قديم الايام لِسُنْبَاط بن اشوط ملك الارمن قاطبة ولأجداده ، ولم تزل في أيدي الكبراء منهم فأزالها ابو القاسم يوسف بن ابي الساج عنهم وأخرجها من أيديهم ، وبأيديهم عهود للصدر الاول بإقرارهم على حالهم واخذ الجزية منهم على ما جرت به مقاطعتهم ، وكان بنو أُمية وبنو العباس قد أقرّوهم على سكناتهم ويقبضون الرسوم عليهم من جباياتهم فتحيةهم وقصدهم ، فلم يُفلح بعد عذرهم ولا ارتفعت له راية الى اليوم . والغالب على ارمنيه النصرانية وللسلطان عليها كالحراج في كل سنة ، وكانهم اليوم في عهد على حسب ما كانوا عليه بغير حقيقة تطرقهم السلاطين المجاورون

لهم ، فيسبونهم ويؤذونهم ويحقرون ذمتهم وكان رقيتهم لا يباع ببغداد وأدركتهم كذلك الى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة احدث لانهم في ذمة معروفة ومعهم غير عهد ، وهما ارمينيتان : فأحدهما تعرف بالداخلة والاخرى بالخارجة ، وفي بعض الخارجة مدن للمسلمين وفي أيديهم لم يزل يليها المسلمون ، وقد قوطع عليها الأرمن في غير وقت وهي ملوك الاسلام كارجيش ومنازجرد وخلاط . وحدودها ظاهرة فحدها من المشرق الى برذعه ، ومن المغرب الى الجزيرة ، ومن الجنوب الى اذربيجان ، ومن الشمال الى نواحي بلد الروم من جهة قاليقلا . وكانت قاليقلا في وسط بلد الروم ثغراً عظيماً لاهل اذربيجان والجلال والري وما والاها وهي مدينة الداخلة . وقد تقدم انها ارمينيتان فالداخلة دبيل ونشوى ، وقليقلا وما الى ذلك من الشمال ، والخارجة بركرى وخلاط وارجيش ووسطان والزوزان وما بين ذلك من البقاع والقلاع والنواحي والاعمال . ولهم مدخل الى بلد الروم يعرف باطرابزنده ، وهي مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الاسلام فيدخلون منها الى بلد الروم للتجارة ويخرجون بها ، ويخرج اليها لسان من خليج القسطنطينية الماراً الى البحر المحيط ، ولتملك الروم على صاحبه المقيم باطرابزنده في وقتنا هذا مال جسيم وضمن عظيم كاث في الوقت الاول دونه بكثير ، وقد تقدم ذكر ذلك في أضعاف ذكر بلد الروم وأكثر ما يخرج الى الاسلام وبلده من الديباج والبزبون ، وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية من اطرابزنده . وليس بين نشوى وبركرى وخلاط ومنازجرد وبدليس وقاليقلا وارزن وميافارقين وسروج كبير تفاوت ، لان مقاديرها تتقارب (إلا ان خلاط قد عمر خارج المدينة مثل ما هي أضعافاً مضاعفة وأهلها ذوو مال ويسار ، وبها اليوم المتاجر والاسواق الجادة ومقصد التجار والغالب على أخلاق أهلها الشراسة وبغضة للغريب .) ولا تشبه دبيل في العظم والكبر منها شيء وهي بأجمعها خصبة عامرة كثيرة الخير ، وقد نالها من برسام زماننا ما نال سائر الأقاليم باختلال أحوال السلطان وتغير أهل الزمان . وأكثر العلماء بحدود النواحي يرون ان ميافارقين من ارمينية وقوم يعدونها من أعمال الجزيرة ، وهي من شرقي دجلة وعلى مرحلتين منها فلذلك تحسب

من ارمينية ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والاغنام والثياب المجلوبة الى النواحي والفرش والتكك الارمنية الرفيعة والمقاربة التي تعمل بسلامس ، تباع التكة من دينار الى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الارض ، والمقاعد الارمني المحفور بمرند وتبريز والانخاخ ما يقل نظيره ولا يوجد ككثوته وجودته ، وكذلك السبنيات والمقارم والمناديل المعمولة ببيافارقين وبمواضع من ارمينية .

١٤ - فأما الانهار بهذه البلاد التي تجري فيها السفن فنهر الكر ، وهو نهر كبير ويكون كالزاي الاصغر الخارج الى دجلة ، وكيجيجان والبودان في ارض النغر ، ونهر الرسّ وهما متقاربان في غُزُر الماء وكثوته . ونهر سيذرون الذي بين اردبيل وزنجان فنهر يصغر عن جري السفن فيه . والكرّ نهر عذب مرىء خفيف يخرج من ناحية جبل القبق على حدود جزره وشمكور ، مقبلاً من ناحية تفليس وقبل ان يمرّ عليها يمرّ على قلاع في بلدان الكفر مُنصبّاً الى بحيرة الخزر على نواحي برذعه . ونهر الرسّ ايضاً نهر عذب خفيف طيّب يخرج من نواحي ارمينية الداخلة حتى ينتهي الى باب ورتان ، ثم يمرّ فيقع بعضه في الكرّ وبعضه في بحيرة طهرستان وهو الرسّ الذي ذكر الله ما فعل بقومه ، وهو اذا تأملّه المتكّن منه ومرّ على جانبيه من مدينة ورتان صاعداً ونازلاً رأى عليه آثار مدنٍ قد قلبت وخسفت وهُوّر بعضها وقلّب اعاليها اسافلها ، وهي في اقصى مرأى ومنظر تصديقاً لقوله : وعاداً وثموداً وأصحاب الرسّ وقرونًا بين ذلك كثيراً وكُلاًّ ضربنا له الامثال وكُلاًّ تَبَرُّنا تَتَبيراً^(١) .

١٥ - والبحيرة التي بأذربيجان بين المراغة وأرميه ، وتعرف بكبودان ، مالحّة الماء وليس فيها دابة ولا سمك ، وفيها مراكب كثيرة تختلف بالتجارة بين البلدان وأعمال تبريز وداخرقان وحواليها من جميع جهاتها عامراً ما استدارت قرى ورساطيق ، وبين أرميه وبينها فرسخان من غربتها وبينها وبين المراغة من شرقها خمسة فراسخ ، وبين اوائل داخرقان وسيف هذه

١ - (وعاداً ... تَتَبيراً) سورة الفرقان (٢٥) الآية ٤٠ .

البحيرة أربعة فراسخ، وطولها نحو اربع مراحل بين الشمال والجنوب بسير الدوابّ وعرضها فيما بين المراغة وأرميه نحو عشرين فرسخاً، ويكون فيها امواج عظام في الشتاء ومصائب كبار وفي وسطها جبال مسكونة مأهولة على مياه زهيدة وعيش شطف، وسكانها اصحاب المراكب ونواتيها المختلفون بالامتعة والركاب بين شطبيها، ولهم معرّ يقوم برمقهم ولا شيء عندهم إلا ما تجلب اليهم .

١٦ - وفي جنوب بركري وخلاط وارجيش بحيرة آخذة من المشرق الى المغرب، ويكون طولها بضعة عشر فرسخاً يُخرج منها سمك صغار أشبار يُعرف بالطريخ، فيملح ويُحمل الى كثير من الاقطار كالموصل ونواحي الجزيرة والعراق وأصقاع الشام، [وفي هذه البحيرة حصن يعرف باختار] . وفي اطراف هذه النخيرة ملح البورق ويُحمل ايضاً الى العراق وغيرها للخبازين، وبالقرب منها بل في جبل في جنوبها مقالع الزرنينخ الجلوب الى سائر الارض وهو أصل الزرنينخ ومنه الاحمر والاصفر، ويُحمل ايضاً من بعض سواحل كبودان بورق الصاغة للحام الفضة والذهب، وذلك ان في بعض مياهها ما يستحجر فيكون منه هذا البورق فيُحمل الى فجاج الارض وأعماقها وسهلها وجبلها، ويُصيب التجار فيه المرباح النفيسة الغزيرة . ويُجلب من الزوزان ونواحي ارمينية والران من البغال الجياد الموصوفة بالصحة والجلد والفراة والصبر الى العراق والشام وخراسان، وغير ذلك ما يُستغنى بشهرته عن وصفه وذكره . والزوزان ناحية وقلاع لها ضياع الغالب عليها الجبال، ويكون بها الشهاريّ الحسنة الموصوفة بالجمال والفراة ما يُقارب شهاريّ طخارستان، وربما زاد عليها وعلى نتاج الجوزجان .

١٧ - وجبالها تتصل من جهة الحارث والحويرث بجبال اهر وورزقان، فتمرّ الى تفليس في الشمال ويتصل هناك بها جبل القبق تجاه سياه كويه وهو جبل عظيم، ويقال ان عليه ثلاثمائة ونيّفاً السنة مختلفة، وكنت أنكر هذا حتى رأيت لسبلان جبل اردبيل غير قرية، ولاهل كل قرية لسان يتخاطبون به غير لسان الفارسية والاذرية، وتتصل جبال القبق بجبل سياه كويه الذي وراء بلاد الخزر في بلد الغزيّة راجعاً الى المشرق

من وراء بحيرة خوارزم الى جبال خوارزم وجبال فرغانه ، وذلك ان جميع الجبال على ما ذكرته متناسبة متفرعة من الجبل الخارج من بلد الصين ذاهباً على الخط المستقيم الى البحر المحيط من بلد السودان بالمغرب وبنواحي ورنان وبرذعه وجزيرتي باب الابواب اللتين في وَسَطِ بحيرة الخزر فُؤَّة غزيرة كثيرة فائقة في الجودة ، تحمل في بحيرة الخزر الى جرجان ويُقصد بها بلاد الهند على الظهر ، وهذه الفؤَّة في جميع بلد الران من حد باب الابواب الى تفليس وقُرب نهر الرّس الى نواحي خزان ، وهي مملكة تحت يد صاحب اذربيجان في جبال تتصل بجبال الطرم المتصلة من غربي بحر الخزر بجبال الري وطبرستان وجرجان الى نيسابور .

١٨ - ولهذه الجبال ملوك واصحاب لهم نِعَم فضة وضياع وقلاع نفيسة وخيول وكُرَاع الى مدن مضافة اليهم ، ونواحٍ ذات رساتيق واقاليم عامرة كالمملك لهم موفرة عليهم غلاتها ونعمها . وبهذه الجبال والنواحي والمدن والبقاع التي ذكرتها من الرخص والحصب والمراعي والمواشي والسواثم والخيرات والبركات والمشاجر والانهار والفواكه الرطبة واليابسة ، والحشب على سائر ضروبه من خلجة وكرمة وجبوزة ما لا يحاط بعلمه ولا يُبلغ كُنْههُ وملوكها بها من سعة الاحوال وتمتعهم بالنعم والملاذ والتتوّف بالطيب والثياب والخدم الروقة والخيول والبغال ذوات المراكب من الفضة والذهب ، وقنية الجوّاري الروقة من المغنيات والشهوريات والطباخات والنفقات الدارة السابغة ، وكثرة الآلة من الذهب والفضة والآنية الرفيعة الثقيلة المخرّشة بالسواد من الصواني والاطباق والارطال والطُسوت والاباريق والاسطال ، في غرائب الصنعة من اللّجّين والعسجدر الى ما يشاكل ذلك من الزُجاج المحكّم والبلور المخروط الثمين والجوهر من الحبّ والياقوت ، وكان اكثر هؤلاء الملوك عليهم كالفرائب القائمة واللوازم تحمل في كل سنة الى ملوك اذربيجان ، فلا تنقطع ولا تمتنع وكلهم في طاعة من ملكها فتقّتها ، وكان ابن الساج يرضى منهم بالقليل مرة وبالتافه أخرى على طريق الهدية ، فلمّا صارت هذه المملكة الى المرزبان ابن محمد بن مُسافر المعروف بالسَلَّار ، جعل لها دواوين وقوانين ولوازم

يخاطب على مرافقها وتوابعها وبقاياها ، ومن اكبر من ادركت من ملوكها شروان شاه محمد بن احمد الازدي وملك اللايجان بعده ، وله الملك المتصل ببعض جبال القبق ونواحيه يعرف بلانجانشاه ، واليه الصناري المعروف بسنحاريب وهو نصراني في دينه كابن الديواني صاحب الزوزان ووان ووسطان ، وسأبين محل كل واحد من هؤلاء بذكر ما عليه ويلزمه من المال والضريبة والهدايا عند ذكر ارتفاع الناحية والفراغ من ذكر مسافاتها وحالها .

١٩ - فأما لسان اهل اذربيجان واكثر اهل ارمينيه فالفارسية تجمعهم ، والعربية بينهم مستعملة ، وقلَّ من بها ممن يتكلم بالفارسية لا يفهم بالعربية ويُفصح بها من التجار وارباب الضياع ، ولطوائف من في الاطراف من ارمينيه وما شاكلها ألسنة أخر يتكلمون بها كالارمنية مع اهل دبيل ونشوى ونواحيهما ، ويتكلم اهل برذعه بالرائية . ولهم الجبل المشهور المعروف بالقبق ويحيط به ألسنة مختلفة كثيرة للكفار وقد تقدم ذكره ، ويجمع الكثير منهم لسان واحد ، ونفود اذربيجان والران وارمينيه الذهب والفضة ، واكثرهم اهل عافية وسلامة ورغبة في الخير واهله وطلب المعاش والستر لما دهمهم من المصائب وتكاف عليهم من النوائب ، وفيهم وقتنا هذا من هو على مذاهب اهل الحديث والقول بالحشو وكثير من الباطنية البقلية فيهم ، وليس بجميع اذربيجان وارمينيه والرائين متكلم ولا متعصب للكلام والنظر ، وفيهم اطباء فضلاء ادركتهم اجلاء مياسير بصناعة الطب وارباب ضياع ونعم وكراع ، يرون ان المنطق كفر وصنعة النظر شغل قاطع عن الواجبات وصاد عن اكثر اسباب السياسات .

٢٠ - ذكر الطرق بها والمسافات بهذه النواحي : فالطريق من برذعه الى اردبيل فمن برذعه الى مويان قرية سبعة فراسخ ، ومن مويان الى مدينة البيلقان سبعة فراسخ ، ومن البيلقان وهي مدينة طيبة كثيرة المياه والاشجار والطواحين الواسعة على انهارها الى ورتان وهي مدينة اكبر من البيلقان وافصح واكثر اهلاً واسواقاً ومتاجر ، وبها ما يكون بالمدن الكبار من الاعمال والفنادق وعليها سور ، ولها ربض فيه أسواقها سبعة فراسخ ، ومن ورتان الى بلخاب سبعة فراسخ ، وهي قرية آهلة فيها

رباطات وفنادق للسبيل تنزلها السيارة ، ومن بلخاب الى برزند وهي مدينة قريبة الحال من اليلقان سبعة فراسخ ، ومن برزند الى اردبيل خمسة عشر فرسخاً بين قرى ومنازل عن عيين وشمال لا تنقطع ولا تغيب عن الناظر والطريق من برذعه الى باب الابواب فمن برذعه الى برديج مدينة صالحة على نهر الكر فيها متاجر ومجالب ثمانية عشر فرسخاً ، ومن برديج يعبر الكر الى الشاخية اربعة عشر فرسخاً ، ومن الشاخية الى شروان ثلاثة أيام ، ومن شروان الى اللايحان يومان ، ومن اللايحان الى جسر سمور اثنا عشر فرسخاً ، ومن جسر سمور الى الباب عشرون فرسخاً ، ويكون الجميع نحو تسعين فرسخاً . والطريق من برذعه الى تفليس فيها الى جنزه مدينة صالحة تسعة فراسخ ، ومن جنزه الى شمكور عشرة فراسخ ، ومن شمكور الى خنان مدينة أحد وعشرون فرسخاً ، ومن خنان الى قلعة ابن كندمان عشرة فراسخ ، ومن القلعة الى تفليس اثنا عشر فرسخاً الجميع اثنان وستون فرسخاً . والطريق من برذعه الى ديل فمنها الى قلقاطوس الى متريس ثلاثة عشر فرسخاً ، ومنها الى دوميس اثنا عشر فرسخاً ، ومن دوميس الى كيلكوبن ستة عشر فرسخاً ، كيلكوبن الى السيسجان ستة عشر فرسخاً ، وهي مدينة طيبة مقصدة ، ومن السيسجان الى ديل ستة عشر فرسخاً .

٢١ - والطريق من برذعه الى ديل في الارمن وجميع هذه القرى التي في ضمنها والمدن مملكة سنباط بن اشوط الارمني التي قبضها عنه يوسف ابن ابي الساج غدرأ منه وظلماً ، وخلافاً لله تعالى ولرسوله ﷺ اذ يقول: اَنَا اِحَقُّ مَنْ رُوِيَ بِذِمَّتِهِ لَيْسَ لَامَامٍ وَلَا لِمَنْ تَبَعَ لَامَاماً أَنْ يُؤْذَنَ ذِمِّيًّا تَعْنَتًا وَلَا تَعْصَبًا فِي شَيْءٍ مِنْ اَسْعَارِ اَهْلِ الذِّمَّةِ إِلَّا تَأْدِيبًا وَتَثْقِيفًا . وقال عليه السلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم يقوم بذمتهم أدناهم وهم حرب على من سواهم . فلو أن رجلاً من أفناء المسلمين رضىته فئة منهم وهم في غمر وأمرته عليهم واختبرته فوجدته عالماً عدلاً ، وحكم فيه على طريق النظر والمصلحة لهم ولمن وراءهم من المسلمين بشروط وآها فيمن جاوره من دور الحرب ، لم يكن لاحد نقضها شطراً وبطراً وذهاباً

بالاعجاب الى ما ليس للانسان فعله . فكيف بالصدر القديم والامام العدل الكريم عليه السلام وقد عقد عقداً ورأى رأياً ظاهراً صلاحاً للمسلمين وشرفاً الى يوم الدين ، بقبضه جزية ملك عظيم واستخدامه مع التمتع برجاله فيما ناب المسلمين ودَهِمهم ، وهذه الصورة ونظائرها وتقرّد من اليه النظر من فاسق ينظر فيها مخموراً بعين جاهل ويعتمد الى نقضها ، وهو يعلم انه مخالفٌ مُصِرٌّ ما أصر المسلمين الى ما هم عليه وبه وليتهم بقوا على ما نحن فيه بلا زيادة .

٢٢- الطريق من اردبيل الى زنجان فمن اردبيل الى قنطرة سيذروذ مرحلة ، ومن سيذروذ الى سراه مرحلة ومن سراه الى توى يوم ، ومن توى الى زنجان مرحلتان . والطريق من اردبيل الى المراغة فمن اردبيل الى كورسره قصر بحصن عظيم ، وله إقليم فسيح ورستاق جليل جسيم وله أسواق في كل شهر ومواعيد من السنة في رؤوس الالهة ، أدركتها قديماً ودخلتها وأنا حديث السن وفيها من الامم لسوق اجتمعوا فيه ، ومعهم من المتاع والتجارات من البزّ والسقّط والبرهار والعطر والجلّ من الفُرش ومتاع السراجين بعجيب ما تحمله اسباب السراجة ، من السروج والسيوف والخزّم والغواشي والسيور المراغية الى اسباب السلاح . وكان فيه من آلة الصُفر المجلوب من العراق والذهب والفضة المصوغة والحُيل والبغال والحير والبقر والغنم ما لو قيل أن الارض والناحية وما فيها، وتستقلّ به في وهادها وعلى جبالها ورُباها اوسعُ من ارض الموقف بمتلثة بالناس وما معهم ، وأكثر من الموقف انضماماً وانغصاماً بما ذكرته من الاجناس التي وصفتها لم يقابل ذلك بغير التسليم والتصديق . وإن كانت ارض الموقف بجبالها الى عرفات نحو ثلاثة فراسخ ومن يقوم بها من الامم اهل اليمن ومصر والعراق والمغرب والشام وخراسان، الى من ضامهم من أسقاع الارض . وكان فيمن حضره ابو احمد بن عبد الرحمن الشيزي المراني سيّد تجار اذربيجان وتنّاها ، فقال له كاتبه ابو الفتح بن مهدي : قد باع ابو إسحاق الماجرداني ماله وانصرف ولم يحمل الينا ما لنا عنده . فقال : كم باع ؟ فقال : مائة الف رأس فاستثبت ذلك من ابي.

احمد دفعات فقال : أبرمتَ انصرفَ ابي رحمه الله من هذا الموقف غيرَ سوق بألف الف شاة ، فأعدتها عليه فقال : نعم وشعيب بن مهران يمثلها ، ووقفتُ بعد ذلك منه على حكاياتٍ عن هذا السوق والمواضع أيام يوسف ابن ابي الساج ليست من شرط هذا الكتاب ، وفيما ذكرته كفاية في الدلالة على حال هذا السوق إن صدقه متصفّحها - اثنا عشر فرسخاً^(١) ومن كورسره الى المراغة اثنا عشر فرسخاً . ومدينة سراه بين كورسره و اردبيل مدينة طيبة كثيرة الخير والمير والبساتين والمياه والفواكه والزروع والطواحين ، ولها اسواق حسنة وفنادق نظيفة وكان لها ثالثة أجلة من آل زانجو وغيرهم ، فهلكوا وبادوا ادركتُ مشائخهم والمروضة فيهم فاشية وأحوالهم مع السلار متأسكة . ومن اردبيل الى الميانج عشرون فرسخاً مدينة صالحة في نفسها رفة بأهلها رفيقة بسكانها ورخصها وخيرها . ومن الميانج الى الخونج مدينة ايضاً بها مرصدٌ على ما يخرج من اذريجان الى نواحي الري ولوازم على الرقيق والدواب ، وأسباب التجارات كلها من الاغنام والبقر ، ومقاطعة هذا المرصد دائماً مائة الف دينار وزائد الى الف الف درهم وناقص في السنة ، وليس له ولما يجتاز به شبه في جميع اقطار الارض . الطريق من اردبيل الى آمد واعمال الثغور الجزرية ، فمن اردبيل الى المراغة نحو اربعين فرسخاً ، ومن المراغة الى أرميه على الظهر وفي البحر نحو ثلاثين فرسخاً ، ومن ارميه الى سلماس مرحلتان ومن سلماس الى خوي تسعة فراسخ ، ومن خوي الى بركري ثلاثون فرسخاً ومن بركري الى ارجيش يومان ، ومن ارجيش الى خلط ثلاثة أيام ومن خلط الى بدليس ثلاثة أيام ، ومن بدليس الى ارزن الى ميفارقين اربعة أيام ومن ميفارقين الى آميد يومان ، ومن آمد الى حرّات على الطريق الذي تسلكه الغزاة والمجاهدون الى شمشاط وعلى شمسباط الى ملطيه نحو خمسة ايام . والطريق من المراغة الى ديبيل على أرميه وسلماس الى خوي

١ - الظاهر ان نص هذه الفقرة مختلط هنا بما ادرج فيه من صفة سوق كورسره ، ثم مدينة سراه ، فالزم ذلك تأخير صفة الطريق من اردبيل الى الميانج ، ثم الى خونج الى غير موضعه في هذه الفقرة .

ثلاثة وخمسون فرسخاً ، ومن خوى الى نشوى خمسة ايام ، ومن نشوى الى ديبيل اربع مراحل . ومن المراغة الى الدينور ستون فرسخاً لا منبر فيها . وهذه جوامع مسافاتها وذكر طرقها وجميع احوالها .

٢٣ - وأما حالها التي ادركتها عليها وكانت بها ، فان جباياتها وضرائبها على ملوك اطرافها تُعرب عن حالها وتدل على حقيقة وصفها ، وإن كانت تزيد وتنقص في بعض الاوقات ، ومن اوسط ما جُيِّدَ وأعدل ما رُفِعَتْ لسنة أربع وأربعين وثلاثمائة . وقد تولّى موافقاتها ابو القاسم علي ابن محمد جعفر صاحب زمام ابي القاسم يوسف بن ابي الساج المرزبان بن محمد وهو يزر له ، فواقف محمد بن احمد الأزدي صاحب شروان شاه وملكها على الف الف درهم ، ودخل في موافقته اشجانيق صاحب شكى المعروف بأبي عبد الملك ؛ رواقف سنحاريب المعروف بابن سواده صاحب الربع على ثلثمائة الف درهم وألطف من بعد ذلك . وصاحب جرز وشقان ابن موسى على مائتي الف درهم . وواقف أبا القاسم الوزوري صاحب ويزور على خمسين الف دينار وألطف . وأبا الهيضاء بن رواد عن نواحيه باهر وورزقان على خمسين الف دينار وألطف ؛ وأبا القاسم الجيداني عن نواحيه وبقايا كانت عليه على أربع مائة الف درهم ، فرام النقصان وثقل بالمسألة فزيد على موافقته تبرئماً بما فعله ثلاثمائة الف درهم ومائة ثوب ديباج رومي . وألزم بني الديراي حسب ما كانت موافقتهم عليه في كل سنة مائة الف درهم وتركها لهم لأربع سنين مكافأة لهم بدفعهم اليه ديسم بن شاذلويه ، وكان قد استجار بهم فأسلموه وغدروه . وواقف بني سنباط عن نواحيهم من ارمينية الداخلة على الفي الف درهم ونظر لهم من بعد بمائتي الف درهم ، وواقف سنحاريب صاحب خاجين على مائة الف درهم وألطف وكراع بخمسين الف درهم ، فبلغت الموافقة من عين وورق وتوابع والطف من بغال ودواب وحلي عشرة آلاف الف درهم ، وخراج جميع النواحي من اذربيجان وارمينيه والرانين وحواليها وجميع مرافقها من وجوه أموالها خمس مائة الف دينار . وهذه جملة ما وقفت عليه من حالها وما كان لدي من اخبارها وواصفها على ما أدت اليه استطاعتي وناله وسعي .

الجبال

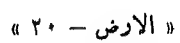
١ - والجبال وأعمالها مصابقة لهذه الناحية ، وهذا العمل والذي يشتمل على ما هي الكوفة والبصرة وما يتصل بها بما أدخلته في اضعافها ، فحدها الشرقي الى مفازة خراسان وفارس واصبهان وشرقي خوزستان ، وحدها الغربي اذربيجان والشمالى بلاد الديلم وقزوين والري ، وانما تفرد الري وقزوين وابهر وزنجان عن الجبال وتضم الى الديلم لأنها محتقة بجبالها على التقويس ، وحدها الجنوبي العراق وبعض خوزستان .

٢ - وهذه صورة الجبال ،

إيضاح ما يوجد في صورة الجبال من الأسماء والنصوص :

كتب في اعلى الصورة صورة الجبال وعن يمين ذلك في الزاوية المشرق وفي الزاوية اليسرى الشمال ، ورم تحت ذلك اربع سلسلات جبال تحيط بساحة مربعة الشكل ، وكتب موازياً للسلسلة الفوقانية هذه جبال الديلم ، ويتصل بالطرف الأيمن من هذه السلسلة جبل كتب عنده جبل دنباوند ، ويوجد بين السلسلة اليمنى وطرف الصورة كتابة تشتبك خطوط كلماتها على شكل صليبي وهي مفازة فارس وخراسان ، وكتب تحت السلسلة السفلى ناحية خوزستان ثم ناحية العراق كلاهما على شكل صليبي وعن يمين هاتين الكتبتين في الزاوية الجنوب وعن يسارهما المغرب ، وتعطف كتابة ناحية العراق الى الفوق موازية للسلسلة اليسرى وتليها الى الاعلى كتابة ناحية اذربيجان .

ويتصل بداخل السلسلة العليا من المدن : الري ، الطالقان ، قزوين ، ابهر ، ثم زنجان في الزاوية وبداخل السلسلة اليمنى : قم ، قاسان ، اصبهان ، ثم تتصل بداخل السلسلة السفلى : شابرخاست الصيمره ، السيروان ، الطزر ، ورسمت في هذه الجبال متصلة بخطها التحتاني : خان لنجان اللور ، ثم متصلة بالزاوية اليسرى مدينة حلوان ، وفي السلسلة اليسرى من المدن شهرزور وسهرورد ، ويأخذ من الري طريق الى شابرخاست عليه من المدن : ساوه ، اوه ، بوسنه ، روذه ، همدان الروذراور ، نهاوند ، لاشتر ، وعلى الطريق الآخذ من همدان الى اصبهان : رامن ، بروجرود ،



الكرج ، البرج ، ثم شكّل مدينة لا اسم فيه ويجوز انها خونجان ، وفي الساحة بين هذا الطريق والطريق الاول تقع فراوند و الدارقان . وعلى الطريق من همدان الى ناحية -لموان : قرميسين ، المطامير ، المرج ، وتقع عن يسار همدان مدينة الدينور .
وتوجد في الساحة عن يسار الطريق من الري الى همدان كتابة مشتبكة وهي مصائف الاكراد ومشائهم .

٣- والجبّال تشتمل على مدن مشهورة ومعظمها همدان والدينور واصهان وقم ، ولها مدن أصغر من هذه مثل فاسات ونهاوند والور والكرج والبرج ، وسأذكر ما تقع الحاجة الى معرفته منها .

٤- فأما المسافات بها فالطريق من همدان وهي مدينة كبيرة حسنة جليلة المقدار ، لها أنهار وأشجار وعمل واسع وغلات من سائر الغلات وبها اهل تناية فيهم ادب وفضل ومروءة وهي على مر الايام والاوقات رخيصة الاسعار كثيرة الاغنام والالبان والاجبان وضروب التجارة من الزعفران المتخذ بالروذاور ، وهو عمل من أعمالها ويذكر به . ومنها الى اسداباذ وهي مدينة ايضاً صالحة قوية الاهل واسعة الرساتيق والدخل خمسة عشر فرسخاً ، ومن اسداباذ الى قصر اللصوص سبعة فراسخ ، وهي مدينة وفيها منبر استحدثها مونس المظفر . ومن قصر اللصوص الى ماذران سبعة فراسخ ، ومن ماذران الى قنطرة النعمان خمسة فراسخ ، ومن قنطرة النعمان الى قرية ابي أيوب اربعة فراسخ ، ومنها الى بهستون جبل عظيم فرسخان و قرية هناك تدعى سايسافان . وفي هذا الجبل المذكور كهف فيه الفرس المصور عليه كسرى ويعرف بشبداز . ومن بهستون الى قرميسين ثمانية فراسخ وهي مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثر ورخص وأب ، وسائمة كثيرة وعيون متدفقة وخيرات وتجارات . ومن قرميسين الى الزبيدية منزل صالح ثمانية فراسخ ومن الزبيدية الى مرج القلعة وهي مدينة عليها سور لطيف وهي لطيفة ولها مياه جارية وأغنام كالجئان تسعة فراسخ . ومن المرج الى حلوان مدينة قد مر ذكرها في وصف العراق لأنها اول حدّها من نواحي الجبال عشرة فراسخ . الطريق من همدان الى الدينور فمن همدان الى ماذران اربعة فراسخ ، ومن ماذران الى

راوذار اربعة فراسخ ، ومنها الى اسداباذ مدينة قد مرّ ذكرها تسعة فراسخ ومن اسداباذ الى سحنه تسعة فراسخ ، ومن سحنه الى الدينور ثمانية فراسخ ، فجميع ذلك ثلاثون فرسخاً . الطريق من همدان الى الريّ فمن همدان الى ساوه ثلاثون فرسخاً ، وساوّه مدينة طيّبة على الطريق الى العراق صالحة الحال كثيرة الجمال ، وأكثر الحجاج يجيئون على جمالهم لانهم مع قنيتهم الجمال جمّالون ، فيحملون اهلّ ما وراء النهر الى ما دون ذلك الى مكّة ومن ساوّه الى الريّ ثلاثون فرسخاً . الطريق من همدان الى اذربيجان : فمن همدان الى بارسيان عشرة فراسخ ، ومن بارسيان الى اوذ ثمانية فراسخ ومن اوذ الى قزوين يومان وليس بين قزوين وهمدان مدينة . ومن قزوين الى ابهر اثنا عشر فرسخاً ومن ابهر الى زنجان عشرون فرسخاً ، وكانت ابهر مدينة جليلة فأنّاه عليها الأكراد وعلى تلك النواحي والديلم فتغيّوت . وهذا الطريق اولاً كان المعروف فأما اذا قلّ أمنّهم فلمنهم يأخذون من همدان الى زنجان على سهرورد وبينهما ثلاثون فرسخاً .

٥ - والطريق من همدان الى اصبهان : فمن همدان الى رامن سبعة فراسخ وهي مدينة صالحة الحال ، ومن رامن الى بروجرد أحد عشر فرسخاً ، وبروجرد مدينة كبيرة أكبر من رامن وأحسن حالاً في جميع الوجوه ، ومن بروجرد الى الكرج عشرة فراسخ وهي ايضاً مدينة فوق بروجرد من كثرة الأهل وسداد الاحوال ووجود ما تدعو اليه الحاجة . ومن الكرج الى البرج اثنا عشر فرسخاً وهي ايضاً مدينة حسنة الحال ، ومن البرج الى خونجان منزل عشرة فراسخ ومن خونجان الى اصبهان ثلاثون فرسخاً لا مدينة فيها . ومن همدان الى خوزستان : فمن همدان الى الروذراور سبعة فراسخ ، والروذراور إقليم حسن وناحية شريفة ينبت فيها الزعفران الذي ليس بجميع الارض لها شبه ، ومن الروذراور الى نهاوند سبعة فراسخ وهي مدينة جليلة كثيرة التجارة والرساتيق والعمارة ، ومن نهاوند الى لاشتر عشرة فراسخ ومن لاشتر الى الشابرخاست اثنا عشر فرسخاً ، ومن الشابرخاست الى اللور ثلاثون فرسخاً لا مدينة فيها ولا قرية . ومن اللور الى قنطرة اندامش مدينة فرسخان ومن قنطرة اندامش الى جندی سابور فرسخان ،

ومن همدان الى ساوه ثلاثون فرسخاً ومن ساوه الى قم اثنا عشر فرسخاً تقطع في يومين، ومن قم الى قاسان اثنا عشر فرسخاً ؛ وقاسان مدينتان جليلتان كثيرتا الخير والمير والدخل على السلطان ، والغالب على قم التشيع وعلى قاسان الحشو ، ومن الري الى قزوین ثلاثون فرسخاً ولم يكن لقزوین نظير في كثير من اعمال الجبال بل في كلها من يسار اهلها وتمسكهم من الادب ونفوذهم في العلم وتعلق اهلها بجميع وجوهه ، وتمسكهم قبل دخول الديلم عليهم بأسباب المروّات والتفضّل الى غير ذلك من احوال السيادة والكرم وعلو النفوس والمهم ، وكم تخرج بها من نفيس وعُرف بالعراق وغيرها لهم من رئيس ومن همدان الى الدينور نيف وعشرون فرسخاً ومن الدينور الى شهرزور اربع مراحل ، ومن حلوان الى شهرزور اربع مراحل ، ومن الدينور الى الصيرة خمس مراحل ، ومن الدينور الى السيروان اربع مراحل ، ومن السيروان الى الصيرة يوم ، ومن اللور الى الكرج ست مراحل ، ومن اصبهان الى قاسان ثلاث مراحل ، ومن قم الى قاسان مرحلتان .

٦ - والمشهور من مدن الجبال ما ذكرته وهي : همدان والروذراور ورامن وبروجرد والكرج وفراونده ونهـاوند ، وقصر اللصوص ونهر زرنود وهو نهر اصبهان يسير ، وهذه المدن عليه تسايه وتصحبه : كاسداباذ والدينور وقرميسين والمرج وطزر وحومة سهرورد وشهرزور وزنجان وابهر وسمنان وقاسان وروذه وبوسته والكرج والبرج واصبهان وخان لنجان وبارمه ، مدينة محدثة ، والصيرة ونواحي السيروان ودور الراسبي والطالقان .

٧ - ذكر أحوالها ومقاديرها في ذاتها : فهمدان مدينة كبيرة مقدارها فرسخ في مثله محدثة إسلامية ولها سور وربض ، وللمدينة اربعة ابواب حديد وبنائهم من طين ولها مياه وبساتين كثيرة وزروع سيح ونجوس خصبة من جميع الخير كثيرة التجارات والمير . والدينور فإنها كثلي همدان وهي مدينة ايضاً كثيرة الثمار والزروع خصبة ، واهلها احسن طبعاً من اهل همدان ، وفيها مياه . ومستشرف وان قلت أنها تزيد على همدان

من جهة آداب أهلها وتصرفهم في العلم واشتهارهم به صدقت . ومنهم أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري صاحب الكتب المؤلفة ، وأبو حنيفة صاحب كتاب الأنواء ، وهو كتاب في غاية الحسن والجمال وله كتاب النبات في وجوه اللغة وغير ذلك من التأليف .

٨ - وأصبهان مدينتان إحداهما تعرف باليهودية والأخرى شهرستان ، وبينهما مقدار ميلين كقُرطُبَة والزهراء بأرض الاندلس متباينتان ، وفي كل واحدة منهما منبر واليهودية أكبرهما ، وهي مثلاً شهرستان في الكبر وبناءهما من طين ، وهما أخصب مدن الجبال وأوسعها عرصةً وأكثرها مالاً وأهلاً وتجارة وسابلةً ونعماً وخيراتٍ وفواكه وطيبات ، وهي فرضة لفارس والجبال وخراسان وخوزستان وليس بالجبال كلها أكثر جمالاً للحمولات منها . ويرتفع منها العتّابي والوشي وسائر ثياب الأبريسم والقطن ما يجهّز بذلك إلى العراق وفارس وسائر الجبال وخراسان وخوزستان ، وليس كعتّابي أصبهان في الجودة والجوهرية ، وبها زعفران وفواكه تجلب إلى العراق وإلى سائر النواحي ، وليس من العراق إلى خراسان بعد الرّبيّ مدينة أكثر من أصبهان تجارة .

٩ - وهي ذات نواح نزهةٍ ورساتيق حسنةٍ ومن وصل إلى قربها من طريق فارس وصعد عقبة سرفراز ، أشرف على المدينتين والرساتيق المتصلة بالبلد ، ورأى أنزه مكانٍ واطيبه مما يستوقف النظر وترتاح له النفس ولا يسأمه البصر ، ومن كرائم هذه الرساتيق رستاق جى ، وبه من الضياع الحسنة والقرى الخطيرة ما يُذكر أنها على عدد أيام السنة . ويقال إن الاسكندر عند ابتنائه سور شهرستان جعل فيه ثلاثمائة وخمسة وستين بُرجاً لكل ضيعة بُرج ، ليتحصّن فيه عند الفزع ويأوي إليه أهلها عند الحصار وتغلب الأشرار ، وذلك أن نواحي أصبهان كانت في قديم الأيام تُغراً من ثغور الترك والديلم ، ومن الرساتيق المحيطة بالبلد : رستاق لنجان ومهرين وجُنُبَة وكراج وكدر وكهكاوسان وبرخوار وبرآآن ؛ وبه هذه الرساتيق ضياع كبار أهلة غزيرة الغلات ، ومنها ذوات منابر وخطباء وأسواق وحماماتٍ ، وبالمدينة دور فاخرة وقصور لرؤسائها وأكبرها كقصر أبي علي

ابن رستم والسباط ، وبنائوه من حص وآجر وبالقرب منه الأرحية في نهر زرنرود ، وهو نهر لذيذ الماء طيبه حسن المنظر بالقصور التي تركبه وتطل عليه ، وله جانبان ففي الشرقي قصر عبد الرحمن بن زياد وقصر ابن أبي الفضل في سور كرينه ، ومن الجانب الغربي زركاباذ وتواجه محلتان كبيرتان ، وفيهما يُعمل السقلاطون والعَتَّايُّ الرفيع والحزف وغيره ، ولكرينه سوق يجتمع فيه الناس كل موسم للشرب والقصف والعزف لباب النيروز سبعة أيام بانواع الملاذ وغرائب الزينة ، قد تأتق حاضروه في الاستعداد لما كلهم ومشاربهم وادخر اهل البلد ومن قصده من البعد اطراف نواحهم النفقات الواسعة والزينة الرائعة والملابس الحسنة والاحتفال للعب والطرب ، فيعتكفون على لذاتهم ويتبارون في مجالسهم ونشواتهم بمجدِّاق المسَّعين والمسَّيعات على شاطئ الوادي ، وفي القصور قد ركبوا السطوح وغصَّوا الاسواق بنهاية الاحتفال في المآكل والمشارب والأنقال ، موصولاً ليلهم بنهارهم لا يفترقون ولا يعارضون ولا يُسْتَعُون قد أوسعهم سلاطينهم ذلك ، واتصلت العادة على مر الاوقات واختلاف السنين والساعات بترك العرض لهم والأخذ على أيديهم . ويقال ان نفقاتهم في هذا السوق عند حلول الشمس الحُلَّ يبلغ مائتي ألف درهم ، مع مُكنتهم من الفواكه الحسنة اللذيذة والمآكل الطيبة الفاخرة والمشارب التي كاللحان لرخصها وكثرتها إذ العنب يباع لديهم بمئتهم ، وهو اربع مائة درهم مائة مئاً بخمسة دراهم ، ويكون المستخرج من عصيره نحو سبعين مئاً يقوم بخمسة دراهم . واما فواكههم فلجودتها وحلاوتها وصحتها يلحق عتيقها بطراءة حديثها : كالكمثري والصيني والسفرجل والرمان والتفاح الكلماني ؛ وكلمان ضيقة نفيسة بقرب اليهودية ، ولتفاحتها ذكاء في الرائحة ولذة في الطعم وحسن في المنظر وتعلّق أغنابهم في المخازن والأهراء . وبالقرب من المدينة ماربانان ويقال ان بساينها في مساحة فرسخ عن يمين وشمال منها ، وهي من غربي اصبهان ويقال إن خراجها مائة ألف درهم ، والمعول في الجلد والتليج على ما يُعمل بهذه القرية لكثرتها وتمكّنهم من عمله ، وقد يُعمل الجمدُ الكثير بغيرها ، وبها من الفواكه الغزير الكثير وهي من

جانب النهر الغربي ، وبأسفل منها على نهر الوادي ضيعتان كبيرتان تُدعى إحداهن بتروكان والأخرى مهروكان في أنزه صقع ومكان وأنصره ويخرج من مهروكان ماء من عين عظيمة غزيرة دائمة الجري تدعى بياسرم ، وعليها ضياع عدّة وهذه العين في شاطئ زرنوذ وبينها وبين النهر رمية سهم . وأصل وادي زرنوذ من خانان من اصل جبل عظيم شاهق سامق ، ويخرج من شريقه ماء اصهبان ومن غريبه ماء الأهواز ، ويسمى نهر الأهواز عند خروجه مانان . ووادي زرنوذ في اصله واديان متباينان : أحدهما من خانان ، والآخر من خنكان من ناحية يقال لها فريدين ، وبهذه الناحية ضياع كثيرة ورساتيق واسعة غزيرة ويحمل منها ضروب المتاجر والمأكّل كالعسل والسمن والزبيب وأنواع الغلات من الحبوب ، وبها من ماشية الغنم والبقر والحصص والخير والسعة ما يضاهي به الأماكن المشار إليها بالكمال من الحصب وأنواع الحاسن ولين العيش . وبينها وبين اصهبان نحو عشرين فرسخاً ، وهذا الوادي يقع في وادي خانان بقرب الروذبار وله غلات غزيرة وأنواع من ذلك كثيرة خطيرة متصلة الميرة . وكانت في قديم الأيام هذه الناحية في حيز الصعاليك وأهل الفساد والدعارة ، وكان مغيض مياهها الى خان لنجان وخان لنجان مدينة صغيرة خصبة كثيرة الخير ، ولها ناحية ورستاق كأطيب ما يكون بمياه ومشاجره ، وبها من الخوخ الحسن اللذيذ ، ولها قلعة عظيمة وهي خزانة لأمرائهم تشرف على خان لنجان ونواحيها الى قرب اصهبان ، وبينها وبين المدينة تسعة فراسخ ؛ وبعض هذا الماء على رستاق مهران ، وبها تل عظيم كالجبل وعليه قلعة وفيها بيت نار ، فيقال أن ناره من قديم النيران الأزلية وقد توكّل بهذه النار سدنة عليها من الجحوس وحفظة لها فيهم يسار شائع ، لأنهم يتخذون الأشربة فيعتقونها ويُقصّدون لجودتها عندهم فيبيعونها ويوحدونها فيها . وقد مرّ القول أن ماء زرنوذ يجري على باب شهرستان عند السور نفسه ، ويقع فيه اودية وعيون كثيرة فيقع عليها القسمة والحساب بحق المشارب حتى لا يضيع من ماء زرنوذ شيء بوجه . ويخرج من جملة هذا الماء تسعة أيام في الشهر لرستاق رويدست وبرآآن ، وهي ناحية جليلة وبها نحو عشرة

منابر ولها غلات واسعة وأكثر مَير اصبهان تُجلب منها . ويُصرف ماء زرنوذ بأجمعه أيام **الإيوهة** ووقت اشتغال الناس بالبزور أربعين يوماً إليها الى حين يفرغ الزرع : وآخر مياه زرنوذ يصل الى الضيعة المدعوة برزند وهي للمجوس خاصة ويغض في الارض بينها وبين قورطان ضيعة يُعمل بها البُسط ، ويقال أن هذا الماء يغور بكرمان في بحيرة تُعرف بطهقيروز ويكون المكان الذي يقع اليه هذا الماء نحو تسعة فراسخ كالسبخة ، فلا يقدر الانسان أن يمشي عليها إلا على دفتين من خشب او كفتين من حبال تكون تحت قدميه ، وهي على طرف مفازة خراسان من نواحي كerman . وفي ضمن اصبهان ناحيتان جليلتان يقال لاحدهما برخوار ، وبها نحو مائة ضيعة ومياه هذه الناحية في القتي مصروفة في اقطانهم وسماسمهم وضروب غلاتهم من الدخن وغيره ، وبها من الجبال والجمالين للحمولات الغزير الكثير . والناحية الأخرى تُعرف برستاق كه كاوسان وبها سحمة موصوفة للأورام والعِلل القديمة والأسقام ، وتُقصد من جميع نواحيهم فيرجع المتعبد منها على رجله سليماً ماشياً والمريض صحيحاً ويدور بها رساتيق كثيرة . ويقال ان اصل اصبهان كان هناك في قديم الأيام وسالف الدهر الى أيام نخت نصر وقدم اليهود من الشام ناقلة الى هذه الناحية ، وكانوا قد استصحبوا من تربة بلدهم ومياههم وهربوا من ناحيتهم فقالوا : نقصد موضعاً يشاكل ناحيتنا ويُشبه بلدنا وتربتنا . ونزلوا بالمكان المعروف اليوم باليهودية وبالموضع الذي يُعرف منها بأشكهان وأشكهان كلمة باليهودية ، وقابسوا التربة والماء فقالوا بلسانهم اشكهان أي نقعد هاهنا . وكان المكث في الوقت أرضاً بوراً غامرة لا ساكن بها ، فأحدثوا المنازل وتصرّفوا في وجوه العمارة والفلاحة وأسباب الغروس والزراعة وسكنوا . وكان بنواحي صايك مدينة يرتفق أهلها بمراعي هذه الناحية ويتصرفونها فتقتل عليهم ما حدث بجوارهم من الأسباب فيقال لهم مانعهم عما أرادوه من بعض متصرفاتهم ، فجرت بينهم حروب واتصلت بينهم وقائع وشغوب وتطاوت بهم المشاغبة والمواثبة الى أن صارت الغلبة لليهود ، وتم بذلك ما حارلوه من تأسيس اليهودية وتصرّف أربابهم في الغروس على المياه

واستنبطوها من مظانها وأجروها في عماراتهم ، وكثرت إصاباتهم بالزروع في الأراضي البور واقتنوا الماشية وما يضطر اليه أهل الأمصار وتقصرت ، فسكنها من رغب في رفاة العيش ورغده وتوطنتها كبار دهاقين الجاهلية وسراة تثناء الاسلام وأرباب النعم . وقرأت في بعض الكتب أن خراجها في بعض الأوقات كان يبلغ اثني عشر ألف ألف درهم . والغالب على أربابها الرغبة في الخير وحسن ذكر السلف وحبّ المعروف وفعله وكان منهم وكانت المدينة أحسن حالاً واكثر تجارة وأموالاً من اليهودية وكان بها قوم سراة ووليا سادة من الولا وقصدها عالم من النافلة والطيرة ومنهم (١)

١٠ - والكرج مدينة متفرقة ليس لها اجتماع المدن وتعرف بكرج أبي دلف ، وكانت مسكناً له ولآله وأولاده الى أن زالت أيامهم ، وبنائهم كبناء الملوك قصور عالية وأبنية واسعة وفضاء فسحة ، ولها زروع ومواشٍ وليس بها كثير بساتين ومنزهات ، وفواكههم من بروجرد وغيرها وبنائهم من طين ، وهي مدينة طويلة نحو فرسخين ولها سوقان : أحدهما على باب مسجد الجامع وهو مديد طويل ، وسوق آخر وبينهما صحراء كبيرة وتصافيهما الأبنية والمنازل والمساكن والجماعات . وبروجرد مدينة استحدثت فيها منبراً حمويه بن عليّ وزير آل أبي دلف وهي مدينة خصبة كثيرة الخير تحمل فواكهها الى الكرج وغيرها حتى الى همدان والدينور ، وطولها أكثر من عرضها وطولها نحو نصف فرسخ وبها زعفران كثير . ونهاوند على جبل وهي مدينة بناؤها من طين وفيها أنهار وبساتين وفواكه كثيرة ، تحمل الى العراق لجودتها وكثرتها . وبها جامعات : أحدهما عتيق ، والآخر محدث . واليا يرتفع زعفران الروذاور وهو رستاق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران مشهور المحلّ والمقدار ، والمثير منه بموضع يُعرف بكرج الروذاور وله قرى كثيرة . وهي مدينة صغيرة

(١) يباض في الأصل .

بناؤها من طين وهي خصبة بها مياه وغار وزروع ، ويرتفع منها من الزعفران ما لا يرتفع من غيرها من مدن الجبال فيجهز الى العراق وسائر النواحي لكثوته وجودته .

١١ - وحلوان مدينة في سفح الجبل المطل على العراق وهي مصورة في ضمنه [ويضع بعض الناس أن حلوان من العراق ويضع الآخرون أنها جبلية يسقط فيها الثلج وهي من الجبال بلا منازعة] وبناؤها من طين وحجارة وهي نحو نصف الدينور ، ويكون الثلج منها على فوسخين غير منقطع أبداً وهي مدينة حارة فيها نخيل وشجر تين كثير موصوف ، ومياه وأودية تتخرق في أعمالها ورؤاها موصوف وتينها مشهور وبالخلاوة معروف ، وقد نالها بعض اختلالها في سوادها . وأما الصيرة والسيروان فمدنيتان صغيرتان غير أن الغالب على بنائها الجص والحجر كمدينة الموصل وتكرت في أبنيتها ، وفيها الشجر الكثير والجوز والدستنبويه وما يكون في بلاد الصرود والجروم ، وفيها مياه وأشجار وزروع وهما نزهتان تجري المياه في دورهم ومحالهم . وشهرزور مدينة صغيرة قد غلب عليها الاكراد وعلى ما قاربها ودنا من العراق ، وليس بها أمير من قبل السلطان ولا عامل على وجوه أموالها وهي من رغد العيش وكثرة الرخص وحسن المكان وخصب الناحية بحالة واسعة وصورة رائعة . وكذلك مدينة سهرورد كشرزور في الأوصاف التي قدمتها من ذكر خيراتها ، وقد غلب عليها الاكراد ، وهي كهي في قدر مساحتها ورقعتها وكان أكثر أهلها الشراة فانتقلوا عنها . ومن سقطت نفسه ورضى بالهوان أقام لحبة المنشأ والوطن وهما حصينتان عليها سوران .

١٢ - وقزوين مدينة عليها حصن وفي داخل المدينة جامعها ، وهي منهل للديلم وكانت في بعض أيام بني العباس ثغراً يغزوت الديلم منه ، وبينها وبين مستقر عتاة الديلم اثنا عشر فرسخاً والطالقان أقرب الى الديلم منها ، وليس لقزوين ماء جار إلا مقدار شربهم ويجري هذا الماء في مسجد الجامع في قناة وهو ماء وبيء ، ولهم أشجار وكروم وزروع كلها عذبة تركو حتى تحل من عندهم . وكان لها أهل شراة لا يغيبهم

الزوار والطُّرّة وفيهم خير بالطبع واصطناع له ، ومنهم أبو القاسم علي ابن جعفر بن حسن المتكلم على مذاهب البصريين ، وكان من كبار اهل الفلسفة المَعْدُودين بالحفظ وتوَكُّثه في جملة حاشية أبي جعفر العُتبي وشمله ويتصرف في أعمال البريد بما وراء النهر .

١٣ - وقُم مدينة عليها سور وهي خصبة وشرب أهلها من آبارها ومياه بساقيتها من سوان ، وبها فواكه وأشجار فستق وبندق وليس بتلك الناحية من البندق إلا بمدينة لاشتر ففها منه الكثير الغزير ، وليس بجميع الجبال نخيل الا بالصيمرة والسيروان وما بشابرخاست وهي نخيل قليلة غير أنها لقربها من العراق جياذ ، وجميع أهل قم شيعه لا يغادرهم أحد والغالب عليهم العرب ولسانهم الفارسية . وقاسان مدينة صغيرة بناؤها وبناء قم من الطين ، وسائر ما ذكرنا من مدن الجبال سوى الري فإنها بالجص وجميعها لطاف متقاربة .^٣

١٤ - وليس بجميع الجبال بحيرة صغيرة ولا كبيرة ولا اتصال بشيء منها ، ولا نهر يجري فيه السفن غير النهرين المفضيين بين جبال الجزيرة جائية من نواحي ارمينية على جبال داسن ، ويُعرفان بالزابين وكنها وإن كانا من الجبال يخرجان فليسا منها لأنهما الى الدجلة يفرغان وفيها يقعان ، ورأيتهما جميعاً ومخرجهما من جبال الجزيرة وتلقاء اذربيجان الى نواحي الموصل .

١٥ - والغالب على هذه المدن المذكورة والنواحي الموصوفة الجبال الشاهقة العالية والأوعار الصعبة المنيعه ، إلا ما بين همدان الى الري والى قم فإن الغالب عليها السهل والجبال بها قليلة ، والذي يحيط بالجبال الصعبة من حد شهرزور الى آمد فيما بين حدود اذربيجان والجزيرة ونواحي الموصل وهو من طولها ، وربما كان عرضها في غير موضع الثلاثين فرسخاً والى الأربعين وأزيد وأنقص ، فلا يُرى فيها مرحلة واحدة في سهل وهذه الجبال مسكونة مأهولة بالأكراد الحميدة واللالية والهدبانية ، وغيرهم من أكراد شهرزور . وسهرورد ومن شهرزور الى حلوان والصيمرة والسيروان واللور واصبهان وحد فارس راجعاً على قاسان الى همدان حتى ينتهي الى

قزوين ونواحي الديلم وتمتد الجبال في اذربيجان بين وعري وسهل وجبل الى جبل القبق على جبال الخرمية ، وأسفل هذه الجبال من نواحي شهرزور الى نواحي قاسان وحدود خوزستان تعرف بالماهين : ماه الكوفة وماه البصرة .

١٦ - وإنما أضيفت جبال الديلم اليهم إذ كانت قائمة بأنفسها ولها ملوك وكان اتصالها واحد من جهة المشرق بجبال طبرستان وجرجان ومن جهة المغرب بجبال اذربيجان ، وليس بينهما حاجز تستحق إفراداً به وقد أضيفت الديلم في غير وقت الى عمل خراسان ومرة الى اذربيجان ، والري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر منها إلا أن نيسابور أكبر منها عرصة وأنسح رقعة . فأما استنباك البناء ويسار الأهل والحصب والعمارة فهي أعمر ومقدارها فرسخ ونصف في مثله ، والغالب على بنائها الطين وبها الجص والحجر في بعض أبنيتها . ومن الجبال المذكورة بهذه النواحي جبل دنباوند مرتفع حتى يرى فيما بلغني من خمسين فرسخاً لارتفاعه وما بلغني ان أحداً ارتقاه ويتحدث عنه بحجرات كثيرة من أمر السحر ، وان السحرة من جميع أقطار الأرض تأوي اليه .

١٧ - وجبل بهستون جبل منيع لا يرتقى الى ذروته أيضاً وطريق الحاج من نيسابور الى حلوان تحته وفي بعضه ، ووجهه من أعلاه الى أسفله أملس قد تميل وجرد ويكون من الري الى حلوان بهذه الصفة ، حتى كأنه قد نحت منه مقدار قامات كثيرة من الارض ، ويزعم بعض الناس وأظنه عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب البلدان ، له وهو كتاب نفيس له في معرفة الأمصار ان بعض الأكاسرة أراد ان يتخذ بجوف هذا الجبل سوقاً ليدل به على قوته وسلطانه . وعلى ظهر هذا الجبل بما يقرب من الطريق الآخذ الى العراق مكان يشبه الغار ، فيه عين ماء تجري وهناك صورة دابة كأحسن ما يكون من الصور ، ويزعمون أنه صورة دابة كسرى المسى شبداز وعليه صورة كسرى من حجر وصورة امرأته شيرين في سقف هذا الغار ، وأخبرني من رأى في هذا الجبل على الغار من فوقه بمسيرة بعيدة صورة مكتب ومعلم وصبيان من حجارة ، ويبد

معلمهم كالسير يُوسى به لضرب الصبيان ، وأنه رأى هناك مطبخاً وطبخاًه قائماً وقدورَه منصوبةً على أثافٍ معمولةٍ منقوبةٍ ، ويبد الطبخ مغرفة كل ذلك من حجارة ، وليس بهذه النواحي جبل مذكور مشهور غير ما ذكرته ، وجبل سبلان المطل على مدينة اردبيل عندي أعظم من دنياوند ، غير أنه منقطع عن الجبال التي تصاقبه فهو يُرى في دون منزله من العلو والسمو وما رأيتُ من رقى ذروته . وجبل الحارث بدبيل أعظم منهما ، وجبال الحرمة جبال منيفة فيها الحرمة وكان بابك منها ، ولهم بقراهم مساجد ويقرأون القرآن ويتقول عليهم في خلال ذلك أنهم لا يدينون في الباطن بدين غير الاباحة .

١٨ - ونفود أهل هذه النواحي الذهب والفضة ويغلب الذهب على الفضة . وأما اوزانهم فإن من همذان والماهات أربع مائة درهم ، وليس بجميع الجبال معدن ذهب ولا فضة غير ان بقرب اصبهات معدنا للكحل مصاقباً لفارس ، والغالب على أهل الجبال كلها قنية الأغنام وعلى مطاعهم الألبان وما يكون منها ، ولهم بما يتخذ من اللبن أنواع طيبة لذينة كالمأستنج والجن المحمول الى كثير من أعمال الأرض ويوصف بالجوذة . وكان السراة من أهلها والتشاء من رجالها يختصون بضروب من المروءة وأنواع السيادة والرياسة . وأما الديوان منها ودار الامارة بها في وقتنا هذا فبالري لأن ملكها كان أبا علي الحسن بن بويه ، وقد كان قطن بها واستوطنها وهي بأجمعها له وفي يديه وجبايتها واصله الى أهله من بعده ، والمرتفع منها الى المقيم بها في هذا الوقت .



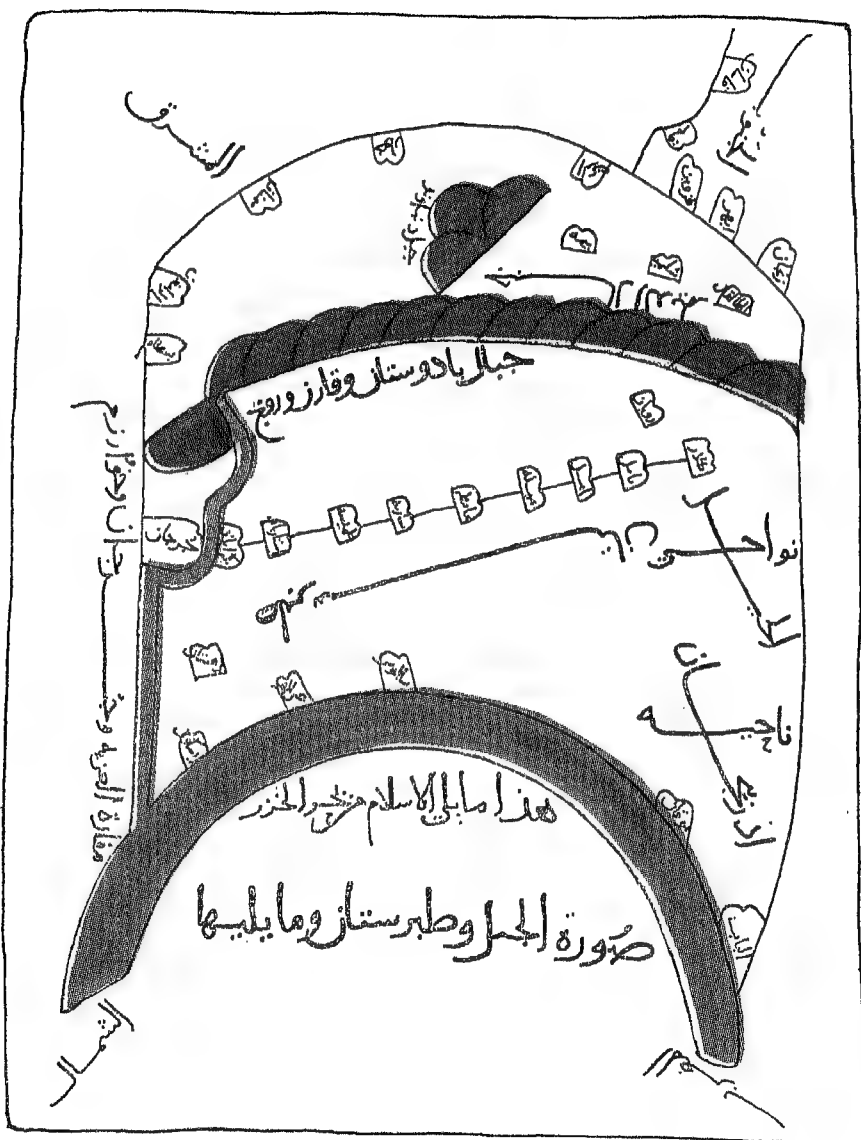
الديلم وطبرستان

١ - فأما الديلم وما يتصل بها فمن ناحية الجنوب قزوين والطرم وشيء من أذربيجان وبعض الري ويتصل بها من جهة المشرق بقية أعمال الري وطبرستان ويتصل بها من الشمال بحر الخزر ومن المغرب شيء من أذربيجان وبلدان الران ، وقد ضمت إلى ذلك ما يتصل به من جبال الروينج وباذوسبان وجبال قارن وجرجان ، وأما بحر الخزر فقد أفردت صورته بذاتها وأثبت به وبها على جهتها وهي التي تلي صورة الديلم وبما يتصل به من تلك النواحي التي لم أذكرها ولا صورتها .

٢ - وهذه صورة الجبل وما يليها من الديلم وطبرستان .

إيضاح ما يوجد في صورة الديلم وطبرستان من الأسماء والنصوص :

قد كتب موازياً لطرف الصورة الأسفل : صورة الجبل وطبرستان وما يليها . وفوق ذلك : هذا ما يلي الإسلام من بحر الخزر ، ويحيط بهاتين الكتبتين في شكل نصف دائرة رسم البحر وكتب في الزاوية اليمنى عند منتهى البحر المغرب وفي الزاوية اليسرى الشمال . ويتصل بساحل البحر ابتداء من اليمين من المدن : الباب ، موقان ، شالوس ، عين الهم ، أبسكون ، ومن أعلى أبسكون في البر دهستان ، وعن يسار أبسكون مصب نهر يأتي من الفوق وكتب موازياً لهذا النهر عن يساره : مفازة الغزية وجرجان وخوارزم ، وتتصل بالنهر عند عطفه إلى اليمين مدينة جرجان ، وتقابلها عن يمين النهر مدينة بكراباذ ، ويأخذ من بكراباذ طريق إلى اليمين عليه من المدن : استاراباذ ، طميسه ، ساريه ، مامطير ، ميله ، أمل ، نائل ، كلار ، وتقع من فوق المدينتين الأخيرتين رويان ، وكتب في الساحة تحت هذا الطريق موازياً له طبرستان ، وعن يمين ذلك على شكل صليبي نواحي الجبل ثم من أسفل ذلك على شكل صليبي أيضاً ناحية أذربيجان ، ورسمت سلسلة جبال تجدد هذه الساحة من أعلاها وكتب عند نصفها الأيسر : جبال فاذاوسبان وقارن وروينج .



، كتب موازياً لاعلى النصف الايمن من الجبال جبال الديلم ، ثم يحيط بالساحة فوق الجبال خط مقوس يتصل به من المدن ابتداء من اليمين : زنجان ، اهر ، قزوین ، الري ، خوار ، سمنان ، الدامغان ، بسطام ، ورسم في وسط هذه الساحة جبل دنباوند ويقع عن يمينه من المدن : بيمه ، شلنبه الطالقان ، ويأخذ عن يسار قزوین طريق الى الفوق عليه : قم وقاسان ، وكتب عن يمين ذلك في الزاوية الجنوب وفي الزاوية اليمنى المشرق .

وهذا ما يلي الاسلام من بحر الخزر :

٣ - فأما ناحية الديلم فسهل وجبل والسهل للجبل ، وهم مفترشون على شط بحر الخزر تحت جبال الديلم وسكان هذه الجبال فهم الديلم المحض ، وهي جبال منيعة والمكان الذي كان به قعدد الملك يسمى الطرّم وبه منام آل جستان ورياسة الديلم فيهم . وزعم أبو بكر محمد بن دريد أن الديلم طائفة من بني ضبة . وفاحتهم كثيرة الشجر والغياض وأكثر ذلك للجبل في الوجه الذي يقابل البحر وطبرستان . وقراهم مفترشة وهم أهل زرع وسوائهم وليس عندهم من الدواب ما يستقلون بها . ولسانهم منقرد عن الفارسية والرائية والارمنية وفي بعض الجبل فئة وطائفة تحالف لسان الجبل والديلم . والغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعّر والعجلة والطيش والبدار وقلة المبالاة والاكتراث . وكان الديلم أكثر أيام الاسلام كفّاراً يُسمّى رقيقهم الى أيام الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم وفيهم الى يومنا هذا في الجبال كفّاراً .

٤ - والرؤينج وجبال فاذاوسبان وقارن هي جبال منيعة وبكل جبل منها رؤيس ، والغالب عليها الأشجار العالية والغياض والمياه ، وهي خصبة جداً . فأما جبال قارن فهي قرّى لا مدينة فيها غير شهر على مرحلة من ساريه ، ومستقر آل قارن بموضع يسمى يريم وهو موضع حصنهم وذخائرهم ومكان ملكهم ، ويتوارث أصحاب الجبل المملكة بها من أيام الأكاسرة . وجبال باذاوسبان جبال بمملكة ورئيسها يسكن قرية تسمى ارم وليس بجبال باذاوسبان منبر وبينها وبين ساريه مرحلة . فأما جبال روينج فإنها كانت لرعاياهم يملكونها وفي هذا العصر هي لملوكهم وهي بين الري

وطبرستان ، فما كان من جهة الري فمن حدود الري وما كان من وجه طبرستان فمن طبرستان ، والمدخل الى الديلم من طبرستان على شالوس وهي على نحر البحر ، ولها منعة إذا استوتق منها بالشحنة لصعوبة المسلك على الديلم الى طبرستان ، وبين الجبال من حد الديلم الى استاراباذ والى البحر أكثر من يوم ، وربما ضاق حتى يضرب لماء الجبل ، فإذا جاز الجائر الديلم الى الجبل اتسع البر حتى يصير بينه وبين البحر مسيرة يومين وأكثر .

٥ - ونواحي قزوين فالذي يتصل بها من المدن : اهر وزنجان والطالقان ويتصل بالري خوار وشلمبه وبيسه ، ويقع في قومس : سمنان والدامغان وبسطام ، ويقع بطبرستان : آمل وناقل وشالوس وكلار والرويان وميله وترجي وعين الهمم ومامطير وساربه وطبيسه ، ويقع في عمل جرجان : جرجان واستاراباذ وابسكون ودهستان ، فأما جبال روينج وباذوسبات وقارن فما بها مدينة ولا منبر غير شهرار وهي في جبال قارن .

٦ - وأعظم مدينة في هذه الناحية الري وقد مر ذكرها ، وذلك ان طولها فرسخ ونصف في مثله وهي مدينة بناؤها من طين ويستعمل فيها الآجر والحص ، ولها حصن حسن مشهور له ابواب مشهورة منها باب ماطاق يخرج منه الى الجبال والعراق ، وباب بليسان يخرج منه الى قزوين ، وباب كوهك يخرج منه الى طبرستان ، وباب هشام يخرج منه الى قومس وخراسان ، وباب سين يخرج منه الى قم . ومن اسواقها المشهورة : روضة وبليسان ودهك بر ونصراباذ وساربانان وباب الجبل وباب هشام وباب سين ، وأعظمها الروضة وبها معظم التجارات والخانات وهو شارع عريض مشتبك الابنية والعقارات والمساكن . ولها مدينة عليها حصن وفيها مسجد الجامع وأكثر المدينة خراب والعمارة في الربض ، ومياههم من الأبار ولهم ايضاً قني وفي المدينة نهران للشرب يسمى احدهما سوريني ويجري على روضة ، والآخر الجيلاني يجري على ساربانان ومنها شربهم . ولهم قني كثيرة ما يفضل عن مشربهم ويتفرع الى ضياعهم . ونقودهم الدراهم والدنانير وزبي أهلها زبي أهل العراق ويرجعون الى مروزة ولهم دهاء وفيهم تجارب . وبها قبر محمد بن الحسن الفقيه الكوفي

وقبر الكسائي والفزاري المنجم . ومدينة خوار فهي مدينة لطيفة صغيرة نحو رُبع ميل، وهي عامرة وبها ناس يرجعون الى مروّات وسُرو وعلم وديانات . وفيها ماء جارٍ يخرج من ناحية دُنباوند ، ولها ضياع ورساتيق وحال حسنة . وأما وِيه وشَلنبه فهما من ناحية دُنباوند وهما مدينتان صغيرتان أصغر من خوار الريّ وأكبرهما وِيه، ولهما زروع ومياه وبساتين وأعشاب كثيرة ، وخوار أشد تلك النواحي برداً . وللريّ سوى هذه المدن قرىّ تزيد في قدرها وجلالتها على هذه المدن كثيراً ولا منابر فيها مثل سد وورامين وارنبويه وورزنين ودُزك وقوسين ، وغير ذلك من القرى التي بلغني ان في أحدها ما يزيد من أهلها على عشرة آلاف رجل ، ومن رساتيقها المشهورة القصر الداخل والقصر الخارج وبهناك والشبر وبشايه ودُنيا ورستاق قوسين وغير ذلك . ويرتفع من الري بالجلب منها الى غيرها من البلاد القطن المحمول الى العراق واذربيجان وغيرها والسياب المنيرة والأبراد والأكسية .

٧ - وليس بجميع هذه النواحي نهر تجري فيه السفن، وأمّا الجبال فن حدّ عمل الري دُنباوند ، وهو جبل رأيتُه من وسط رُوذه بالري وبلغني أنه يُرى من قرب ساوّه، وهو في وسط جبالٍ يعلو فوقها كالحقبة ويحيط بالموضع الذي يعلو عليه نحو أربعة فراسخ، ولم أسمع ان احداً ارتقاه الى أعلاه ويرتفع من قلّته دخانٌ دائم الدهر كله ، وحول هذه القبة قرىّ منها قرية ذيبران ودومنه وبوأ وغيرها من القرى ، وكان علي بن شروين الذي أُسِرَ على وادي جيّحون منها وبلغ به الحال ان نافسته نفسه الى ملك خراسان فلم يُسْعِدْهُ القَدَر . والقلة التي يرتفع دخانها على كاهل دُنباوند هو جبل أقرع ، وعلى ما دون القلة أشجار قليلة ولا نبات معها وليس بسائر الجبال ونواحي الديلم وما يتصل بها أعظم منه جبلاً .

٨ - وقومس فإن أكبر مدينة بها الدامغان ، وهي أكبر من خوار الري وسمنان أصغر منها وبسطام أصغر من سمنان . والدامغان قليلة الماء وهي متوسطة العمارة وبسطام أكثر منها عمارة وأكثر فواكه، ويُحمل من فواكهها الى العراق الكثير الغزير ، ويرتفع من قومس أكسية معروفة

وتحمل الى الأمصار وهي فاشية في جميع الأرض .

٩ - وقزوين مدينة عليها حصن وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن ومسجد الجامع في المدينة الداخلة ، وهي مدينة مأواها من السماء والأبَار وليس بها نهر إلا قناة صغيرة للشرب ، وقد ذكرت أنها لا تفضل عن شربهم وهي خصبة مع قلة مياهها ويكون مقدارها ميلاً في مثله ، واهر وزنجان مدينتان صغيرتان حصينتان كثيرتا المياه والأشجار والزروع ، وزنجان اكبر من اهر غير أن اهل زنجان تغلب عليهم الغفلة والجهال موجود فيهم .

١٠ - وطبرستان فأكبر مدنها آمل وهي مستقر ولاتها في هذا العصر ، وكانوا في قديم الأيام يسكنون ساريه . وطبرستان بلد كثير المياه والثمار والأشجار الجليلة العظيمة ، والغالب عليها الغياض وكثرة الأشجار وأكثر ابنيها الحشب والقصب ، وهو إقليم كثير الأمطار وربما اتصل المطر سنة جرداء فلا يرون فيها الشمس وسطوحهم مسنمة بالقراميد . وآمل أكبر من قزوين وهي مشتبكة البناء والعمارة وما اعلم على قدوها أعمر منها في نواحيها . ويرتفع بجميع طبرستان الابرسم ويُحمل منه الى جميع الآفاق ، وليس بسائر الأرض في ملك الاسلام والكفر ناحية تقارب طبرستان في كثرة الابرسم ، وبها من الحشب الخنج والكرم الملون المجزّع خشبه بسوادٍ وحمرة والشمش والشوحط ما ليس بمكان مثله . والغالب على أهل طبرستان وفور الشعر واقتران الحواجب وسرعة الكلام والعجلة والطيش ، وعلى طعامهم خبز الأرز والسمك والثوم وكذلك الديلم والجيل . ويرتفع من طبرستان أصناف من الثياب الابرسم والأكسية الصوف الثمينة والبركانات العجيبة ، وليس بجميع الأرض أكسية تبلغ قيمة اكسياتهم وبركاناتهم ومطافهم وإذا كانت بالذهب فهي كما بفارس أو أزيد بقليل . وليس بجميع طبرستان نهر تجري فيه سفينة غير أن البحر منهم قريب على أقل من يوم . ويعمل بطبرستان مناديل قطن وشرابيّات ودساتك ساذجة ومذهبة ، وليس لذهبها نظير هذا الى بقاء معروف في ثيابهم القطنية ، وأكثر قطنهم يضاوي قطن صعدة وصنعا وفيه صفرة ولما

يُعمل منه جوهر حسن ويستحسنه اهل العراق . وجميع طبرستان يغلب عليها المياه والغياض والشجر إلا ما كان في المواضع المستعلية في الجبال ففيها قلّة رطوبة ويبس، وبطن طبرستان سقيع نقيع يغلب عليها النزول ونجل الارض .

١١ - وجرجان وأعمالها وجبالها مصافحة لطبرستان وحومتها كبيرة ، وليس بتلك النواحي لها شبه وبنائها من طين ، وهي أبيض من أمل تربة وأقل مطراً مع أنه لا تخلو جرجان وطبرستان شتاءً وصيفهم من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية المضجرة ، القاطعة للغريب عن الاشغال الصادرة عن المهمات من الاعمال ، وكان اهل جرجان أحسن وقاراً وأكثر مروءةً وبساراً ، وقد تغيّر الجميع وهلكت المواد وغلب عليها السلاطين . وجرجان جانبان بينهما نهر يجري كثير الماء عظيمه في الشتاء وعليه قنطرة معقودة بين الجانبين ، فجرجان الجانب الشرقي وبكراباذ الجانب الغربي وهي اقل من جرجان سعة . وأكثر ما يُعمل الابريسم بكراباذ وأصل الابريسم طبرستان من جرجان لانه لا يذكر ما بطبرستان من بزور حريرهم ، وإنما يستعملون بزور جرجان لأنها أزكى وأتم ولا يتم من بزور طبرستان حرير بته . ولها مياه كثيرة وضياح عريضة وقلاع واسعة ولم يكن في المشرق بعد أن تجاوز الريّ والعراق مدينة أجمع ولا أظهر خصباً على مقدارها من جرجان ، وذلك أن بها الثلج والنخل والأترج وفواكه الصرود والجروم والتين والزيتون وسائر الفواكه . وكان لأهلها مروءات يتبارون فيها ويأخذون انفسهم بها وبالتأقي للأخلاق المحمودة ، فبدّهم عدل السلطان واختلاف العساكر عليهم وغيّروهم ذلك وحقيق بالتغيير . وتخرج منهم رجال كثيرون شهروا بالفضل وعرفوا ووُصفوا بالسرو كالعمركي صاحب المأمون وكان من العلم والأدب بكان . ونقودهم نقود طبرستان الدنانير والدرهم ومنهم ستائة درهم . وكذلك من طبرستان والريّ وقومس منها ثلاثائة درهم . ولجرجان قرصة على بحر طبرستان يركبون منها الى الحزر وباب الأبواب والجيل والديلم وغير ذلك ، وتعرف بابسكون مدينة صالحة كثيرة البعوض والناموس وليس بجميع النواحي

المذكورة فرضة أجل من أبسكون، وكان لهم رباط يُعرف برباط دهستان مدينة قصدة ولها منبر، وهي نغر للغزاة الأتراك وقد شربت من الاختلال شربة ليست بالقوية. ويتصل حد جرجان بالمقازة التي تلي خوارزم ومنها يقصدهم الأتراك. والغالب على أعمال جرجان الجبال والقلاع المنيع، وبها من القلاع في وقتنا هذا ما لم يصل وشمكير بن زيار إليه ولا خرج من يد أهله على قول أهل البلد أكثر من ألف قلعة، ولكل قلعة منها الضيعة والضيعتان ولمن يملك جرجان عليهم مال يقبضه كالمقاطعة، وربما منعوا أنفسهم عن دفع ما يجب عليهم مُدَّةً ولا يمكن في أكثرهم إلا المسألة وأخذ ما يتيسر على الرفق والمداراة، وإذا عُنفَ بهم دَقَعُوا عن أنفسهم لأنه لا يُقدَّر على مطاولتهم. وجرجان وطبرستان منذ سنين بين عملي خراسان والري، فربما غلب عليهما أصحاب خراسان فدعوا لآل سامان، وربما غلب عليهما أصحاب الأمير ركن الدولة، فدُعِيَ لآل بُويه كالحسن بن فيروزان وغيره.

١٢ - ذكر المسافات بهذه النواحي: الطريق من الري الى حدود اذربيجان، فمن الري الى قزوین أربع مراحل، ومن قزوین الى اهر مرحلتان، ومنها الى زنجان يومان صعبان، ومن أراد الطريق القصد لم يمض على قزوین ومضى على يزدا باذ من رستاق دشته. والطريق من الري الى نواحي الجبال فمن الري الى قسطانه مرحلة، ومنها الى مشكويه مرحلة ومنها الى ساوه تسعة فراسخ، وساوّه ربما ارتفعت في أعمال الجبال وربما خُتمت الى الري. ومن الري الى طبرستان فمن الري الى برزيان مرحلة خفيفة، ومن برزيان الى ناهند مرحلة كبيرة ومنها الى اشك مرحلة، ومن اشك الى بلور مرحلة ومنها الى آمل مرحلة. ومن الري الى خراسان على قومس، فمن الري الى افريدين قرية مرحلة ومن افريدين الى كهده مرحلة، ومن كهده الى خوار مرحلة ومن خوار الى قرية الملح مرحلة، ومن قرية الملح الى رأس الكلب مرحلة ومن رأس الكلب الى سمنان مرحلة، ومن سمنان الى علياباذ مرحلة، ومن علياباذ الى جوجوى مرحلة، ومنها الى الدامغان مرحلة ومنها الى الحدادة مرحلة، ومن الحدادة الى

بذش مرحلة ومن بذش الى مورجان مرحلة كبيرة ، ومن مورجان الى هقدر مرحلة ومن هقدر الى اسداباذ مرحلة ، ومن اسداباذ الى نواحي نيسابور واسداباذ اول عمل نيسابور .

١٣ - والطريق من طبرستان الى جرجان ، فمن آمل الى ميله فرسخان وهي مدينة ، ومنها الى ترمجي ثلاثة فراسخ ومن ترمجي الى ساريه مرحلة ومن ساريه الى بارس مرحلة ومن بارس الى اباذان مرحلة ، ومنها الى طميسه مرحلة ومنها الى استاراباذ مرحلة ، ومن استاراباذ الى رباط حفص مرحلة ومن رباط حفص الى جرجان مرحلة . ومن اراد ان يخرج من آمل الى مامطير مرحلة ومنها الى ساريه مرحلة ، ولا يكون الطريق على ترمجي وهو اقصد وإنما ذكرت الطريق الاول لأن فيه منبرين . والطريق من آمل الى الديلم فمن آمل الى ناقل مرحلة ومن ناقل الى شالوس مرحلة خفيفة ، ومن شالوس الى كلار مرحلة ومن كلار الى الديلم مرحلة . ومن آمل الى البحر الى عين الهم مدينة مرحلة خفيفة ، وفيها نهر آت من آمل . والطريق من جرجان الى خراسان فمن جرجان الى دينارزاري مرحلة ، ومنها الى املواتلوا مرحلة ومن املواتلوا الى اجع مرحلة ، ومنها الى سنداسب مرحلة ومن سنداسب الى اسفرايين مرحلة . والطريق من جرجان الى قومس فمن جرجان الى جهينه مرحلة وهي وادي لقرية حسنة ومن جهينه الى بسطام مدينة مرحلة ومنها الى وسط قومس مرحلة .

١٤ - وأما ارتفاع جرجان بعد انحلالها واختلاها في وقتنا هذا لوشمكير بن زيار ولبهستون بن وشمكير بن زيار وما هو في ضمنها من الجبايات والقبالات وحقوق السلطان ، وما يؤخذ من المراكب الواردة والصادرة في بحيرة طبرستان بابسكون فمن مائتي الف دينار الى الفي الف درهم . وارتفاع طبرستان غير متحصّل منذ سنين كثيرة لأنها متداولة بأيدي السلاطين وكان في القديم ارتفاعها كارتفاع جرجان ، لأنها قليلة الغلات تأفة الحال من زروع الحنطة والشعير .

بحر الخزر

١ - وبحر الخزر فإن شرفته بعض الديلم وطبرستان وجرجان وبعض المفاضة التي بين جرجان وخوارزم ، وغربته الران وحدود السريز . وبلاذ الخزر وبعض مفاضة الغزية ، وشماله مفاضة الغزية بناحية سياه كويه ، وجنوبه الجيل والديلم وما داني ذلك .

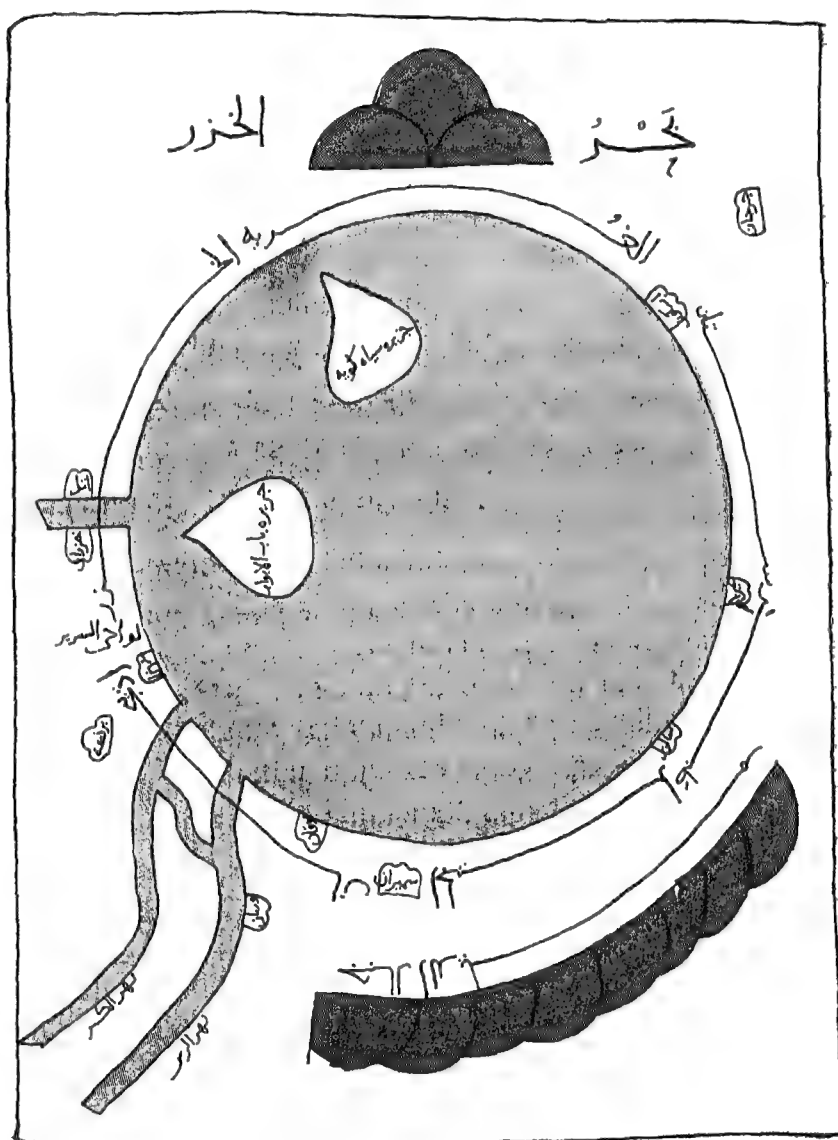
٢ - وهذه صورة بحر الخزر .

إيضاح ما يوجد في صورة بحر الخزر من الأسماء والنصوص :

قد رُسم البحر على شكل دائرة في وسط الصورة ورُسم من أعلاه جبل لا اسم عنده ، وهو بين كلمتي كتابة بحر الخزر . وكتب موازياً لساحل البحر الأعلى الغزية ثم يلي ذلك موازياً للساحل الخزر ثم اذربيجان ثم الجيل ثم طبرستان . ويصب في البحر آخذاً عن اليسار نهر رُسم على شاطئه الأعلى مدينة اقل وعلى الشاطئ الأسفل خزران . وكتب في الساحة من أسفل ذلك نواحي السريز ، ثم تقع على ساحل البحر مدينة الباب وعن يسارها الى الأسفل برذعه . ثم يصب في البحر عن يمين ذلك نهران هما نهر الكر ونهر الرس ، وعلى نهر الرس مدينة وراثان ثم عن يمين مصب هذا النهر على ساحل البحر موقان . ويلها على بعد من ساحل البحر مدينة سميران ، ثم يلي ذلك على الساحل من المسدن : شالوس ، عين الهم ، ابسكون ، وعن يمين ذلك في البر جرجان .

ورُسم في البحر جزيرتان هما جزيرة سياه كويه وجزيرة باب الابواب ، ومن أسفل البحر في أيمن الصورة سلسلة جبال كتب عندها جبال الديلم .

٣ - وهذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار التي على وجه الأرض بطريق المادة والاختلاط إلا ما يدخل اليه من نهر الروس المعروف بأقل وهو متصل بشعبة تفضي منه الى الخليج الخارج من ارض القسطنطينية الى البحر المحيط . ولو ان رجلاً طاف بهذا البحر لرجع الى مكانه الذي ابتداء



به لا يمنع مانع ولا يقطعه قاطع إلا نهر يجذب اليه ويقع فيه ، وهو بحر مالخ ولا مد له ولا جزر مظلم قعره بخلاف بحر القلزم وغيره ، لأن قعره طين آسن وبحر فارس يتبين في كثير من بقاعه أرضه لصفو ما تحته من الحجارة البيض ، ولا يرتفع من هذا البحر شيء سوى السموك ويُركب فيه للتجارة من أراضي المسلمين الى أرض الحُزْر ، وهو فيما بين الران والجيل وطبرستان وجرجان . وليس فيه جزيرة مسكونة فيها عمارة كما في غيره جزائر فيها سكان ومياه ومدن ، والذي فيه من الجزائر فيها مياه وأشجار ولم يسكنها في الإسلام أحد . منها جزيرة سياه كويه وهي كبيرة بها عيون وأشجار وغياض ودواب وحش . واليها جزيرة تجاه الكرّ وبالقرب من الباب وهي كبيرة أيضاً فيها غياض وأشجار ومياه ، ويرتفع منها الفتوة ويخرج اليها من نواحي برذعه منتجة لإثارة الفتوة ، والعمل فيها الأيام الطويلة الكثيرة ويحملونها الى وراثان وبرذعه فينالون منها خيراً ، ويحمل الى جزيرة الباب الدواب من نواحي برذعه ووراثان وكثير من المواضع فتسرح فيها وتسمن لكثرة كلالها ومرعاها .

٤ - وليس من ابسكون الى الحُزْر عن اليبين على شط البحر قرية ولا مدينة سوى موضع من ابسكون على خمسين فرسخاً منها يسمى دهستان القريّة ، فيها قوم قلة وفي ما هم غور وماء البحر بهذه الناحية قصير القعر وهي كالديخلة في البحر فتروى فيها السفن في هيجان الرياح والبحر ويقصد هذا الموضع خلق كثير من النواحي ، فيقيمون به للصيد ولا أعرف غيره مكاناً يقيم به أحد إلا سياه كويه فإن به طائفة من الأتراك الغزوية ، وهم قريبو العهد بالمقام به لاختلاف وقع بين الغزوية وبينهم فانقطعوا عنهم واتخذوه داراً ومأوى ، وفيه مراعي واسعة ولديهم عيون وهذا المكان عن يمين هذا البحر من ابسكون . ومن ابسكون على اليسار الى الحُزْر عمارة متصلة إلا شيئاً يسيراً بين باب الأبواب والحُزْر ، وذلك انك اذا اخذت من ابسكون على حدود جرجان وطبرستان والديلم والجيل تدخل في حدود الران اذا جُزّت على موقان الى ناحية باب الأبواب على مسيرة يومين من بلاد شروان شاه ، وعمله الى نواحي سمندر اربعة أيام عمارة

ايضاً ومن سمندر الى اتل سبعة ايام مفاوز . ولهذا البحر زنقة بناحية
سياه كويه يخاف على السفن اذا اخذتها الريح هناك أن تنكسر ، واذا
انكسرت السفن هناك لم يتبها جمع شيء منها من غلبة الاتراك عليها فلمهم
يستولون على ما فيها .

هـ - وأما الحُزُر فاسم الاقليم وقصبة تسمى أتل، وأتل اسم النهر الذي
يجري اليهم من الروس وبلغار وقيض في بحر الحُزُر [وقيل منبع هذا النهر
من الظلمات لا يعرف احد أوله ولا وصل الى منبعه] . والبلد قطعتان : إحداهما من
غربي النهر المسمى أتل وهي أكبرهما ، والاخرى من شرقيته ، والملك
يسكن في الغربية منهما وتسمى خزران ، والشرقية تسمى أتل وتسمى
الملك بلسانهم باك . وتكون القطعتان في الطول نحو فرسخ ويحيط بهما
سور غير أنها مفترشة البناء وأبنيتهم كالحُرَكَاهات من خشب قد غُشيت
بلبودٍ إلا شيئاً يسيراً بُني من طين ، ولهم أسواق وحمامات وفيهم خلق
من المسلمين . ويقال انهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم وبها نحو ثلاثين
مسجداً ، وقصر ملكهم بعيد من النهر وهو من آجرٍ وليس لأحدٍ بناء
من آجرٍ غيره ولا يُسوَّغ الملك ذلك لغيره . ولسور البلد ابواب اربعة
منها باب يلي النهر وآخر الى ما يلي الصحراء على ظهر المدينة . والملك
يهوديّ ويقال أن له من الحاشية نحو اربعة آلاف رجل ، وبهاتين الناحيتين
مسلمون ونصارى وعبداء الأوثان وأقل الفرق فيهم اليهود وأكثرهم المسلمون
إلا أن الملك وخاصته يهود . والغالب على اخلاقهم اخلاق اهل الاوثان .
من سجود بعضهم لبعض عند التقائهم وأحكامهم يُمضونها على رسوم قديمة .
تخالف دين الاسلام واليهود والنصارى . ويقال أن جميع جيش خزران اثنا
عشر ألفاً مُثبتين بالراتب اذا مات منهم رجل أُقيم مكانه غيره ، وليس
لهم جراية دارّة ولا ارزاق معلومة في شهر معلوم بل يوصل اليهم اليسير
في المدّة الطويلة والافاق المتواخية ، اذا حزبه خوف او لزهم حرب
اجتمعوا له . وأبواب مال هذا الملك من الأرصاء وعشور التجارات على
رسومٍ لهم من كل طريقٍ سابلٍ اليهم ، وله وظائف على اهل المحال
والنواحي من كل صنف ما يحتاج اليه من طعام وشراب وغير ذلك .

٦ - والملك سبعة من الحكّام من اليهود والنصارى والمسلمين وعبدّة الأوثان، وإذا عرض للخاصّة والعامّة أمرٌ حكم فيه هؤلاء الحكّام ولا يصل اهل الحوائج الى الملك نفسه، وإنّما يصل الى هؤلاء فيخاطبون في الحوائج وفيما يعرض ؛ وبين هؤلاء نفر وبين الملك سفيرٌ يرأسونه فيما يجري ويشجر بينهم ويطلعونه على ما يكون منهم ، فيرد عليهم أمره عند ذلك بما يعملون عليه . وربما جرى في أحكامه أشياءٌ كالخرافة ؛ ومنها ما حكاه المعتضد وقد ذكر بين يديه فازدراه ذاكره فقال المعتضد : كلا إنّه لمروي عن النبي صلى الله عليه أنّه قال : إن الله جلّ اسمه لم يؤلّ رجلاً قوماً إلا وأيّده بضربٍ من التّسديد وإن كان كافراً . ومن ظريف ذلك أن رجلاً من أهل خزران كان له ولد قد تصرّف في التجارة ومهر في الأخذ والعطاء ، فأخرجه الى بلغار الداخل ولم يزل يجيّر عليه التجارة وتبني بعد إخراج ابنه عنه عبداً كان له ، فخرّجه وبصره فصنّت بصيرته فيما ندبه له من التجارة حتى دعاه بالبُنوّة لقربه من طاعته وقلبه ، وطالت غيبة الابن ومقام الغلام في خدمة الأب الى أن هلك الرجل وأقبل الابن على الجهاز ولم يعلم بموت أبيه ، والغلام يحصل ما يرد عليه ولا يجيّر عوضاً بما يرد اليه وكاتب الابن الغلام لينفذ اليه الجهاز على رسمه ، فرد عليه الأمر بالقُدوم عليه ليحاسبه عما بيده ويقبض منه ما لأبيه عنده ، فورد على الابن ما أسرع به الى مستقرّ أبيه من خزران وتنازعا الخصومة في ذلك والحجاج بالبيّنات ، فكان اذا قام لأحدهما ما قد ظنّه كافياً من الحجة جاء الآخر من الشبهة بما وقف حاله . وأكثر أحكامهم مبني على مثل ذلك وطال بهما التنازع حولاً كاملاً ، وإذ طالت الخصومة وصارت الأمر في التشاجر والمنازعة الى حال الوقوف اتّلى الملك الحكم بين الخصمين ، فجلس لهم وأحضر جميع الحكّام وأهل البلد وأعادا دعواهما منذ ابتداء الخصومة ، فلم ير الملك لأحدهما على الآخر سبيلاً لتكافؤ البيّنات عنده فقال الملك لابن : أتعرف قبر ابيك على الحقيقة ؟ فقال : عرّفته ولم أشهد دفنه فأحقّه . فقال للغلام المدّعي : انت تعرف قبر ابيك ؟ فقال : نعم أنا تولّيت دفنه . فقال : عليّ منه برمةٍ إن وجدتموها بما فاتى الغلام

القبر فانتزع منه بعض عظامه البالية وجيء بها اليه فقال للغلام المدعي بنوّة التاجر : افصد نفسك ؛ ففصد ثم أمر فألقى دمه على العظم فتسرّب الدم عنه ولم يعلق بشيء منه وفصد الابن وطرح دمه على ذلك العظم فنشّفه وعلّق به ، فأذّب الغلام وعزّره ودفعه وماله الى الابن .

٧ - وليس لهذه المدينة كثير قرى غير ان مزارعهم مفتوشة يخرجون في الصيف بأجمعهم الى ما يرومون زرعه فيحراثونه ويفلحونه ، ويكون بالقرب وبالبعُد الى نحو عشرين فرسخاً فاذا حصدوا زرعهم ضمّوه بالعجل الى النهر والى مواضع تقرب منه ، وينقلون ما اجتمع الى النهر في السفن وما قرب من البلد نقل بالعجل الى البلد . والغالب على قوتهم الأرز والسك والذّي يُحمل من عندهم من العسل والشمع والوبر إنّما يُحمل اليهم من ناحية الروس وبلغار ، وكذلك جلود الخنزير التي تُحمل الى الآفاق ولا تكون إلا في تلك الانهار الشمالية التي بناحية بلغار والروس وكوبابه . والذي بالاندلس من جلود الخنزير شيء من الانهار التي بنواحي الصقالبة وتشرع الى الخليج الذي بلد الصقالبة عليه ، وقد مرّ وصف هذا الخليج . وأكثر هذه الجلود وجعلها يوجد في بلد الروس وينزل اليهم والى ناحيتهم من ناحية ياجوج وماجوج ، وقد يصعد الى بلغار ولم يزل كذلك الى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فإن الروس أخبروا بلغار وخزران . وقد يخرج الخنزير والأوبار النفيسة الى خوارزم لكثرة دخول الخوارزمية البلغار والصقالبة وغزوهم إياها والغارات عليهم وسبيهم . ومصبّ تجارة الروسية على دائم الاوقات الى خزران ، وكان عليهم فيما يوردونه نحو العُشر من اموالهم . وقد مرّ ان الملك يسكن في النصف الغربي من الجانبين وحاشيته وجنده الخزر الخلّص معه ، ولسان الخزر غير لسان التّرك ولسان الفارسيّة ولا يشاركهم في لغتهم لسان من السنة الامم .

٨ - ونهر أثّل له شعبة من جانبه الشرقي فتخرج من ناحية خرخيز وتجري فيما بين الكيماكية والغزّية ، وهي حدّ ما بين الكيماكية والغزّية ثم يذهب مغرباً على ظهر بلغار ، ويعود راجعاً الى ما يلي المشرق حتى يجوز على الروس ثم على بلغار ثم على برطاس حتى يقع في بحر الخزر .

ويقال انه يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهراً ويبقى عمود النهر جارياً الى خزران حتى يقع في البحر . ويقال أن هذه المياه اذا كانت مجتمعة بأعلاه في نهر واحد ، زاد على جيحون كثرةً وغزراً ماءً وفسحةً على وجه الارض . ويبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهي الى البحر عن اماكن تتساقط اليه يقرب بعضها من بعض ، ويجري في البحر داخل مائه مسيرة يومين ، ويغلب على ماء البحر حتى يجمد في الشتاء في وسطه لغزوتها وحلاوتها ويتبين في البحر لونه من لون ماء البحر .

٩ - وللخزر ناحية ولها مدينة تسمى سمندر ، وهي فيما بينها وبين باب الابواب . وكانت بها بساتين كثيرة يقال أنها كانت تشتمل على نحو أربعين الف كرم ، وسألت عنها يجرجان سنة ثمان وخمسين لقريب عهدٍ بها فقال : وهناك كرمٌ او بستانٌ ماله على المساكين صدقة إن كان بقي هناك ورقة على ساق ، وقد أتى عليها الروسية ولم يبق بالبلد عنبَةٌ ولا زبينة . وكان يسكن هذا البلد المسلمون وطبقات أهل الملل والوثنيون فجعلوا ولفضل ارضهم وحسن ريعهم فلن تمضي ثلاث سنين إلا وقد عاد كما كان . وكان بسمندر مساجد وبيع وكنائس فأتوا في خرجتهم هذه على جميع ما كان على نهر اقل من خزر وبلغار وبرطاس ، واستولوا عليهم فاجأ أهل اقل الى جزيرة باب الأبواب وتحصنوا بها وبعضهم في جزيرة سياه كويه وهم مقيمون خائفون . وكانت منازل سمندر خراكهات وأبنيتهم من خشب قد نسج وسنمت سطوحهم ، وملكهم قرابة لملك الخزر وبينهم وبين حد السريز فرسخان ، وبين صاحب السريز وملك سمندر هُدنة . وأهل السريز نصارى ويقال أن هذا السريز كان لبعض ملوك الفرس ، وهو من ذهب ولما زال ملكهم حمل الى هذا الموضع مع ذخائر تشاكله ، وكان حامله من ولد بهرام والملك الى يومنا هذا باسم هذا السريز فيهم . ويقال أنه سريز حمل لبعض الاكاسرة في سنين كثيرة وبين أهل السريز والمسلمين هُدنة . وليس بجميع بلاد الخزر مجتمع للناس غير سمندر .

١٠ - وبرطاس أمم متاخمة للخزر ليس بينهم وبين الخزر لسان غيرهم ، وهم قوم مفترشون على وادي اقل وبرطاس اسم الناحية ، وكذلك الروس .

والخزر، والسريز اسم للمملكة والناحية لا للناس والقبيل .
 ١١ - وليس يشبه الخزر الترك اذ الخزر بأجمعهم سودّ الشعور وهم
 صنفان : فصنف يسمّون قراخزر وهم سُمرّ يَضربون لشدة السُمرّة الى
 السواد كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهرو الحسن والجمال .
 والذي يقع من رقيق الخزر فهم اهل الاوثان الذين يستجيزون بيع اولادهم
 واسترقاق بعضهم لبعض . فأما اليهود منهم والنصارى فإنهم يتديّنون
 بتحريم استرقاق بعضهم لبعض . وليس يرتفع من بلد الخزر نفسه شيء
 يُحمل الى القرب او البعد غير غري السمك، فأما الرقيق والعسل والشع
 والخزّ والأوبار فمحبوبة اليهم . ولباس الخزر ومن دافعهم القراطق والاقية
 وليس عندهم شيء من الملبوس يزيد على كفاتيمهم ، وإنما يُحمل اليهم من
 نواحي جرجان وطبرستان واذربيجان والروم وما يصاقبهم من الاعمال
 الملبوس .

١٢ - فأما سياستهم وأمر المملكة فيهم فإنها تنتهي الى عظيمهم المسّى
 خاقان خزر ، وهو أجلّ من ملك الخزر لأنّ ملك الخزر به ينعقد
 وهو الذي يقبسه ويثقفه، واذا ارادوا ان يقيموا ملكاً بعد هلاك ملكهم
 جاء هذا الخاقان به فذكره الله ووعظه وعرفه ما عليه وله من حقوق
 الملك وأثقاله ، وما ينوبه من الاثم والوزر فيما يتكلّفه إن قصر فيه او
 عمل بغير الواجب منه وأتى غير الصواب والحق في أحكامه ، فرجما لم
 يُجبهم من عملوا على ولايته اذا سمع ذلك القول ورعاً وزهداً ورغبةً
 عما يسعه بما يناله ، فيما يزعم أن الله يجعله له بتركه الولاية وضعفه عن
 القيام بها ويقبلها غيره بما يحسن في نفسه وعقله فإذا جاءوا به ليقتلوه في
 المملكة ويسلموا عليه بها خنقه خاقان الخزر بحريّة ، فاذا قارب أن
 ينقطع نفسه قالوا له : كم تُحبّ ان تكون مُدّة ملكك ؟ فيقول :
 كذا وكذا . فإن مات دون تلك المدّة فبقضاء الله مات ، وإن بقي
 بعد ما ذكره بلسانه قتل بعد بلوغه الأجل . ولا تصلح الخاقانية إلا
 في اهل بيت معروفين وليس لخاقان من الامر والنهي في الخزر شيء غير
 أنه يعظّم ويسجد له الجميع حتى الملك اذا دخل اليه، ولا يصل اليه أحد

إلا حاجة وإذا دخل عليه المرء ترمغ له في التراب وسجد وقام من بعد حتى يأذن له بالعود . وإذا حزبهم امرٌ عظيمٌ أو حربٌ أُخرج فيه الخاقان فلا يراه أحد من الأتراك وغيرهم ممن يصاقبهم من اصناف الكفر إلا انصرف له ولم يقاتله تعظيماً له ، وإذا مات خاقانٌ ودُفِن لم يمرّ بقبره أحد إلا ترجّل له وسجد ولا يركب ما لم يغب عن قبره . ويبلغ من طاعتهم للملكهم أن احذهم ربّما وجب عليه القتل ويكون من اكرمهم عليه وأوجبهم حقاً وحُرمةً ، وهو من اكبرهم منزلةً لديه ولا يحبّ الملك قتله ظاهراً فيأمر الملك أن يقتل نفسه فينصرف الى منزله ويقتل نفسه . وقد ذكرتُ أن الخاقانية في اهل بيتٍ وقومٍ معروفين لا تتعدّاهم ، وفيهم المؤسّر والمعيّر المقيّر فاذا بلغت الخاقانية عُقد له ولا ينظر الى ما حاله عليه . ولقد اخبرني من اثق به أنه رأى في بعض اسواقهم شاباً يبيع الخبز فإنهم كانوا يقولون إن هلك خاقانهم فليس أحدٌ احق بالخاقانية منه ، وكان مع ذلك مسلماً ولن تنعقد الخاقانية إلا لليهود . ولهم سرير في قبة ذهب لا يضرب إلا لحاقان عند بوزه ومضاربه اذا برزوا لحرب أو امر يدهمهم فوق مضارب الملك ومسكنه في البلد ارفع من مسكنه ، وله جرياتٌ وقوانينٌ تصل اليه من رسوم على جميعهم .

١٣ - وبرطاس اسم الناحية وهم اصحاب بيوت خشب وهم مفتوشون في نواحيهم لكثرتهم وقوتهم . وبشجرت اسم الناحية ايضاً ، وهم صنفان : فصنف في آخر الغزّة على ظهر بلغار ومبلغهم نحو الف رجل ممتنعون في مشاجر لا يُقدر عليهم وهم في طاعة بلغار ، ولبشرت ديار متاخمة لبجناك وهم وبجناك اترك في جوار الروم . ولسان البلغار كلسان الحزر ولبرطاس لسان آخر وكذلك لسان الروس غير لسان الحزر وبرطاس . وبلغار اسم للناحية والمدينة وهم مسلمون ، وفي البلد مسجد جامع وبقرهم مدينة اخرى تسمّى سوار وفيها مسجد جامع . واخبرني من كان يخطب بها أن مقدار عدد الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل وأبنيتهم من خشب يأوونها في الشتاء وبالصيف يفتوشون الارض في الحر كاهات . واخبرني الخطيب بها ان النهار بها في وقت الشتاء لا يتهيأ للانسان ان

يسير فيه فرسخين ، وفي الصيف يطول النهار ويقصر الليل حتى يكون ليل الصيف مثل ليل الشتاء . وشاهدتُ ما يدلّ على ذلك عند قربي من ديارهم ان النهار بقدر ما صلّينا الأربع صلوات وكل صلاة في عقب الاخرى مع ركعات بين الأذان والاقامة ليست بالكسرة . والروس ثلاثة أصناف : فصنف هم أقرب الى بُلغار وملكهم بمدينة تسمّى كويابه وهي أكبر من بُلغار ، وصنف أعلى منهم يسمّون الصلاوية وملكهم بصلا مدينة لهم ، وصنف منهم يسمّون الارثانية وملكهم مقيم بارثا مدينة لهم . ويبلغ الناس في التجارة معهم الى كويابه ونواحيها ، فأما ارثا فلم أسمع احداً يذكر انه دخلها من الغرباء لأنهم يقتلون كلّ من وطئ أرضهم من الغرباء ، وإنما ينحدرون في الماء يتجرون ولا يُخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم ، ولا يتركون احدا يصحبهم ولا يدخل بلادهم . ويُحمل من ارثا السمور الاسود والثعالب السود والرصاص وبعض زبيب . والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجوّاري منهم بطيبة أنفسهم كما يفعل الهند وأهل غانه وكوغه وغيرهم . وبعض الروس يخلق لحيته وبعضهم يفتيلها كمثل أعراف الدواب او يضفرها ولباسهم القراطق الصفار ، ولباس الخزر وبلغار وبجناك القراطق التامة . ولم تول الروس يتجرون الى الخزر والى الروم . وبُلغار الأعظم متاخمون للروم في الشمال وهم عدد كثير وقد ضربوا قديماً على ما يليهم من بلد الروم الأخرجة والضرائب . وبُلغار الداخل نصارى ومسلمون ولم يُبق في وقتنا هذا للبلغار ولا لبرطاس ولا للخزر أهل الروس بقية إلا شعيرة ناقصة قد جاسوها ، وذلك بقصدهم الجميع وبلوغهم في سائر مجاورهم فوق آمالهم . وقد بلغني ان كثيراً منهم رجعوا الى اقل وخزران بإعزاز محمد بن أحمد الازدي صاحب شروان شاه لهم ، وتأبيدهم برجالهم وقومه وهم راجون مؤثّلون ان يعاهدوهم ويكونوا تحت طاعتهم بشيء من البر يقيمونه لهم .

١٤ - ذكر المسافات بين الخزر ونواحيه : فمن ابسكون الى بلاد الخزر عن اليمين نحو ثلاثمائة فرسخ ، ومن ابسكوت عن اليسار لقاصد الخزر نحو ثلاثمائة فرسخ أيضاً . ومن ابسكون الى دهستان متياسراً نحو

ست مراحل . ويُقطع هذه البحر إذا طابت الريح عرضاً من طَبُوسْتان الى باب الابواب في أسبوع . وأما من أبسكون الى بلاد الخُزُر فإنه زائد على العرض لانه مَزَوَسَى . ومن اقل الى سِندَر ثمانية ايام ومن سِندَر الى باب الابواب أربعة ايام . وبين مملكة السريز وباب الابواب ثلاثة ايام ، ومن اقل الى اول حد من برطاس عشرون يوماً ومن اول برطاس الى آخره نحو خمسة عشر يوماً . ومن برطاس الى بيجناك عشرة ايام ومن اقل الى بيجناك مسيرة شهر . ومن اقل الى بلغار على طريق المفازة نحو شهر وفي الماء شهران في صعود والحدود نحو عشرين يوماً ، ومن بلغار الى اول حدود الروم نحو عشرة ايام ، ومن بُلغار الى كويابه نحو عشرين مرحلة ومن بيجناك الى بشجرت الداخل عشرة ايام ، ومن بشجرت الداخل الى بلغار خمس وعشرون مرحلة .



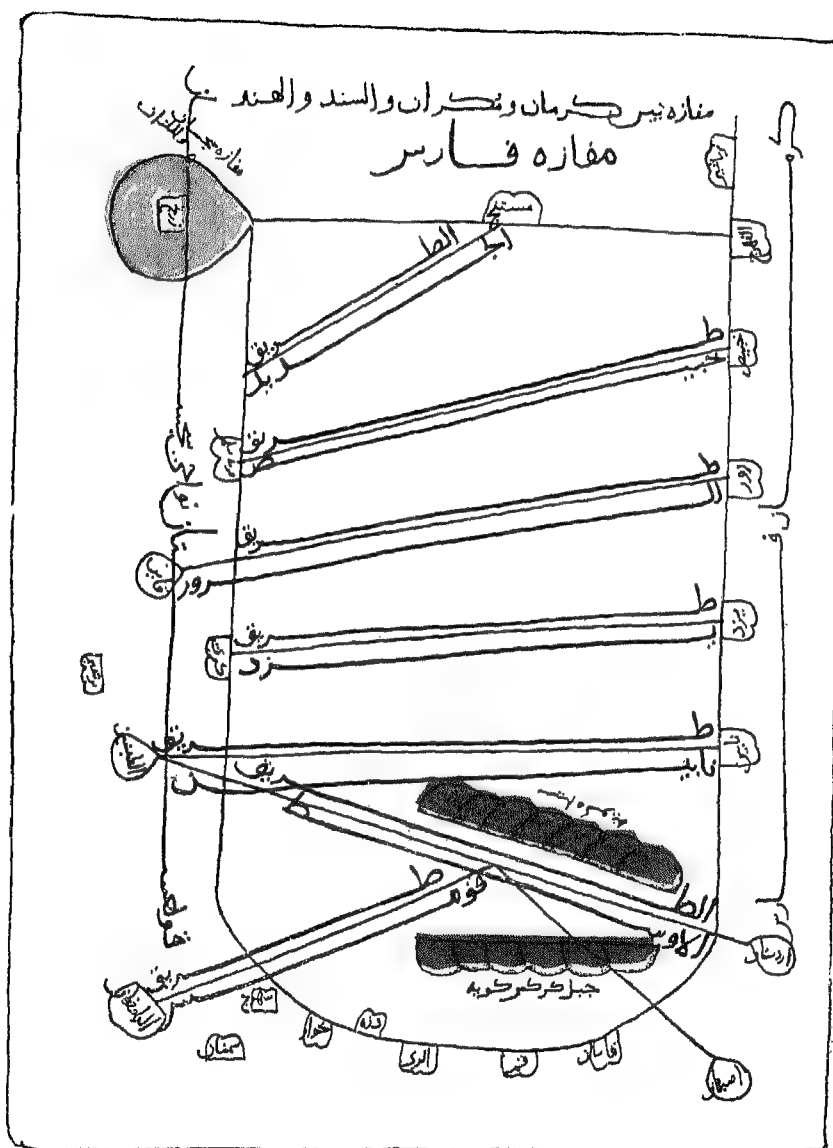
مفازة خراسان وفارس

١ - وأما مفازة خراسان وفارس فالذي يحيط بها من شرقيها حد مكران وشيء من حدود سجستان ، وغربيها حدود قومس والري وم قاسان ، وشماليتها حدود خراسان وشيء من سجستان ، وجنوبها حدود كرمان وفارس وشيء من حدود اصبهان .

٢ - وهذه صورة مفازة ما بين فارس وخراسان .

إيضاح ما يوجد في صورة مفازة خراسان وفارس من الاسماء والنصوص :
قد كتب في أعلى الصورة مفازة بين كرمان ومكران والسند والهند وتحت ذلك مفازة فارس ، ويوازي طرف الصورة الأيمن كتابة كرمان ثم فارس ويوازي الطرف الأيسر كتابة قوهستان ثم نواحي سجستان ، وتتصل بخط كلمة سجستان مدينة زرنج وهي في وسط بحيرة ، وكتب من فوق البحيرة مفازة سجستان والمثلثان ، وتتصل بخط كلمة قوهستان مدينتا قان والطبسين وبينهما الى اليسار ترشيز ، ومن أسفل ذلك في الزاوية اليسرى مدينة الدامغان وعين يمينها سمنان ، ثم في الزاوية اليمنى اصبهان وفوقها متصلة بآخر كلمة فارس اردستان .
وفي وسط الصورة ساحة تحيط بأطرافها الاربعة أربعة خطوط ويتصل بالخط الاعلى سبيج ثم بالخط الايمن : زماشير ، الفهرج ، خبيص ، زاور ، يزد ، ناين ثم بالخط الاسفل المقوس الشكل : قاسان ، قم ، الري ، دزه ، خوار ، سهرج ، ثم بالخط الأيمن : كرى وقرية سلم .

وهذه المواضع تصلها بعضها ببعض عدة طرق ، وأول هذه الطرق ابتداء من الفوق الطريق الجديدي الآخذ من سبيج الى نقطة في الخط الأيسر ، ثم طريق خبيص بين خبيص وقرية سلم ، ثم طريق الزاور بين زاور وقان ، ثم طريق يزد بين يزد وكري ، ثم طريق ناين بين ناين والطبسين ، ثم الطريق الاوسط بين اردستان والطبسين . ورسم من فوق هذا الطريق سلسلة جبال كتب عندها سياه كويه ومن أسفله سلسلة اخرى كتب عندها جبل كركس كويه ، ويأخذ من منتصف هذا الطريق طريقان : أحدهما الى الدامغان كتب عنده طريق قومس ، والآخر الى اصبهان .



٣ - هذه المفازة من اقل مفاوز الاسلام سكاناً وقرى ومدناً على قدرها ، لأن مفاوز البادية فيها مراعي وأحياء للعرب ومدن وقرى لا تكاد تخلو نجد ونهامة وسائر نجودها ونواحيها والحجاز وما يشتمل عليه من بقاعه وأصقاعه ان تكون في حيز قبيلة يتوذكون فيها على المراعي ، وكذلك عامة اليمن إلا ما بين عمان واليامة مما يلي البحر الى حدود اليمن ، فإن ذلك الموضع خالي فارغ من ديار العرب عن السكان . وكذلك المفازة التي في أضعاف كرمان ومكران والسند عامتها مسكونة بالاخية والاختصاص وغيرها . ومفاوز البربر ايضاً القاصية المتصلة بالبرية التي لا تسلك في الجنوب الى البحر المحيط عامرة ، أعرف ذلك وأقف عليه بأحياء البربر في مراعيهم ، وليس يُستدرك من مفازة فارس وخراسان غير علم الطريق وما يعرض في أضعاف طرقها من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق ، ليُستجار بها في شدة البرد من الثلوج وفي شدة القيظ من الحر وليس فيما عدا اطرافها كثير عمارة ولا سكان .

٤ - وهذه المفازة من اكثر المفاوز لوصفاً وفساداً ، وذلك أنها ليست في حيز إقليم بعينه فیرعاها اهل ذلك الاقليم بالحفظ ، وتُحيط بها أيدي كثيرة من سلاطين شتى ؛ فبعض هذه المفازة من عمل خراسان وقومس وبعضها من عمل سجستان وبعضها من عمل كرمان وفارس واصبهان وتم وقاسان والري ، فاذا افسد القاطع في عمل دخل عملاً آخر ، ومع ذلك فهي مفازة يصعب سلوكها بالخيول وإنما تُقطع بالابل ؛ فأما دواب عليها أحمال فلا تسلكها إلا على طرق معروفة ومياه معلومة إن تجاوزها في أعراض هذه المفازة متجاوز هلك . وقد سلكتها على الوجهين جميعاً مرة مع المفردة وأخرى مع الجمال المحملة . وللصوص في هذه المفازة ملجأ يعتصمون به ويأوون اليه ويُخفون فيه الاموال والذخائر يُعرف بجبل كركس كويه ، وكركس اسم المفازة التي تتأخم الرّي وتم الى مسيرة أيام عنه من شرقي هذه المفازة ، وكركس كويه هذا فجبل ليس بالكبير الطويل وهو منقطع عن الجبال والمفازة محيطة به . وبلغني أن دور أسفله نحو فرسخين ولم اقف على ذلك لأنني لم أمض به إلا مجتازاً عليه . وبهذا

ماء يُسمى آب بيده ووسط هذا الجبل كالساحة ، وفي مجاهل شعاب هذا الجبل مياه قليلة وهو جبل وعر المسلك الى ذواء فيه معاطف ومسالك وحشة ، ولا يكاد يُظهر على من يتوارى فيه . واذا صرت الى آب بيده كنتَ كأنك في حظيرة والجبل محيط بك . ويتصل من هذه المفازة جبل كركس كويه بوعري يكون نحو فرسخين رُبَيَّ ووهاداً تصله بجبالٍ من نواحي الري الى أن يتصل بجبال الجبل ، والجبل الآخذ من المشرق الى المغرب .

٥ - وليس في هذه المفازة قرية ولا مدينة سوى سبيج وهو من عمل كرمان في المفازة على طريق سجستان ، ويحيط بها من جميع نواحيها هذه المفازة ، وفي المفازة على طريق اصبهان الى نيسابور موضع يُعرف بالجرمق وهو ثلاث قرى ويحيط بها هذه المفازة . ومن مشاهير المدن التي تلي فارس نايين ويزد وعقده وارستان من اصبهان ، ومن حد كرمان خبيص وزاور ونرماشير ومن حد الجبال قم وقاسان ودزه ، وسواد الري وخوار الري جميعاً يتاخمان المفازة . وسمنان والدامغان من قومس ويحاذها من خراسان مدن قوهستان وهي الطَبَسِين وقاين بسوادهما المنتهي الى المفازة .

٦ - والطرق المعروفة من هذه المفازة طريق اصبهان الى الري وهو أقربها ، وطريق من كرمان الى سجستان وطريقان من فارس وكرمان الى خراسان ، فمنها طريق يزد في حد فارس وطريق شور وطريق زاور وطريق خبيص من حدود كرمان الى خراسان ، وطريق يُعرف بالطريق الجديد من كرمان الى خراسان . وهذه الطرق المعروفة ولا اعلم فيها طريقاً مسلوكة غير ما ذكرته . وهناك ايضاً طريق قلما يُسلك من اصبهان يخرج على قومس ولا يُسلك إلا عند ضرورة ، والمسلك فيه على السبب والقصد بالنجس . وأسأف مسافات هذه الطرق وما فيها وما يحتاج الى علمه ان شاء الله عز وجل .

٧ - فأما الطريق من الري الى اصبهان : فمن الري الى دزه مدينة فيها منبر ، ولها ماء جارٍ في نُهَيْرٍ صغيرٍ مرحلة وليس من الري اليها عمارة غير مقدار فرسخين في وسط الطريق ، ومن دزه الى دير الجص مرحلة

وبين دزه ودير الجص مفازة محاذية لكركس كويه وسياه كويه ، ودير الجص رباط من جص وآجر يسكنه بذرة السلطان ، وهو منزل المارة وليس به زرع ولا شجر وفيه بئر مالح الماء غير شروب ، وماؤه من المطر يدخر في مآجنين خارجين من هذا الدير والمفازة تحيط به . ومن دير الجص الى كاج مرحلة ايضاً مفازة وكاج قرية كانت فخربت ولا ساكن فيها ، وهي المنزل وماؤها من الامطار ايضاً في مواجن وأبارها مالحة . ومن كاج الى قم مرحلة والطريق في مفازة حتى تنتهي الى فرسخين من المدينة ثم تنتهي الى قرية ثم الى المدينة ايضاً مفازة . ومن قم الى قرية المجوس طريق عامر مرحلة وهذه القرية مجوس يسكنونها ولا يخالطهم غيرهم . ومنها الى قاسان مرحلة في عمارة على جنب المفازة ، ومن قاسان الى حصن يعرف بدزه مرحلتان ، والطريق بعضه مفازة وتحيط بدزه العمارة وهو حصن لأهله به زرع وفيه خمسون مسكناً او أكثر . ومن دزه الى رباط أبي علي بن رستم مرحلة كبيرة مفازة تتصل بمفازة كركس كويه ، وكان يسكن هذا الرباط رجالة على نوب للسلطان وهو منزل المارة ، وله ماء جار من قرية بالقرب منه الى حوض في الرباط . ومن هذا الرباط الى دانجى مرحلة ودانجى قرية كبيرة عامرة . ومن دانجى الى اصبهان مرحلة خفيفة والطريق من دانجى الى المدينة عامر ، والطريق من الري الى اصبهان بين سياه كويه وكركس كويه ، وكركس كويه عن يسار السائر وسياه كويه عن يمينه ، وبسياه كويه ايضاً مأوى للصوف وليس بقربه عمارة ، ومن كركس كويه الى دير الجص أربعة فراسخ ومن دير الجص الى سياه كويه خمسة فراسخ وسياه كويه جبل اسود قبيح المنظر والمخبر وبين سياه كويه وكركس كويه تسعة فراسخ أوعار ورُبى ووهاده على دير الجص ، ومن كركس كويه الى دزه سبعة فراسخ .

٨ - والطريق من نايين الى خراسان : فمن نايين الى مزرعة في المفازة مرحلة وربما كان بها رجلان او ثلاثة ، وتدعى بونه وفيها عين ماء يزرع عليها هؤلاء النفر . ومنها الى جرمق اربع مراحل وفي الطريق في كل فرسخين او ثلاثة جنبذة وبركة ماء ، وجرمق هذه تدعى سهده وتفسرها

ثلاث قرى: اسم احدها "بيادق"، والاخرى جرمق، والثالثة ارايه. وتعدت من خراسان وبها نخيل وزرع ومواش كثيرة وفي الثلاث قرى نحو الف رجل وكلها في رأي العين قريبة بعضها من بعض. ومن جرمق الى نوجاي اربع مراحل في كل ثلاثة فراسخ او اربعة جُنْبُذَة وبركة، ومن نوجاي الى رباط خوران مرحلة، ومن الرباط الى قرية تُسَمَّى اتشكهان مرحلة خفيفة، ومن اتشكهان الى طلس مرحلة، ومن اراد من نوجاي الى دسكردان مرحلة ومن دسكردان الى بن مرحلة كبيرة ومن بن الى ترشيز مرحلتان ومن ترشيز الى نيسابور خمس مراحل، وطريق من يزد وشور ونايين يجتمع بكري وهي قرية فيها نحو الف رجل ولها رستاق كبير وبين طلس وكري ثلاثة فراسخ.

٩ - وطريق شور فطريق مضاف الى اسم ماء مالح في المفازة وليس باسم قرية ولا مدينة. ولرايين بمفازة شور قرية تدعى بيره وهي قرية صغيرة بها دون العشرة الأنفس من حدود كرمان. ومنها الى عين ماء يُسَمَّى مغول مرحلة وليس بها ماء، ومنها الى غَمَر سُرخ وهو غَمَر كبير في وهدة طين احمر وجبل عليه مطل احمر مرحلة. ومنه الى منزل يدعى جاهد قرية وبها بئر وقباب مرحلة وليس بها احد. ومنها الى حوض هزار وهو قرار يجتمع فيه ماء المطر مرحلة. ومن حوض هزار الى شور وهي عين ماء مالح شروب وعليها قباب مرحلة وليس به احد. ومن شور الى منزل يُسَمَّى مغول ايضاً عين ماء وقباب مرحلة. ومن مغول الى كرى مرحلة كبيرة وعلى اربعة فراسخ من كرى بركة يجتمع فيها ماء السيل. وفي مفازة شور بين ماء شور وبين بر عن يمين الذهاب من خراسان الى كرمان على نحو فرسخين منها صورة الفاكهة من اللوز والتفاح والكمثرى ونحوها من حجارة، وفيها صور تقاليد صور الناس والاشجار وغير ذلك من حجارة.

١٠ - وطريق زاور وهي قرية عامرة عليها حصار ولها ماء جار وهي من حدود كرمان. فمنها الى مكان يدعى دركوجوى وفيه ماء عين ضعيف المسيل وليس هناك بناء مرحلة. ومنه الى شور دوازده مرحلة

وهناك رباط قد خرب وشعب فيه نخيل ، وليس به احد وهو مكان مخوف قلماً يخلو من اللصوص . ومنه الى دير بردان وهناك أبار وهي صحراء لا بناء فيها مرحلة . ومن دير بردان الى منزل فيه حوض يجتمع فيه ماء المطر مرحلة وليس هناك بناء . ومن هذا الحوض الى نابند وهو رباط فيه مقدار عشرين مسكناً ، وفيه ماء يجري عليه رحيّ صغيرة ولهم زرع على ماء عين ولهم نخل وقبل نابند بفرسخين عين ماء ، وعندها نُخيلات وقباب وليس بها احد وهي ملجأ للصّوص غير أن اهل نابند يتعاهدون هذه النخيل ويحتمونها . ويسار من نابند مرحلتين الى مكان يسمى ترشك وبين كل فرسخين وثلاثة قباب وحياض ماء ، وليس بها احد وبتروشك بئر طيّبة الماء . ومن ترشك الى خور مرحلة ليس بها احد ومن خور الى خوسب مرحلتان ومن خور الى كرى ثلاث مراحل .

١١ - والطريق من خبيص : فان من خبيص وهي مدينة على شفير المفازة من جروم كرمان ماؤها جارٍ ، وبها نخيل كثيرة وهي خصبة رخيصة الأسعار على مرّ الأوقات . ومنها الى مكات يعرف بالدروازق مرحلة وفيه ابنية ما مدّ البصر متهدّمة وبها تلال عظام تدل على ابنية كانت شاهقة فتكافأ بعضها على بعض وليس بها اثر ماء من نهر ولا بئر ولا عين . ومنها الى مكان يسمى شورروذ مرحلة ، وهو واد يجري فيه سيول الامطار ولا يجري من غير مطر وسيل ومجره على ارض سبخة فيأتي السيل فيه مالجاً ، وهذه المفازة مالحة التربة . ومنه الى بارسك جبل صغير مرحلة ، ومنه الى مكان يدعى نيمه مرحلة ، ومن هذا المكان الى مكان يعرف بالحوض وهو حوض يجتمع فيه ماء المطر ، ومنه الى رأس الماء مرحلتان وفيه عين ماء يجتمع في حوض يسقي زرعاً برأس الماء وبه رباط يكون فيه الواحد والاثنان ، ومن رأس الماء الى كوكور قرية على رأس المفازة وهي من حد قوهستان مرحلة ، ومن كوكور الى خوسب مرحلتان ، وفي مفازة خبيص على فرسخين من رأس الماء بما يلي خراسان حجارة سود صغار نحو اربعة فراسخ . ومن بارسك الى قبر الحارجي حصيّ صغار بعضها في لون الكافور بياضاً وبعضها اخضر في لون الزجاج ،

وليس في هذه المفازة اذا نُجِزَتْ فرسخين من رأس الماء الى جبل بجنوبه نبات نحو مرحلة .

١٢ - والطريق من يزد الى خراسان : فمن يزد الى انجيروه مرحلة بها حوض ماء ويجتمع في الحوض ماء المطر وليس بينهما عمارة ، ومن انجيروه الى خزانة مرحلة وليس بينهما عمارة ؛ وخزانة قرية فيها نحو مائتي رجل وبها زرع وضرع وبساتين وكروم في وادي من قبليتها ، ولها عين ماء جارية من تحت حصن خزانة نفسها ، وذلك أنها على مدرة مرتفعة في جنب واد قد استقامت على جنبتيه البساتين والكروم الأعزاء وعندهم خصب على مرّ الاوقات ، ومن خزانة الى تلّ سياه سيبد مرحلة وليس بينهما عمارة وهو خان ليس فيه احد وفيه حوضان ليجتمع ماء الامطار ، ومن تل سياه سيبد الى ساغند مرحلة وليس بينهما عمارة وساغند قرية فيها نحو اربعمائة إنسان وعليها حصن لها عين ماء جاري يُزرع عليها ، ولها قنّ وبساتين عامرة وخزانة اعمر منها واحصن ، ومن ساغند الى بشت باذام مرحلة كبيرة وليس بينهما عمارة وبها خان ومنزل ومياهها من الأبار ، ومن بشت باذام الى رباط محمد مرحلة خفيفة وليس بينهما عمارة وهو رباط فيه نحو ثلاثين رجلاً ولهم زرع وعيون ماء ، ومن رباط محمد الى الريك مرحلة وهو منزل فيه حوض ماء وخان ليس فيه ساكن والريك رمل قدره نحو فرسخين ، ومن الريك الى المهلب مرحلة وهو خان وعين ماء وعنده جبل وليس بينهما عمارة ، ومنه الى رباط خوران مرحلة وهو قصر من جصّ وحجارة ويكون فيه ثلاثة نفرٍ او اربعة يحفظونه وبه عين ماء وليس له زرع . ومن رباط خوران الى زاذاخرة مرحلة ، وزاذاخرة بئر ماء وخان ليس فيه ساكن وليس بينهما عمارة ، ومن زاذاخرة الى بشتاذران مرحلة وهي قرية فيها نحو ثلاثمائة إنسان وفيها ماء جار من قناة وزروع كثيرة وأغنام وسائمة وكروم وليس بينهما عمارة . ومن بشتاذران الى بُن مرحلة خفيفة ، وبُن قرية عامرة وفيها نحو خمس مائة رجل ولهم ماء جاري وزروع وماشية وخصب ، ومن بُن الى زاذونه مرحلة وليس بينهما عمارة ، وزاذونه منزل فيه بئر ماء وخان وليس فيه ساكن ، ومن

زادونه الى ريكن مرحلة وليس بينهما عمارة وريكن رباط فيه زرع وماء جاري وفيه ثلاثة او أربعة نفر ، ومن ريكن الى اسنيشت مرحلة ليس بينهما عمارة ، واسنيشت منزل فيه حوض ماء للطير وخان وليس فيه ساكن ، ومن اسنيشت الى ترشيز مرحلة ، وهي حومة بشت نيسابور وهي مدينة حسنة كثيرة الخير والأهل وفي كل فرسخين وثلاثة خان وحوض ماء. ١٣ - وطرق هذه المفازة على الترتيب : فمن اسبهان الى الري طريق ثم يليه طريق اردستان الى الطبسين وفيه طريق قومس من اردستان تعدل من نصف طريق الطبسين الى الدامغان ، ويليه طريق ناين الى الطبسين الى خراسان ويليه طريق يزد الى خراسان ، وبلي ذلك طريق شور ثم طريق زاور ثم يلي ذلك طريق خبيص ثم يلي ذلك الطريق الجديد ثم يلي ذلك طريق سجستان الى كرمان . واما الطريق الجديد فإنك تأخذ من نرمشير الى دارستان مرحلة وهي قرية فيها نخيل وليس وراءها عمارة ، ومنها الى رأس الماء مرحلة . ومن رأس الماء وهي عين ماء يجتمع في بركة ثم تقطع عرض المفازة الى قرية سلم أربع مراحل مفازة كلها مخوفة ، ويقال ان قرية سلم من كرمان ، ومن قرية سلم الى هراة عشرة أيام ، ومن شاء أخذ من نرمشير الى سبيج خمس مراحل ومن سبيج الى قرية سلم خمسة أيام على عيون ماء قليلة . وأما طريق سجستان فإن المدخل اليها من نرمشير الى سبيج خمسة أيام في حد كرمان ومن سبيج الى سجستان سبع مراحل ؛ وقد أثبتتها في صفة سجستان وكرمان أيضاً ، [فهذه الطرائق كلها سلكتها وعرفت منازلها ثم صورتها وشرحناها لك وسنشرح بعض هذا في صورة سجستان] ..

سجستان

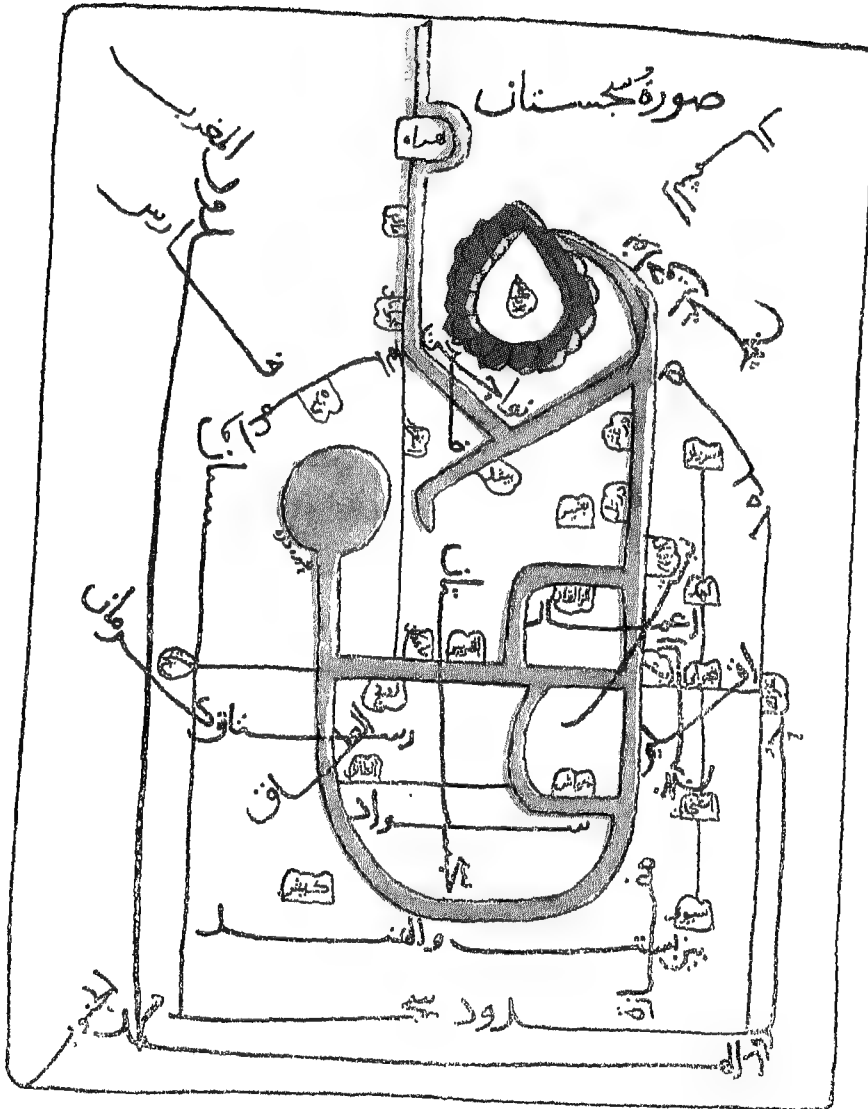
١ - وأما سجستان وما يتصل بها بما قد جمعتُ إليها في الصورة فإن
الذي يحيط بها بما يلي المشرق مفازة بين كرمان وأرض السند وبين
سجستان وشيء من عمل الملتان وبما يلي المغرب خراسان وشيء من عمل
الهند وبما يلي الشمال أرض الهند وبما يلي الجنوب المفازة التي بين سجستان
وكرمان ، وفيما يلي خراسان والغور والهند تقويس .

٢ - وهذه صورة سجستان .

إيضاح ما يوجد في صورة سجستان من الاسماء والنصوص :

قد كتب في اعلى الصورة صورة سجستان وعن يمين ذلك في الزاوية الشمال وفي الزاوية
اليسرى المغرب ،

ويأخذ من وسط اعلى الصورة نهر الى الاسفل عليه من المدن : هراة ، مان ، كواسان ،
ثم يعطف النهر الى اليمين وكتب عند قسمة هذا على شكل صليبي نواحي فره ، ورسمت عن يمين
النهر سلسلة جبال مدورة الشكل تحيط بساحة كتب في وسطها بلاد الغور ، ويخرج من أعلى
هذه الجبال نهر يأخذ أولاً الى اليمين ثم الى الاسفل وكتب عن يمين مبدئه نواحي الخليج ، وتخرج
من هذا النهر ذراع الى اليسار وينصب في هذه الذراع النهر الآتي من هراة بجذاء مدينة بشلنك ،
ويمر عمود النهر الآتي من جبال الغور وعلى شطه الأيسر من المدن درغش ودرتل وعن
يسار درتل في البر بغنين ، ثم تقع على شطه الايمن روذان وبست وكتب من أعلى بست على
شكل صليبي قاطعاً للنهر أعمال بست ، وبعد ذلك يعطف العمود الى اليسار ثم الى الفوق الى ان
ينصب في بحيرة زره المرسومة على شكل مدور ، وتأخذ بجذاء بست شعبة الى اليسار منتبهة الى
القسم الآخر من العمود وعليها من المدن : القرنين ، ماهكان ، زرنج ، ويأخذ من حذاء زرنج
طريق الى الاعلى عليه مدينة اسفزار ، ويأخذ من عمود النهر شعبة أخرى بجذاء روذان وعليها
الزلقان ثم تعطف الى الاسفل الى ان ينصب في الشعبة الآخذة من بست ، وتأخذ من اسفل بست.



شعبة ثلاثة الى اليسار عليها خواش وتعطف بعدها الى الفوق الى ان تنصب في الشعبة الاولى ، وكتب في الساحة عن يسار هذه الشعبة الثالثة بينا والعمود سواد سجستان وتقع فيها بقرب قسم العمود الأيسر مدينة الطاق وكتب من اعلاها قاطعاً للنهر رستاق الطاق .

وتقع عن يمين عمود النهر مقابلة لدرغش مدينة سروان ويأخذ منها طريق الى الأسفل موازياً للنهر عليه : كهك ، بنجواي ، اسفنجاي ، وينتهي الى سيوى ، ويأخذ طريق من بست على بنجواي الى غزنه ، وكتب في الساحة بين بنجواي وبست واسفنجاي إقليم الرخج وتبتدىء من أسفل سيوى كتابة مفازة بين بست والهند وهي صليبي الشكل ، وتقع فوق كلمة الهند مدينة كش . وتطيف بكل ذلك مبتدئة من عند ابتداء عمود النهر وموازياً للطراف الأيمن والأسفل . والأيسر من الصورة منتهية الى عطف النهر الآتي من هراة كتابة : هذه حدود سجستان وأعمالها وتتصل بخط كلمة سجستان في الطرف الايسر مدينة سبيج وبخط كلمة وأعمالها مدينة نه ، وتبتدىء من أسفل غزنه موازية للكتابة المتقدمة بينها وبين طرف الصورة ثم موازية للطرف الأسفل . كتابة حدود الهند ، وكتب في الزاوية اليسرى الجنوب ، ثم تأخذ من هنا الى الفوق كتابة حدود . تقطعها على شكل صليبي كلمتا كرمان وفارس المضافتان اليها .

٣ - وسجستان فالذي يقع في أضعافها مما يحتاج الى معرفته من المدن فإنه زرنج وكش ونه والطاق والقرنين وخواش وفره وجزه وبست وروذان وسروان والزالقان ، وبغنين ودوغش ودرتل وبشلنك وفنجواي وكهك ، وغزنه والقصر وسيوى واسفنجاي وماهكان .

٤ - ومدينتها العظمى زرنج وهي مدينة عليها حصن ولها ربض واسع الأبنية كثير السكان ، وفيه دور الامارة لآل الصفار الى غير ذلك من المحال والفنادق ، وعليه سور وحصن دائر بالربض وخنندق على الربض حصين ، وفيه ماء ومائده ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية اليها . ولها خمسة ابواب : احدها الباب الجديد ، والآخر الباب العتيق وكلاهما يُخرج منها الى فارس وبينهما قريب مسافة ، وباب كركويه يُخرج منه الى خراسان ، والرابع باب نيشك يُخرج منه الى بست ، والخامس يُعرف بباب الطعام يُخرج منه الى الرساتيق ، وأمر ابوابها باب الطعام وكلها حديد . والربض ثلاثة عشر باباً فمنها باب مينا يأخذ الى فارس ، ويليه باب دخان ثم يليه باب شيرك ثم يليه باب شاراو ، ثم يليه باب شعيب ويليه باب نوجويك ويليه باب آكان ويليه باب نيشك ، ثم

يليه باب كركويه يليه باب انبريس يليه باب غنجره يليه باب بارستان،
 يليه باب روكران. وأبنيتها كلها من طين آراج معقودة لان الحشب بها
 يارض ولا يلبث، ومسجد الجامع في المدينة منها دون الربض اذا دخلت باب
 فارس منها، ودار الامارة في الربض بين باب الطعام وباب فارس خارج
 المدينة، والحبس في المدينة عند الجامع وهناك أيضاً دار إمارة على ظهر
 الجامع عند الحبس قديمة ومنها نقلت الى خارج بالربض. وبين باب الطعام
 وباب فارس قصران ليعقوب بن الليث ولعمرو بن الليث ودار الامارة في
 دار يعقوب بن الليث. وداخل المدينة بين باب كركويه وباب نيشك أبنية
 عظيمة تسمى ارك كانت خزانة لعمرو بن الليث بناها. وأسواق المدينة
 الداخلة حوالي مسجد الجامع وهي أسواق على غاية العماره وأسواق الربض
 أسواق عامرة أيضاً، منها سوق يُسمى سوق عمرو بناه ووقفه على مسجد
 الجامع والبيارستان والمسجد الحرام، وغلة هذا السوق في كل يوم نحو
 الف درهم. وفي المدينة الداخلة أنهار منها نهر يدخل من الباب العتيق
 والثاني من الباب الجديد والثالث من باب الطعام مدخله، ومقدار هذه
 الانهار إذا اجتمعت ما يدير الرحى. وعند مسجد الجامع حوضان عظيمان
 ويدخلهما الماء الجاري ويخرج ويتفرق في بيوت اهل البلد وسرايهم
 كجري مياه الرجان في سرايب البلد ودورهم بالقنى. ومعظم دور المدينة
 والربض ذوات مياه جارية وبساتين، وفي ربضها أنهار تأخذ من هذه
 الانهار التي تدخل المدينة. والسوق ممتدة من باب فارس من المدينة الى
 باب مينا متصل ذلك غير منقطع نحو نصف فرسخ.

هـ - وأرضها سبخة ورمال وهي بلاد حارة بها نخيل ولا يقع بها
 الثلوج، وهي أرض سهلة لا يُرى منها جبل وأقرب جبالها بناحية فره
 وتشهد رياحهم وتدوم حتى أنهم قد نصبوا عليها أرحية لطحن قموحهم
 يدبرونها بالرياح. وتنقل رمالهم من مكان الى مكان ولولا أنهم يحتالون
 فيها بسياسات قد توارثوها قديماً يقيمونها بهندسة يتلها رجال منهم لطمّت
 القرى والمدن بها، وذلك ان جميع البلد رمل. وبلغني أنهم إذا أحبوا
 نقل الرمل من مكان الى مكان من غير ان يقع على الارض التي الى

جانب المكان الذي قد ضربهم كون الرمل فيه ، جعلوا زرباً وسياباً كالحائط من خشب وشوك أو غيرهما مما يجدونه حول الرمل الذي يحبون نقله ، وفتحوا في أسفله باباً من تلقاء الريح ، فتدخله الريح وتطير به وتصير بأعلاه كالزوبعة ويرتفع الى حيث آثروا نقله اليه . وأخبرني من صدر عنهم في سنة ستين ، الى مصر وقد جمعنا الطريق فتذاكرنا حالهم هذه فقال : تواترت علينا الرياح في السنة الماضية بما لم نجر لنا مثله عادة وأكبت الرياح بالرمل على الجامع ، وتزايد الامر على البلد بالأذى والبلاء فدعوا القوم الموسومين بعلم هذه الصنعة والمرسومين بدفعه ، فعجز أكثرهم واعترف بأنه لا يعلم كيفية مدافعته لفظاعته ولأنهم لا يقفون من أين مادته وكانت الريح مضطربة ، وانتدب حدث منهم فقال : علم ذلك عندي وأن أُعْطِيتُ ما أُؤْمِلُهُ دفعته وهو عشرون ألف درهم فلم يلتفتوا الى كلامه لعظم سوءه وزاد الامر بلاءً ، فأيقنوا بأنه ان أقام عليهم يومه وليسته القابلة هلك البلد فصاروا الى الرجل بما طلبه من المال فقبله وقال : قد زاد علي التعب ولكنكم منه في أمانٍ وَرَكَضَ ومن رام معُونَتَهُ معه ثمانية عشر فرسخاً من البلد على غير قصد الريح وعارضها بما أوقعه من حيلته . فأصرف الريح عن البلد وعدل بها الى حيث لا يضرهم وكفاهم الشغل به من حيث ابتدأ بصرف الريح الى غير جهة المدينة ، ورأس القوم الذين كانوا يتقدمون في علم ذلك وفاز بحسن الذكر ثم عدل الى الرمل الذي سقط في البلد بريح اخرى فانتسفه .

٦ - ويقال إن المدينة القديمة في أيام العجم كانت فيما بين كرمات وسجستان بالقرب من دارك بجذاء راشك عن يسار الذهاب من سجستان الى كرمات على ثلاث مراحل ، وأبنيتها وبعض بيوتها قائمة الى هذه الغاية واسم هذه المدينة رام شهرستان ، ويقال أن نهر سجستان كان يجري عليها فانقطع ببشقٍ كان بسكر من هيل مند وانخفض الماء عنه ومال فتعطلت فتحوّل الناس وبنوا زرنج .

٧ - فأما أنهارها فأعظمها هيل مند ويخرج من ظهر الغور حتى يمر على حد الرُخج وبلدى الداور ، ثم يجري على بُست حتى ينتهي الى سجستان

ثم يقع في بحيرة زره ، وزره هذه بحيرة يتسع الماء فيها وينتقص بقدر زيادة المياه ونقصانها ، وطولها نحو ثلاثين فرسخاً من ناحية كوين على طريق قوهستان الى قنطرة كرمان على طريق فارس ، وعرضها مقدار مرحلة وهي عذبة الماء ويرتفع منها سمك كثير وقصب ، وحواليها كلها قرى سوى الوجه الذي يلي المفازة . ونهر هيل مند هو نهر واحد من بُست الى ان ينتهي الى مرحلة من سجستان ، وينشعب منه مقاسم الماء فأول نهر ينشق منه نهر باب الطعام فيأخذ على الرساتيق حتى ينتهي الى حدّ نيشك ، ثم يأخذ منه نهر ناشيروذ فيسقي من رساتيقها الكثير ، ثم يأخذ منه نهر يُعرف بسناروذ فيجري على فرسخ من سجستان وهو النهر الذي تجري فيه السفن من بُست الى سجستان اذا امتد الماء ولا تجري إلا في زيادته . وأنهار مدينة سجستان كلها من سناروذ ، ثم ينحدر فيأخذ منه نهر شعبه فيسقي مقدار ثلاثين قرية ثم يأخذ منه نهر ميلي فيسقي تلك النواحي ويقع فضلته في بحيرة زره ، ونهر بشلنك فيخرج من قرب الغور فيسقي تلك النواحي وكلما يفضل منه لبحيرة زره .

٨ - وسجستان ناحية خصبة كثيرة الطعام والتمور والاعناب وأهلها ظاهرو اليسار . ويرتفع من مفازة سجستان فيما بينها وبين مكران غلّة عظيمة من الحلتيت حتى أنه قد غلب على طعامهم ، ويجعلونه في عامّة أطعمتهم .

٩ - وبالش اسم الناحية ومدينتها سيوى غير أن الوالي فيهم بالقصر واسفنجاي اكبر من القصر . ورخج اسم الاقليم ومدينتها بنجواي ، ولها من المدن كهك ورخج إقليم بين بلدي داور وبالش وعامتها صواف . يرتفع لبيت المال منها مال عظيم جسيم ويتسع اهل تلك النواحي بغلاتها وهي على غاية الرفاهة والخصب والسعة . وبلد الداور إقليم خصب وهو ثغر الغور وبغنين وخليج وبشلنك نواح لها مدن بأسمائها ، وخاش مدينة وليس عليها سور ولها قلعة . وبلد الداور اسم إقليم ومدينته درتل وله من المدن درغش ، وهما على مجرى هيل مند على الشط غير ان بغنين وخليج وكابل والغور نواح ، وفي بعض هذه النواحي من قد أسلم وهم

مسالمون وهي من الصرود والحُلج صنف من الاتراك ، وقعوا في قديم الايام الى الارض التي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور ، وهم اصحاب نعم على خلق الاتراك وزيمهم ولباسهم . وبُسْتُ مدينة ليس في أعمال سجستان بعد زرنج اكبر منها ، وهي وبُنة في نفسها ، وزِي أهلها زي أهل العراق ويوجهون الى مروؤة ويسار ، وبها متاجر الى بلد الهند وبها نخيل وأعناب وهي خصبة جداً .

١٠ - والقرنين مدينة لها قرى ورساتيق ، وهي على مرحلة من سجستان عن يسار الذهاب الى بُسْتُ على فرسخين من شروزن . ومنها آل الصفار الذين تغلبوا على فارس وخراسان وكرمان وسجستان ، وكانوا اربعة إخوة : يعقوب وعمرو وظاهر وعلي بنو الليث ، فأما طاهر فقُتِلَ بباب بُسْتُ ، ويعقوب مات حَتَفَ أنفه بجندى سابور بعد رجوعه من بغداد وقبره هناك ، وعليّ فإنه كان استأمن الى رافع بجرجان ومات بدهستان وقبره هناك ، ويعقوب فكان أكبرهم وكان غلاماً لبعض الصفارين ، وعمرو فكان مكاريّاً وكان في بعض أيامه بُنَاءً وكان علي بن الليث أصغرهم سنّاً . وكان السبب في خروجهم وارتفاع أمرهم ان خالاً كان لهم يُسمى كثير ابن رقاد شارباً في بعض الحصون ، وكان قد تجمّع اليه وعنده جمعٌ فيه وجوه الخوارج فحُوصِر في قلعة كانت له وقُتِلَ ، وتخلص هؤلاء وقعوا الى ارض بست وكان رجل بتلك الناحية عنده جمع كثير يُظهر الحِسْبَةَ في الغزو وقاتل الخوارج ، يُعرف بدرهم بن نصر ، فصار هؤلاء الاخوة في جملة أصحابه وقصدوا سجستان والوالي بها إبراهيم بن الحسين من قبل الطاهرية ، وكان في ضَعْفٍ فنزل على باب المدينة ، وكان درهم بن نصر يُظهر أنه من المطوّعة وأنه قصد قتال الشراة مُحْتَسِباً فاستأل العامة فأطاعته ودخل المدينة وخرج منها واليها الى بعض النواحي ، ولم يزل حتى تمكن من البلد وقاتلوه الشراة وكانت لهم رئيس يُعرف بعمار بن ياسر فانتدب لقتاله يعقوب بن الليث فقاتله وقُتِلَ عَمَّارٌ ، وكان لا يحزبهم أمر شديد إلا انتدب له يعقوب ، فكان يرتفع ذلك الأمر له على ما يحبه واستأل أصحاب درهم بن نصر حتى قلّده الرياسة وصار الأمر له ، وكان

درهم بن نصر بعد ذلك في جملة يعقوب وأصحابه ولم يزل محسناً الى درهم بن نصر حتى استأذنه في الحج فأذن له ، فحجّ وأقام ببغداد مدة وعاد الى عمرو رسولاً من امير المؤمنين ، فقتله يعقوب واستفحل أمره وأمر إخوته بعد ذلك حتى استولوا على فارس وكرمان وخراسان وبعض العراق وخوزستان .

١١ - ومدينة الطاق على مرحلة من زرنج وتكون على ظهر الجاني من سجستان الى خراسان ، وهي مدينة صغيرة ولها رستاق وبها كروم وأعناب كثيرة يتسع بها أهل سجستان . ومدينة خواش من قرنين على مرحلة عن يسار الذهاب الى بُست ، وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ وهي أكبر من قرنين ، وبها نخيل وأشجار ولها وللقرنين مياه جارية وقني من تحت الأرض كثيرة . وفرة مدينة أكبر من هذه المدن ولها رستاق يشتمل على نحو ستين قرية ، وبها نخيل وفواكه وزروع وعليها نهر فرة وأبنيتها طين وهي أرض سهلة . وجزءه متصلة بعمل فرة عن يمين الذهاب من سجستان الى خراسان على نحو مرحلة ، وهي ناحية مائة صغيرة نحو القرنين ولها قرى ورساتيق وهي خصبة وماؤهم من قني لهم ، وأبنيتهم ايضاً من طين . وسروان مدينة صغيرة نحو القرنين إلا أنها أعمر وأكثر أهلاً ، وبها فواكه واسعة وتحمل ونخيل وأعناب وكروم تجلب منها وتُنقل ، وهي من بُست على مرحلتين ولها ناحيتان لمنزولين يسمى احدهما فيروزقند والآخر هو سروان على طريق بلدي الداور . والزالقان من بُست على مرحلة وبها فواكه ونخيل وزروع ، وأكثر أهلها حاكّة وماؤهم انهار جارية وبناءؤهم من طين وهي نحو القرنين في الكبر . وروذان اصغر من القرنين وهي بقرب فيروزقند عن يمين الذهاب الى الرُخج ، وأكثر غلاتها المنج ولهم مع ذلك زروع وفواكه ومياه جارية .

١٢ - وأما المسافات فإن الطريق من سجستان الى هراة اول مرحلة تسمى كركويه ، ومن كركويه الى بشتار اربعة فراسخ والعبر على قنطرة تجري فيها فضل مياه هيل مند ، ومن بشتار الى جوين مرحلة ومن جوين الى البست مرحلة ، ومن البست الى كنكره مرحلة ومن كنكره الى

سرشك مرحلة ، ومن سرشك الى قنطرة وادي فره مرحلة ومن قنطرة الوادي الى فره مرحلة ، ومن فره الى دزه مرحلة ومن دزه الى كويسان مرحلة ومن كويسان الى خاشان وهي من الاسفزار مرحلة ، ومن خاشان الى قناة سرى مرحلة ومن قناة سرى الى الجبل الاسود مرحلة ، ومن الجبل الاسود الى جدمان مرحلة ومن جدمان الى هراة مرحلة . والطريق من سجستان الى بُست فأول مرحلة الى زانبوق ، ومن زانبوق الى شروزن قرية عامرة سلطانية مرحلة ومن شروزن الى حرورى قرية عامرة سلطانية ايضاً وبينهما نهر نيشك وعليه قنطرة من آجر مرحلة ، ومن حرورى الى دهك والمنزل رباط مرحلة ومن هذا الرباط المفازة فمَنْزل منها رباط يسمى آب شور ومن آب شور الى رباط كرووين مرحلة ، ومن رباط كرووين الى رباط هقشيان مرحلة ومنه الى رباط عبدالله ومن رباط عبدالله الى مدينة بُست ومن رباط دهك الى مسيرة فرسخ من بست كلها مفازة . والطريق من بست الى غزنه فإن من بست الى رباط فيروز منزلاً ومنه الى رباط ميغون منزل ، ومنه الى رباط كثير منزل ثم الى مدينة الرُخج المسماة بنجواى منزل ، ومنها الى بكراباذ منزل ، ثم الى خرسانه منزل ثم الى رباط سراب منزل ، ثم الى الاوق وهو رباط منزل ثم الى رباط جنكل اباذ منزل ثم الى قرية غرم منزل ، ثم الى قرية جابشت منزل ثم الى قرية جومه منزل ، ثم الى خابسان منزل وهو أول حدة غزنه ثم الى قرية خسراجى منزل ، ثم الى رباط هدوا وهي قرية عامرة ثم الى غزنه منزل . وغزنه مدينة جليلة في نفسها كبيرة بجالها وتجاراتها . والطريق من سجستان الى بالش على المفازة فإنك تأخذ من مدينة الرُخج أعني بنجواى الى رباط الحجرية منزل ، ثم الى رباط كنكى منزل ثم الى رباط بر وهو المنزل ثم الى اسفنجاي منزل . والطريق من سجستان الى كرمان وفارس فإن أول منزل من سجستان خارون ، والثاني دارك ومنها الى برين منزل ، ومنه الى كاوينشك منزل وهما رباطان ثم الى رباط الناسى منزل ثم الى رباط القاضي منزل ، ثم الى رباط كراغات منزل ثم الى سبيج منزل وسبيج مدينة لكرمان . وحده سجستان اذا أُجزت

كاونيشك وبينها وبين كندر رباط بناه عمرو بن الليث ، وهذا المكان يُعرف بقنطرة كرمان وليس هناك قنطرة بل هي بالاسم دون الشخص .
 ١٣ - وسائر المسافات بسجستان مجملة ، فمن سجستان الى جزه ثلاث مراحل بين فره والقرنين ، وبينها وبين فره ايضاً مرحلتان . وبين نه وفره مرحلة واجبة وهي بجذائها بما يلي المفازة . وبين ككش وسجستان ثلاثون فرسخاً فيما يلي حد كرمان والطاق على طريق ككش على خمسة فراسخ . وخواش على نحو فرسخ من طريق بست ، وبينها وبين القرنين منزل . ومن بست الى سروان مرحلتان على طريق بلد الداور ثم تعبّر هيل مند على مرحلة من سروان ، فتدخل درتل وتضي مرحلة وأكثر الى درغش على شط هيل مند وكلاهما من جهة واحدة ، ومن درتل الى بغنين يوم في قبائل بشلنك في جنوبي بغنين . وبنجواي على ظهر غزنه وبينها وبين كهك مقدار فرسخ على غربي بنجواي ، ومن بنجواي الى اسفنجاي ثلاث مراحل والقصر بجذائها وبينهما فرسخ ، واسفنجاي حصن حسن ومن اسفنجاي الى سيوى مرحلتان .

١٤ - فأما ارتفاع هذه النواحي التي جمعت صورتها وذكرتها من الأعمال المجاورة لسجستان فإنني لم أجِد بدءاً من إلصاق بعضها الى بعض بالمجاورة ، فإنها مختلفة الحال متباينة الحال لكل ناحية منها قاضي وصاحب خبزي وبريد ، وصاحب معونة وكاتب سلّة يُعرف بالبندار يطالب بالخراج ووجوه الاموال الواجبة للسلطان وأكثرها لصاحب خراسان ، وما غادره من هذه الاموال والجبايات فلن يعتري اليه ويُقيم دعوته وينتمي الى دولته ، فهي طعمة له وعليه فيها بعض لوازم يرفعها او هدايا يوردها كصاحب بست لأنه يقوم بجيش لديه ورجال وعساكر جمّة من رسومها المجتابة بتلك الناحية لصاحب خراسان ، وفي بعضها ما هو كالمثلث عليه وعلى ماله إِدلالاً من المتلّين له بما يلزمهم من النفقات وعليهم من المؤث والكلف ، وهم معتزون الى صاحب خراسان كمحمد بن إلياس قديماً والبتكين الحاجب اذا كان حياً بكابل وبلد الهند ، وقد استولى على غزنه وما صاقبها من الاعمال . ومنها ما هو مجموع على جهته ويحمول بذاته

بالحسابات القائمة والعبر والارتفاعات والمساحة العادلة . ومن ذلك هراة وهي ناحية جليلة وسآتي بذكرها في ضمن خراسان وما اوجبته الصورة من تكرار ذكرها وعود ما لا بد منه من خبرها ، وهي من النواحي التي يُقبض خراجها في كل عام دفعتين اذ في كثير من اعمال خراسان ما يجري هذا المجرى ، وقد رُسم بهذا الرسم . وبها ما هو بغير هذه الصورة مما يُقبض خراجه دفعة واحدة وبها ما لا يطالب بخراج . فأما عبرة هذه النواحي وما يُقبض من وجوه أموالها ، فمنها الجوزجان على ما تقدم ذكره مائة الف دينار ومن الورق مع توابعه أربع مائة الف درهم . وسجستان والزُخج دون بست عن جميع أعمالها وجباياتها وقوانين أدائها مائة الف دينار ومن الورق ثلاثمائة الف درهم . وبُست عن وجوه جباياتها من أموالها ومقاسماتها وخراجاتها وتوابعها مائة الف دينار ، ومن الورق ثمان مائة الف درهم . وغزنه وكابل وما يصاقب هذه الأعمال من أعمال الهند ، فاجتباه البتكين الحاجب مائة الف دينار ومن الورق ستائة الف درهم . وفي قديم أوقاتها والسنين الماضية الحالية في طرق العدل ما كانت جباياتها عن هذا المقدار أكثر وبركاتنا أغزر وغلاتها أوفر . وهذه جملة ما علمته من حال هذه الناحية وعرفته من أخبار هذا الصقع وما خلت ان في ذلك تقصيراً عن ما يحتاج الى علمه والوقوف على رسمه ..



خراسان

١ - وأما خراسان فتشتمل على كَوَرٍ عظام وأعمال جسام ، وخراسان اسم الاقليم والذي يحيط به من شرقه فنواحي سجستان وبلد الهند ، لأنني ضمنتُ الى سجستان ما يتصل بها من ظهر الغور كله الى الهند وجعلتُ ديار الخُج في حدود كابل ووخان على ظهر الخُتَل كلّه ، وغير ذلك من نواحي بلد الهند ، وغربيّها مفازة الغُزّيّة ونواحي جُرجان ، وشماليّها بلد ما وراء النهر وشماليّها من بلد الترك يسير على ظهر الخُتَل ، وجنوبيّها مفازة فارس وقومس الى نواحي جبال الديلم مع جُرجان وطبرستان والري وما يتصل بها . وجعلتُ ذلك كلّه إقليماً واحداً وضمنتُ الخُتَل الى ما وراء النهر لأنه بين نهري وخشاب وخراب ، وضمنتُ خوارزم الى ما وراء النهر لان مدينتها العظمى وراء النهر ، وهي أقرب الى بخارا منها الى مدن خراسان ، وبخراسان مما يلي المشرق زنقة فيما بين مفازة فارس وبين هراة والغُور الى غزنه ، ولها زنقة في المغرب في حد قومس الى ان تتصل بنواحي فراوه ، فيقصر ما بين الزنقتين عن تربيع سائر خراسان . وفيها من حدود جرجان وبحر الخُزر الى خوارزم تقويس على العماره .

٢ - وهذه صورة خراسان .

...

إيضاح ما يوجد في القسم الاول من صورة خراسان من الأسماء والنصوص :
قد رسمت في الزاوية اليمنى من اعل الصورة بحيرة زره ويقع فيه نهر يائي من جبال الباميان الواقعة في القسم الآخر من الصورة وتقطع هذا النهر كتابة الجنوب المتجاوز آخر خطها طرف

هذا القسم . ومن تحت بحيرة زره الى اليسار رسمت بحيرة فيها مدينة زرنج وعن يسارها سلسلة جبال دائرة الشكل كتب في داخلها جبال الغور ، ويأخذ من يمين هذه الجبال نهر يعطف الى الاسفل على شاطئه مالن ثم هراة ، ويجتمع هذا النهر بجذاء هراة مع نهر آخر يأتي أيضاً من جبال الباميان ، ويأخذ من مالن طريق الى زرنج عليه كواسان ثم فره وتقع عن يسارها في البر ادرسكن ، وتوازي الطريق المذكور عن يمينه كتابة نواحي اسفزار وتحت ذلك صورة خراسان . وتبتدىء من اسفل بحيرة زره عاطفة على بحيرة زرنج ثم متجاوزة الى القسم الآخر من الصورة كناية سجستان ، وتقع من اسفل جبال الغور مدينتا كوشك وكواران ، وعلى الطريق الآخذ من جذاء هراة الى اليسار مدينتا ببنة وكيف .

وكتب من تحت بحيرة زره آخذاً الى الأسفل قوهستان ، ويوازي هذه الكتابة عن يمينها كتابة مفازة سجستان وخراسان وفارس تقطع هذه الاسماء الثلاثة كلمة مفازة على شكل صليبي . وتتصل بخط كلمة مفازة مدينتا خور وكري ثم تقع عن يسارها : طبس ، تون ، قان ، وكتب موازياً لكلمة مفازة بينها وبين طرف الصورة المغرب .

ويأخذ من قان طريق الى بوسنج الواقعة على النهر من اسفل هراة وعلى ذلك الطريق من المذن : زوزن ، خرکرد ، فرکرد ، وتقع في وسط الساحة التي من اسفل ذلك الطريق مدينتا نيسابور ، وعلى الطريق من قان الى نيسابور : بون ، ينايد ، كندر ، ترشيز ، ثم على الطريق من نيسابور الى بوسنج : كواخرز وبوزكان ، وتقع في الساحة التي فوق هذين الطريقين : سنكان ، خايمند ، سلومك ، مالن ، ويأخذ من نيسابور طريق الى الاسفل يميناً حيث توجد كتابة حدود قومس ، وعلى هذا الطريق من المذن : سبزوار ، خسروجرذ ، همناباذ ، مزينان ، ويأخذ من نيسابور أيضاً طريق الى اليسار الى سرخس على النهر الآتي من الفوق وتقع من اسفل هذا الطريق طبران وتروغوذ ثم تحت ذلك كتابة طوس وتحت هذه الكتابة نوقان وبنواذه كتب عن يسارها بغير خط النسخ ثيبايه ، ثم رايسان ، سنج ، دزك ، وعن يسار كتابة طوس راوينج وريوند ، وكتب تحتها بغير خط النسخ جوين ولايت صاحب ديوان عز نصره ، ثم تحت ذلك خدشاه كه مدرسه ساختة اند ، وتقع من اسفل ذلك الى اليسار مدينتا ديواره وازادوار ، وتقع من اسفل ازادوار جرجان ويأخذ منها طريق الى اليسار عليه اسفرايين .

وتوجد من تحت هذا الطريق كتابة مفازة بين جرجان وفراوه يسلكها حجاج خوارزم ، وقطعهم إياها على السميت وقصد مياه بها لا على جادة وجميعها رمل فيه مراعي . وتقع عن يسار هذه الكتابة مدينة فراوه وكتب فوقها الشمال وآخر هذه الكلمة في القسم الآخر من الصورة .

• • •

إيضاح ما يوجد في القسم الثاني من صورة خراسان من الاسماء والنصوص :
وقد رسمت موازيةً لطرف الصورة الاعلى سلسلة جبال تقع بنهايتها اليمنى مدينة غزنه ، وفي وسطها اندراب وفي نهايتها اليسرى بنخشان ، وتأخذ سلسلة صغيرة من بنخشان الى الاسفل فيها الطايقان ووروايز ، ويمتد خط هذه السلسلة الى خلم ثم الى بلخ . وترجع من بلخ سلسلة ثالثة

الى غزنه على خط منحرف ويتصل بداخل هذه السلسلة من الممدن : مذر ، كه ، بشغورقند ، الباميان ، سكاوند ، وتتصل بالسلسلة العليا من فوق سكاوند فروان وعن يسارها بنجهير ، وتقع بين بنجهير وسكاوند مدينة نجرا ، وكتب من اسفل بنجهير الباميان وعن يسار ذلك الى الاسفل طخيرستان ويوازي هذه الكتابة خط آخذ من اندراب الى قرب خلم وتقع عن يمينه : حسب اندراب ، سراي عاصم ، مذروكاه ، سكلكنده ، بغلان ، سمنجان ، وعن يسار الخط في الزاوية روا ، سكمشت ، راون ، ارهن .

ويتصل بأول السلسلة الممتدة من عند بلخ نهر يأتي من سلسلة جبال دائرة الشكل كتب في وسطها : حومة جبال الباميان ، ورسمت بهذا هذا النهر متصلة بجبال الباميان كتلة جبال كتب عن يمينها : اعمال الجوزجان ، وتقع في داخل جبال الجوزجان ابتداء من الفوق من الممدن : سان ، اندخذ ، الجرزان ، نريان ، الفارياب ، اشبورقان ، كندرم ، انبار ، اليهوديه ، الطالقان .

ويأخذ من جبال الباميان نهر الى الاسفل تقع على شاطئه الايسر : مرو الروذ سمنار ، مرو ، وينصب في هذا النهر بجزاء مرو الروذ نهر آخر تقع عليه بغشور ثم من أسفل ذلك على شاطئ عمود النهر القرينين وجيرنج ، وعلى الطريق الآخذ من مرو الى اليمين الى سرخس مدينة الدندانقان ، وتقع من اسفل هذا الطريق : خرق ، السوسقان ، مهنه ، ابيورد ، وتتصل بأبيورد من اسفلها مدينة نسا ، وكتب عن يسارها مفازة بين نسا وخوارزم وتتصل بمفازة جرجان وإياها يسلك حجاج خوارزم الى جرجان ، وأكثرها رمل كدر وفي بعضها رضراض . ويأخذ من مرو طريق الى اليسار ينتهي الى كشمين الواقعة في طرف ساحة رمال كتب عن يمينها : قد تقدم ذكر هذا الرمل وكيفية انبساطه في وجه الارض واتصال بعضه ببعض واختلاف الروانه وأصباغه وهو بهذه الناحية هذا اللون . وتقع من اسفل كشمين بطرف هذا الرمل هرمزفره وفي الساحة من أسفل طريق مرو الى كشمين باشان .

ورسم موازياً لطرف الصورة الايسر نهر كبير كتب عن يساره عمود جيحون ، ويقع على يمين هذا النهر ابتداء من الاسفل من الممدن : كركانج ، جرجانيه ، ويزه ، امل ، زم ، كيلف ، شالخ ، وينصب هنا النهر الآتي من بلخ ، وكتب من فوق مصب هذا النهر عند عمود منبر : نهر خرباب ، ويقع على شاطئ النهر الكبير عن يساره من الممدن : كدر ، كاث ، فربر ، الترمذ ، وعن يسار فربر مدينة بيكند وعن يسار بيكند بخارا وكتب بينها موازياً للطرف المشرق ، وينصب في العمود عند الترمذ نهر وخشاب وتليه الى الفوق اربعة انهار كتب عندها : باخشوا ، بران ، فارغر ، انداجاراغ .

٣- اما كور خراسان التي تجتمع على العمال وتفرق فيها الحكام وأصحاب البرد والبنادرة وما بما وراء النهر لصاحب خراسان من آل سامان فكالعمل الواحد ، وهي نيف وثلاثون عملاً تدل أرزاق المتصرفين فيها على

مقادير أحوالها في ذاتها وتعرب عن محل أهلها في أنفسهم مع نزور جباياتها ، وكل عمل منها لا يخلو من قاضٍ وصاحب بريد وبندارٍ وصاحب معونة ، هذا الى غير عمل من أعمالها فيه قضاة يتصرفون عن قاضي الناحية التي هو بها ، وأصحاب أخبار وبردٍ يُنبهون أخبارهم الى صاحب ناحيتهم ، وُجُباةٌ للخراج والضمانات للبندار الأجل بالكورة وأصحاب معاون وأمرء دون امير الصُقع . وسأتي بذلك مع أرزاق المتلئين لهذه الاعمال في الناحيتين إذ كانتا جميعاً لصاحب خراسان والمتصرفون فيهما من تحت يده وأمره ونهيه . ٤ - وان اعظم هذه النواحي منزلة وأكثرها جيشاً وشحنة وأجلها منزلة وجباية نيسابور ومرو وبلخ وهراة . وبخراسان وما وراء النهر كور دون هذه في المنزلة وصغر الحال فمنها : قوهستان وطوس ونسا وابيورد وسرخس واسفزار ، وبوسنج وباذغيس وكنج رستاق ومرو الروذ والجوزجان وغرج الشار والبايمان وطخيستان وزم وامل . وخوارزم فيما وراء النهر لان مدن ذلك من وراء النهر وخوارزم على السمت أقرب الى بخارا منها الى خراسان . ولنيسابور كور لا تفرد عنها لأنها مجموعة اليها في الأعمال وسأذكر كل ما هو مضاف الى غيره من أعمال نيسابور وطخيستان المضافة الى بلخ والمجموعة اليها ، وهي في الدواوين مفردة ومدنها وبقاعها عنها متميزة منفصلة . وليس في تفريق هذه الكور وجمعها دركٌ أكثر من استيفائها وتأليفها في الصورة ، ومعرفة مكان كل شيء منها في صورة خراسان وإثباته في شكل ما وراء النهر .

٥ - ونيسابور تعرف بابر شهر ؛ وفيها يقول ابو تمام حبيب بن أوس الطائي :

« أَيَا سَهَرِي بِلَسِيلَةِ أَبَرْ شَهَرٍ ذَمَمْتَ إِلَيَّ نَوْمًا فِي سِوَاهَا »

وهي مدينة في أرض سهلة أبينتها من طين وهي كانت مفتوحة البناء نحو فرسخ في مثله [الى سنة تسع وأربعين وخمس مائة عند كسرة الغز للسلطان سنجر بن ملك شاه ، واستيلائهم على خراسان ففي هذه السنة دخل الغز اليها ونهبوها وقتلوا أكثر أهلها ، وانجل الباقون ثم تواترت عليهم نوائب الزمان وصروف الحداث الى ان خربت ، ثم لما تقاصرت عنهم أيدي الظلمة وعطف الله عليهم بالرحمة عادوا الى موضع قريب من المدينة على غربها يعرف

بشايبكان ، ثم تل عال فبنوا هناك دوراً وقصوراً وأسواقاً وحمامات وفنادق ومساجد ، وعادت الآن الى احسن ما كانت عليه من العمران وسموها نيسابور . وسمعت في سنة ثمانين وخمس مائة ان العمارة قد اتصلت الى الموضع القديم وذلك التل قد ابتنوا عليه حصاراً منيعاً حصيناً [ولها مدينة وقهندز وربض ، وقهندزها وربضها عامران ومسجد جامعها في ربضها بمكان يُعرف بالمعسكر ، ودار الامارة بمكان يُعرف بميدان الحسين والحبس عند دار الامارة ، وبين الحبس ودار الامارة وبين المسجد الجامع نحو ربع فرسخ ، ودار الامارة بها من بناء العاتي عمرو بن الليث ، ولقهندزها بابان والمدينة أربعة أبواب : فأحدها يُعرف بباب رأس القنطرة ، والثاني بباب سكة مَعْقِل ، والثالث بباب القهندز ، والرابع بقنطرة دوميكين . وقهندزها خارج عن مدينتها ويحفّ بالمدينة والقهندز جميعاً الرِضْ والربض أبواب : فأما الباب الذي يخرج منه الى العراق وجُرجان فإنه يُعرف بباب القباب ، والباب الذي يخرج منه الى بلخ ومرو وما وراء النهر فإنه يعرف بباب جيک ، والباب الذي يخرج منه الى فارس وقوهستان فإنه يعرف بباب احوص اباذ ، والباب الذي يخرج منه الى طوس وعدة ابواب لا أقف على جميع أسمائها ، ولها باب يعرف بباب سوخته وباب يعرف بباب سرسبريس وغير ذلك ، فأما اسواقها فإنها خارج من المدينة والقهندز في الرِضْ وخيرة اسواقها سوقان : إحداها تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة ، فإذا اخذت من المربعة نحو الغرب فالسوق يمتد الى مقابر الحسينيين . وفي خلال هذه الاسواق خانات وفنادق يسكنها التجّار بالتجارات ، وفيها الخانات للبيع والشري فيقصد كل فندق بما يُعلم انه يغلب على اهله من انواع التجارة ، وقل فندق منها لا يُضاهي أكبر أسواق ذوي جنسه ويسكن هذه الفنادق اهل اليسار من في ذلك الطريق من التجارة ، وأهل البضائع الكبار والأموال الغزار ، ولغير المياسير فنادق وخانات يسكنها أهل المِهْن وأرباب الصنائع بالدكاكين الممورة والحجر المسكونة والخوانيت المشحونة بالصنّاع ، كالقلانسين في سوقهم غير فندق فيه الخوانيت والحجر المملوئة بهم ، وكذلك الأساكفة والحرّازون والحبّالون الى غير ذلك في أضعاف أسواقهم الفنادق المملوئة

بذوي الصنائع منهم ، وأما فنادق البزازين وخانباتهم بها وبيعهم فيها وشراهم فأكثر البلدان يشركهم في ذلك ولا يقصرون عنهم . وشرب البلد ومياهه فأكثره من قني تجري تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد في ضياعهم ، ومنها قني تظهر في البلد وتجري في دورهم وبساتينهم بقصبة نيسابور . ولهم نهر كبير يعرف بوادي سغارذ ويحتجع اليه كثير من قني البلد فيسقى منه بعض أجنّة البلد ورساتيق كثيرة ، وعلى هذا الوادي 'قوام' وحفظة عليه وعلى قنيهم في عمق الارض وربما كان منها شيء بينه وبين وجه الارض مائة درجة ، ويزيد وينقص في نفس نيسابور . وليس بخراسان مدينة أصح هواءً وأفسح فضاءً وأشدّ عمارة وأدوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور . ويرتفع عنها من أصناف البز وفاخر ثياب القطن والقز ما يُنقل الى سائر بلدان الاسلام وبعض بلدان الشرك لكثرتة وجودته ، لايسار الملوك والرؤساء لكسوته اذ ليس يخرج من بلد ولا ناحية كجوهريته ولا يشاكله لرفعته وخاصيته .

٦ - ولنيسابور حدود واسعة ورساتيق عامرة وفي ضمنها مدن معروفة كالبوزجان ومالن المعروفة بكواخرز وخايند وسلومك وسنكان وزوزن وكندُر وتُرشيّز ، وخان روان وازادوار وخسروكرد وهمن اباد ومزينان وسبزوار وديواره ، ومهرجان واسفرايين وخوجان وربوند . وان جُمع الى نيسابور طوس فمن مدنها : الرايكان وطهران ونوقان [وتروغوذ] وقبر علي بن موسى الرضى عليها السلام بظاهر مدينة نوقان ويجاوره قبر الرشيد في مشهد حسن بقرية يقال لها سناباد ، عليها حصن حصين منيع وفيه قوم معتفكون . وبنوقان معدن القدور البرام وتحمل الى سائر بلاد خراسان من جبلها ، وفي هذا الجبل غير معدن من النحاس والحديد والفضة والفيروزج والتمّاهن والذهنج ، ذكر غير إنسان ان فيه معادن ذهب غير أنها تقصّر عن المؤنة وبه شيء من البلّور غير صافٍ

٧ - وكانت دار الامارة بخراسان في قديم الأيام بمرو وبلغ الى أيام الطاهرية فلإنهم نقلوها ان نيسابور ، فعمرّت وكسّرت وعزّرت وعظّست أموالها عند توطئهم أيّاه وقطونهم بها ، حتى اتابها الكتاب والأدباء

بمقامهم بها وطراً إليها العلماء والفقهاء عند إيتارهم لها ، وقد خَرَّجَتْ نيسابور من العلماء كثرة ونشأ بها على مر الايام من الفقهاء من شَهِرَ اسمه وسبق قدره وعلا ذكره .

٨ - ومدينة مرو قديمة تعرف بمرور الشاهجان اذلية البناء ، ويقال ان قهندزها من بناء طهمورث والمدينة القديمة من بناء ذي القرنين . وهي في ارض مستوية بعيدة من الجبال فلا يُرى منها جبل بالقرب وليس في شيء من حدودها جبل وأرضها سبخة كثيرة الرمال وأبنيتها من طين . فيها ثلاثة مساجد للجُمُعات فأما أوّل مسجد أُقيمت فيه الجمعة فمسجد بُنيّ داخل المدينة في أوّل الاسلام ، فلما كَثُرَ الاسلام بُنيّ المسجد المعروف بالمسجد العتيق على باب المدينة ويصلّي فيه أصحاب الحديث ، وُبنيّ من بعد ذلك المسجد الذي على ماجان . ويقال أنّ ذلك المسجد والسوق ودار الامارة من بناء أبي مسلم . ودار الامارة على ظهر هذا المسجد . وفي هذه الدار قبة بناها ابو مسلم كان يجلس فيها وفيها مجلس أمراء مرو . وبها قهندز خراب ومقداره مقدار مدينة وهو مرتفع وقد سبقت اليه قناة ماء يجري فيه الى يومنا هذا ، وربما زُرِعَ عليها مباقل ومباطخ وغير ذلك . [وفي زماننا هذا وهي سنة ثمانين وخمسة ليس بمرور مسجد جامع عامر غير المسجد الذي بناه ابو مسلم على ماجان ، وذكر لي عدّة اناس من اهل مرو مشايخ أنهم لم يروا بمرور مسجداً جامعاً غير هذا وأن المسجدين الآخرين خراب] . فأما أسواقها فعلى قديم الايام كانت على باب المدينة جنب الجامع ، فنقلها ابو مسلم الى ماجان وهي من انظف الاسواق وأوجد لها لسائر ما يُحتاج اليه من ليل ونهار . ومُصلّى العيد في محلة رأس الميدان في ربّعة أبي الجهم ويطوف به من جميع جوانبه ونواحيه البُنّيان والعمارات ، وهو بين نهر هرمزفره وماجان . والبلد ارباعٌ معروفة الحدود ولأرباعه أنهار معروفة فمنها نهر هرمزفره ، وهو نهر عليه ابنية كثيرة من البلد وهو مما يلي سرخس . وللمدينة الداخلة اربعة ابواب فأحدها الذي يلي مسجد الجامع وباب يُعرف بباب سنجان وباب بالين وباب درمسكان ، ومن هذا الباب يُخرج الى ما وراء النهر وعلى هذا الباب عسكر المأمون وضرب مضربه أيام مُقامه بها

الى ان انتهت اليه الخلافة .

٩ - ولما نهر عظيم تتشعب هذه الانهار منه وأنهار الرساتيق عنه ومبتدأه من وراء الباميان ، ويُعرف بنهر مرغاب وتفسيره مروآب أي ماء مرو ، ومنهم من يزعم ان النهر منسوب الى مكان يخرج منه الماء ويُعرف بنهر مرغاب ويجري هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعهم ، وأول حد هذا النهر من عمل مرو الروذ لوكرين وخوزان والقرينين فخوزان من مرو الروذ والقرينين من مرو . ومقام الماء من زرق قرية بها مقسم ماء مرو وقد جعل لكل حلة وسكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها ألواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يُترك احد يزيدها ولا ينقص ، ويأتي كل قوم من شربهم بمقدار إن زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم لا إثبات لقوم على قوم [وهذه الألواح منصوبة بقرية تسمى بنجس آب على مقدار نصف فرسخ من المدينة] ومتولي هذا الماء أمير مفرد وهو أجل من والى المعونة بمرو ، وبلغني أنه يرتقى على هذا الماء زيادة على عشرة آلاف رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل .

١٠ - وكانت مرو معسكر الاسلام في اول الاسلام ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين ، لان يزدجرد ملك الفرس قتل بها في طاحونة الزرق ومنها ظهرت دولة بني العباس ، وفي دار آل ابي النجم المصطفي صبيغ أول سواد ولبسته المسودة ومن صحة فواكههم أن بطيخهم يقدد ويحمل الى كثير من الآفاق ولا أعلم هذا يمكن في بلد غيره . وفي مقامها يكون الاشتغاز الذي يحمل الى اكثر المواضع . ويرتفع من مرو الابريسم والقز الكثير ، ويقال أن اصل الابريسم بجرجان وطبرستان على قديم الأيام وقع من مرو ، ومنها يرتفع القطن الذي يُنسب في سائر الأقطان اليها جودته وهو الغاية في اللين واللياب التي تجهز منها الى كثير من البلاد . ولها منابر مضافة اليها وبرسمها فنها كشمين وهي على مرحلة منها في نفس الرمل ، بها منبر ولها نهر كبير وأشجار وفواكه وسوق صالحة وفنادق ورباطات وحمامات . وبهرمزفره منبر وبسنج منبر وبحيرنج منبر وبالنداندقان منبر وبالقرينين منبر ، وبباشان منبر وبخرق منبر .

وبالسوسقان منبر وهذه منابر مضافة إليها ومدنها القريبة منها .

١١ - وأما هراة فهو اسم المدينة وكان عليها حصار وثيق ، وخارجها وداخلها مياه ومن داخلها القهندز ولها ربض ومسجد الجامع بها ودار الامارة خارج الحصن بمكان يُعرف بخراسان اباد منقطع عن المدينة ، وبين المدينة نحو ثلث فرسخ على طريق بُوسنج من غربي هراة ، وبناءها من طين . والمدينة مقدار نصف فرسخ في مثله وكان لمدينتها الداخلة أربعة أبواب : فالباب الذي يخرج منه الى بلخ مما يلي الشمال يُعرف بباب سراي . والباب الثاني الذي يخرج منه الى نيسابور غربي يسمّى باب زياد والباب الذي يخرج منه الى سبجستان جنوبي يسمّى باب فيروزاباد ، والباب الذي يخرج منه الى الغور مشرقى يُعرف بباب خشك ، وكانت أبوابها خشباً غير باب سراي فإنه كان حديداً ، وعلى كل باب سوق وفي داخل المدينة والربض مياه جارية . وللهصن أربعة أبواب بجذاء كل باب من أبواب المدينة بابٌ لهذا الحصن ، ويسمّى باسم ذلك الباب . وخارج الحصن جدار يطوف بالحصن كله أطول من قامه وكان بينهما أكثر من ثلاثين خطوة . فاتفق على أهل المدينة حرب وخلع طاعتهم مع والي كان لهم من قبل صاحب خراسان يعرف بمحمد بن الجراح ، رأيتُه وكان محسناً اليهم فعصوا بعضيانه ومنعوه من صاحب خراسان بخلق الابواب دونه ، وتطاولت ايام خلافه الى ان ظفر بهم أشعث بن محمد فافتتح المدينة صلحاً والحصن الذي في داخلها عنوة وقهراً ، وأمر صاحب خراسان ان يُلحق سورها بالحضيض وأقام عليه من طمس آثاره وبها معلمه ، فكأنه لم يُر لها قط سور ولا كان عليها حصن . والمسجد الجامع في المدينة وحواليه الأسواق والسجن على ظهر قبلة مسجد الجامع ، وليس بخراسان وما وراء النهر وسبجستان والجبال مسجد أُمير بالناس على دوام الايام من مسجد هراة ومسجد بلخ واليه مسجد سبجستان ، فإن بهذه المساجد كثرة من الفقهاء وزحمة من أرباب القرآن على رسم الشام والثغور . وهي فرضة لخراسان وسبجستان وفارس .

١٢ - والجبل من هراة على فرسخين على طريق بلخ ، ومحتطبهم من

مفازة بينهم وبين اسقزار وليس لهذا الجبل محتطب ولا مرعى وإنما يرتفقون منه بالحجارة للأرحية والفرش وما أشبه ذلك ؛ وعلى رأس هذا الجبل بيت ناري يُدعى سرشك وهو معمور وبينه وبين المدينة بيعة للتصاري وليس بينها وبين المدينة مياه ولا بساتين سوى نهر المدينة ، على باب المدينة ، فإذا عبرت القنطرة لم تر بعدها ماء ولا خضرة الى البلد . وعلى سائر الأبواب والجهات مياه جارية وبساتين ، وأمر أبوابها باب فيروزاباذ . ومخرج مائهم من قرب رباط كروان وإذا خرج من حد الغور الى هراة ينشعب منه أنهار كثيرة : فمنها نهر يعرف بوخوى يسقي رستاق سنداسنك ونهر يسمى بارسنك يسقي رستاق كواسان وسياوشان ومالن وتيزان وروامز ، ونهر اذربيجان يسقي رستاق سوسان ، ونهر يعرف بشكوكان يسقي رستاق شغله ، ونهر يُعرف بكراغ يسقي رستاق كوكان ، ونهر يُعرف بغوسجان يسقي رستاق كوك ، ونهر يعرف بكبك يسقي رستاق غوتان وكربكرد ، ونهر يُعرف بسبغر يسقي رستاق سوخين في حد بوسنج ، ونهر يُعرف بانجير يسقي مدينة هراة والبساتين المتصلة على طريق سجستان مقدار مرحلة .

١٣ - وأكبر مدينة بنواحي هراة بعد هراة كروخ واوفه ، ويرتفع من كروخ الكشمش المجلوب الى الآفاق والزبيب الطائفي المحمول الى العراق وسائر البلاد ومُعظمه يرتفع من مالن . وكروخ مدينة قصدة وأهلها شراة ومسجد الجامع بمحلة منها تُعرف بسبيدان ، وبنائها من طين وهي في شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخاً وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والغياض والقرى العامرة . وأوفه اهل جماعة وهي نحو كروخ في القدو ، ولها بساتين ومياه وبنائها من طين ايضاً . ومالن اصغر من كروخ وهي ايضاً مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والكروم عامرة . وخيسار قليلة الاشجار والمياه ، وهي اصغر من مالن وأهلها اهل جماعة . واستربيان أهلها خوارج وهي اصغر من مالن ، ولها مياه وبساتينهم قليلة والغالب عليهم في غلاتهم الزروع دون الكروم وهي في جبال وعرة . وماراباذ فكثيرة البساتين والمياه وهي مدينة اصغر من مالن ، ويرتفع منها

أرز كثير يُجلب الى النواحي . وباشان مدينة اصغر من مالن ، ولهم زروع وهي قليلة البساتين على كثرة مياهها . وباسفزار اربع مدن واكبرها كوايسان وهي مدينة اصغر من كروخ ، ولها مياه وبساتين كثيرة . وكواران وكوشك وإدرسكن وهي متقاربة في الكبر ولها مياه وبساتين واسفزار اهلها اهل جماعة .

١٤ - وأما بوسنج ففيها من المدن خرکرد وفرکرد وكره ، وأكبرها بوسنج وهي مدينة نحو نصف هراة وهي هراة في مستواة ، ومن بوسنج الى الجبل نحو فرسخين وهو الجبل الذي من هراة اليه فرسخان ، وبناءهم من جبس وليس كبناء هراة ولهم مياه وأشجار كثيرة ، ولهم من اشجار العرعر ما ليس بجميع خراسان في بلد ويُحمل هذا الحشَب الى سائر النواحي . وماؤهم من نهر هراة وهو النهر الذي يجري الى سرخس وينقطع دون سرخس في اكثر الاوقات ، وينضب في الصيف ويصل اليها الماء في الشتاء فيسرّ في وسط البلد . وللبوسنج حصار وعليه خندق وله ثلاثة ابواب : فباب يُعرف بباب عليّ يفضي الى طريق نيسابور ، وباب هراة يشرع الى هراة ، وباب قوهستان يأخذ الى قوهستان . واكبر المدن بها بعد بوسنج كوسرى وهي مدينة خصبة ولها ماء وبساتين قليلة ، وهي نحو الثلث من بوسنج وبناءهم من طين . وخرکرد لها ماء وبساتين كثيرة وهي اصغر من كوسرى . وفرکرد اصغر من خرکرد وماؤها الجاري قليل وهم اصحاب سوائم وليس لهم بساتين كثيرة . وكره لها بساتين ومياه كثيرة وهي نحو فرکرد في الكبر .

١٥ - وباذغيس بها من المدن جبل الفضة وكوه وكوغناباذ وبست وجاذوا وكابرون وكالوون ودهستان ومقام السلطان بكوغناباذ ، وأعمرها وأكبرها دهستان وتكون نحو نصف بوسنج ، وبناءها من طين ولهم أسراب كثيرة في الارض ، وهي على جبل ولهم ماء جاري قليل وليست لهم بساتين ولا كروم وهي مباخس ؛ وكذلك كوه وجبل الفضة وكوه اكبر من جبل الفضة . وجبل الفضة على جبل كان فيه معدن للفضة فتعطل لقلة الحطب . وأما كوه فهي في صحراء ، وبكوغناباذ وبست وجاذوا بساتين

ومياه ولهم مباحس كثيرة . وكالون وكبرون ليس لهما بساتين ولا مياه جارية وإنما مياههم من الأمطار والآبار ، وهم اصحاب زروع مباحس وأغنام . وجبل الفضة على طريق سرخس من هراة . وباذغيس اهل جماعة ، ونخجستان قرية احمد بن عبدالله فإن أهلها شراة غلاة بأجمعهم .

١٦ - وكنج رستاق مدينتها بين ولها كيف وبغشور ، ومنها ابومنصور البغوي صاحب بريد نيسابور وأيسر من بخراسان وأكثرهم كتباً وأحسنهم إنشاء ، وألكنهم بالعربية وأفصحهم بالفارسية ، وهو أخطر من رأيت بخراسان وأكثرهم صامتاً وناطقاً وتجاراتٍ وضياًعاً وكراعاً وأوثقهم عند سلطان هذه الناحية مقيم بين وهي اكبر هذه المدن ، وبين اكبر من بوسنج وبغشور نحو بوسنج وكيف نحو بغشور ، ولبن وكيف مياه كثيرة جارية وبساتين وكروم وبنائهما من طين . وأما بغشور ففي مفازة وهي أعزاء وزروعهم كلها بنجوس وماؤهم من الآبار ، وهم اصحاب زروع وبساتين وكروم وهي مدينة صحيحة التربة والهواء . وهذه المدن كلها على طريق مرو الروذ .

١٧ - ومرو الروذ بها من المدين قصر اخنف ، ودزه ومرو الروذ أكبرها وهي أكبر من بوسنج ، ولها نهر كبير وهو النهر الجاري الى مرو ولهم عليه بساتين وكروم كثيرة وهي طيبة الهواء والتربة ؛ وقصر اخنف على مرحلة منها على طريق بلخ ودزه على طريق انبار على اربعة فراسخ ؛ ولقصر اخنف ماء جارٍ وبساتين وكروم وفواكه حسنة . ويشق نهر مرو الروذ وسط دزه فيجعلها نصفين ، وبينهما قنطرة ولها بساتين وكروم وفواكه حسنة ومن مرو الروذ الى النهر غلوة . والطاقان مدينة نحو مرو الروذ في الكبر ولها مياه جارية وبساتين قليلة وبنائهما من طين وهي أصح هواءً من مرو الروذ . ومن مرو الروذ الى الجبل ثلاثة فراسخ مما يلي المغرب ومن جانب الجبل منه على فرسخين مما يلي المشرق . والطاقان في جبل متصل بجبال الجوزجان ، ولها رساتيق في الجبل كثيرة عامرة .

١٨ - والفارياب مدينة من الجوزجان أصغر من الطالقان إلا انها أكثر بساتين ومياهاً من الطالقان ، وبنائهما من طين وبالفارياب مسجد

جامع وهي مدينة صالحة تجمع سائر ما يكون في المدن من الصنائع وليس لمسجد جامعها منارة . ومن مدن الجوزجان اليهودية وهي مدينة أيضاً مقتدرة جامعة للصنائع والتجارة ولمسجد جامعها منارتان ، وان ذكرت ما مر لي في استحداث منارة بالفارياب مع اهلها وأميرها وجلة اهلها لطال ، وهم يأبون إلا قولهم هذه سنة وقبيح بالخلف تغيير رأي رأي السلف والجوزجان اسم الناحية ، ومن كبار مدنها اليهودية واشبورقان واندخد وستاق وناحية ومدينته أشترج وكنندرم ومن مدن الجوزجان أنبار وسان ، ونقماش اسم لمدينة جلار واشبورقان وزيان مدينة بين اليهودية والفارياب . وأكبر مدينة بالجوزجان انبار وبها مقام آل افرغون وسلطانهم في الشتاء ومقامهم في الصيف بالجزوان ، وهي مدينة بين جبلين أشبه ببلد بمكة وشعابها كشعابها . وانبار أكبر من مرو الروذ ولها مياه وكروم وخصب وبساتين وبنائهم من طين ؛ وقد تقدم القول ان مدينة سات صغيرة لها مياه وبساتين وهي من الجبل ، واليهودية أكبر من سان ولها مياه وبساتين وهي في الجبل . وكنندرم من الجبل وهي مدينة كثيرة الكروم والجوز واللوز والخيرات . واشبورقان بها من المياه الجارية فوق كفايتهم ، والغالب عليهم الزروع وبساتينهم قليلة وفواكههم مجلوبة ، وهي أكبر من كنندرم ومن سان أيضاً وتقارب اليهودية في الكبر . واندخد مدينة صغيرة في مفازة لها سبع قرى وبيوت للأكراد من ارباب الاغنام ولهم لابل . ويرتفع من الجوزجان الجلود المدبوعة بها فتعم خراسان وما وراء هذا النهر . والجوزجان ناحية عامة الخصب كثيرة اسباب التجارة والمجالب وفي أهلها دهقنة . [والجوزجان سوى هذه المدن التي ذكرتها رسائلي وقرى ذات مياه جارية وفواكه كثيرة ، فأما ما يقبض من اموالها فائة الف دينار وأربعمائة الف درهم في كل سنة] ، والمسافات بها فمن اشبورقان الى انبار مرحلة في ناحية الجنوب ، ومن اشبورقان الى اليهودية طريق يرجع الى الفارياب في مرحلتين وكسر ، ثم منها الى اليهودية مرحلة ومن اشبورقان الى اندخد مرحلتان في الشمال ، ومن اشبورقان الى كنندرم اربعة أيام ثلاثة منها الى اليهودية ومن اليهودية اليها مرحلة .

١٩ - وغرج الشار لها مدينتان احدهما تُعرف ببشين والأخرى شورمين وهما متقابلتان في الكبر ، وليس مُقام سلطانهما في شيء منها والشار الذي تُنسب اليه هذه المملكة مقيم بقرية في جبل تُعرف ببلكيان وكانت هذه ناحية ملكٍ عظيم فيما سلف وتقدم من الزمان ، يُعرف بملك الغرجه . وهاتان المدينتان لها بساقين ومياه ويرتفع من بشين أرزٌ كثير يُحمل الى بلخ وغيرها من البلدان المجاورة لها ، ويرتفع من شورمين زبيب كثير يُحمل الى النواحي . وبين بشين وبين دزه مرو الروذ مرحلة في المطلع وهو من نهر مرو الروذ على غلوةٍ من شرقيه ، ومن بشين الى شورمين مرحلة بما يلي الجنوب وهي في الجبل .

٢٠ - وأما الغُور فإنها دار كفر وإنما تُذكر في الاسلام لأن بها مسلمين ، وهي جبال عامرة ذات عيون وبساقين وأنهار وهي حصينة منيعة وفي أوائلهم بما يلي المسلمين قوم يُظهرون الاسلام وليسوا بمسلمين . ويحتف بالغور من عمل هراة الى فره ومن فره الى بلدى داور ومن بلدى داور الى رباط كروان من عمل محمد بن افرغون ، وهو صاحب الجوزجان ، ومن رباط كروان الى غرجستان ومنها الى هراة وهذا الذي يطيف ببلد الغور . وجميع البلاد المطيعة به للمسلمين من جميع النواحي وليس في جميع بلد الاسلام ناحية كفر يشتمل على أقطارها وحدودها المسلمون غير الغور ، وهم في وسطهم وقبائل برغواطه الذين بنواحي فاس والنسوس وسجلماسه وماسه ، وهم قوم في زنة من الارض يحيط بها البحر المحيط . وأكثر رقيق الغُور يقع الى هراة وسجستان ونواحيها . وتمتد جبال الغور في حدود خراسان وظاهر الباميان الى البنجهير حتى تدخل بلاد وخان وتمر في بلاد الترك على حدود الشاش الى خرخيز ، وهذا الجبل من اوله الى آخره معادن للفضة والذهب وأغزر معادنه ما قرب من خرخيز ومر على نواحي فرغانه واشروسنه ، ولو عمل ل زاد على ما بالبنجهير .

٢١ - وأما سرخس فمدينة بين نيسابور ومرو وهي في ارض سهلة ، وليس بها ماء جارٍ إلا نهر يخرج اليهم فضله في بعض السنة ولا يدوم ماؤه ، وهو فضل مياه هراة وزروع سرخس بنجوس وهي مدينة تكون

نحو نصف مرو عامرة صحيحة التربة ، والغالب بعد الزرع على نواحيها المراعي وهي قليلة القرى ومعظم أملاكهم الجمال والأغنام وهي مطروح لمجولات ما وراء النهر ، ومدن خراسان وماؤهم من أبار وأرحيتهم على الدواب وليس بها طواحين الماء وجميع ابنيتهم من طين . ونسأ مدينة خصبة كثيرة المياه والبساتين وهي في الكبر نحو سرخس ومياهم جارية في دورهم وسككهم وهي نزهة ولها رساتيق واسعة خصبة ، وهي في أضعاف جبال . وفراوه مدينة ثغري في وجه البرية على الغزية وهي منقطعة عن القرى وفيها منبر ويقم بها المرابطون ، وهم عدد يسير إلا أنهم يرجعون الى عدة وافرة وينتابهم الناس للرباط عندهم ، وليس لهم قرية ولا يتصل بهم عمارة ولهم عين ماء يجري ومنها شربهم وممرها في وسط القرية ، وليس لهم بساتين ولا زرع ولا مباقل ويككونون دون ألف رجل ذي بأس ،

٢٢ - وقوهستان ناحية من خراسان على مفازة فارس وليس بها مدينة بهذا الاسم وقصبتها تسمى قاي ، ولها من المدن يابزد والطبسين وتعرف بكري وخور والطبسين وتعرف بطبسين مسينان . فأما قاي فهي في الكبر نحو سرخس وبناؤهم من طين ولها قهندز وعليه خندق ومسجد جامع ودار الامارة في القهندز ، وماؤهم من القني وبساتينهم قليلة وقراها متفرقة وهي ناحية من الصرود . والطبسين مدينة اصغر من قاي وهي ناحية جرومية وبها نخيل وعليها حصن وبناؤهم من طين ، وماؤها من القني ونخيلها اكثر من بساتين قاي ولا قهندز لها . وخور اصغر من الطبسين وهي بقرب خوسب وليس بها منبر والمنبر بخور وأبنيتها من طين وليس لها حصن ولا قهندز ، ولها بساتين قليلة وشربهم من القني وبماهم ضيق وأهلها أهل سواثم وهي على طرف المفازة . وأما يابزد فمدينة اكبر من خور وبناؤها من طين ولها قرى ورساتيق وشربهم من ماء قني لهم . والطبسين اكبر من يابزد وماؤها ايضاً من القني ولها حصن خراب ولا قهندز لها . والنخيل التي بقوهستان بالطبسين وسائر ما ذكرنا من مدنها من الصرود . وجميع المدن والقرى التي بقوهستان متباعدة في أعراضها

مفاوز، وليس العمارة بقوهستان مشتبكة اشتباها بسائر نواحي خراسان، وفي أضعاف هذه المدن والقرى التي بقوهستان مفاوز يسكنها الأكراد وأصحاب السوائم من الابل والغنم . وفي حدّ قايّن منها على مسيرة يومين مما يلي نيسابور هذا الطين النجاشي الذي يُجمل الى الآفاق للأكل . وليس بجميع قوهستان نهر يجري إلا قناة أو بئر ويرتفع منها أنواع من الكرايس فتُحمل الى كثير من النواحي ولهم مسوح معروفة مشهورة .

٢٣ - وبلغ مدينة يتصل بعملها طخيرستان واحتل وبنجهير وبذخشان وأعمال الباميان وما يتصل بها . فأما مدن طخيرستان فإنها خلم وسمنجان وبغلان وسكيلكند ووروايز وارهن ، وراون والطايقان وسكيشت وروا وسراى عاصم وخسب اندراب واندراب وذر وكه . وأما الحُتل ومدينتها فإن مدينتها هلاورد ولاوكند وهما مدينتا الوخش وكاونك وتمليات وهلبك وسكندره ومنك ، واندججاراغ وفارغر ورستاق بيك والحتل فيما وراء النهر ، وعمل الباميان وما يتصل بها فإن مدينتها الباميان وبشغورقند وسكاوند وكابل ونجرا وفروان وغزنه . وبنجهير مدينة فردة فذة تسمى بنجهير . وبذخشان إقليم له رساتيق ومدينتها بذخشان وهي مملكة ابن القتح .

٢٤ - وأما بلغ فمدينة جلييلة مثل مرر وهراة ، وهي في مستوية وبينها وبين اقرب الجبال اليها نحو اربعة فراسخ ، وهي بربرضا نحو فرسخ في مثله [فخرت في سنة خمسين وخمسة على يد الفز ، والآن فقد عاود أهلها ونقلوا العمارة الى موضع آخر بالقرب من المدينة الخرابة وهي أيضاً في ارض مستوية] . وبنائها الطين ولها أبواب فأشهرها : باب النوبهار وباب واخه وباب الحديد وباب الهندوان وباب اليهود ، وباب الشستم وباب بجتي وعليها سور يشرع منه هذه الأبواب وبرزها حسن آخذ من شرقها وجنوبها وغربها وقد حف بها ، ومسجد جامعها بالمدينة في وسطها وأسواقها تحف بمسجد جامعها وهو مسجد معمور بالناس على مرّ الأوقات وتعاقب الايام والساعات . ولها نهر يسمى دهاس ومعناه يدير عشر أرحية ماراً على باب النوبهار ويسقي رساتيقها الى سياهجرد وتحتف بأبوابها كلها البساتين والكروم ، وسور المدينة من طين

وهي مدينة قديمة أزلية تجمع جميع التجارات وتقصد بالأمته من سائر الجهات ، وفي أهلها علم ويغلب عليهم الأدب ودقة النظر في الفقه والعلوم الغامضة وقد خرجت غير رئيس وعُرفَ من أهلها غير نفيس .

٢٥ - وأما طخيرستان فإن أكبر مدنها الطايقان وهي مدينة في مستواة وبينها وبين الجبل غلوة ، ولها نهر كبير وبساتين وكروم ومقدار الطايقان نحو رُبع بلخ . ثم يليها في الكبر مدينة ورواليز ويلي ورواليز في الكبر اندوابه وهي مدينة في شعب جبالٍ واليه تجمع الفضة التي تقع من جاريابه وبنجهر ، وبها نهران أحدهما يعرف بنهر ابدراب والآخر بنهر كاسان ولها كروم وأشجار كثيرة . وجميع ما بقي من مدن طخيرستان متقارب في الشبه والكبر وجميعها دون الطايقان ورواليز واندوابه ذوات أنهار وأشجار وزروع كثيرة عامرة خصبة .

٢٦ - وأما مدن الحُتل فإنها كلها ذوات أنهار وأشجار وعلى غاية الخصب ، وجميعها في مستواةٍ مطمئنةٍ في وجه الأرض غير سكندره فإنها في جبالٍ على أن الحُتل بأجمعه جبالٌ إلا الوخش . وأكبر مدينة بالحُتل منك ثم يليها هلبك والسلطان بهلبك . والحُتل بين نهر وخشاب ونهر بذخشان ويُدعى خرباب ، وفي أضعافها أنهار كثيرة تجتمع كلها قبل الترمذ بقرب القواذيان فتصير كلها بيجحون . ومنك مدينة تكون نحو اندرايه في القدر ، وهلبك أصغر منها وأبنية هذه المدن من طين وسور منك من جصّ وحجارة . ويليها من دور الكفر وخان وكران . وبذخشان أصغر من منك ولها رساتيق كثيرة عامرة خصبة ، ولها كروم وأشجار وأنهار وهي على نهر خرباب من غربيته . وبالحُتل النتاج المشهور بالكثرة والوفور ويجلب منها الحُيل والبغال والرميك حسب ما يجلب من طخيرستان ، وإن لم يواز ذلك فدونه . ويرتفع من بذخشان البجاذي الرفيع والحجارة ذات الجواهر النفيس التي تداني الياقوت في الحسن والرونق البديع من الأصباغ الموردة والرمانية والأحمر القانيء الرفيع والحجري الصبغ ، وهي أصل اللازورد ولها معادن كثيرة في جبالها ويرتفع إليها من المسك التبتى على وخان الكثير .

٢٧ - وبنجهير مدينة على جبل وتشتمل على نحو عشرة آلاف رجل ، ويغلب على أهلها الغبث واللغب والفساد ولهم مزارع صالحة ويغلب على نهرهم البساتين . وجاربايه مدينة أصغر من بنجهير وكلاهما معدت للفضة ومقام أهلها على ما يستخرجونه من الفضة وغيرها من اللازورد والجوهر ، وليس بجاربايه بستان ولا زرع ويشق وسط المدينة نهر بنجهير وهو نهر جاربايه وينتهي الى فروان حتى يقع في ارض الهند .

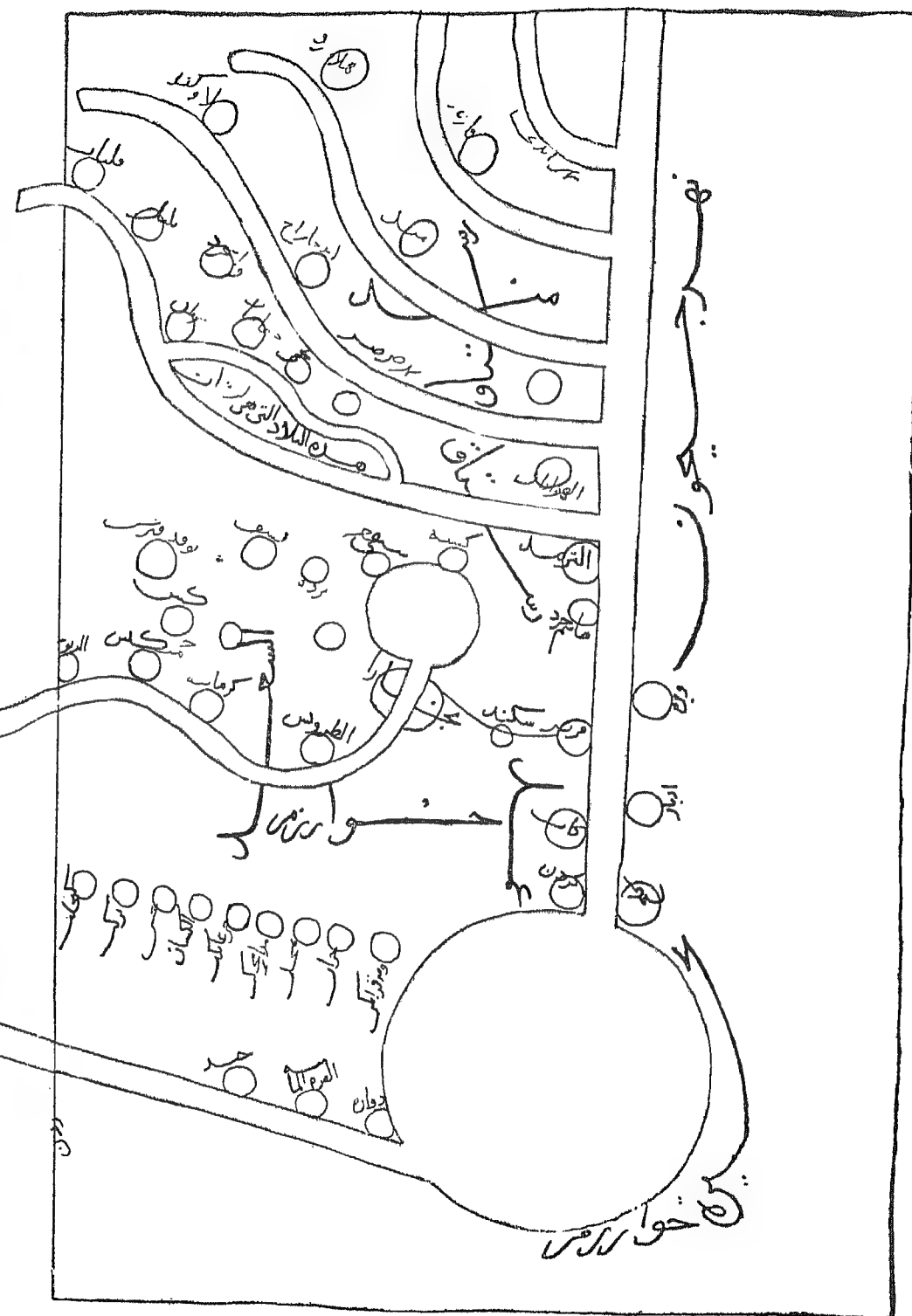
٢٨ - وأما عمل الباميان فأكبر مدنها الباميان وتكون نحو ثلث بلخ في القدر ، وتنسب هذه المملكة الى شير الباميان وليس للباميان حصار وهي على جبل ويجري بين مدنها نهر كبير ويقع الى غرجستان ، وفواكههم تجلب اليهم وليس لهم بساتين وتنقل الثمار من ارسف وغيرها . وليس بنواحي الباميان مدينة على جبل سواها وجميعها ذوات أنهار وأشجار وثمار إلا غزنه فإنه أيضاً لا بساتين بها ولا نهر . وليس بهذه النواحي والمدن التي هي في نواحي بلخ أكثر مالاً وتجارة من غزنه لأنها فرضة الهند ، وإن كانت قد تغيرت في سنة خمس وخمسين بإكباب الحاجب البتكنين عليها وإفاخة عسكره بها . ومدينة كابل مدينة لها قهندز موصوف بالتحصن والمنعة واليه طريق واحد وفيها المسلمون ولهم ربض فيه الكفار واليهود ، ويزعمون ان الشاهية لا يستحقها الملك إلا بأن يُعقد له الملك بكابل وان من كان منها على بعد فيستحق ذلك بالمصير اليها ، وعقد الشاهية له هناك على شروط كانت لهم قديمة وقد حفظوا منها التافه اليسير وتمسكوا بالقليل . وهي أيضاً فرضة للهند وطريقها سابل الى كل جهة لهم وبيع بها من النيل في كل حوال مما يُعمل بقصبتها وسوادها دون الباقي منه بأيدي التجار على ما يذكره تجارهم بألفي الف دينار وزائد ، والذي شاهدت دون ذلك لأسباب جرت من الفتن بدخول الجيش مع الحاجب اليهم ، والحلاف بينه وبين الملوك المجاورين لها ومطالبتهم بما بعد عهد سلكهم به من الضرائب القديمة والكلف السالفة ، وجباية الأموال الجسيمة كالجزية عن رؤوسهم والأخرجة من بلادهم . ويرتفع من كابل ثياب من القطن حسنة يُعمل منها السبديات الفاخرة والشرابيات المثمينة وتخرج الى

خراسان وتدخل الى الصين وتنبث بالسند وأعمالها ، وبها معادن حديد كثيرة . وكابل جروم ولا نخيل بها ويقع في بعض نواحيها ثلج .

١٢٩- ويرتفع من بلخ وأعمالها في نفسها النوق المتقدمة على سائر ما في جنبها لصحة مراعيها وخلوص نتائجها والبخاقى التي بها فتختار ، غير أن تحت ممرقند أصلب وأشد وأبدن من نوق بلخ ولا نظير لها في جميع الارض . وبها الأترج الحسن الفائق الكباب والنينوفر وقصب السكر وما لا يكون إلا بالبلدان الحارة الجرومية غير انه لا نخيل بها . وبها من انواع النواير الحسنة المختلفة الاشكال الطيبة الارائيج والاصباغ ما ليس بكثير من الاماكن كهو . ويقع بها وفي نواحيها الثلج العظيمة وهي من أكبر بلاد الصرود ويحمد بها الماء . ونجرا وسكاوند وكابل جروم حارة غير انه لا نخيل بها ، وشاوغر ناحية من وراء جيحون وهي وخوارزم معاً في صفة ما وراء النهر .

٣٠- وآمل وزم مدينتان متقاربتان في الكبر على شط جيحون ، وبها مياه جارية وبساتين وزروع وبها مجمع طرق خراسان الى ما وراء النهر ، وخوارزم على ساحل جيحون وبحيرة جيحون هي بحيرة خوارزم وبآمل أعظم معابر خراسان . وزم دون آمل في العمارة إلا أن بها معبراً من ما وراء النهر الى خراسان ، ويحيط بهما جميعاً مفازة تتصل من حدود بلخ الى بحيرة خوارزم ، والغالب على هذه المفازة الرمال وليس بها عيون ولا انهار وبها أبار ومراعٍ الى ان تنتهي الى طريق مرو الى آمل ، ثم تصير بينها وبين بلاد الغزمية مفازة قليلة الأبار والسواثم .

٣١- وأكثر السواثم بخراسان من الابل بناحية سرخس وبلخ ، وأما الغنم فأكثرها ما يجلب اليهم من بلاد الغزمية ومن الغور والخلج . وبخراسان من الدواب والرقيق والاطعمة والملبوس مما يحتاج الناس اليه ما يسهم ينقل الى سائر الأقطار عنهم . وأما الدواب فأنفسها ما يقع من نواحي بلخ ، وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك ولا نظير لرقيق الترك في جميع رقيق الارض ، ولا يدانيه في القيمة والحسن وغير غلام رأيت قد بيع بخراسان بثلاثة آلاف دينار ، وتبلغ عندهم الجارية التركية ثلاثة



آلاف دينار ، ولم أر بجميع أنقطار الارض من الرقيق ما بلغ هذه القيمة من غلام ولا جارية رومية ولا مولدة ، ولا أسمع في خبر ولا اثر إلا ما كان معه آلة السماع مع الحذق البارع والأداء الصحيح ، ومن هذا الجنس كثير في دور آل سامان وعند الجلّة والقوّاد من أهل خراسان . وأنفس ثياب القطن والابرسم ما يرققع من نيسابور ومرو . وأخير لثمان الغنم وألذّه ما يجلب من بلاد الغزّية ، وأعذب المياه عندي وأخفّها ماء جيحون وذلك أن البرد يُسرّع اليه والحّم في اقرب وقت من الزمان . وأيسر أهل خراسان أهل نيسابور ، وأنجب بلدان خراسان اهل بلخ ومرو في الفقه والدين والنظر والكلام ، وأزكى اراضي خراسان سقي نيسابور والأعذاء ما بين هراة ومرو الروذ . وليس بخراسان جروم إلا ما كان بناحية قوهستان فيما يلي فاوس وكرمان وأشدّها برداً وثلوجاً نواحي الباميان وخوارزم وسيأتي على ما تقدّم الذكر له بما وراء النهر .

٣٢ - ذكر المسافات بخراسان ، ولم أستقص ذكر المنازل هاهنا والفراسخ لأنّي بنيت الكتاب على بعض التحرير في مثل المواضع المشهورة وقد ذكرت جوامع منها إذ كان ذلك غير متعذر على من أراد تقصي معرفته من كتاب أبي الفرج قدامة وكتاب الجيهاني وكتاب أبي القسم الكعبي . ومن نيسابور الى آخر حد خراسان فيما يلي قومس الى قرية الأكراد بقرب اسداباذ سبع مراحل ، ومن قرية الاكراد الى الدامغان خمس مراحل . ومن نيسابور الى سرخس ست مراحل ومن سرخس الى مرو خمس مراحل ومن مرو الى آمل على شط نهر جيحون ست مراحل . فالجميع من أول عمل نيسابور بما يلي قومس الى وادي جيحون على السميت ثلاث وعشرون مرحلة . ومن نيسابور الى اسفرايين آخر عمل نيسابور خمس مراحل . ومن نيسابور الى بوزجان أربع مراحل ومن بوزجان الى بوسنج أربع مراحل ، ومن بوسنج الى هراة مرحلة ومن هراة الى اسفزار ثلاث مراحل ومن اسفزار الى دزق وهو آخر عمل هراة مرحلتان ، ومن دزق الى سجستان سبعة أيام فالجميع من آخر عمل نيسابور على اسفزار الى دزق تسع عشرة مرحلة . ومن نيسابور الى طوس ثلاث مراحل على

الدواب وقد يصعد الناس رجالة من نيسابور العقبة التي نيسابور في سفحها الى طوس في مرحلة . ومن نيسابور الى نسا الى فراوه أربع مراحل ، ومن نيسابور الى قايين قصبة قوهستان نحو تسع مراحل ومن قايين الى هراة نحو ثمان مراحل ، ومن مرو الى مرو الروذ ست مراحل ومن مرو الى هراة اثنتا عشرة مرحلة ، ومن مرو الى ابيورد ست مراحل ومنها الى نسا أربع مراحل ، ومن هراة الى مرو الروذ وهو طريق بلخ ست مراحل ، ومن هراة الى سرخس خمس مراحل وقد مرّ الطريق من هراة الى نيسابور والى آخر حدها بما يلي سجستان والى قصبة قوهستان ، والطريق من بلخ الى مرو الروذ اثنا عشر يوماً ومن بلخ الى شط جيحون في طريق الترمذ يومان ، ومن بلخ الى اندرابه تسع مراحل ومن بلخ الى الباميان عشرة مراحل ، ومن الباميان الى غزنه نحو ثمان مراحل ، ومن بلخ الى بدخشان ثلاث عشرة مرحلة ، ومن بلخ الى شط الوادي على طريق الحتل والتزول برباط ميله لأبي الحسن محمد بن الحسن ماه رحمه الله ثلاث مراحل ، وذلك انه كانت نضر الله وجهه من أرغب خلق الله في الخيرات واقتناء الصالحات ، وله هذا الرباط وهو أجل رباط حسناً في نفسه ونفعاً في موضعه لشدة الحاجة اليه في مكانه وكثرة ضرورة الناس الى الاستغاثة والاستعانة به في المخاوف ، وعند إناخة العدو والثلوج وتوقع المتآلف ، وهو حصين في ذاته منيع بعلمه وسمكه فسيح المباني واسع الأفنية ، لو نزل به عسكر لأقله ومملك عظيم لستر جيشه وأظله وأكثه هذا الى ما هو أجل منه من رباطاته في أقطار ما وراء النهر وبخراسان وما له منها بالقواذيان ومن أحسنها رباطاته بالترمذ مع الجرايات التي على نزلها والنفقات الدارة على سكانها من المتفقهة وطلاب العلم ، والبيارستان الذي اتخذ بالترمذ ووقف عليه من نفائس ضياعه ما يقوم بجؤنه ورباطاته بشومان وصرمنجي والصغانيان ، وكل منها نفيس في ذاته وعليه الحبس لنفقاته ومؤنه وممراته .

٣٣ - وأما عرض خراسان من بدخشان على شط وادي جيحون الى بحيرة خوارزم مسافته من بدخشان على شط وادي جيحون في سمت النهر

نحو ثلاث عشرة مرحلة الى الترمذ ، ومن الترمذ الى زم نحو خمس مراحل ومن زم الى آمل نحو أربع مراحل ، ومن آمل الى مدائن خوارزم نحو اثني عشرة مرحلة ، ومن كاث حومة خوارزم الى بجيوتها نحو ست مراحل فيكون الجميع أربعين مرحلة .

٣٤ - وهذا ذكر المسافات بين المدن التي في عملها المشهورة بخراسان وغيرها ، وسنذكر لكل مدينة مشهورة جوامع من المسافات بين المدن التي ما شهر من أمصارها وخفي مكانها لقلة الصادر اليها والوارد منها . فإن من نيسابور الى بوزجان أربع مراحل ومن بوزجان عن يسار الجائي من هراة الى نيسابور على مرحلة مالن مدينة وتعرف بمالن كواخرز ، وليست بمالن هراة ، ومن مالن الى خايند مرحلة ومن خايند الى سنكات يوم ومن سنكان الى ينابد يومان ، ومن ينابد الى قاين يومان وسلومك إذا عدلت عن يسار سنكان على يومين ، ومن سلومك الى الزوزن يوم ومن الزوزن الى قاين ثلاثة أيام . ومن نيسابور الى ترشيز أربع مراحل ومن ترشيز الى كندر يوم ومن كندر الى ينابد يومان ومن ينابد الى قاين يومان . ومن نيسابور الى خسروجرد أربعة أيام وسبزووار قبل خسروجرد بنحو فرسخين . ومن خسروجرد الى بهمناباذ مرحلة كبيرة وبين بهمناباذ وبين مزيان على طريق قومس نحو فرسخ . ومن نيسابور الى خان روان مرحلة ومن خان روان الى مهرجان يومان ، ومن مهرجان الى اسفرايين يومان . وإذا خرجت من بهمناباذ الى مهرجان فإلى ازادوار يوم ومن ازادوار الى ديواره يوم ومن ديواره الى مهرجان يومان .

٣٥ - وأما مسافات مدن مرو فإن من مرو الى كشمين مرحلة وهرمزفره بجزاء كشمين على مقدار فرسخ عن يسارها ، وعليها طريق مفازة سيفايه التي تؤدي الى خوارزم وباشان قبل هرمزفره بفرسخ على طريقها . وسنجد على مرحلة من المدينة فيما بين طريق سرخس وطريق مرو الروذ . وجيرنج على ستة فراسخ من المدينة قبل مدينة زرق بفرسخ على الوادي ومرورم على هذا الطريق على أربعة فراسخ من مرو على الوادي . والدندانقان على مرحلتين من مرو وهي على نفس طريق سرخس ، والقريتين

على اربع مراحل من مرو على وادي مرو . وخرق على نحو ثلاثة فراسخ من المدينة بين طريق سرخس وايبورد ، والسوسقان يسرة خرق غير أنها أبعد منها بفرسخ .

٣٦ - وأما مسافات مدن هراة وما يتصل بها من بوسنج وباذغيس وكنج رستاق فإن من هراة الى اسفزار ثلاث مراحل ، ومدن اسفزار هي أربع مدن وقد سميتها جميعها في أقل من مرحلة . وبين هراة ومالن هراة يوم وبين هراة وكروخ ثلاثة ايام ، وبين هراة وبوسنج يوم وبين بوسنج وكرة أربعة فراسخ عن يسار الذهاب الى نيسابور ، وبينهما وبين الطريق الجادة نحو فرسخ . ومن بوسنج الى فرکرد يومان ومن فرکرد الى خرکرد يومان ، ومن خرکرد الى الزوزن يوم . ومن هراة الى باشان هراة مرحلة ومن باشان الى خيسار مرحلة ، ومن خيسار الى استرييات مرحلة ومن استرييات الى ماراباذ مرحلة خفيفة ، ومن ماراباذ الى اوفه مرحلة ومن اوفه الى خشت يومان ، وتدخل من خشت في حد الغور . ومن هراة الى بينه مرحلتان ومن بينه الى كيف مرحلة ، ومن كيف الى بعشور يوم .

٣٧ - مسافات مدن بلخ : فمن بلخ الى خلم يومان ومن خلم الى ورواليز يومان ، ومن ورواليز الى الطايقات يومان ومن الطايقات الى بذخشان سبعة ايام . ومن خلم الى سمنجان يومان ومن سمنجان الى اندرابه خمسة ايام ، ومن اندرابه الى جاربايه ثلاث مراحل ومن جاربايه الى بنجهير يوم ، ومن عسكر بنجهير الى فروان مرحلتان . ومن بلخ الى بغلان ست مراحل : منها الى سمنجان اربع مراحل والى بغلان مرحلتان ، ومن بلخ الى مذر سب مراحل ومن مذر الى كه مرحلة ، ومن كه الى الباميان ثلاث مراحل . ومن الفارياب الى الطالقان ثلاث مراحل ومن الطالقان الى مرو الروذ ثلاث مراحل .

٣٨ - مسافات مدن قوهستان : فمن قاین الى زوزن ثلاث مراحل ومن قاین الى طلس مسينان يومان ، ومن قاین الى خور يوم ومن خور الى خوسب فرسخان ، ومن قاین الى الطبيين ثلاث مراحل ، فهذه جمل مسافات خراسان وتفصيلها .

ما وراء النهر

١ - وأما ما وراء النهر وما يحيط به من شرقيه فقامر والراشت وما يتاخم الحُتْل من اوض الهند على خط مستقيم ، وغربيّه بلاد الغُرَيَّة والحُرَيَّة من حدّ الطراز ممتدّاً على تقويس حتى ينتهي الى باراب وستكند وسُغند سمرقند ونواجي بخارا الى خوارزم حتى ينتهي الى بحيرتها، وشماليتها الترك الحُرَيَّة من اقصى بلد فرغانة الى الطراز على خط مستقيم ، وجنوبيّه نهر جيحون من لدن بدخشان الى بحيرة خوارزم على خط مستقيم ايضاً . وخوارزم والحُتْل في ما وراء النهر لأن الحُتْل بين نهر وخشاب وخراب وعمود جيحون وخراب وما دونه من وراء النهر وخوارزم مدينتها وراء النهر ، وهي الى مدن ما وراء النهر اقرب منها الى مدن خراسان وقد كررت ذلك مراراً فيما تقدّم .

٢ - وهذه صورة ما وراء النهر وهي آخر صور الكتاب :

إيفضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة ما وراء النهر الموجودة في نسخة كتاب الأستخريّ المحفوظة في الخزانة البلدية بمدينة هامبورغ :

القسم الاول : قد رسمت في اسفل الصورة في الزاوية اليمنى بحيرة مدوّرة توازي جانبيها كتابة بحيرة خوارزم ، ويصب فيها نهر آت من الفوق كتب عن يمينه نهر جيحون ، ويتصل بجانبه الايمن من المدن : ويزه ، اسباس ، كركانج ، ويصب في نهر جيحون خمسة انهار : اولها نهر (باحشو) وتقع بينه والنهر الثاني مدينة (فارغر) وبين الثاني والثالث منك وهلاورد . وتقطع النهر الثالث كتابة رستاق بيك ، وبين النهر الثالث والرابع انديجاراغ ولواكند ، وكتب من اسفل النهر الرابع قاطعاً للنهر صرمنجي ، وينتسب هذا الاسم ايضاً الى المدينة الواقعة بجذاء النهر ، وبين النهر الرابع والخامس من المدن : تمليات ، (هليك) ، واشجرد ، شومان ، (الصفانيان) ، صرمنجي ، (جرمقان) ، القواذيان ، ويأخذ من النهر الخامس عند شومان

شعبة ترجع من بعد الى العمود ، وكتب بين الشعبة والعمود : هذه البلاد التي هي (لوششاب) ،
وتقطع هذا النهر كتابة رستاق .

وتقع تحت مصب النهر الخامس عن يسار جيحون مدينة الترمذ ثم من أسفلها على شط
جيحون : هاشم جرد ، فربر ، كاث ، كردر ، وكتب في الساحة عن يسار هاتين المدينتين
عمل خوارزم ، ويأخذ من فربر طريق الى اليسار على بيكند الى بخارا وهي من جانبي نهر يأتي
من اليسار ويفضي فوق المدينة الى بحيرة مدورة ، ويقع على النهر الى اليسار من المدن :
الطواويس ، كريميه ، خديمكن ، الدبوسيه ، وتقطع النهر كتابة السغد ، ويقع في الساحة
فوق النهر من المدن : كش ، نوقة قريش ، نسف ، بزده وعلى طرف البحيرة اسكيغن وكسبه .

ويصب في بحيرة خوارزم نهر يأتي من اليسار تقع على جانبه الاعلى : خواره ، القرية
الحديثة ، جند ، ويوازي النهر في الساحة التي فوقه من المدن قرية : قراتكين ، خجاده ، نمجكت ،
مذيانجكت ، خرغانكت ، الكشانيه ، اشتيخن ، فرنكت ، كينجكت ، ويوجد تحت النهر في
طرف الصورة آخر اسم مدينة كدر .

القسم الثاني : رسمت في القسم الايمن من اعلى الصورة ثلاث سلسلات جبلية كتب عندها البتم
الأول ، البتم الثاني ، البتم الثالث ، ويخرج من البتم الثالث اربعة انهار تصب في بحيرة جن
ويخرج منها النهر الجاري الى بخارا في القسم الاول من الصورة ، ويرى فوق النهر في طرف
الصورة آخر اسم مدينة سمرقند وتقع عن يساره مدينة اباركت ، ويأخذ من هذه المدينة طريق الى
اليسار ثم الى الاعلى عليه : زامين ، ساباط ، خجند ، (كند) سوخ ، خواكند ، رشتان ،
زندرامش ثم عبر النهر اوش ثم عبر النهر الثاني (اورست) ثم عبر النهر الثالث خرشاب ويحوز
أن هذا الاسم على الصحيح (اوزكد) ، وكتب عند النهر الاول نهر قبا وعند النهر الثاني نهر
اورست وعند النهر الثالث نهر خرشاب ، ويوازي نهر قبا عن يمينه من المدن : بامكبخس ،
طبخس ، مسكان ، سوخ وهذا الاسم الاخير غلط ولعل الصحيح (اسره) ، ويقع عن يسار
أيسر الأنهار الخارجة من البتم الثالث بينه وبين الطريق المذكور من المدن : بوججكت ، فكت ،
غزق ، ارسانيكت .

وتقع الثلاثة الأنهار المذكورة في نهر يجري الى الاسفل ثم الى اليمين ويصب هذا النهر في نهر
آخر يأتي من اوسط طرف الصورة الايسر ويجري الى اليمين الى ان يصب في بحيرة خوارزم في
القسم الاول من الصورة . ويوازي هذا النهر عن أسفل سد كتب عنده : يعرف هذا الحائط
بحائط القلاص عمله عبدالله بن حميد رحمه الله ويقع من أسفل هذا الحائط في الزاوية اليسرى :
بذخكت والطراز ومن فوق الحائط بينه والنهر من اليمين الى اليسار : (جينانجكت) ،
(ستوركث) ، (دنغانكت) ، (بنكت) ، (خاتونكت) ، بركوش ، خركانكت .

ويقع على شط النهر من فوقه من المدن : تكالك ، حديكت ، غناج ، (استيفوا) ،
بالاين ، ثم تليها موازياً للنهر : جيوزن ، جينوكث ، كبرنه ، غدرانك ، ويأخذ من بالاين

طريق الى الفوق منتبهاً الى شط النهر الآتي من الفوق وعلى هذا الطريق من المدين بعد بالايان :
(نوكت) ، بانجخاش ، سكاكت ، ثم مدينة لا يبين اسمها ، ثم على النهر (تونكت) ، ويقع
عن يمين هذا الطريق سامسبرك ، (بسكت) ثم مدينة لا يبين اسمها . وفي الساحة عن يمينها :
اردلانكت وخرنك ثم خرنكت على الطريق من حدينكت الى بناكت على النهر ، وعن يمين خرنكت
(غركنده) وعن يمينها على النهر نجاكت ، ويقع عن يمين النهر بينه وبين النهر المار بسمرقند :
(خرقانه) ، (ديزك) ، (ويزار) .

وتوجد في الساحة عن يسار النهر المار على تونكت كتابة بلد الشاش ، ويوازيها من تحتها :
(بفنكت) ، فرنكت ، (كذاك) ، (وردوك) ، ويوازي الكتابة من فوقها صف من المدين
وهي من اليمين الى اليسار : (خاوس) ، كهسيم ، (خاش) ، تموزلغ ، اربلخ ، (كنكرار)
ارذكت ، وبلي هذا الصف من فوقه صف آخر كأنه كرر فيه اسماء مدن الصف الاول ، ثم يلي
ذلك من الفوق موازياً للنهر : اخشيكت ، (كند) ، كاسان ، (غرجند) ، (دخكت) ،
(كركت) ، ثم فوق ذلك عبر النهر ثلاث وفوقه على شط النهر التالي : (استياكند) و (اوال) .

...

إيضاح ما يوجد من الاسماء والنصوص في صورة ما وراء النهر الموجودة في النسخة المرقومه
٢٥٧٧ المحفوظة في خزانة آيا صوفيا باستنبول :

القسم الاول : قد رسم في اسفل الصورة في الزاوية اليمنى قسم من بحيرة خوارزم على شكل
دربع دائرة ويصب فيه نهر آت من الفوق كتب عن يمينه المغرب ، وتقع عليه من هذا الجانب
مدينة خوارزم وتقطع النهر فوق ذلك كلمة عمل ، ويقع على شاطئ النهر الايسر ابتداء من
الاسفل من المدين : كردر ، كاث ، فربر ، هاشم جرد ، الترمذ ، ويصب فوق الترمذ في النهر
نهر يأتي من اعلى الصورة وتقع عن يمين ابتداءه مدينة شومان ، ثم الى الاسفل صفانيان وبلي هذا
النهر نهر آخر عليه مدينة نودز .

ويصب في بحيرة خوارزم نهر آخر يأتي من اليسار ويقع على شاطئه الاسفل من المدين :
باراب ، كدر ، شاوغر ، صبران ، وكتب تحت ذلك موازياً لطرف الصورة بلد الغزيرة ، ومن
فوق هذا النهر : خواره ، القرية الحديثة جند ، وسيج ، سلجي ، ويتسلى من فوق مصب
هذا النهر سد يوازي النهر ثم يعطف الى الاسفل قاطعاً النهر وكتب من تحته : هذا حائط عبدالله
ابن حميد ويعرف بحائط القلاص ، ويوازي هذا السد من فوقه من المدين ابتداء من اليمين : بيكند ،
(مغان) ، قرية قراتكين ، خجاده ، نمجكت ، مذيا نمجكت ، خرغانكت ، الكشانية ، اشتيخن ،
فرنكت ، كينجكت ، ويزار ، ديزك ، ثم مدينة كأنها ديزك مرة ثانية .

ويوازي ذلك من الفوق نهر يصب الى اليمين الى بحيرة بخارا ، وتقع على هذا النهر من
جانبيه مدينة بخارا ثم الى اليسار : طواويس ، كرميني ، الدبوسيه ، اربنجن ، سمرقند ، وكتب
في الساحة من اعلى النهر بحروف كوفية صورة ما وراء النهر ويقع فوق هذه الكتابة من المدين :
كسيه ، بزده ، اسكيفغن ، كش .

ويأتي النهر المار بسمرقند وبخارا من ستة أنهار تخرج من جبال مصفوفة على اربعة صفوف يوجد نصفها الأيسر في القسم الثاني من الصورة ، وكتب تحت الجبل الاعلى البتم الاول ، ثم تحت الثاني البتم الثاني ، ثم تحت الثالث البتم الثالث ، وتحت الصف الاسفل البتم الرابع .

القسم الثاني : يوازي طرف الصورة الاسفل باقي حائط القلاص وتقع تحته مدينة اسبيجاب ثم الطراز وكتب عن يسار ذلك على شكل صليبي : نواحي الطراز ، ويقع من فوق الحائط من المدين : خركانكث ، بركوش ، خاتونكث ، بنكث ، ويمر من فوق ذلك النهر الجساري الى بحيرة خوارزم ، ويقع في الساحة فوقه من المدين : (تونكث) فرنكث ، اردلانكث ، خرك ، وكتب في الساحة فوق ذلك : ناحية الشاش .

ويمر من فوق ذلك نهر يأتي من اوسط طرف الصورة الايسر فينصب في النهر المتقدم ذكره ، ويقع من اسفل ذلك النهر ابتداء من اليمين من المدين : مرغينان ، غناج ، (نجاكث) ، اشروسنه ، (بناكث) ، جيفوكث ، خزينكث ، (سكاكث) ، ابرذكث ، اخشيكث ، (نوكت) ، (كركت) ، ويتصل بشط هذا النهر مدينتا قبا وزامين وبينهما الى الفوق ساباط ، ثم عن يمين ذلك : اباركث ، فغكث ، غرق ، ويصب في هذا النهر عن يسار قبا فهو يأتي من الفوق عليه خجندة ويقع فوق ذلك بين النهر وجبال البتم : ارسانيكث ، (بارياب) ، سوخ ، خواكند ، ويلي النهر المذكور الى اليسار اربعة أنهار كتب بين النهر الثاني والثالث فراغانه وعلى شاطئه النهر الثالث خرشاب .

٣ - وما وراء النهر إقليم من أخصب أقاليم الأرض منزلةً وأنزهها وأكثرها خيراً ، وأهله يرجعون الى رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم اليه مع قبلة غاية عالية وسلامة ناجية ، وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة شوكة ومنعة وبأس ونجدة وعدة وعدة وآلة وكراع وبسالة وسلاح وعلم وصلاح . فأما الحصب بها فليس من إقليم ذكر في هذا الكتاب إلا يقحط أهله مراراً قبل ان يقحط ما وراء النهر مرة واحدة ، ثم إن أصيبوا ببرد او بجر أو آفة تأتي على زرعهم وغلاتهم ففي فضل ما يسلم في عروض بلادهم ما يقوم بأودهم ، حتى يستغنوا به عن شيء يُنقل اليهم من غير بلادهم وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدن او قرى تسقى او مباخس او مراعي لسوائهم . وليس شيء لا بُد للناس منه إلا وعندهم منه ما يقوم بأودهم ويفضل عنهم لغيرهم . فأما أطعمتهم في السعة والكثرة فعلى ما ذكرناه ، وأما مياههم فإنها أعذب المياه وأبردها وأخفها قد عمت جبالها وضواحيها ومدنها ، هذا الى التمكن من الجمد في جميع أقطارها والثلوج من جميع نواحيها ، وأما الدواب ففيها من النتائج ما فيه كفايتهم على كثرة

ارتباطهم لها ، وكذلك البغال والابل والحمير والأغنام تجلبها ما يفضل عن كفايتهم من الحرثية ، ولهم من نتاج الغنم الكثير والسائمة المفرطة ، وكذلك الملبوس أيضاً فإن لهم من الصوف والقز وطرائف الكرايس والبز ما يفضل عنهم . وببلادهم من معادن الحديد ما يفضل عن حاجتهم وينيف على تجارتهم ، وبها معادن الذهب والفضة والزئبق الذي لا يقاربه في الغزارة والكثرة معدن ما بسائر بلدان الاسلام ، وان كانت معادن بنجهر الوافرة الحظ من هذه الحلال فهي لهم ومضافة اليهم . ولم أعلم ان في شيء من بلد الاسلام النوشاذر إلا في ما وراء النهر حتى رأيت منه شيئاً بصقلية ، وليس كنوشاذرهم في القوة . ولهم الكاغذ الذي لا نظيره في الجودة والكثرة . وأما فواكههم فإنك إذا تبطنت السغد واشروسنه وفرغانه والشاش رأيت من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق حتى ترعاها لكثرتها دوابهم . وأما الرقيق فيقع اليهم من الأتراك المحيطين بهم وبإقليمهم ما يفضل عن كفايتهم ، وينقل الى الآفاق من بلادهم وهم خير رقيق وأفرهم وأحسن ما يحيط بالشرق وأكثره ثمناً . ولهم من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ما يُنقل الى سائر الآفاق والأبصار فيفوق غيره جوداً وثناً . ويرتفع من الصغانيان الى واشجود من الزعفران والأوبار من السمر والسنباب والثعالب وغيرها ما يُنقل الى كل موضع مع طرائف من الحدنك والختو والبزاة الرفيعة القرطاسية الشهب والدرهية المفرقة ، وغير ذلك مما يتنافس به الملوك ويحتاج اليه ويستعده .

٤ - وأما سماحتهم فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأنهم في دار واحدة ، ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل في داره لا يجد المضيف من طارق يطرقة كراهية بل يستفرغ جهده في إقامة أوده ، من غير معرفة تقدمت ولا توقع لمكافأة بل اعتقاداً للسماحة في أموالهم ، وهم كل امرئ على قدره فيما ملك يده التنوّق والقيام على نفسه ومن يطرقة . وبحسبك أنك لا ترى صاحب ضيعة يستقل بمؤنته إلا كانت همته اقتناء قصر نسج ومنزل للأضياف رحيب ، فتراه عامّة نهاره متوّقاً في إعداد ما يصلح لمن يطرقة وهو متشوّق الى وارده عليه ليكرمه ، فاذا حلّ

بأهل ناحية طارق تنافسوا فيه وتنازعوه . وليس من أحد يتصرف بما وراء النهر في مكان به ناس من ضيعة او غيرها بليل او نهار عن مثل هذه الحال . وهم فيما بينهم يتبارون في مثل هذا الشأن حتى يحجف في اموالهم وأملاكهم كما يتبارى سائر الناس في الجمع ويتباهون بالملك والمكثرة بأموالهم . ولقد شهدت آثار منزل بالسغد معروف بأن قد ضربت الأوتاد على باب داره ، وصح عندي أن بابها مكث لم يغلق زيادة على مائة سنة لا يمنع من نزولها طارق ، وربما نزل به ليلاً عن بغية من غير استعداد المائة والمائتان والأكثر من الناس بدوابهم وحشهم ، فيجدون من علف دوابهم وطعامهم ودثارهم ما يغنيهم عن استعمال رحالهم من غير أن يتكلف صاحب المنزل امراً بذلك او يتجشم عناء ، لدوام ذلك منهم ومنه قد أقيم على كل عمل من يستقل به وأعد ما يحتاج اليه على دوام الأوقات بما لا يحتاج معه الى تجديد أمر عند طروقهم إياه ، وصاحب المنزل في البشاشة والاقبال والمساواة لأضيافه بحيث يعلم كل من شهد سروره بذلك وإيثاره للسباحة فيما أتاه وتوخته . ومع ذلك فإنك لا تجد في بلد الاسلام أهل الثروة إلا والغالب عليهم صرف نفقاتهم الى خاص أنفسهم في الملاهي وما لا يرضاه الله ، والى المنافسات فيما بينهم والأشياء المذمومة إلا القليل . وترى الغالب على أهل الاموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم الى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبل الجهاد ووجوه الخير وعقد القناطر ، إلا القليل من ذوي البطالة . وليس من بلد ولا منهل مطروق ولا قرية آهلة إلا وفيها من الرباطات ما يفضل عن ينزل به من يطرقة . وبلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط ، وفي كثير منها إذا نزل النازل أقيم علف دابته وطعامه إن احتاج الى ذلك . وقلنا رأيت خاناً او طرف سكة او محلة او مجمع ناس الى حائط بسمرقند يخلو من ماء مسبل يجمد . وذكر لي من يرجع الى خبيرة أن بسمرقند ، في المدينة وحيطانها فيما يشتل عليه السور الخارج ، زيادة على ألفي مكان يسقى فيها ماء الجمد مسبل عليه الوقوف ، من بين سقاية مبنية وحباب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة في الحيطان مبنية .

٥ - فأما بأسهم وشوكتهم فليس في الاسلام ناحية أكثر حظاً في الجهاد منهم، وذلك أن جميع حدود ما وراء النهر الى دور الحرب أقرب، ومن ذلك 'خوارزم الى ناحية اسديجاب فهم ثغر الترك الغزبية . وأما اسديجاب الى اقصى فرغانه فتعبر الخرجية ، ثم تطوف حدود ما وراء النهر من الشقية وبلد الهند من حد ظهر الختل الى حد الترك في ظهر فرغانه، والمسلمون يقهرونهم وجميع من جاورهم بهذه النواحي، ومستفيض أنه ليس للاسلام دار حرب هم أشد شوكة من الترك وهم ثغر للمسلمين في وجه الترك يمنعونهم من دار الاسلام ويصدونهم عن انتهاكها . وجميع ما وراء النهر تغور تغزوها الترك ويبلغهم النفير والانذار بالغدو والعشي ، ومستفاض عن كان مع نصر بن احمد رحمه الله في غزاة شاوغر يستوفرون أنهم كانوا يحزرون ثلاثمائة الف ، وأن أربعة آلاف رجل انقطعوا عن العسكر فضلوا أياماً قبل أن يتهياً لهم الرجوع الى العسكر ، وما كان فيهم من غير ما وراء النهر كثير عدد وكلوا يعرفون بأعيانهم . وفي بعض الاخبار أن المعتصم سأل عبدالله بن طاهر او قيل كتب اليه كتاباً يسأله عن يمكنه حشده من خراسان وما وراء النهر ، فأنفذ بالكتاب الى نوح بن اسد بن سامان فكتب اليه : إن بخراسان وبما وراء النهر ثلاثمائة الف قرية اذا خرج منها فارس وراجل لم يبين على أهلهم فقدم ؛ وفي هذه الحكاية نظر في وقتنا هذا . ويقال أن بالشاش وفرغانه من الاستعداد والعتاد ما لا يوصف مثله عن ثغر من الثغور في وقتنا هذا ، حتى أن الرجل الواحد من الرعية عنده من بين مائة دابة الى خمسمائة الى عشرين دابة وليس بذي سلطان . وهم على بُعد دارهم اول سابق الى الحج بكثرة الأموال وسعة الاحتفال وجودة الجمال ، ولا يدخل البادية مثلهم كثرة وهم منع ذلك احسن الناس طاعة لكبرائهم وأطفهم خدمة لعظماهم وفيما بينهم ، حتى دعا ذلك الخلفاء من بني العباس الى ان استدعوا من اهل ما وراء النهر رجالاً ، وكان الأتراك رجالهم ، لفضلهم على سائر الجيوش ودهاقينهم أمراء فيهم . وجيوشهم من بين سائر الأجناس في البأس والجرأة والشجاعة والاقدام متقدمون على من سواهم ، ودهاقين ما وراء النهر

قوادهم وحاشيتهم وخواصّ خدمهم للطفهم في الخدمة وحسن الطاعة والهيئة في الملبس والزيّ السلطاني ، حتى لصاروا حاشية الخلافة قديماً ورجالها سالفاً ورؤساء عساكرهم كالفرغانة والترك الذين كانوا شحنة دار الخلافة ، وغلبوا عليها مثل الافشين وابن ابي الساج من اشروسنه والاشخاذه من سمرقند والمرزبان بن كيسفى من السغد ، وعجيف بن عنبسه من السغد والبخارخداة وغيرهم من امراء الحضرة وقوادها وجيوشها .

٦ - والملوك على هذا الاقليم وعلى سائر خراسان آل سامان ، وهم من اولاد بهرام جوبين الذي سار ذكره في العجم بالبأس والنجدة . وليس بأرض المشرق ملك أمنع جانباً ولا أوفر عدّة ولا أكمل عدّة ولا انظم اسباباً ولا اكثر عطية ، ولا أدرّ أطعماً ولا أدوم عشرينياتٍ منهم مع قلّة جبايتهم ونزور اخراجتهم وتفه الأموال في خزائنها . وذلك أن جباية خراسان وما وراء النهر لأبي صالح منصور بن نوح في الوقت الذي كنت بنواحيهم محلولاً ومعقوداً ، تحمل في السنة دفعتين في كل ستة اشهر دفعةً عشرون الف الف درهم ، واذا اقتضيا خراجاً كانا اربعين الف الف درهم لامور أوجبت قبض ذلك كذلك . فمنها أن الجريب عندهم الصغير خراجه من ربع درهم الى ثلثي درهم الى ثلاثة ارباع درهم . ورأيتُه لنفقاته يُجري الأربعة أطعاع في كل سنة دارّة غير منقطعة ولا بمنوعة ، وكلّ طمع منها في رأس تسعين يوماً فيخرج اول ذلك الى غلمانة وخاصته وقوادّه ثم الى سائر المتصرفين ، ومبلغ كل طمع خمسة آلاف الف درهم فتستوفي الأربعة الأطعاع الخراج الواحد ، ويعم ذلك سائر اهل المملكة عند آخر السنة ، وتستوعب اعطيّتهم اكثر جباياته المذكورة عن طيبة نفسٍ ومسرّة وجدلٍ قلب وغبطة ظاهرة بقوام المعدلة فيهم تامة . ولم يَلِ له ولا لأبيه عملاً ولا خدمهم رجل في سائر النواحي المتقدم ذكر بعضها إلا وأرزاقه موفرة من هذا المال ، مع المطالبة بما تقتضيه وتوجه هذه الحال من المعدلة في الرعيّة والنصفة للعامة والأخذ على ايدي الخاصة ، وهذه الحال اهمهم مشحونة بالقضاة والكفّاء والبنادرة والولاة منزليين على ارزاقٍ تتساوى وأجوالٍ في المواسم تتدافى . وذلك أن رزق القاضي

كرزق صاحب البريد والعامل على جباية الأموال من البنادرة ووالي المعونة رأيتهم بقدر كل ناحية وحسب كل كورة، وليس ينقص رزق بعضهم عن بعض ولا يزيد ولها عَبر قديمة ودستورات ورازناجات . فاذا كان لعامل المعونة بالناحية رسم كان للبندار بها على رسمه ، وكذلك فاذا كان للقاضي عطاء كان لصاحب البريد قسط ~~كقسطه~~ ولن يبعد من صاحبه الأولين بنقص ولا زيادة . ومن ذلك عشرينيات اصحاب البريد بكور خراسان وما وراء النهر وفي ذكرهم ما يدل على حال كل من ذكرناه متصرفاً في أعمالهم .

سمرقند سبعمائة درهم وخمسين اربنجن ثلاثمائة درهم اشروسنه ستائة درهم
خجند ثلاثمائة درهم الختل اربعمائة درهم آمل وفوبر اربعمائة درهم
كورة زم ثلاثمائة درهم الجرجانية ستائة درهم مرو تسعمائة درهم
سرخس خمسمائة درهم ايورد خمسمائة درهم باذغيس ثلاثمائة درهم
طوس ثلاثمائة درهم الجوزجان ستائة درهم الطالقان ثلاثمائة درهم
قوهستان ثلاثمائة درهم نيسابور ثلاثة آلاف درهم الصفانيان ثلاثمائة درهم
اشتيخن والكشانية ثلاثمائة درهم الشاش سبعمائة درهم ايلاق ثلاثمائة درهم
فرغانه الف درهم بُست ثلاثمائة درهم كش ثلاثمائة درهم
خوارزم الف درهم كنج رستاق وبغ ثلاثمائة درهم مرو الروذ ثلاثمائة درهم
بلخ وأعمالها الف درهم هراة الف درهم بُوسنج ثلاثمائة درهم
القواذيان مائتا درهم الترمذ ثلاثمائة درهم شومان وصرمنجى ثلاثمائة درهم

فاذا قبض أحد المتصرفين المذكورين في البريد درهماً واحداً كان للقاضي مثله اذا كان على تلك الناحية وحاكماً في تلك الجهة ، وكذلك لمن تصرف معهما من البندار وصاحب المعونة . وهذا تمام لما أردت به الابانة عن حال دولة اصحاب خراسان ومحلتها في نفسها من الفخم والعظم .

٧ - وليس في الاسلام جيش إلا وهم شدّاذ القبائل ومُلققة النواحي والبلدان والأطراف ، إذا تفرّقوا بهزيمة أو تمزّقوا بمجاذبة لم يلتق منهم جمع بعد ذلك إلا بالhilfe الصعبة والمبالغة في الرغبة والرغبة غير جيش

هؤلاء الملوك ، فإن جيوشهم الأتراك المملوكون رقاً بملهم وشروى مناطقهم ومن الأحرار والدهاقين من يُعرف داره ومكانه وآله وجيرانه ، فإن قتل منهم قوم أو ماتوا ففي وفور عددهم ما يفاد من بين ظهرانيهم مثله وإن تفرقوا في حادثةٍ تراجعوا كلهم الى مكان واحد لا يقدح فيهم ما يقدح في سائر عساكر الاسلام . ولا سبيل لهم الى التفرق في العساكر والتثقل في الممالك كما يكون عليه رسم صعاليك العساكر وشحنة البلدان ، وذلك أنهم غدوا من حُسن السياسة بمحض الرياسة من التفقد لأحوالهم عند الغيبة عنهم والنظر للبعد كالقريب منهم ، إن أحسنَ لم يُسقط إحسانه وإن أبلى لم تؤخر مكافأته ، وإن اجترم طوبى لذنبه وجُرمه وإن أخطأ أخذ بحجبه وإثمه ، وإن كان نسيباً أو قريباً وجب عليه قصاصٌ أو قودٌ أُحيل على حكم الله تعالى أو بعيداً لزمه حكمٌ أو طلبٌ لم يُعَدَل به عن حدود الله تعالى . وإذا اطردت السياسة العقلية صفت الأمور الكلية وتوفرت المحامد وعلت المنزلة وتأثرت الخدم وأيسر الحشم . ولقد خرج بارس غلام إسماعيل بن أحمد في فتنة عبدالله بن المعتز هارباً من أحمد بن إسماعيل مولاه لأمر كان إسماعيل حمله عليه وندبه له وعهد اليه عهداً فيه ، وليس هذا موضع ذكره فنزل العراق بعيدة هالت السلطان ، والخليفة إذ ذاك المقتدر ، والأمور بعدُ على حالها وأظهر من العُدَّة والعدة والآلة والكراع والسلاح والمال والسواد ما لم يكن بحضرة السلطان جيش مثله يوازيه ، ولم يبن على جيش خراسان فقدهُ فأمرَ بالمُضي الى الثغر وإنما كان عبداً لهم مملوكاً من جماعة بماليك . وليس في بلدان الاسلام ملوك قد عُرفوا في الملك يتوارثونه بينهم من أيام العجم مثلهم ، وهم من جلّة الفرس محتدأ . وذلك ان أبا صالح منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن أبي إبراهيم إسماعيل الملك العظيم الخطير المحمود السيرة ، الكثير المناقب والحاسن والآثار الشريفة والأعمال والأفعال البديعة الرائعة ابن أحمد بن أسد بن سامان خُذاه بن جيثان بن طغثان بن نوشرذ ابن بهرام شوبين بن بهرام جشنس أعدل ملوك عصره سيرةً وأمثلهم طريقةً ، مع ضعفٍ في جسمه وضألٍ في نفس بنيته وأحزَمهم رأياً ،

وأنقبتهم في الامور تدبيراً وأصعّهم فيما يهيمُ به منها عزيزةً وأصدقهم في ذات الله نيّةً وأنظرهم ليومه وغده ، فأعماله معبورة وسيرته مشكورة .

٨ - ولم أر ولم أسمع في الاسلام بظاهر بلدٍ أحسن من ظاهر بُخارا لأنك إذا علوتَ قهندزها لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء ، وكأن السماء مكّبة زرقاء على بساط أخضر تلوح القصور فيما بين ذلك كالتواس التبتية والحجف اللطيفة ، أو كالكوكب العلوية بياضاً ونوراً بين اراضي ضياع مقومة بالاستواء مُهندمة كوجه المرأة بغاية الهندسة . وليس بما وراء النهر من البلاد ولا غيرها من البلدان أحسن قياماً بالعمارة للضياع منهم ، مع كثرة متنزّهات في سعة المسافة وفسحة المساحة من أرضهم ، وذلك لهم دون غيرهم لأن المشار اليه من متنزّهات الارض سُعد سمرقند ونهر الأبلّة وغوطة دمشق؛ على ان سابور وجُور فارس لا تقصّرات عن غوطة دمشق ، لأنك إذا كنتَ بدمشق ترى بعينيك على فرسخ وأقلّ جبلاً مُراغاً قرعاً من النبات والشجر وأمكنة خالية من العمارة ، وأكملُ النزهة ما ملأ البصر وسد الأفق وقناهى في الطيب . وليس بنهر الأبلّة ولا بنواحيه مكان يستوقف النظر إلا نحو فرسخ وليس فيه مكان عالٍ ولا له فيدرك النظر أكثر من فرسخ ، ولا يستوي المكان المستقر الذي لا يُرى منه مقدار ما يُرى من مكان ليس بمستقر في النزهة ، ومكان يستوقف البصر منه سعة في العيان وسفره في المنظر ولذة واصله الى النفس . وسُعد سمرقند فلا نعرف به مكاناً وبلدة اذا علا الناظر قهندزها وقع بصره على جبالٍ خالية من الشجر او صحراء غبراء ، وذلك لأن مزارعهم محفوفة بالشجر مشحونة بالحضر . وقد قال ابو عثمان ان غبرة المزارع في أضعاف خضرة النبات من الزينة غير ان الارض الغبرة بالتربة المنتشرة متى عذمت تقويمها من العمارة بالعيان سلبت بهجة النظرة وبُزّت حليّة الزينة ، وعذمت حلاوة البهجة وقعدت بالمتنزه عن اللذة . ويشتمل ما وراء النهر من هذا الأمر على نصيب وافرٍ وقسطٍ زاخرٍ . ولحيط ببُخارا وقرها ومزارعها سور قطره اثنا عشر فرسخاً في مثلها كلها عامرة زاهرة ناضرة . وأما

سغد سمرقند فهي أنزه الثلاثة الأماكن الذي ذكرتُ وهي غوطة دمشق ونهر الأبلّة ، وقد قال أهل فارس شعب بوتان لان من حد بُخارا على وادي السغد يميناً وشمالاً ضياعاً تتصل الى حد البتم ، لا تنقطع خضرتها ولا تنصيرم زهرتها ومقدارها في المسافة ثمانية ايام مشتبكة البساتين والحضرة والرياض والميادين ، قد حُقّت بالأنهار الدائم جريها والحياض في صدور رياضها وميادينها فحضرة الاشجار والزرور ممتدة على جانبي واديها ، ومن وراء الحضرة عن جانبي النهر مزارعها ومحرسها من وراء المزارع مراعي سوائها وقصورها ، والقهندزات من كل مدينة وقرية منها تبصّ في أضعاف خضرتها كأنها ثوب ديباج أخضر قد سُيّر بمجاري مياهها ، وُزيتت بترصيف قصورها فهي أزكى بلاد الله وأحسنها اشجاراً وأيمنها وأطيبها ثماراً ، على ان عامّة مساكنهم بالبساتين والحياض والمياه الجارية مرصوفة ، فما تخلو سكة ولا محلة ولا سوق ولا ناحية ولا دار ولا قصبة من نهر جاري او بركة واقفة . وبفرغانه والشاش واشروسنه وسائر ما وراء النهر من الاشجار الملتفة والثمار الكثيرة والرياض المتصلة ما لا يوجد مثله في سائر الأمصار . وبفرغانه في الجبال الممتدة بينها وبين بلاد الاتراك من الأغراب والجوز والتفاح وسائر الفواكه مع الورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله ، لا مالك له ولا مانع منه . وفي جبال ما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره ، وباشروسنه ورد وريحان الى آخر الحريف ، وكذلك بالجزوان من أرض الجوزجان . وفي نواحي خراسان ورد غريب الالوان يوجد الى آخر الزمان من نواير مختلفة ، فيكون باطن الورقة بلونٍ وظاهرها بغيره من صُفرة مظهره بسواد ومن حمرة تخالفها زرقة وكحلّ .

٩ - وبما وراء النهر كور عظام وأعمال جسام وفيما يصاقب جيحون كورة بُخارا على معبر خراسان ، ويتصل بها سائر السُغد المنسوب الى سمرقند واشروسنه والشاش وفرغانه وكش ونسف والصغانيان وأعمالها والحلّ ، وما يمتد على نهر جيحون من الترمذ والقواذيان واخسيسك وخوارزم . فأما باراب واسيجاب الى الطراز وايلاق فمجموع الى الشاش ،

وأما خُجَندَه فمضمونه الى فرغانه ، ويُجمع ما بين واشجرد والصغانيان الى عمل الصغانيات والحُتَل بما وراء النهر ، لأنها بين وخشاب وخراب وخورزم حسب ما تقدم ذكرها . وقد كان يُجوز ان تجمع بخارا وكش ونسف كلها الى السُغد ، ولكن أُفِرِدَت لتكون أيسر في التفصيل وأخف وليس في جمع هذه الاطراف بعضها الى بعض ولا في تفريقها كغير دَرَكَ غير الابانة عما في أعراضها من المدن والانهار ومواقع الكور في صفاتها ، وسأتي بما وراء النهر وأذكره بعد ذكر جيحون .

١٠ - فأما جيحون فعموده نهر خراباب ويخرج من بلاد وخان في حدود بدخشان فتجتمع اليه أنهار في حدود الحُتَل والوخش فيصير منها هذا النهر العظيم . ومن هذه الأنهار نهر يلي خراباب يُسمى باخشوا وهو نهر هلبك ، يليه نهر بربان يليه الثالث نهر فارغر ، والرابع نهر انديجاراغ ، والخامس نهر وخشاب وهو أغزرها فتجتمع اليه هذه المياه قبل ارن ثم تجتمع مع وخشاب قبل القواذيان ، ثم يقع اليه بعد ذلك أنهار تخرج من البتم وغيرها . ومنها أنهار الصغانيان وأنهار القواذيان فتجتمع بقرب القواذيان . وماء وخشاب يخرج من بلاد الترك حتى يظهر في ارض الوخش ويصير في جبل هناك ، فيعبر تحت قنطرة كبيرة ولا يُعلم ماء في حدّ كثوته ثم يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع ، وهذه القنطرة الحدّ بين الحُتَل وواشجرد ثم يجري هذا الوادي في حدود بلخ الى الترمذ ثم على كيلف ثم الى زم ، ثم الى امل حتى ينتهي الى خوارزم والى بحيرتها . ولا ينتفع بماء هذا النهر بالحُتَل والترمذ الى ناحية زم احد ، ويعبر به اهل زم وامل وفرب ثم ينتهي الى خوارزم فيعبر عليه اهلها عامّة بقاءهم .

١١ - وأوّل كورة على جيحون بما وراء النهر الحُتَل والوخش ، وهما كورتان غير أنهما مجموعتان في عمل واحد وهما بين خراباب ووخشاب . ومن مدن الحُتَل : هلبك ومنك وتلمات وفارغر وكابونج وانديجاراغ ومنك رستاق كبير . ومدن الوخش هلاورد ولاوكند ، ومنك وهلاورد أكبر من هلبك غير أن مقام السلطان بهلبك . والذي يتأخم الوخش

والخُتْل وخان والشقنيّة وهما دارا^{كفر} ويرتفع منهما المسك والرقيق وبوخان معادن للفضّة غزيرة، وفي اودية الخُتْل ذهب وتبر كثير يُجمع في السيول يجري من بلاد وخان، وبين وخان والتبت مسافة قريبة. وأرض الخُتْل ذات زروع وثمار وهي ناحية على غاية الخصب والسعة وبها من الدوابّ والمواشي الغزير الكثير.

١٢ - ومن جاز الخُتْل والوخش الى نواحي واشجرد والقواذيان والترمذ والصغانيان وما في اضعافها فلها كور مفردة بالأعمال الجليلة والأهل الكثيرة من الخاصة والعامة. وأما الترمذ فهي مدينة في نحر جيحون لها قهندز وربض، يحيط بها وبالربض أيضاً سور، ودار الامارة في قهندزها والحبس خارج القهندز في سوق المدينة، ومسجد الجامع أيضاً والمصلّى داخل السور في الربض، وأسواقها وأبنيتها طين ومعظم سككها وأسواقها مفروشة بالآجر، وهي عامرة آهلة فرضة لتلك النواحي على جيحون وأقرب الجبال اليها على نحو مرحلة وشربهم من ماء جيحون، ونهر يجري من الصغانيان يجري الى جيحون من تحتها. ولها من المدن: صرمنجي وهاشم جرد، والقواذيان مدينة لها كورة وهي أصغر من الترمذ بكثير وتسمّى فز، ولها من المدن نودز وهي مدينة دون القواذيان أيضاً. وواشجرد نحو الترمذ في الحال وشومان أصغر منها. ويرتفع من واشجرد وشومان الى قرب الصغانيان زعفران كثير يُحمل الى كثير من النواحي والبلدان، ويرتفع من القواذيان القوة ويُحمل منها الى بلد الهند الكثير الغزير وللسلطان فيها سهم، ربما سُعرت على من أثارها من الارض وقبض عن سهمه عيناً او ورقاً وصارت بأجمعها للسلطان. والصغانيان أكبر من الترمذ والترمذ أكثر أهلاً ومالاً، وللصغانيان قهندز وهي أصل أبي علي احمد بن محمد بن المظفر بن محتاج صاحب جيش خراسان، ولم يُر بخراسان من الأسوارية كهو فضلاً ونُبلاً وعقّةً وأصلاً في عصره مع رياسته وسياسة، شهد له الجميع بذلك غير أنه خُتِم له بشر فظاهر بالعصيان لصاحبه وبالغ في استئصال نعمه.

١٣ - واخسيسك مُحاذية لزم، وزم في أرض خراسان غير ان مجموعها

بالعمل الى ما وراء النهر ، وهي مدينة خصبة صغيرة والغالب على أطرافها السوائم من الإبل والغنم وعلى ظهر كل نحو منها مفازة وأبار ومراع ومساكن . واما فربر فمدينة لبخارا موصوفة في جملتها .

١٤ - وخوارزم اسم الإقليم ، وهو إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر وتحيط به المفاوز من كل جهة ، وحدته متصل بحد الغزنية بما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيته وشرقيته خراسان وما وراء النهر وهي ناحية عريضة وأعمال واسعة ومدن كثيرة ، وهي آخر جيحون وليس بعدها على النهر عمارة حتى يقع ماء النهر في البحيرة ، وهي ناحية على جانبي جيحون ومدينتها الكبرى في الجانب الشمالي من جيحون ، ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمى الجرجانية ، وهي أكبر مدينة بخوارزم من بعد قصبته ، وهي متجر الغزنية ، ومنها تخرج القوافل الى جرجان وكانت قوافلهم تخرج الى الخزر على مر الايام والى خراسان . وبخوارزم من المدن سوى القصة . درغان وهزاراسب وخيوه واردخشيثن وسافردز ونوزوار وكردران خواش وكردر وقرية قراتكين ومذمينيه ومزداخقان والجرجانية .

١٥ - وقصبته فكانت تعرف بكاث درخاش فهلكت واتخذ أهلها بجوارها غيرها كالجرجانية ، وكان لكاث قصبته قهندز مع المدينة فخر بها النهر وقد أتى عليها والجامع الذي كان على ظهر القهندز فلم يبق منها رسم ولا طلل . وكان في وسط المدينة نهر يسمى خركرور يشق المدينة والسوق وكانت المدينة على جانبي هذا النهر وطولها نحو ثلث فرسخ في مثله ، وكانت أسواقها عامرة وتجاراتها دارّة زاجية .

١٦ - واول حد خوارزم يسمى الطاهرية بما يلي آمل موضع تمتد فيه العمارة من جنوبي جيحون ، وليس في شماليته عمارة حتى ينتهي الى قرية غاراخشه ، ثم يكون من غاراخشه الى مدينة خوارزم عامراً من جانبي جيحون جميعاً وقبل غاراخشه بستة فراسخ نهر يأخذ من جيحون فيه عمارة الرساتيق الى المدينة ، ويُعرف هذا النهر بنهر غاوخوازه وتفسيره أكل البقر ، وهو نهر عرضه نحو خمسة ابواع وعمقه نحو قامين يحمل السفن

ويتشعب من غاوخواره بعد أن يجري خمسة فراسخ نهر يسمى كزنه فيُعمّر به بعض الرساتيق . وليس للعمارة على شط جيحون من نحو الطاهرية الى هزاراسب كبير عرض ، ويعرض الماء بهزاراسب فيصير نحو مرحلة الى مقابل المدينة ثم لا يزال يضيق حتى يصير بالجرجانية نحو فرسخين ، ثم ينتهي الى قرية تسمى كيث على خمسة فراسخ من كركانج ، وهي قرية بقرب جبل وليس في العرض عمارة غيرها ووراء هذا الجبل المفازة . ومن هزاراسب الى سائر ما على غربي جيحون انهار كثيرة : منها نهر هزاراسب يأخذ من جيحون بما يلي أمل وهو نحو نصف غاوخواره وتعمل فيه السفن ، ثم على نحو فرسخين من هزاراسب ، نهر يعرف بكردران خواش وهو أكبر من نهر هزاراسب ، واليه نهر خيوه ونهر اكبر من كركدران خواش ، وتجري فيه السفن الى خيوه ، وبعده نهر مذرى وهو أكبر من غاوخواره مرتين تجري فيه السفن الى مذرى ونهر خيوه على نحو ميل من نهر مذرى . ومن نهر مذرى الى نهر وذاك وتجري فيه أيضاً السفن الجرجانية ، وبين نهر وذاك ونهر مذرى نحو ميل ومن نهر وذاك الى مدينة خوارزم نحو فرسخين . وأسفل من المدينة في ناحية الجرجانية نهر يسمى بوه ، فيجتمع بوه وماء وذاك في حد قرية تُعرف باندريستان أسفل منها الى مايلي الجرجانية ، ووداك أكبر من بوه وتجري فيه السفن الى الجرجانية على غلوة ، ثم يكون هناك سكر يمنع السفن . ومن مجتمع ذين المائتين الى الجرجانية نحو مرحلة ، وبين نهر غاوخواره والمدينة اثنا عشر فرسخاً ، وعرض نهر خوارزم عند المدينة فرسخان . ولكردر نهر يأخذ من أسفل مدينة خوارزم على أربعة فراسخ من أربعة مواضع متقاربة ، فيصير نهراً واحداً مثل بوه ووداك اذا جمعا . ويقال أن جيحون كان مجراه قديماً في هذا الموضع ، واذا قل ماء جيحون ثقل الماء في هذا النهر . وكيث يحاذيها في الجانب الشمالي المدينة المعروفة بزمينيه وهي من جيحون على أربعة فراسخ ، غير أنها من الجرجانية وإنما صار هكذا لأن النهر تحول من كردر فقطع ما بين كيث ومزمينيه وليس على الشط بعد مزمينيه عمارة . وبين كردر وجيحون رستاق مزداخقان

وبين مزداخقان وجيحون فرسخان ، وهي تحاذي الجرجانية ولكل قرية بكردر والى المدينة نهر يرتفع من جيحون إليها ، وجميع هذه الأنهار بأسرها منه . ثم ينتهي جيحون الى بحيرة خوارزم بموضع فيه صيادون وليس به قرية ولا ابنية ويُعرف هذا الموضع بخلنجان ، وعلى شط هذا البحر من مقابل خلنجان أرض الغزبية ، فإذا كان الصلح والهدنة جاؤوا من هذا الجانب الى قرية قراتكين ومن الجانب الآخر الى الجرجانية وجميع الناحية ثغر . وفي نهر جيحون قبل ان يبلغ نهر غاوخواره بنحو مرحلة جبل يقطع جيحون في وسطه قطعاً ، ويضيق الماء هناك حتى يعود عرض جيحون الى نحو الثلث منه ، ويُعرف هذا الموضع بأبوقوشه وهو موضع يخاف على السفن فيه من شدة جريه والهوَر الذي عند خروجه .

١٧ - وبين الموضع الذي يقع فيه نهر جيحون وبين الموضع الذي يقع فيه نهر الشاش من هذه البحيرة نحو عشرة أيام . ووادي جيحون ربما جمد في الشتاء وتعبر عليه الأثقال والبغال والأحمال والجمال ، ويبتدىء جموده من ناحية خوارزم حتى يعلو الى حيث انتهى الجمد ، وكلما علا كان البرد أشد والماء أجعد ، وأبرد ما على جيحون من البقاع خوارزم . وعلى شط بحيرة خوارزم جبل يُعرف بجغراغر يجمد عنده الماء ويبقى سائر الصيف وله أجمة قصباء . ودور بحيرة خوارزم نحو مائة فرسخ على ما يتواطأ عليه أهل الخبرة بها ، وماؤها مالح وليس لها مغيض ظاهر يقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وغير ذلك من مياه تلك النواحي فلا يعذب ماؤها ولا يزيد فيه على صغرها . ويشبه والله أعلم ان يكون بينها وبين بحر الخزر خرق فيتصل ماؤها بماء بحيرة الخزر ، وقد ذكر قوم ذلك ولم أقف له على حقيقة ؛ وبين البحيرتين نحو عشرين مرحلة على السميت .

١٨ - وخوارزم ناحية خصبة كثيرة الأطعمة والحبوب والفواكه غير أنه لا جَوَز بها ، ويرتفع منها من ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تصل الى الآفاق . وفي خواص أهلها يسار وقيام على أنفسهم بالمرؤوة الظاهرة ، وهم أكثر أهل خراسان انتشاراً وسفراً . وليس بخراسان مدينة

كبيرة إلا وفيها من اهل خوارزم جمع كثير . ولسان أهلها مفرد بلغتهم وليس بخراسان لسان على لغتهم . وزيم القراطق والقلائس المعوجة ولهم في تمويجها زيّ ورسم . وخلقهم لا يخفى فيما بين اهل خراسان ولهم بأس على الغزاة ومنعة ، وليس ببلدهم معدن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الارض ، وعامة يسارهم من متاجرة الأتراك واقتناء المواشي وأكثر رقيق الصقابة والحزر وما والاها مع رقيق الأتراك والأوبار من الفنك والسمور والثعالب والدلق وغير ذلك من أصناف الأوبار فعندهم يُحيط بهم ينزل . ولهم تجار يدخلون الى نواحي ياجوج وماجوج لاستخراج الحزوز والأوبار ، ولما يدخل لهم ذو الحية اليهم وأكثرهم خفيقو العوارض والأسبله ، وأهل الغاف من ياجوج وماجوج مُرد جرد فإذا دخل اليهم ذو الحية كثاء نتقها الملك الذي يدخل بلده من نسل ياجوج وماجوج ، ثم أحسن الى التاجر الذي تنف لحيته وأغناه ؛ وهذا ما على جيحون من الكور .

١٩ - وبخارا فيها دار الامارة على جميع خراسان وهي مستقيمة على رصيف كور ما وراء النهر ثم يبعها ما يتصل بها . واسمها بوججكت وهي مدينة في مستواة وبنائها خشب مشبك ، ويحيط بهذا البناء المشبك من القصور والبساتين والمحالّ والسكك المفترشة والقرى المتصلة ما يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها ، ويحيط بأجمعها سور يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصة ولا يُرى في أضعاف ذلك كله قفار ولا خراب ولا بور ومن دون هذا السور على خاصّ القصة ما يتصل بها من القصور والمساكن والمحالّ التي تعد من القصة ، ويسكنها من يكون من اهل القصة شتاءً وصيفاً . ومن دون هذا السور سور آخر نحو فرسخ في مثله ، ولها مدينة داخل هذا السور يحيط بها سور حصين ، ولها قهندز خارج المدينة متصل بها وهو في مقدار مدينة صغيرة وفيه قلعة ومساكن ولاية خراسان من آل سامان في هذا القهندز . ولها ربض عريض طويل ومسجد الجامع بها على باب القهندز في المدينة والحلبس بها في القهندز وأسواقها في ربضها ، وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة أشد استباكاً من بخارا

ولا أكثر أهلاً على قدرها منها وفي الربض منها نهر السغد يشقّ الربض وأسواقها وهو آخر نهر السغد ويصير بها إلى طواحين وضباع ومزارع ويسقط الفاضل منه في مجمع ماء يجاور بيكند ويقارب فريز يُعرف بسام خاش، ولبخارا سبعة أبواب حديد: منها باب يُعرف بباب المدينة، وباب يعرف بباب نور، وباب يعرف بباب حفرة، وباب يعرف بباب الحديد، وباب يعرف بباب القهندز، وباب يعرف بباب بني أسد وهو باب مهر، وباب يعرف ببني سعد. ولقهندزها بابان أحدهما يعرف بالريكستان والآخر بباب الجامع يشرع إلى مسجد الجامع. وعلى الربض دروب فمنها درب يخرج إلى خراسان يُعرف بدرب الميدان، وباب يلي المشرق ويُعرف بدرب إبراهيم ويلي هذا الدرب درب يُعرف بالريو، ويليهِ درب يُعرف بالمردكشان، ويليهِ درب كلاباذ وهذا الباب وباب مُردكشان يُخرج منها إلى نسف وبلخ، ويليهِ درب كلاباذ درب النوهار، ويليهِ درب سمرقند فيفضي إلى سمرقند وسائر ما وراء النهر، ويليهِ درب سمرقند درب بغاشكور ثم يليهِ درب الراميثنه ثم يليهِ درب جدسرون، وهو المفضي إلى طريق خوارزم ويليهِ باب غشج. وفي وسط الربض على أسواقها دروب منها باب الحديد، ويليهِ باب قنطرة حسّان، ويليهِ بابان عند مسجد ماخ ويليها باب يُعرف بباب رخنه، ويليهِ باب عند قصر أبي هشام الكناني ويليهِ باب عند قنطرة السويقة، ويليهِ باب فارجك ويليهِ باب دروازجه ويليهِ باب سكة مغان ويليهِ درب سمرقند الداخل.

٢٠ - وليس في مدينتها ولا في قهندزها ماء جارٍ لارتفاعها، ومياههم من النهر الأعظم الجاري من سمرقند ويتشعب من هذا النهر في المدينة أنهار: منها نهر يُعرف بنهر فشيرديزه فيأخذ من نهر بخارا في مكان يعرف بالورغ فيجري في درب المردكشان على جوبار إبراهيم حتى ينتهي إلى باب البلعبي ويقع في نهر نوكنده، وعلى هذا النهر نحو الفيستان وقصور وأراض كثيرة شربها منه ومن ثم هذا النهر إلى مغيشه نحو فرسخ، ونهر يُعرف بجوبار بكار يأخذ من النهر المذكور آنفاً في وسط المدينة بموضع يُعرف بمسجد أحميد ويغيش بنوكنده، وعلى هذا النهر شرب بعض الربض

ونحو ألف دستان وتفرس عليه الاشجار الآن لفسحة مائه وسعة اراضيه ؛ ونهر يُعرف بجوبار القواريريين يأخذ من النهر في المدينة بموضع يُعرف بمسجد العارض فيسقي بعض الرض ، وهو أغزر وأعمر للأراضي من نهر بكار ؛ ونهر يعرف بجوغشج يأخذ من النهر عند مسجد العارض ، فيسقي بعض الرض حتى يخرج الى نو كنده وهو نحو جوبار العارض ؛ ونهر يُعرف بنهر بيكند يأخذ من النهر في المدينة عند رأس سكة ختم ، فيسقي بعض الرض ويغري بنو كنده ؛ ونهر نو كنده يأخذ من النهر عند دار حمدونه وهو مغري للمياه ، وعليه شرب بعض الرض ويغري في المفازة وليس عليه شرب لأحد ؛ ويلي نهر الطاحونة فيأخذ من النهر في المدينة بموضع يُعرف بالنوبهار وعليه بيوت بعض اهل الرض ، ويدور أرحية كثيرة حتى ينتهي الى بيكند ومنه شرب أهل بيكند ؛ ونهر يُعرف بنهر كشنه يأخذ من النهر في المدينة عند النوبهار وعليه شرب اهل النوبهار من الرض ، فيفزي الى حصون وضياح كثيرة وبساتين حتى يجاوز كشنه الى ما يمرغ ؛ ونهر يُعرف بنهر رباح يأخذ من النهر المعروف بالريكستان فيسقي بعض الرض ، وينتهي الى قصر رباح فيسقي نحو الف بستان وقصور هناك وأراض كثيرة دون البساتين ؛ ونهر الريكستان يأخذ من النهر بقرب الريكستان ومنه يشرب أهل الريكستان وأهل القهندز ودار الامارة حتى ينتهي الى قصور جلال ديزه ؛ ونهر يأخذ من النهر في المدينة بقرب قنطرة حمدونه تحت الارض الى حياض بباب بني أسد وتقع فضله في فارقين القهندز ؛ ونهر يُعرف بنهر زغار كنده يأخذ من النهر بمكان يُعرف بورغ فيجري على باب دروازجه ، وعليه بيوت دروازجه الى باب سمرقند حتى ينتهي الى سيد ماشه ويجاوز ذلك بنحو فرسخ وعليه قصور وبساتين وأراض كثيرة ؛ وهذه الأنهار طائفة بجارا وأجنتها .

٢١ - ولها رساتيق كثيرة ونواح فاخرة نفيسة وأعمال جليلة وضياح فاخرة ليس مثلها لأهل بلد بوجه ولا بسبب ، وان كان لأهل ناحية وإقليم من الأقاليم ما يباهي بعضها فليس كهي على وفورها وغزورها ،

ومنها الذر وبرغندر وستجن ورستاق الطواويس ، وبردق وخرغانه السفلى ونقرينه ونجارختر ورستاق كاخشتوان وانديان كنديان وساجن ما وراء وساجن ما دون وفراوز السفلى وفراوز العليا واروان ؛ وجميع هذه الرساتيق داخل حائطها المحيط بعملها كالسور عليه ، ومن خارج هذا الحائط خذه وشابخش ونشر وهو رستاق كرمينه وخرغانه العليا ورستاق غرقند وبيكند وفوبر .

٢٢ - والنهر الواصل الى بخارا من نواحي سمرقند فاضلة من جبال البتم ويُعرف بنهر السغد وبالسغد وسمرقند يُعرف بنهر بخارا ، وينشعب منه في حدّ بخارا خارجاً عن القصبة قبل الحائط الخارج بناحية الطواويس الى ان ينتهي الى باب المدينة أنهار كثيرة تتفرّق في القرى والمزارع التي يشتمل عليها الحائط وعليها عمارة قرى بخارا ، فمنها نهر يعرف بشافري كام فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى وردانه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بخروغان رود يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى زاوش وعليه شربهم ؛ ونهر يعرف بنجارختر فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى خرمين ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر جرخ يأخذ من النهر الى جرخ قرية حسنة ومنه شربهم ويعود الفاضل في النهر . ونهر يعرف بنوكنده يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى فرايه وعليه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر برخشه فيأخذ من النهر ويسقي القرى حتى ينتهي الى برخشه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر كشنه يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى كشنه وعليه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر الراميته يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى الراميته ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بفراوز السفلى فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى باريايه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف باروان فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى بانب وعليه معولهم في شربهم ؛ ونهر يعرف بفراوز العليا فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى ريوكان ومنه شربهم ، ونهر يعرف بنهر خامه فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهي الى خامه ومنه شربهم ؛ ونهر يعرف بنهر نوكنده فيأخذ من النهر فيسقي القرى حتى

ينتهي الى نوباغ الأمير ومنه شربهم ؛ وما فضل من ماء نهر السغد الذي يأخذ منه هذه الأنهار فإنه يجري في نهر يعرف بالذر ، وهو النهر الذي يسقي ربض بخارا والربض عليه ، ومنه أنهار المدينة المتقدم ذكرها . وأكثر هذه الانهار تحمل السفن كثيراً وغُرَزَ ماءٌ وجميعها يأخذ من داخل حائط بخارا من حدة الطواويس الى ان ينتهي الى المدينة .

٢٣ - وجميع ابنية بخارا كلها على استنباك البناء والتقدير في المساكن وارتفاع اراضي الابنية فهي محصنة بالهندسات والاجتماع . وليس في داخل هذا الحائط جبل ولا مفازة ولا ارض غامرة . وأقرب الجبال اليها جبل وركه ومنه حجارة بلدهم للفرش والابنية ، ومنه طين الأواني والنورة والحصّ ولهم خارج الحائط ملاهات ، ومحتطبهم من بساتينهم وما يُحمل اليهم من المقاوز من الغضا والطرفاء . وأراضي بخارا كلها قريبة الى الماء لأنها مغيض ماء السغد ولذلك لا يثبت الاشجار العالية فيها مثل الدلب والجوز وما اشبههما ، واذا كان من هذا الشجر شيء فهو قصير غير نام ، وفواكه بخارا أصح فواكه ما وراء النهر وألذ طعماً . ومن عمارة بخارا أن الرجل ربما قام على الجريب الواحد من الارض فيكون فيه معاشه وكفاهه مع جماعة من شمله وعدّة من أهله . ومن كثرة عددهم واتساع نفقاتهم أن ما يرتفع من بلادهم يقصر عن كفايتهم لوفورهم وتضاعفهم ، على ما يخرج من ارضهم فتسحمل اليهم الميّر من الطعام وسائر ما يحتاجون اليه من سائر ما وراء النهر . والجبل المتصل بقره بقرية وركه فهو جبل يمتد الى سمرقند فيما بين كش وسمرقند ، حتى يتصل بجبال البتم عاطفاً على اشروسنه في عرض فرغانه ، وحتى يخرج من ناحية شلجي والطران ثم يمتد فيما اختبوتة أنا ، ومن سلك ذلك الطريق معارضاً لقصد من اراد المشرق الى بحر الصين . والمعادن التي باشروسنه وفرغانه وإيلاق وشلجي ولبان الى ارض خرخين كلها في عمود هذا الجبل وما يتصل به من الجبال . والنوشادر الذي في عمل البتم والزجاج والحديد والزييت والنحاس والآلك والذهب والفضة ، والنفط والقيو والزفت والفيروزج والنوشادر الذي بفرغانه والحجارة التي ذكرتها تحرق عوضاً من الفحم بها ، والثمار التي

تقدّم ذكرها بفرغانه فكل ذلك من هذا الجبل في سفحه او سنامه او
ما يتصل به من رباه ووهاده . وبه بناحية البتم وجبال الزابج من نواحي
سمرقند مياه حراً وبردٌ غير ان فيه عيون ماء يجمد في الصيف اذا اشتد
الحرّ وقاظت السموم ، حتى يصير الجمد كالأعمدة وينقطع جري مياهها
ويكون مياهها في الشتاء حارّة، وتأوي اليها السوائم لدفاؤها ودفاء اسقاعها
وبقاعها في اوديتها .

٢٤ - ولبخارا مدن في داخل حائطها وخارجة عنه ، فأما داخله
فالطواويس وهي أكبر منبر لها ، ونجكث وزندنه ومعكان وخجاده
وهي كلها من داخل الحائط ، ومن خارجه بيكبد وفربر وكرمينه
وخدينكن وخرغانكث ومذياجكث . فأما الطواويس فكان لهم سوق
ويجمع عظيم ينتابه الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من
السنة ويرتفع منها من ثياب القطن ما يُحمل منه لكثوته الى العراق وهي
مدينة كثيرة البساتين والماء الجاري خصبة ، وفيها قهندز والمدينة عليها
حصار ومسجد جامعها في المدينة . وجميع المدن التي داخل الحائط فمتقاربة
في القدر والعمارة ، ولجميعها قهندزات عامرة وأسواق جادة وبساتين كثيرة
ومجامع عظيمة ، وعلى كل واحدة منها حصار حصين . وكرمينه أكبر من
الطواويس وأعمر واكثر عدداً وأخصب . وخدينكن من كرمينه وهي
في ضمنها وتحدها خرغانكث ومذياجكث والعمارة فيها متقاربة او لاحقة
بالسوية . ولكرمينه قرى كثيرة وكذلك لكل منبر من هذه المدن
كور وقرى ومزارع إلا بيكنند فإنها وحدها لا شريك لها في الانفراد
من الاعمال ، وبها من الرباطات ما ليس ببلدان ما وراء النهر كـهو او
ما يقاربه . ويقال ان بها نحو الف رباط ، ولها سور حصين ولها مسجد
جامع قد تنوّق فيه وفي بنيانه وزخرف محرابه وليس بما وراء النهر
أحسن زخرفة منه . وفربر مدينة من جيحون قريبة ولها قرى عامرة ،
وهي في نفسها خصبة مقصودة بفاخر المطاعم والمأكّل اللذيذة الطيبة .

٢٥ - ولسان بخارا لسان السغد غير انه يحترّف بعضه ولهم لسان
بالدرية . وأهلها يرجعون من الأدب والعلم والفقه والديانة والامانة وحسن

السيرة وجميل المعاملة وقلة الشر وإفاضة الخير، وبذل المعروف وسلامة النية ونقاء الطوية الى ما يفضلون به على سائر من بخراسان . ونقودهم الدراهم والدنانير كالعرض ولهم دراهم يسمونها الغطريفية ، وهي دراهم من حديد وصُفّر وآثُك وغير ذلك من الاخلاط بجواهر مختلفة قد رُكِبَتْ ، ولا تجوز هذه الدراهم إلا ببخارا ومواقع مختصة خلف النهر . ومنها دراهم تعرف بالحمدية والسكة عليها فيها صورة مصورة بحروف غير مقروئة وعلاماتها معروفة ، وهي من ضرب الاسلام وعمل السلف من آل أسد بن سامان . ومنها شيء يعرف بالمسيبية وهي من ذخائرهم ويفضّلون الجميع على الدراهم الورق الاسماعيلية ، وكان ابو إبراهيم رأى اتخاذ الفضة أولى من هذه الدراهم فهو المبتدئ بضرها بما وراء النهر ، ويتبايعون بالفلوس . ويغلب على زبيهم الاقية والقلائس كزبي من وراء النهر في الملبوس . وداخل الحائط وخارجه أسواق متصلة معلومة في اوقات من الشهر ، دارّة لمواعيد تجري فيها للشراى والبيع في المواشي والثياب والرقيق وسائر الامتعة من الصُفّر والنحاس والالوانى واسباب القينية مما يتسع به أهلها ، ويرتفع من بخارا ونواحيها ما يحمل الى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية كرابيس ثقال الاوزان غليظة السلك مبرومة الغزل ، فيرغب العرب فيها وكذلك البُسط وثياب من الصوف للفرش في غاية الحسن ومقاعد ومصليات محاريب .

٢٦ - ويتحدث اهل بخارا على قديم الايام بطريف من أحاديثهم ، وهو أنهم يتفاوضون عن غير خلاف ان من بركة قلعتههم وقهندزم انه ما أخرج منها جنازة والقط ، ولا عُقد فيه لواء ولا راية خرجت منه فهزمت أبداً ، وهذا من الاتفاق العجيب . ويقال ان اصل بخارا في قديم الايام ناقلة اصطخر . ومسكن ولاية خراسان من آل سامان بخارا لانها اقرب مدن ما وراء النهر الى خراسان ، ومن كان بها فخراسان أمامه وما وراء النهر عن ظهره . ولهم من حسن الطاعة وقلة الخلاف للولاة ولزوم ما هم بسبيله من متصرفاتهم ما يؤدي الى اختيار المقام بينهم على محاسن من بسائر ما وراء النهر . وكان اول من اتخذها داراً وجعلها

قراراً من آل سامان أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد تجاوز الله عنه ، فإنه جاءته ولاية خراسان وهو مقيم بها فتبرك بعرضتها واستدام المقام بها واستلذه واستمرأه ، وبقيت الولاية بها في اولاده وكان ولاية ما وراء النهر مقيمين قبل ذلك إما بسمرقند أو بالشاش وفرغانه ، وكانت ولاية بخارا يودون مفردين من خراسان الى ان زالت ايام الطاهرية .

٢٧ - وأما خجاده فهي عن يمين الزهاب من بخارا الى بيكند على ثلاثة فراسخ وبينها وبين الطريق نحو فرسخ . ومعان على خمسة فراسخ عن يمين طريق بيكند وبينها وبين الطريق ثلاثة فراسخ . وزندنه من المدينة على أربعة فراسخ في شمال المدينة . ونججكت على يسار الزهاب الى الطواويس على أربعة فراسخ وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ . ومن كرمينيه الى خديمكن فرسخ فيما يلي السغد ، وبين خديمكن وطريق سمرقند غلوة على يسار الزهاب الى سمرقند . ومذايجكت وراء وادي السغد أعلى من خديمكن بمقدار فرسخ . وخرغانكت حذاء كرمينيه على فرسخ من وراء الوادي .

٢٨ - ويتصل ببخارا من شريقها السغد وأولها إذا جزت كرمينيه الدبوسية ثم اوبنجن والكشانية وسمرقند وكل هذا بلد السغد ، على ان من الناس من يزعم أن بخارا وكش ونسف من السغد وهي في أعمال الديوان مفردة . وقصبة السغد سمرقند وهي مدينة على جنوبي وادي سغد مرتفعة عليه ، ولها قهندز ومدينة وربض وقد جعل في وقتنا هذا المجلس في القهندز وكانت دار الامارة فيه فخربت ، وعلوته فرأيت أحسن منظر عاينه مبصر وتتبع به ناظر : شجره أخضر وقصوره تزهو وأنهار تطرد وعمارة تتقد ، لا يقع الطرف منه على مكان إلا ملأه وعلى باغ إلا استملحه واستصباه ، قد فصلت ميادينها وتناهت تحاسينها وقصصت به أشجار السرو فجعل منها طرائف الحيوان من الأفيلة والابل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض كالمتناحية ، والمطال بعضها لبعض كالمتقابلة المتعاقبة . فيما له منظر ما أتلفه للأموال وآخذة بجماع قلوب الرجال ! هذا الى أنهار تطرد وبرك مسجورة لا تزال ترتعد ظريفة

المغاني وقصور وهستشرفات سامقة المباني ، قد رُصِّفت فهي مساكن جليلة ومجالس نفيسة وأحوال تدل على ملوكٍ جلة .

٢٩ - وأما سمرقند فيشتمل عليها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما يلي المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن وجه الأرض يُنزل عنه بدرج كثيرة العدد مطلّ على نفس وادي السُغد ، ومما يلي المغرب باب النوبهار وهو على نشزٍ من الارض ، ومما يلي الشمال باب بخارا ، ومما يلي الجنوب باب كش . وهي مدينة فيها أسواق كبار وفيها ما في المدن العظام من المحالّ والحمامات والخانات والمساكن . ولها مياه جارية تدخل إليها في نهر بعضه رصاص معلق وهو نهر قد بُني عليه مسنّاة عالية من الارض ، وفي بعض المواضع تل في وسط السوق بناحية الصيارفة من حجارة يجري عليها الماء من الصقارين الى ان يدخل المدينة من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله وذلك ان حوالي المدينة مستغلّ لأنه استعمل طينه في سور البلد فبقي خندقاً عظيماً بحسب ما خرج منه من التراب والطين ، واحتسج الى مسنّاة في هذا الخندق حتى يجري الماء الى المدينة ، وهو نهر قديم جاهلي في وسط أسواقها وبموضع يُعرف برأس الطاق من أمر مواضع بسمرقند ، ولهذا النهر على حاشيته غلّات موقوفة على مرمّاته ومصالحه وعليه حفظة من المجوس شتاءً وصيفاً في شرطٍ عليهم بذلك ، ولا يؤخذ منهم الجزية لبيت المال لهذا السبب . ومسجد الجامع في المدينة أسفل القهندز وبينهما عرض الطريق ، وفي المدينة مياه من هذا النهر وبساتين . وفي المدينة دور الامارة بمكان يُعرف بأسفزار لآل سامان غير دار الامارة التي بالقهندز . والمدينة من الربرض على جانبه وعلى نحر نهر السُغد الذي هو بين الربرض والمدينة ، وذلك أن السوق والربرض ممتدان من وراء وادي السُغد من مكانٍ يعرف بأفشينه على باب كوهك حتى يطوف بورسين ، ثم يطوف على باب فنك وعلى باب اليرودد ثم الى باب قصر أسد ثم الى باب غذاوذ ، ثم يمتدّ الى الوادي والوادي للربرض كالخندق مما يلي الشمال ، وقطر هذا السور المحيط بالربرض نحو فرسخين في فرسخين غير أن الربرض سُرّته ، وجمع أسواقه رأس الطاق ثم يتصل به

الأسواق والسكك والمحالّ، وفي أضعافه محالّ مفترشة وقصور وبساتين فليس من سكة ولا دار إلا وفيها ماء جارٍ إلا القليل . وقلّ دار تخلو من بساتين حتى أنك إذا صعدتَ بنظرك نحو قهندزها في المدينة لم يره البصر لاستتاره بالبساتين والأشجار في دورها وحافات أنهارها وأسواقها . والحنّات وصنوف التجار في الرّض إلا شيئاً يسيراً في المدينة . وهي فرضة ما وراء النهر وكانت دار الامارة بما وراء النهر الى أيام إسماعيل ابن احمد رحمه الله . وليس لسور الرّض أبواب تغلق من خشبٍ ولا حديدٍ لفتنٍ كانت فأمر السلطان بقلعها ، والأبواب شاردة بغير أبواب ومنها باب غداوذ وباب اسبشك وباب شوخشين وباب افشينه ، وباب ورسنين وباب كوهك وباب ريودد وباب فرخشيد . ويؤمن بعض الناس أن تُبعاً ابنتي مدينتها وأن ذا القرنين أتمّ بعض بناءها . واخبرني ابو بكر الدمشقي قال : رأيتُ على بابها الكبير صفيحة حديد وعليها كتابة زعم أهلها أنها بالحميرة ، وأنهم يتوارثون علم ذلك من أنها من صنعة تُبعا . وبعض الكتابة إن من صنعاء الى سمرقند ألف فرسخ ، وهذا دليل على أن بابي صنعاء أحدثها وكان يحكمه عليها ، ويقال أنه كان يُقيم بصنعاء حولاً وبسمرقند مثله فوقعت الفتنة بسمرقند واحترق الباب الذي كانت عليه الصفيحة ، وأعادها ابو المطفّر محمد بن لقمان بن نصر بن احمد بن أسد كما كان من حديد وتغيرت تلك الكتابة . وتربة سمرقند من أصح تربة وأيسها ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية بها في سكتهم ودورهم وكثرة أشجار الخلّاف بينهم لأضرّ بهم فرط يُبسيها على ما يحكيه بعض الاطباء ، وبناءهم من طين وخشب . وأهلها يرجعون الى جمالٍ وكانوا من الافراط في إظهار المروّات وتكلف النفقات والقيام على أنفسهم بما يزيدون به على أكثر بلاد خراسان حتى يحجف ذلك بأموالهم . وسمرقند مجمع رقيق ما وراء النهر وخير الرقيق بما وراء النهر تربية سمرقند . وبينها وبين أقرب الجبال إليها مرحلة خفيفة غير أنه يتصل بها جبل صغير يعرف بكوهك يمتد أصله الى سور سمرقند ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ومنه أحجار بلدهم والطين المستعمل في الاواني والنورة والزجاج . وبلغني

ان فيه فضةٌ وذهباً غير انه لا يسوغ العمل فيه . والبلد كله طرفه
وسككه وأسواقه إلا القليل مفروش بالحجارة .

٣٠ - ومياهم من وادي السغد وهذا الوادي مبدؤه من جبال البتم
على ظهر الصغانيان ، وله مجمع ماء يعرف بجن مثل بحيرة حوالها القرى
وتُعرف الناحية ببرغر فينصب منها بين جبالها الماء حتى ينتهي الى
بنجيكث ، ثم ينتهي الى مكان يعرف بورغسر وتفسيره رأس السكر ،
ومنه تتشعب أنهار سمرقند ورساتيق تتصل بها من غربي الوادي من
جانب سمرقند . وأما أنهار الجانب الشرقي على الوادي فإنها تأخذ بجذء
ورغسر بمكان يعرف بغويار ، وذلك ان بهذا المكان تنفسخ الجبال وتظهر
الاراضي التي يمكن فيها الزرع وجري الانهار . فيأخذ من ورغسر أنهار
منها نهر برش ونهر بارمش ونهر بشمين ، فأما نهر برش فإنه نهر يمتد على
ظهر سمرقند ومنه أنهار المدينة والحائط والقرى التي تتصل بها من مبتدئه
الى منتهاه . وأما نهر بارمش فإنه يلي هذا النهر من ناحية الجنوب وعليه
القرى من أوله الى آخره نحو مرحلة . وأما بشمين فإنه من بارمش بما
يلي الجنوب ويسقي من أوله الى آخره قرى كثيرة غير ان انقطاعه دون
انقطاع ذين النهرين . وأكبر هذه الانهار برش ثم بارمش ويحملان جميعاً
السفن . وينشعب من هذه الانهار أنهار يكثر إحصاؤها حتى يُعمر بها
القرى والمزارع ، ومن ورغسر الى آخره رستاق يعرف بالدرغم على عشرة
فراسخ في الطول وعرضه نحو أربعة فراسخ الى نحو فرسخ . وهذه
الرساتيق تعرف بورغسر ومايمرغ وسنجرغن والدرغم . وأما الانهار التي
تأخذ من غوبار فإنها نهر استيخن والسناواب ونهر بوزماجن . ونهر
السناواب يمر على ظهر بوزماجن فيسقي قرى منها حتى يتصل برستاق
ويذار ويجاوزه الى حدود عمل استيخن ، حتى يكون من أوله الى آخره
كالقراح الواحد نحو مرحلتين . ونهر بوزماجن دونه الى ما يلي المدينة
يسقي رستاق بوزماجن . ونهر استيخن فإنه لا يُنتفع به الى ان يجري
من مبتدئه نحو اربعة فراسخ وتتشعب منه الانهار فيسقي مقدار تسعة
فراسخ حتى ينتهي الى استيخن ، ثم يسقي استيخن ورساتيقها وهو أعظم

هذه الانهار . وهذه اول أنهار الوادي فأما غربيته فلا يتشعب منه شيء الى ان يجاوز سمرقند . ومن مبتدأ هذا الوادي الى ان ينتهي الى سمرقند زيادة على عشرين فرسخاً ، فإذا جاوز سمرقند بنحو مرحلتين انشعب منه نهر يعرف بفي ، وليس بالسغد نهر أوفر عمارة منه ولا اكثر اهلاً ولا أغزر أكراً ولا أعظم قصوراً وقرى وماشية وعزّة ومنعة من في ، وهو ثلث السغد وينشعب من في انهار كثيرة لم اصل الى علمها بالحققة ويسقي زيادة على مرحلتين . ثم ينشعب من وادي السغد انهار كثيرة على امتداده تجاه كل مدينة وبلدة ورستاق نهر حتى ينتهي من حد اربنجن الى كرمينيه والى حد بخارا ، ومنها أنهار اربنجن وانهار الدبوسية وانهار كرمينيه الى ان ينتهي الى بخارا . واما شرقي هذا الوادي فتشعب الانهار منه بخذاء سمرقند ومنها نهر كينجكت وانهار آخر لتلك القرى ، فيسقي رستاق كينجكت ورستاق المرزبان وغير ذلك ، وربما كان للقرية الواحدة منها نهران وثلاثة . وللقرى الكثيرة نهر مفرد يشق من الوادي ثم تتفرّع منه أنهار لكل قرية تجاوره ما قام بأودها وتأخذ منه أنهار الكشانية وتجاوزها الى حدود حائط بخارا ، ويكثر عدد هذه الأنهار لكثرة القرى عليها . ومقدار هذا النهر من ورغسر الى حد بخارا حيث تأخذ منه أنهار بخارا المذكورة داخل حائطها ستة أيام مشتبكة القرى والبساتين والأنهار . فلو اطلع مطلع على وادي السغد من الجبل لرأى خضرة متصلة لا يرى في أضعافها غير قهندز أبيض او قصر سامق مشيد ، فأما فرجة منقطعة عن الخضرة او أرض باثرة او غامرة فقلها ترى هذه الحال . وعلى هذا الماء والجليل بسمرقند وقوم مثبتون منزلون لسد بشوقه وبحاري أنهاره وسكوره ، وبورغسر كروم وضياع وفاحية قد أزيل عنها الحراج وجعل مكانه عليهم إصلاح تلك السكور . وإذا انشعبت من هذا الوادي هذه الأنهار التي ذكرتها جرى منه تحت قطرة جبرد على باب سمرقند من الماء ما يكون عند امتداده يقارب القنطرة ، وارتفاعها نحو ثلاثة أبواع وزائد وعرضها كطولها ، وفيه يحمل خشب السغد الى سمرقند وامتداد هذا الوادي في الصيف من ثلوج جبال البتم واشروسنه

وسمرقند . وربما زاد الماء حتى يقلب السكرَ لقنطرة جبرد فيُحَيَّرَ اهل سمرقند في سد ذلك لكثرتة وغزارته .

٣١ - وأما رساتيق سمرقند فأولها بُنْجِيكَتْ ، ومدينة بنجيكت بها منبر ثم يليه ورغسر ومدينته ورغسر ، وتلي بنجيكت جبال الشاوذار وليس بها منبر ، وبين الشاوذار وورغسر فيما يلي سمرقند رستاق ما يمرغ وسنجرغفن ، وليس بها منبر غير ان مايمرغ مكاناً يُعرف بالرودد وكان به 'مقام الاخشيذ مَلِك سمرقند ، وهي قرية فيها قصور الاخشيذية ، وسنجرغفن وورغسر كانا من مايمرغ فأفردا عنها ، ويتصل برستاق مايمرغ رستاق الدرغم وليس به منبر ، ويتصل بالدرغم رستاق ابغر وليس به منبر وبنجيكت رستاق كثير الثمار خصب الأشجار مطرد الانهار مفصل بغلاته وجودته من جميع الوجوه يابسها ورطبها ، وليس بالكبير . وليس بجميع رساتيق سمرقند لمايمرغ نظير في اشتباك أشجاره وكثرة 'قراه واتصال قصوره وأنهاره . وسنجرغفن رستاق صغير يشتمل على قرى يسيرة . والشاوذار هو الجبل الذي عن جنوبي سمرقند ، وليس بنواحي سمرقند رستاق أصحّ هواءً ولا أجود زرعاً ولا أحسن فاكهة منه ، وأهله أصحّ اهل نواحيهم ابدانا واجل الواناً ، وطول هذا الرستاق زيادة على عشرة فراسخ ، وهو من أنزه الجبال وأحسنها في عمارة لا تنقطع وغلات متصلة لا تغبّ ولا تفتنع . وبالشاوذار 'عمر' للنصارى فيه مجمع لهم ولهم به قلايات ومساكن حسنة نزهة أدركت فيها قوماً من نصارى العراق ، انتجعوه لطيبته وقصوده لعزله ونزهته وله وقوف ، ويعتكف به قوم منهم ويشرف على 'معظم السغد ، ويعرف هذا الموضع بوزكرده . وللشاوذار فجاج وكل فجّ منها انهار جارية الى ضياع في خلال ذلك حسنة زاكية وصيود من غير جنس كثيرة وخصب وغدق من جميع وجوه العيش والتمتع به . ورستاق الدرغم من أزكى هذه الرساتيق في زروعه المسقية ويُفضل ما يحمل منه من الاعناب على سائر الرساتيق وطول الدرغم مرحلة متوسطة . واما أبغر فإنها ناحية مباخس وقراها أعمر وأكثر عدداً من سائر رساتيق سمرقند ، وأموالهم المواشي وليس لهم سيج وبلغني ان

القفيز الواحد ربما راع مائة قفيز وزائداً ، وطول ابغر نحو مرحلتين ويكون للقرية الواحدة من الحوزة نحو فرسخين وأكثر ، ويقال ان زرع ابغر إذا سلم كفى السغد بأجمعها ، وهذه رساتيق سمرقند من حد الجنوب وأما شماليها فإن أعلاها ياركت وهي متاخمة لاشروسنه وليس بها منبر وماؤها من عيون فلا يصلون الى وادي السغد ، وبها مباحس وسيح ومباحسها اكثر ولهم مراعي زكية جداً . ورساتيق فورغند بما يلي اشروسنه وليس له مدينة ويشتمل على قرى يسيرة . ثم يتصل بياركت رساتيق بوزماجن بما يلي سمرقند ومدينته اباركت وهو أعرض رساتيق في شمال وادي السغد وأكثره قرى ، ويمتد من غوبار الى قرب سمرقند مرحلة في مثلها . ويتصل بهذا الرساتيق رساتيق كبوذنجكت وهو رساتيق مشتبك ايضاً بالقرى والشجر ومدينة كبوذنجكت . وعلى ظهر هذا الرساتيق رساتيق ويذار مدينه ويذار ، وهو رساتيق خصب كثير الزرع له سهل وجبل ومباحس وسقي سيح ونواضح . ويذار وكثير من قرى هذا الرساتيق لقوم من بكر بن وائل يعرفون بالسباعية ، وكانت لهم بسمرقند ولايات ودور ضيافات وأخلاق حسنة يتواصفونها ويذكرونها ، وأدركت منها طرفاً دلّ قليله على كثير سلف منه . ويتصل بهذا الرساتيق رساتيق المرزبان ابن كيسفي المستدعى الى العراق في جملة دهاقين السغد . والذي بهذا العمل من الرساتيق من شماليه ستة رساتيق ومن جنوبيه ستة رساتيق .

٣٢ - فأما نقود سمرقند فالدرهم الاسماعيلية والمكسرة العراض والدنانير ، ولهم من نقود بخارا في مقام الاسماعيلية درهم تعرف بالمحمدية تركب من جواهر شتى ، وهي من النقد المتقدم ذكره عند وصف بخارا .

٣٣ - واستيخن مدينة مفردة على غاية النزهة وكثرة البساتين والقرى والرياض والمنزهات والغياض ، على ان السغد كلها متقاربة في الحصب والنزهة والأشجار والثمار والزروع والحضرة والنضرة إلا الكشانية فإنها قلب السغد وأمرها . ولاستيخن قهندز في المدينة ووبض وأنهار مطردة وضياح ، ومن بعض قراها عجيف بن عنبة وله بها قرى ومزارع ، وأسواق استيخن التي استصفها المعتمض وأقطعها المعتمد محمد بن طاهر .

والكشانية أعمر مدن السغد وهي واشتيخن متقاربتيان في الكبر ، غير ان قصبة الكشانية اكبر وأعمر وقراها أغزر واهلها اجلّ واطهر ، وحدود رساتيق اشتيخن أبعد لان حد اشتيخن من ظهر يغان من جبال تعرف بساغروج الى حد الكشانية نحو مرحلتين ، وجميعها من شمال وادي السغد . والدبوسية واربنجن فمن جنوبيّ الوادي على جادة طريق خراسان واربنجن اكبر وأعمر واكثر رساتيق وقرى منها ، لأنه ليس بالدبوسية كثير رساتيق ولا قرى . وقلب مدن السغد الكشانية واهلها أيسر مدن السغد .

٣٤ - وكش مدينة لها قهندز وحصن وربض ومدينة أخرى متصلة بالربض ، والمدينة الداخلة مع القهندز خراب والخارجة عامرة ودار الامارة خارج المدينة ، والربض بمكان يعرف بالمصلّى والجس بالمسجد الجامع في المدينة الداخلة الخراب وأسواقها في ربضها ، وهي مدينة مقدارها نحو ثلث فرسخ في مثله ، وبنائها من طين وخشب وهي مدينة خصبة جداً جرومية تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ما وراء النهر ، وتأتي بواكيرها الى بخارا وهي وبثة . وللمدينة الداخلة اربعة ابواب : فمنها باب الحديد ، وثانيه باب عميد الله ، والثالث باب القصّابين ، والرابع باب المدينة الداخلة ؛ وللمدينة الخارجة بابان : احدهما باب المدينة الداخلة ، والثاني باب بركنان ، وبركنان قرية يُنسب اليها الباب . وللمدينة نهران كبيران : احدهما يُعرف بنهر القصّارين ويخرج من جبل سيام ويجري في جنوبي المدينة ، والآخر نهر اسروذ يخرج من رساتيق كشك روذ فيجري على شمال المدينة ؛ وهذان النهران يجريان على باب المدينة . وللساتيق أنهار منها نهر خروذه فيما يلي طريق سمرقند على فرسخ ، والآخر نهر على طريق بلخ يُعرف بخشك روذ على فرسخ من المدينة ، وجمع فضلات هذه المياه الى وادٍ يجري الى نسف . وفي المدينة والربض بعامة دورها مياه جارية وبساتين حسنة وطول عملها نحو اربعة ايام في مثلها ، ولها من المدن نوخذ قریش وسوبخ من رساتيق خزار واسكيفغن ايضاً من رساتيق خزار ويرتفع بكش من الملح المستخرج من الارض ما يحمل الى كثير من

آفاق خراسان ، وفي جبالها العقاقير الكثيرة وبها يسقط الترنجيين ، ومنها بغال ما وراء النهر ويجلب الى اقطار خراسان منها الفره الجياد . ولها رساتيق ذات سوائم ونتاج ، ومن رساتيقها رستاق كشك ورستاق بوزماجن ورستاق سيام ورستاق ارغان ورستاق خروذه ، ورستاق خزارروذ ورستاق خزار ورستاق سورروذه ومنكوره الداخلة ومنكوره الخارجة ورستاق مائرغ ؛ وهذه جميع رساتيق كش .

٣٥ - ونسف مدينة لها قهندز خراب وربض له اربعة ابواب : فباب منها يُدعى باب التجارية ، وباب يسمى باب سمرقند ، وباب يسمى باب كش ، وباب غوبذين وهي مدينة على مدرج طريق بخارا الى بلخ في مستواة ، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش ، والذي بينها وبين جميعون مفازة لا جبل فيها . ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة وهو يجمع مياه كش فيصير منها هذا النهر فيسرع الى العراق . ودار الامارة على شط هذا النهر بمكان يُعرف برأس القنطرة وحبسها عند دار الامارة ومسجد الجامع بناحية باب غوبذين ، والمصلّى بناحية باب التجارية داخل الباب وأسواقها في الربض بمجموعة ما بين دار الامارة ومسجد الجامع . وليست لها قرى كثيرة ولا نواحٍ على قدرها ومحلها . ولها منبران سوى المدينة احدهما بزده والآخر كسبه ولها قرى ولا منابر فيها وبزده اكبر من نسف ، والغالب على قراهم المباحس وإن كانت لهم أسقاء فقليلة . وليس بنسف ورساتيقها ماء جارٍ إلا هذا النهر وينقطع في بعض السنة ، وسقيهم بالنواضح لا بالسيح لمباقلهم وأجنتهم ، والغالب على نسف ونواحيها المضافة اليها الحُصْب والسعة .

٣٦ - وأما اشروسنه فإنه اسم الاقليم كما ان السغد اسم الاقليم وليس بها مدينة بهذا الاسم ، والذي يطوف بها من أقاليم ما وراء النهر من شريقيها بعض فرغانه وفامر وغربيها حدود سمرقند ، وشماليتها الشاش وبعض فرغانه وجنوبيها بعض حدود كش والصغانيان وشومان وواشجرد والراشت . ومدينتها الكبرى تسمى بلسان الاشروسنية بوجكث ، ولها من المدن ارسيانكث وكركث وغزق وفغكث ، وسباط وزامين وديزك

ونوحكت وخرقانه وهذه مدنها . ومدينتها التي يسكنها الولاة بوجكت
 و مدينة يحزر رجالها نحو عشرة آلاف رجل وبنائها طين وخشب .
 ولها مدينة داخلية منها عليها سور بذاتها وسور على ربضها ولها سور آخر
 من وراء ذلك ، وللمدينة الداخلية بابان أحدهما يُدعى باب الاعلى والآخر
 باب المدينة وداخل المدينة مسجد الجامع والقهندز ودار الامارة في الربض
 في مربعة الأمير . ويجري بالمدينة الداخلية نهر كبير عليه رحى ، والسجن
 في قهندز المدينة والجامع خارج القهندز واسواقها في المدينة الداخلية
 والربض جميعاً ، وحائط الربض يشتمل على نحو فرسخ ويشتمل الخندق
 على دور وبساتين ونصور وكروم وزروع ، ويحسب ذلك كله الى السور
 من المدينة وخارج السور من الرستاق . ولها أربعة أبواب أحدها باب
 زامين وباب مرسمده وباب نوجكت وباب كها باذ . وهذه المدينة ستة
 انهار : فأحدها يُعرف بسارين وهو الذي يجري في المدينة ، والآخر
 البرجن والآخر يماجن والآخر سنكجن والآخر رويجن والآخر ستينكجن
 وجميعها من منبع واحد وعين واحدة ويكون مقدار ما يدير عشر
 أرحية ، ومن المدينة الى منبع الماء اقل من نصف فرسخ . وبلي هذه
 المدينة في الكبر زامين وهي على طريق فرغانه الى السغد ولها اسم آخر
 وهو سوسنده ، ولها مدينة قديمة على انها خربت وصارت الاسواق
 والجامع وجمع الناس بسوسنده ، وليس على هذا البلد الحادث سور وهو
 اليوم منزل للسابلة من السغد الى فرغانه ، ولها ماء جارٍ وبساتين وكروم
 ومزارع وماؤهم من نهر سارين وشربهم منه . وهي مدينة ظهرها جبال
 اشروسنه ووجهها الى بلاد الغززية وهي صحراء ملساء لا جبال بها .
 وديرك مدينة في السهل ولها رستاق يعرف بفنكان وبها يربط اهل سمرقند
 وفيها رباطات تشتمل على عدد كثير واجل رباط في حدودها رباط خديسر
 وهو منها على فرسخين ، وهو من اشهر رباطات ما وراء النهر بناه
 الافشين ، وفي وسطه عين ماء ينبع وعليه اوقاف وضياع سبها قبل
 خروجه الى العراق . وهو من اقرب تلك الرباطات الى بلاد العدو
 وديرك ماء جارٍ وبساتين وهي خصبة . وسائر المدن التي ذكرتها متقاربة

في الكبر والنزعة والبساتين والمياه سوى مرسمده فإنها مدينة جيدة ، وليس بها بساتين ولا كروم ولها ماء جارٍ سيج ومنعهم الكروم والبساتين شدة البرد ان تكون بها ، والماء بها واسع والتربة جيدة. وبها رياض مؤنقة وكلا ونضرة وأنورة ومتنزهات . وأما خرقانه وزامين وساباط فعلى طريق فرغانه الى الشاش ، ومن أراد من زامين الى خجنده على طريق خاوس فطريقه على كركث . ومن سمرقند الى خرقانه تسعة فراسخ وليس بجميع اشروسنه نهر تجري فيه سفينة ولا بها بحيرة غير ان مزارعها ومراعيها وقرائها عامرة خصبة كثيرة الخير ، وكل مدينة من هذه المدن لها رستاق كبير ومن رساتيقها التي لا مدينة فيها بشاغر ومسخا وبرغر وفرغانغام ومينك وبسكن واسبيكت .

٣٧- والبتم جبال شاهقة سامقة منيعة ، والغالب عليها النزعة والحضرة والبقلة المعروفة بالطبرخون ، وهي قرى آهلة بالناس . وبالبتم حصون منيعة جداً وفيها معادن الذهب والفضة والزاج والنوشاذر الذي يُحمل الى كثير من الأماكن وبقاع الارض . وفي كل جبل منه كالغار قد بُني عليه كالبيت واستوتق من أبوابه وكواه ، وفيه عين يرتفع منها بخار يشبه بالنهار بالدخان وفي الليل كالنار ، فإذا تلبّد هذا البخار في حيطان هذا البيت وسقفيه قُلع منه النوشاذر وداخل هذا البيت من شدة الحرّ ما لا يتهيأ لأحد ان يدخله إلا احترق ، إلا ان يلبس اللبود المبلولة ويدخل كالخنسل ويأخذ ما يقدر عليه من ذلك ، وهذا البخار ينتقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر فإذا خفي في مكان حفر عليه آخر الى ان يوجد . وإذا لم يكن عليه مبتنى يمنع البخار من التفرّق لم يضرب من قاربه حتى إذا اختنق في بيت أحرق من يدخله لشدة الحرّ . وللبتم جبال تعرف بالبتم الأول والوسط والبتم الخارج ؛ وماء سمرقند والسغد وبخارا من البتم الاوسط بمكان يعرف بجن ويكون نحو ثلاثين فرسخاً ، ويجري من هذا الماء الى برغر ثم على بنجيكت الى سمرقند ويخرج من مسخا مياه فتقع الى برغر وتختلط بماء سمرقند . ونهر الصغانيان ونهر فرغانه في ظهر مسخا من قرب رأس ماء جن ومينك ومينك الموضع الذي قاتل فيه

قتيبة بن مسلم المسوودة وهناك حصن يُعرف بالافشين الأكبر وهو صاحب المعتمصم وكان قد اتخذ له منزله وكان يستكن المدينة أيضاً. واشروسنه بلدة افتتحها احمد بن خالد. وآل أبي الساج الداوداذ بن داودشت من القرية المعروفة بجنكاكث وسويدك وهما قريتان متدانيتان. وبناحية مينك ومرسمنده تتخذ آلات الحديد التي تعم خراسان ويجهز الى العراق ، وذلك لان الحديد بفرغانه لين يمكن لما يراد قنيته في أي صنعة قصد منه ، وتتفق لهم الخواطر بالغرائب التي يتخذونها منه . وبمرسمنده مجتمع سوق ينتابه الناس من الأماكن البعيدة وهو سوق مشهور في رأس كل شهر مرة .

٣٨ - وأما الشاش وإيلاق فمقدار عرضها مسيرة يومين في ثلاثة أيام ، وليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقدارها في المساحة أكثر منابر وقرى عامرة واسعة وبسطة في العمارة الى قوة شوكة منهم . وحد لها ينتهي الى وادي الشاش الذي يقع في بحيرة خوارزم ، وحد لها باب الحديد بيرية بينها وبين اسبيجاب يعرف بالقلاص ، وهي مراعى وحد لها جبال منسوبة الى عمل الشاش غير ان العمارة المتصلة الى الجبل وبقية مفترق العمارة ، وحد لها الى وينكرد قرية للنصارى . والشاش في أرض سهلة وليس في هذه العمارة المتصلة جبل ولا أرض مرتفعة حزنة وهي أكبر ثغر في وجه العدو والترك . وأبنيتهم واسعة من طين وعامة دورهم تجري فيها المياه ، وهي كلها مستورة بالحضرة ومن أنزه بلاد ما وراء النهر ولها مدن كثيرة تتداني وتتقارب مسافاتهما فمنها :

بنكث ودنفغانكث وجينانجكث ونجاكث وفناكث وخرشكث واستيفغوا وارذلانكث وخذينكث وكنكراك ، وكلشجك وغركنده وغناج وجوزن ووردوك وكهونه وغدرانك ، ونوجكث وغزك وابردكث وبغنكث وبركوش وخاتونكث وجبغوكث ، وفرنكث وكذاك وتكالك وهذه مدن الشاش ؛ وأما مدن إيلاق فقصبته تونكث ولها من المدن : سكاكث وبانجخاش ونوكث وبالايان وتكث واربلخ وغودلغ وخرك ، ونوجكث وكهسيم ودخكث وخاش وخركانكث .

٣٩ - فأما بنكث وهي القصبة للشاش فإن لها قهندزاً ومدينةً ، وقهندزها خارج من المدينة غير ان حائط القهندز والمدينة شيء واحد ، وللمدينة ربض وعلى الربض سور ثم خارج هذا السور ربض آخر وبساتين ومنازل ، ويحيط به سور آخر ، وللقهندز بابان أحدهما الى الربض والآخر الى المدينة ، وسور المدينة عليه ثلاثة أبواب فباب منها يعرف بأبي العباس والآخر يعرف بباب كثير والثالث بباب الجنبذ . وعلى الربض الاول ابواب : فمنها باب يعرف بباب رباط حمدين ، والثاني يعرف بباب الحديد الداخل ، والثالث بباب الأمير ، والرابع بباب الفرخان ، والخامس باب سور كذه ، والسادس باب كرمانيج ، والسابع باب سكة سهل ، والثامن باب راشديجاق ، والتاسع باب سكة خاقان ، والعاشر باب قصر الدهقان . وعلى الربض الخارج أبواب فمنها : باب فرغد وباب خاشكث وباب سكنديجاق وباب الحديد وباب باكرديجاق وباب سكر وباب دوبرياد . ودار الامارة والحبس في القهندز ومسجد الجامع على حائط القهندز ، وفي المدينة الداخلة بغض اسواقهم غير ان أكثر الأسواق في الربض . وطول البلد من السور الثالث الى ان يقطع عرضه كله مقدار فرسخ ، ويجري في المدينة الداخلة والربض جميعاً المياه وفي الربض بساتين كثيرة ومياه تزيد على الكثرة وأبنية متفرقة . ويمتد من الجبل المعروف بسافلغ حائط في وجه القلاص حتى ينتهي الى وادي الشاش ، وكأث وضعه واستحدثاته يمنع الترك من الدخول الى الاسلام ، بناه عبدالله بن حميد بن ثور ومن خرج من هذا الحائط مقدار فرسخ كان هناك خندق من الجبل الى الوادي . وللشاش نهر آخر يقع في الوادي يعرف بنهر برك يخرج بعضه من بسكام وبعضه من جدغل ، وأصل منبعهما من بلد الترك الحرثية فيقع في وادي الشاش في حد نجاكث . ولا يلاق نهر يعرف بنهر ايلاق يخرج من حد الترك فيقع فضله في وادي الشاش حذاء بناكث ومنه شربهم ، وباقي بلد الشاش شربهم من ماء برك . وأما قصبة ايلاق فإنها تونكث فهي أقل من نصف بنكث ، ولها قهندز ومدينة وربض حولها على نهر ايلاق ودار الامارة في القهندز والمسجد الجامع ،

والجلس عند القهندز وأسواقها داخل المدينة وفي الربض جميعاً ، ولهم في المدينة والربض ماء جارٍ . والشاش وإيلاق جميعاً لا فصل بينهما في البساتين والعمارة المتصلة ، وهي ناحيتان كالمختلطة العمل من آخر إيلاق إلى وادي الشاش بلد متكاثف الشجر والحضر والمراعي والبساتين ملتفّ القصور بأسباب النزه والتحاسين غير منقطع . وبإيلاق معادن ذهب وفضة في جبالها ويتصل ظهر هذا الجبل بمحدود فروغانه . وبإيلاق دار ضرب للعين والورق فيروج فيها مال كثير من النوعين جميعاً . وبلي بنكث في الكبر خرشكث ، وبليها في الكبر وصلاح الحال واستقامتها ستوروكث وبقي مدن الشاش دون ذلك في الكبر . وأكبر مدن إيلاق تونوكث وسائر المدن بها دونها وهي متقاربة في أحوالها . وليس بما وراء النهر دار ضرب إلا ببخارا وسمرقند وإيلاق فقط .

٤٠ - وأما أسبيجاب فإنها مدينة نحو الثلث من بنكث وتشتمل على مدينة وقهندز وربض ، فأما القهندز فخراب والمدينة والربض فعمران ، وعلى المدينة الداخلة سور وعلى الربض أيضاً سور يحيط به مقداره فرسخ وفي ربضه مياه وبساتين وأبنيتها طين وهي في مستواة وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو ثلاثة فراسخ . وللمدينة أربعة أبواب : فباب منها يُعرف بباب نوجكث وباب فرخاذ ، وباب سراكراث وباب بخارا ، وأسواقها في المدينة والربض جميعاً ودار الامارة والجلس والجامع في المدينة الداخلة ، وهي مدينة ذات خصب وسعة وليس بخراسان كلها وما وراء النهر بلد لا خراج عليه إلا أسبيجاب . وبما يقع من المدن في نواحيها : بذخكث وسبانيكث والطراز واطلخ وشلجي وكدر وستكند وشاوغر وصبوان ووسيج . فأما سبانيكث فإنها قصبة كورة كنجد ، وأما كدر فإنها قصبة باراب ووسيج أيضاً من مدن باراب ومنها أبو نصر البارابي صاحب كتب المنطق المفسر لكتب القدماء والمتقدم في ذلك على كل من كان في زماننا وعصرنا وأيامنا . وصبوان مدينة يجتمع بها الغزاة للصلح والهدنة والتجارات إذا كان صلح وهي مدينة حصينة . وباراب اسم للناحية ، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم وبها منعة واناس فيهم كثرة ،

وهي ناحية سبخة لها غياض ومزارع في عرض الوادي الآخذ من نهر الشاش . وستكند بها منبر وهي مجمع الأتراك وقد أسلموا منهم أحياء حتى ، ودخل في اسم الاسلام قوم من الغزيرة والخرجية ولهم بأس ومنعة في الأتراك ، وبين باراب وكنجده والشاش مراعي خصبة بينها نحو ألف بيت من الأتراك قد أسلموا ، وهم مقيمون بها في خراكهات لهم على نهرهم ولا بناء لهم . والطراز متجر للمسلمين من الأتراك وبينهم حصون منسوبة اليها ولم يتجاوزها احد من الاسلام ، لأن العابر بها داخل في خراكهات الخرجية . والمذكور من هذه الناحية حدود الشاش ونواحيها .

٤١ - وأما خجندة فإنها متاخمة لفرغانة وهي في جملتها وهي منفردة في الأعمال ، وهي على نهر الشاش في غربيته وطولها أكثر من عرضها وكند على فرسخ منها وكلها كروم وبساتين وليس في عملها مدينة غير كند ، وبساتينها ودورها متفرقة ولها قرى يسيرة ومدينة وقهندز وجامعها في المدينة ودار الامارة في الميدات بالربض والحبس في القهندز ، وهي مدينة نزهة بها فواكه حسنة وفي اهلها جمال ولهم مروثة وهي مدينة تضيق عما يعظم من الزروع فيجلب اليهم من سائر فرغانة واشروسنه ما يقيم أودهم . وتنحدر اليهم السفن من نهر الشاش وهو نهر عظيم ويعظم من أنهار تجتمع اليه في حدود الترك والاسلام ، وعموده نهر يخرج من بلد الترك في حدود اوزكند ، ثم يجتمع اليه نهر خرشاب ونهر اورست وقبا ونهر جدغل وغيرها فيعظم ويغزر ماؤه ويمتد على اخشيكت ثم على خجندة ثم على بناكت ثم على ستكند ، فيجري الى باراب وإذا جاوز حد صبران جرى في برية تكون في حاشية بلد الاتراك الغزيرة فتمتد الى القرية الحديثة على فرسخ منها ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من القرية الحديثة ، وهو نهر إذا امتد يكون نحو ثلثي جيحون وتحمل فيه المير الى القرية الحديثة إذا كانت الهدنة وكانت الاتراك في صلح للمسلمين ، وبالقرية الحديثة مسلمون غير أنها دار مملكة الغزيرة ويقوم بها في الشتاء ملك الغزيرة وبقرها جند وخواره ، وبها من المسلمين تحت سلطان الغزيرة وأكبر هذه الثلاثة المواضع القرية الحديثة وهي من خوارزم

على عشر مراحل ومن باراب على عشرين مرحلة .

٤٢ - وفرغانه اسم الاقليم وهو عمل عريض موضوع على سعة مدنها وقراها وقصبتها اخشيكت ، وهي مدينة على شطّ نهر الشاش على ارض مستوية بينها وبين الجبال نحو نصف فرسخ ، وهي على شمال النهر ولها قهندز في مدينتها ولمدينتها ربض ودار الامارة والحبس في القهندز والجامع خارج القهندز ، ومصلّى العيد على شطّ نهر الشاش واسواقها في مدينتها وربضها ، وأكثر الأسواق في مدينتها ومقدارها في الكبر نحو ثلث فرسخ وبنائها من طين ، وعلى ربضها سور ، وللمدينة الداخلة أبواب : أحدها باب يجير والآخر باب المرقشه وباب كاسان وباب الجامع وباب رهايه . وفي مدينتها وربضها مياه جارية وحياض كثيرة وكل باب من ابواب ربضها يُفضي الى بساتين ملتفة وأنهار جارية لا يتقطع مقدار فرسخين ، وبجذائها إذا عبرت نهر الشاش مروج ومراعٍ كثيرة ورمال مقدار مرحلة . ويلى اخشيكت في الكبر قبا وهي مدينة من أنزه تلك المدن وتقارب اخشيكت في الكبر ، ولها قهندز ومدينة وربض والقهندز خراب والجامع في القهندز واسواقها في ربضها ودار الامارة والحبس في الربض ، وعلى الربض سور محيط به ولها بساتين كثيرة ومياه تزيد على مياه اخشيكت وبساتينها . ويلى قبا في الكبر اوش ولها مدينة عامرة وقهندز عامر ودار الامارة والحبس في القهندز ، وللمدينة ربض وعلى الربض سور وهي ملاصقة للجبل الذي عليه المرقب للأتراك الذي تحرس فيه مقائهم وسرحهم ، ولها ثلاثة أبواب : فباب الجبل وباب الماء وباب مغلّكه وأبواب المدينة محصنة . واوذكند آخر مدن فرغانه ممّا يلى دار الكفر وهي نحو ثلثي اوش ولها قهندز ومدينة محصنة وربض والأسواق فيه ، وهي متجّر على باب الأتراك ولها بساتين ومياه جارية . وليس بفرغانه مدينة إلا ولها قهندز وهي محصنة ذات بساتين ومياه جارية .

٤٣ - وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانه وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم ومراعيهم . ومن كور فرغانه : نسيا العليا ونسيا السفلى واسبره ونقاد وميان روذان وجدغل واورست

وبسفر واشت . فأما نسيا العليا فهي أول كورة من فرغانه إذا دخلت إليها من ناحية خجنده ومن مدنها وانكث وسوخ وخواكنده ورستان ؛ ونسيا السفلى تتصل بها ومن مدنها : مرغينان وزندرامش ونجرونك واستيقان واندكان وهلي ؛ وهاتان الكورتان سهل ومروج وليس في أضعافهما جبال واسبره سهلية جبلية ومن مدنها طماخس وبامكاخس . وسوخ مدينة على حدة من الجبال ولها ستون قرية وهي كورة جبلية منفردة بأعمالها وحالها وما هي عليه من وفور عدة أهلها . واول اسم المدينة ولها قرى وهي كورة منفردة منعزلة . ونقاد مدينة جبلية وهي باسم الكورة ومدينتها مسكان وليس لها مدينة غيرها . واوش اسم المدينة وكذلك قبا ولها قرى غزيرة العدد كثيرة العدد ، وليس في حد قبا مدينة غيرها ولا يتصل بها عمل سواها . وفي حد أوش مدينة أخرى تسمى مدوا ؛ واوزكند اسم المدينة ولها إقليم واسع وقرى فسيحة وليس في عملها مدينة غيرها . وكاسان اسم المدينة واسم الناحية أيضاً ولها قرى ومزارع وماشية وسواهم . وجدغل اسم الكورة ومدينتها اردلانكث وليس في عملها مدينة غيرها . وميان رودان اسم الكورة ولها قرى وافرة وغلات غزيرة ومدينتها خيلام ، وبها مولد أبي الجيش نصر بن أحمد في دار خير بن أبي الخير . وكروان اسم المدينة ولها ناحية فسيحة وقرى ذات عمارة . ونجم اسم لقرى هناك مجتمعة كثير بضع هناك فيه من الرجال والكراع والحمة ما يحمونه ويمنعونه بمن أراد . واورست لها قرى كثيرة . واستياكند وثلاث فلها قرى وهما بابان للترك ويفضى اليهما من ميان رودان كما ان اوزكند باب الترك ، ويعرف هذا الموضع بهفت ده يعني سبع قرى كانت للأتراك فافتتحت في هذا العصر قريباً وهي قريبة من اوزكند وصارت للاسلام .

٤٤ - وقد تقدم القول ان بفرغانه من معادن الذهب والفضة بناحية نقاد واخشيكث وغيرها ، ويرتفع الزبيق بسوخ من جبالها وبناحية نسيا العليا زفت وجراغنك وفضة وذهب وفيروزج وحديد وصفر وآلك وباسبره جبل الحجارة السود التي تحترق كالقحم ويبيض برمادها الثياب .

وبأسبوه جبال بلق : فقطعة سوداء حالكة وأخرى حمراء قانية وأخرى صفراء فاقعة . وفي جبال فرغانه شجر الطبرخون الذي 'يحمل بزره الى الآفاق والكودنجان ، ولا يكون إلا عندهم ويرتفع من هذه النواحي ونواحي الترك نواذر كثير كالذي يرتفع من البتم .

٤٥ - والمسافات بما وراء النهر فالطريق من وادي جيجون بفربر الى فرغانه : فمن فربر الى بيكند مرحلة ومن بيكند الى بخارا مرحلة ، ومن بخارا الى الطواويس مرحلة ومن الطواويس الى كرمينيه مرحلة ، ومن كرمينيه الى الدبوسية مرحلة خفيفة ومن الدبوسية الى اربنجن مرحلة خفيفة ومن اربنجن الى زرمات مرحلة ومن زرمات الى سمرقند مرحلة ، ومن سمرقند الى اباركت مرحلة ومن اباركت الى رباط سعدي مرحلة ، وفي هذه المرحلة إذا صرت الى رباط أبي احمد مفرق طريق فرغانه والشاش ، ومن رباط سعدي الى فورغند مرحلة ومن فورغند الى زامين مرحلة ، ومن زامين الى ساباط مرحلة ومن ساباط الى اركند مرحلة ، ومن اركند الى شاوكت مرحلة ومن شاوكت الى خجندة مرحلة ، ومن خجندة الى كند مرحلة ومن كند الى سوخ مرحلة ، ومن سوخ الى رشتان مرحلة ومن رشتان الى زندرامش مرحلة ومن زندرامش الى قبا مرحلة ومن قبا الى اوش مرحلة كبيرة ، ومن اوش الى اوزكند مرحلة كبيرة وهذا هو الطريق القصد من فربر الى اوزكند وهي آخر ما وراء النهر . ومن أراد من خجندة الى اخشيكت قصبة فرغانه خرج من كند الى خواقند مرحلة كبيرة ومن خواقند الى اخشيكت مرحلة كبيرة ، ومن هناك طريقان أحدهما في المفازة والرمال سبعة فراسخ الى باب اخشيكت ثم يعبر نهر الشاش الى اخشيكت ، والآخر يعبر النهر الى باب خمسة فراسخ ومن باب الى اخشيكت أربعة فراسخ . فجميع المسافة من فربر الى اوزكند ثلاث وعشرون مرحلة . وأما طريق الشاش الى أقصى بلد الإسلام فإنك تخرج من اباركت الى قطوان دزه مرحلة وطريق الشاش وفرغانه واحد الى رباط أبي احمد ، ثم تعدل عن يسارك الى الشاش إذا خرجت من رباط أبي احمد فتنزل قطوان دزه ، وإن شئت نزلت خرقانه ومنها

الى ديزك ومنها الى ببر الحسين ، ثم بئر حميد ثم وينكرد ثم استوركث
ثم بنكث ثم الى رباط بالفلاص ويُدعى انفرن ، ثم الى غركرد قرية ثم
الى اسبيجاب ثم الى بذخكث ومن بذخكث الى الطراز يومان لا رباط
بينهما ولا عمارة هناك . ومن أراد طريق بناكث فإنه ينزل من اباركث
رباط سعدي ومنه الى زامين الى خاوس ومن خاوس الى بناكث ثم الى
استوركث . والجميع من وادي جيحون الى الطراز اثنتان وعشرون مرحلة .
٤٦ - والطريق من بخارا الى الترمذ وبلخ : فمن بخارا الى فراجون
مرحلة ومن فراجون الى ميانكال مرحلة ، ومن ميانكال الى مايرغ مرحلة
ومن مايرغ الى نسف مرحلة ، ومن نسف الى سوبخ مرحلة ومن سوبخ
الى الديدكي مرحلة ، ومن الديدكي الى كندك مرحلة ومن كندك الى باب
الحديد مرحلة ، ومن باب الحديد الى رباط دارنك مرحلة ومنه الى هاشم
جرد مرحلة ، ومنها الى الترمذ مرحلة ومن الترمذ تعبر جيحون الى
سياه كرد مرحلة ، ومنها الى بلخ مرحلة والجميع ثلاث عشرة مرحلة . والطريق
من سمرقند الى بلخ : فمن سمرقند الى كش يومان ومن كش الى كندك
ثلاث مراحل ويتصل طريق بخارا وسمرقند الى بلخ من كندك . والطريق
من بخارا الى خوارزم في مفازة يخرج من بخارا الى فرخسه مرحلة عامرة
وتسير ثلثي مراحل في مفازة لا منزل بها ولا رباط ولا ساكن ، وإنما
هو سير على المرعى والقصد فلذلك لا تُعرف منازلها . ومن أحب ان يعبر
من جيحون الى امل ثم يسير الى خوارزم فيأت من بخارا الى فربر
مرحلتين ، ومن فربر يعبر الوادي الى امل فيسير في جد امل الى ويزه
مرحلة ومن ويزه الى مردوس مرحلة ، ومن مردوس الى اسباس مرحلة
ومن اسباس الى سيفايه مرحلة ، ومنها الى الطاهرية مرحلة ثم الى هزاراسب
مرحلة وذلك كله عمارة ، وهذا طريق يقضي الى مدينة الجرجانية من
خوارزم ؛ فذلك من بخارا الى خوارزم اثنتا عشرة مرحلة . والطريق الى
اشروسنه فقد دخل في طريق فرغانه لأنك إذا دخلت في خرغانه وزامين
فهي من مدن اشروسنه .

٤٧ - والطريق من الخُتَل الى الصغانيان : فمن معبر بذخشان على نهر

خرباب الى منك ستّ مراحل ومن منك الى قنطرة الحجر على وخشاب مرحلتان ، وإذا نزلت على نهر وخشاب فإلى ليوكند مرحلتان وتنزل على الماء أيضاً الى هلاورد مرحلة ، وهلاورد وليوكند على شط وخشاب وهما مدينتا الوخش . ومن معبر ارهن الى هلاورد مرحلتان ومن المعبر الى هلبك يومان ، ومن هلبك الى منك يومان وكاوينج فوق معبر ارهن على نهر خرباب بنحو فرسخ . وغليات من قنطرة الحجر على أربعة فراسخ في طريق منك . ومن معبر بدخشان الى رستاق بيك مرحلتان ومن رستاق بيك تعبر نهر انديجاراغ ثم تدخلها ، وبين رستاق بيك وانديجاراغ مرحلة ومن انديجاراغ تعبر نهر فارغر ثم تدخل فارغر وبينهما يوم ، ثم تعبر نهر بربان الى هلبك ؛ وهذه مسافة ما بين الوخش والحُتّل ، ومن الترمذ الى الصغانيان : فإنك تخرج من الترمذ الى جرمقان مرحلة ومن جرمقان الى صرمنجي مدينة حسنة ، وفيها رباط حسن لأبي الحسن بن ماه يُصدق فيه بدينار خبزاً في كل يوم مرحلة ، ومنها الى دار زنجي مدينة أيضاً حسنة مرحلة ، ولأبي الحسن رحمه الله فيها رباط ولم أنزله ولا دخلته . ومن دار زنجي الى الصغانيان مرحلتان ولأبي الحسن بها غير رباطٍ جليلٍ ونعمٌ فخمةٌ . والصغانيان مدينة لآل محتاج وفيها ولدُ أبي علي أحمد بن محمد بن المظفر بن محتاج صاحب جيش نوح بن نصر بن أحمد على المعونة والصلاة بجميع خراسان على ضياعٍ لهم ونعمٍ هناك بأيديهم ، رعايةً من ولد نوحٍ لسالف أبي علي وخدمة آباءه . والطريق من الصغانيان الى الحُتّل من الصغانيان الى واشجرد الى شومان مرحلتان ومن شومان الى انديان يوم ، ومن انديان الى واشجرد يوم ومن واشجرد الى ايلاق يوم ومن ايلاق الى دربند يوم ومن دربند الى خاوكان يوم ، ومن خاوكان الى القلعة يومان والقلعة من الراشت . ومن الصغانيان الى باسند مرحلتان ومن الصغانيان الى زينور مرحلة ، ومن الصغانيان الى بوارب مرحلة ومن الصغانيان الى ريكّر ستّ فراسخ والطريق على بوارب ويجاوزها بفرسخين ثم يجاوز ريكّر بثلاثة فراسخ على السمت ، ومن الترمذ الى القواذيان مرحلتان ومن القواذيان الى الصغانيان ثلاث مراحل . ومن واشجرد الى

قنطرة الحجارة يوم ؛ وهذه مسافات ما بين الصغانيان الى أقصى الحُتْل .

٤٨ - ذكر مسافات خُوارزم : فن قصبة خوارزم وهي كث الى خيوة مرحلة ومن خيوة الى هزاراسب مرحلة . ومن كث الى الجرجانية ثلاث مراحل منها الى اردخشمين مرحلة ومن اردخشمين الى نوزوار مرحلة ومنها الى الجرجانية مرحلة ، وتعبّر جيحون في خلال ذلك . ومن هزاراسب الى كردران خواش ثلاثة فراسخ ومنها الى خيوة خمسة فراسخ ومن خيوة الى سافردز خمسة فراسخ ومن سافردز الى المدينة ثلاثة فراسخ ومن المدينة الى كردر تمضي الى درخاش مرحلتان ومن درخاش الى كردر مرحلة ، ومن كردر الى قرية قراتكين يومان . ومذمينيه وقرية قراتكين متقاربتان على ان الأقرب الى جيحون مذمينيه ، وهي مدينة الى وادي جيحون منها أربعة فراسخ وبين مزداخقان وبين نهر جيحون فرسخان ، وهي تجاه الجرجانية ومحاذية لها . وبين الجرجانية وبين جيحون فرسخ واحد .

٤٩ - والمسافات بين مدن بخارا : فمن بوجمكت وهي قصبة بخارا الى بيكند مرحلة ومن بوجمكت الى خجاده ثلاثة فراسخ عن بين الذهاب من بخارا الى بيكند ، وبينها وبين الطريق نحو فرسخ . ومعكان من المدينة على خمسة فراسخ عن بين طريق بيكند وبينها وبين الطريق نحو ثلاثة فراسخ . وأما زندنه فلانها من المدينة على أربعة فراسخ في شمال المدينة . وبين كرمينيه وخديمكن فرسخ بما يلي السغد ومن خديمكن طريق سمرقند على غلوة من يسار الذهاب الى سمرقند ومن سمرقند الى اباركت أربعة فراسخ . ومن سمرقند الى ورغسر أربعة فراسخ ومن ورغسر الى بنجيكت خمسة فراسخ . ومن سمرقند الى ويزار فرسخان ، ويزار مدينة يُعمل بها الثياب الوبذارية القطنية وهي ثياب تلبس خاماً غير مصبوغة ، وفيها قليل صفرة وكأنها للينها خزّ وتجلب الى فارس والعراق وسائر الأقطار فتستحسن ، ولها بقاء معروف وليس بخراسان أمير او وزير او قاضٍ او عامّي أو ثاقب أو جندي إلا والثياب الوبذارية الظاهرة على ما يلبسه من فاخر الثياب في الشتاء ، وجمالهم بها ظاهر وزينتهم بها فاشية وفيها نعمة وهي ثياب صفيقة ترفة ، ويبلغ الثوب منها

من عشرين ديناراً الى دينارين ولبست غير ثوب منها خمس سنين ، وتستهدى من العراق وتجلب فيفتخر بلبوسها . ومن سمرقند الى كبودنجكث فرسخان ومن سمرقند الى استيخن سبعة فراسخ على شمال سمرقند ، ومن استيخن الى الكشانية مرحلة والى اربنجن مرحلة .

٥٠ - والطريق من كش الى نصف ثلاث مراحل ومن كش الى الصغانيان ست مراحل ، ومن كش الى نوقة قریش خمسة فراسخ على طريق نصف . ومن كش الى سوبخ فرسخان يساراً واسكيفغن على فرسخ من سوبخ وسوبخ أقرب الى اسكيفغن من نصف . ومن نصف الى كسبه أربعة فراسخ على طريق لبخارا أسفل من الطريق الذي ذكرته وبين كسيف وبزده ستة فراسخ ؛ وهذه مسافات مدن نصف .

٥١ - فأما المسافات بأشروسنه : فمن خرقانه الى ديزك خمسة فراسخ . ومن خرقانه الى زامين تسعة فراسخ ، ومن زامين الى ساباط ثلاثة فراسخ ومن زامين على طريق خاوس الى كركث ثلاثة عشر فرسخاً عن يسار الذهاب الى فرغانه . وبين مدينة اشروسنه وساباط ثلاثة فراسخ فيما يلي الجنوب والمشرق . وبين نوجكث وخرقانه فرسخان فيما يلي المشرق والجنوب من خرقانه . وارسانيكث على حد فرغانه من شرقي مدينة اشروسنه على تسعة فراسخ وفككث على ثلاثة فراسخ من المدينة في طريق خجنده ومن فككث الى غزق فرسخان ومن غزق الى خجنده ستة فراسخ وهذه مسافات مدن اشروسنه .

٥٢ - المسافات بين مدن الشاش وايلاق واسبيجاب وما يتصل بها ، وبناكث على نهر الشاش : ومنها الى خرشكث فرسخ ومن خرشكث الى خدينكث فرسخ ومنها الى استووكث ثلاثة فراسخ ومنها الى دنفغانكث فرسخان ومنها الى زاليكث فرسخ ومنها الى بنكث فرسخان ، وهذه المدن على طريق بناكث الى بنكث . وأما المدن التي على طريق بنكث وتونكث قصبة ايلاق فإن من بنكث الى نوجكث فرسخاً ، ومنها الى بالابان فرسخان ومنها الى نوكت فرسخ ، ومنها الى بانجخاش فرسخان ومنها الى سكاكث فرسخ ومنها الى تونكث فرسخ . وأما ما بين نهر

برك ونهر ايلاق فيما يلي المشرق من طريق ايلاق فإن بنكت على فرسخين من جبغوكت ، ويليها على فرسخين فرنكت ويليها على فرسخ بغونكت ، ويليها على فرسخين ابرذكت وكذلك وغدرانك وكبرنه وغزك ، وتُدعى غزق كما تُدعى من خوارزم هزاراسف هزاراسب ، وكما تُدعى مدينة الرنج بنجواى فنجواى ووردوك وجبوزن وكلّهما متقاربة في مسيرة يوم في مثله . وما بين بناكت وتونكت ونهر برك ونهر ايلاق من غربي طريق ايلاق فإنها استبيغوا وكشيجك ، واردلانكت وبسكت وسامسيوك وخمرك وغناج كلّها في مقدار مرحلة في نحوها . وما بين بناكت وتونكت ونهر الشاش ونهر ايلاق فإنها غرچند وخاش ودخكت وتكت وكسيم في مقدار مرحلتين في أقل من مرحلة . وأما بين نهر ايلاق ونهر الشاش من غربي تونكت فإنها اربلخ ونغوزلغ في مقدار خمسة فراسخ . وجينانجكت على طريق وينكرد الى بنكت وبينها وبين نهر الشاش فرسخان . ونجاكت على وادي الشاش ويجتمع عندها بنهر برك وبينها وبين بناكت ثلاثة فراسخ وكنكراك على نهر برك بقرب خذنيكت على فرسخ . وبين نهر برك وحائط الشاش الذي من وراء القلاص ويُعرف بحائط عبدالله بن حميد خاتونكت ، وهي على فرسخين من المدينة وبركوش على ثلاثة فراسخ من خاتونكت على سمتها ومنها الى خركانكت أربعة فراسخ على سمت المشرق . ومن بنكت الى اسبيجاب أربع مراحل ومن اسبيجاب الى اسبانيكت مرحلتان ، ومن اسبانيكت الى كدر قصبه باراب مرحلتان خفيفتان ومن كدر الى شاوغر مرحلة ، ومن شاوغر الى صبران مرحلة خفيفة . ووسيج على غربي النهر في نحر الشط أسفل من كدر بفرسخين . وباراب عن شرقي الوادي وبين كدر والنهر نصف فرسخ .

٥٣ - والطريق من اخشيكت الى سكت تسعة فراسخ ، وهي أول مدن ميان رودان ، ومن اخشيكت الى ثلاث آخر ميان رودان نحو خمس مراحل ومن اخشيكت الى كاسان وهي في شمالها خمسة فراسخ ، ومن كاسان الى اردلانكت مرحلة ومن كاسان الى نجم وهي شرقي الى الشمال مرحلة ، ومن اخشيكت الى حدّ كروان نحو سبعة فراسخ .

والراشت من اخشيكت على نحو سبعة فراسخ وحدّها يتّصل بإيلاق وهي
 بين المغرب والشمال من اخشيكت وكروان بينها وبين كاسات أربعة
 فراسخ ومن اخشيكت الى كروان تسعة فراسخ ، وبارياب واخشيكت
 على شط نهر الشاش وكند بينها وبين نهر الشاش زيادة على فرسخ ،
 وكذلك بين وانكت والوادي زيادة على فرسخ وبين خواكند والوادي
 خمسة فراسخ . ومن قبا الى رشتان بينه وبين نهر الشاش نحو مرحلة ومن
 قبا الى استيقان ثلاثة فراسخ ومن استيقان الى الوادي سبعة فراسخ ، وهي
 على طريق قبا الى اخشيكت . ومن سوخ الى بامكانس خمسة فراسخ
 ومن سوخ الى اوال نحو عشرة فراسخ على طريق اوجنه . ومن قبا الى
 نقاد سبعة فراسخ وحدودها متّصلة . ومن اوش الى مدوا فرسخان .
 ومن وانكت الى خيلام ثلاثة فراسخ ومن خيلام الى شلات سبعة فراسخ
 وشلات واستياكند ليس بهما منبر وهما ثغران ، ولنا يُذكران لملّهما في
 الجهاد ولّهما آخر الاسلام .



خاتمة الكتاب

١ - وقد تمّ هذا الكتاب بعون الله على التقريب لغائبه ونائبه وتوحيه الحقيقة في شاهده ودانيه ، وما به من خللٍ وزللٍ وسهْوٍ وخطلٍ فالعذر الى قارئه ثمّ الى الله تعالى من تقصير إن كان فيه ، ولأنّ الإنسان بجُزْؤيّته لا يبلغ أَرْبَهْ بِكُلِّيَّتهِ إلا بتوفيقٍ وتأيدٍ من الحكيم المجيد . والحمد لله حقّ حمده وصلى الله على محمد خَيْرته من خلقه وأبرار عِترته وهو حسبي ونعمّ المعين .

٢ - وبمّا يشهد لهذا الكتاب على غيره بما هو في معناه وبسبيله من الكتب المؤلّفة في أشكال الأرض أن أشهرهم بالتأليف فيها حكى عن بطليموس أن عرض الأرض من القطب الجنوبي الى القطب الشمالي الذي تدور عليه بنات نعش قال : واستدارة الفلك على الأرض في مكان خطّ الاستواء ثلاثمائة وستون درجة ، قال والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعاً والاصبع ستّ حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض ، قال : ويكون ذلك تسعة آلاف فرسخ ، قال : وبين خطّ الاستواء وكلّ واحد من القطبين تسعون درجة واستدارتها مثل ذلك ، قال : والعمارة في الأرض بعد خط الاستواء اربع وعشرون درجة والباقي قد غمره ماء البحر الكبير المحيط قال : ونحن على الرُبع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب لشدة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه ، قال : وكلّ ربع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم . وهذا كلام عقليّ مسلم لصاحبه وإن تزيّن

به في كتابه فجائز حسب ما حشا الناس كتبهم عن الناس . ثم قال عن نفسه : والدنيا مسيرة خمس مائة عام مائتان منها بحار ومائتان منها قفار وتسعون عاماً بلاد ياجوج وماجوج وسبعة أعوام بلاد السودان ، وثلاثة أعوام لسائر الخلق . فأخطأ في أوّل قوله من ذكره الدنيا وهو يريد الأرض والدنيا في لغة العرب الحياة الدنيا وما ضاهى ذلك على طريق الاستعارة أو كقوله تعالى : إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهذا كلام عائليّ ركيك مرتبك لا يثبت ولا يمتسك لا يعرف للمهاك حقيقة ولا من الأرض وجهة ولا طريقة . ويجه أين بلد ياجوج وماجوج الذي هو تسعون عاماً وجميع بلاد ولد يافت مع ما لياجوج وماجوج منها لا يبلغ مائتي مرحلة ؟ وهي من وسط المشارق الى آخر الشمال بما يجاور بعض بلد الروم على سيف البحر المحيط . وأين بلد السودان الذي طوله سبعة أعوام في السماء أم تحت الأرض وجميع بلدكم في الاقليم الثاني وأوّل على البحر المحيط غانه ثم كوغه ثم سامه ثم غريوا ثم كزم ، ومعهم بعد المفازة التي بين الزنج والبحر المحيط النوبة والحبشة والزنج ويعبر الى باقي سبعتهم من بلد الهند بحر فارس والهند ، وجميع أرضهم لا تزيد على خمسين ومائتي مرحلة طولاً وأكثر عروض ممالكهم شهر أو نحوه . وأين ممالك جميع أهل الكفر في جنب ما للإسلام من البحر المحيط بالمغرب الى نحو البحر المحيط بالمشرق ما عدته ووصفته وشكلته ؟ وجميعه لا تبلغ مسافته أربع مائة مرحلة على الحقيقة ومن أجده به سيوره ورزق السلامة قطعه في سنة مع التوفيق . اللهم تجاوز عنا واتركه ولا تؤاخذك إنك محيب قريب .

٣ - الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة على رسوله سيّد المرسلين محمد وآله الطاهرين .

فرغ من نسخ هذا الكتاب عليّ بن الحسن بن بندار في يوم الثلاثاء
مستهلّ رجب سنة تسع وسبعين وأربع مائة .

فهرس

القسم الأول

صفحة	
٧	المقدمة
١٥	صورة الارض
٢٧	ديار العرب
٤٨	بحر فارس
٦٤	المغرب
١٠٤	الاندلس
١١٣	حقلية
١٢٦	مصر
١٥٣	الشام
١٧٤	بحر الروم
١٨٧	الجزيرة
٢٠٨	العراق

القسم الثاني

٢٢٥	خوزستان
٢٣٤	فارس
٢٦٦	كرمان
٢٧٤	السند

صفحة

٢٨٥	ارمينيه واذربيجان والران
٣٠٤	الجبال
٣١٨	الديلم وطبرستان
٣٢٧	بحر الخزر
٣٣٨	مفازة خراسان وفارس
٣٤٧	سجستان
٣٥٨	خراسان
٣٨١	ما وراء النهر
٤٢٩	خاتمة الكتاب

